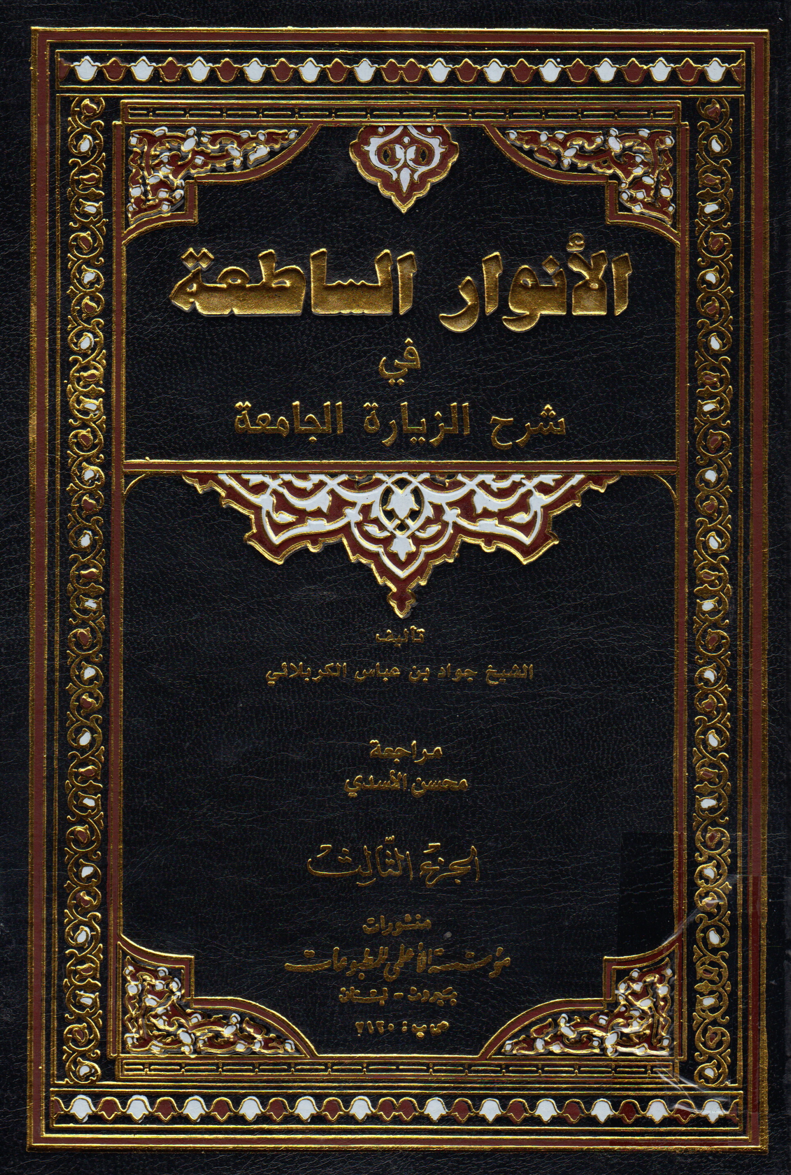

الأنوار الساطعة
في
شرح الزيارة الجامعة
تأليف
الشيخ جواد بن عباس الكربلائي
مراجعة
محسن الأسدي
الجزء الثالث
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص ب : ٧١٢٠

الأنوار الساطعة

في

شرح الزيارة الجامعة

٣

الأنوار الساطعة

في

شرح الزيارة الجامعة

تأليف

الشيخ جواد بن عباس الكربلائي

مراجعة

محسن الأسدي

الجزء الثالث

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب: ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ _ ٢٠٠٧م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات



بيروت _ شارع المطار _ قرب كلية الهندسة
مفرق سنتر زعرور- ص ب : ١١/٧١٢٠
هاتف: ٤٥٠٤٢٦- فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧

Published by Alaalami Library
Beirut- Lebanon po. Box 7120
Tel - Fax: 450427
E-mail: alaalami@yahoo.com.



الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله آل الله، ولعنة الله على أعدائهم أعداء الله.

وبعد، هذا هو الجزء الثالث من الأجزاء الخمسة المسمّى بـ«**الأنوار السّاطعة في شرح الزيارة الجامعة**».

كتبته وأبرزته في عالم المطبوعات كي ينتفع به كل من يروم أن ينوّر بنور الولاية العظمى، ويشرح صدره لعلوم محمد وآله عليهم السلام.

ونشرع من جملة: السّلام على الأئمة الدعاة.

قوله ﷺ: السلام على الأئمة الدعاة.

الأئمة جمع إمام نحو أكيسة جمع كساء.

قال في المجمع: أصل أئمة أءممة فالقيت حركة الميم الأولى على الهمزة وادغمت الميم في الميم، وخففت الهمزة الثانية؛ لئلا تجتمع همزتان في حرف واحد مثل آدم وآخر، فمن القراء من يبقي الهمزة مخففة على الأصل، ومنهم من يسهلها والقياس بين بين، وبعضهم يعده لحنا ويقول: لا وجه في القياس.

أقول: ومعنى تسهيلها هو قراءتها (أي الهمزة) بنحو يكون في التلفظ ما بين الهمزة والياء، وبعضهم يقلبها ياء، وبعضهم يقرأ الهمزة الثانية محركة.

أقول: ولعل هذه القراآت فيها من ألسن العرب غير الفصاح؛ ولذا قال بعضهم: إن هذا لحن ولا وجه للقياس.

والدعاة: جمع الداعي كقضاة جمع قاضي.

وكيف كان فمعنى الجملة هو أن الإمام في كتاب الله إمامان.

في تفسير نور الثقلين عن أُصول الكافي[1]، باسناده عن طلحة بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

إن الأئمة في كتاب الله عزوجل إمامان.

قال الله تبارك وتعالى: **﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾** لا بأمر الناس، يقدمون أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم، قال: **﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾** يقدمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عزوجل.

وفيه[2] عن عيون أخبار الرضا عليه السلام حديث طويل في وصف الإمامة والإمام، وذكر فضل الإمام يقول فيه عليه السلام:

ثم أكرمه الله عزوجل (أي إبراهيم عليه السلام) بأن جعلها في ذريته وأهل الصفوة والطهارة فقال عزوجل: **﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وإيتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين﴾** فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً قرناً حتى ورثها النبي صلى الله عليه وآله.

فقال الله جل جلاله:

﴿أن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾ فكانت خاصة، فقلدها صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بأمر الله عزوجل على رسم ما فرض الله تعالى، فصارت في ذريته الأصفياء الذين أتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى: **﴿قال الذين اوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾** فهي في ولد علي بن أبي طالب عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد

---

١ ـ ج ٤ ص ١٣٠.

٢ ـ اصول الكافي: ج ٣ ص ٤٤٠.

محمد صلى الله عليه وآله.

وفي أُصول الكافي مثله سواء.

وفيه عن كتاب المناقب لابن شهرآشوب عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل في فضل علي وفاطمة عليهما السلام وفيه قال صلى الله عليه وآله: وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، واجعل في ذريتهما البركة، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك، ويأمرون بما يرضيك، الحديث.

وفي بصائر الدرجات بإسناده عن ابن أبي يعفور قال: قال لي أبو عبداللّه عليه السلام: يابن أبي يعفور إن اللّه تبارك وتعالى متوحد بالوحدانية متفرد بأمره، فخلق خلقاً ففردهم لذلك الأمر، فنحن هم يا بن أبي يعفور، فنحن حجج اللّه في عباده، وشهداؤه في خلقه، وأمناؤه وخزّانه على علمه، والداعون إلى سبيله، والقائمون بذلك، فمن أطاعنا فقد أطاع اللّه.

فالمستفاد من هذه الأحاديث المتضمنة لتلك الآيات أن الأئمة على قسمين:

□ إمام يهدي بأمر اللّه.

□ إمام يدعو إلى النار.

وأن الأئمة الذين يهدون بأمر اللّه هم ذرية رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فهذه الجملة في الزيارة كساير الجمل التي تكون قريبة المضمون مع هذه تدل على أن الأئمة عليهم السلام هم الدعاة إليه تعالى، وأنهم المشار إليهم في قوله تعالى: **﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾**.

ثم إن الجمل الواردة في هذه الزيارة الشريفة المتضمنة لهذا المعنى على أقسام، كلّ منها يشير إلى جهة من جهات الدعوة إليه تعالى فنقول:

قوله عليه السلام هنا: السلام على الأئمة الدعاة، فهذه الدعوة عبارة عما أودعه اللّه

تعالى في حقيقتهم عليهم السلام من أسرار التوحيد، التي بها يتصفون بصفة الداعوية الذاتية، والشأنية الواصلة إلى المرحلة الفعلية، فهي بهذه المرتبة الفعلية يعبر عنها بكونهم الدعاة إلى اللّه، كما تقدم في السابق من قوله عليه السلام: السلام على الدعاة إلى اللّه.

وبالجملة، هذه الجملة للإشارة إلى القابلية الذاتية للداعوية إليه تعالى مما جعل اللّه فيهم من أسرار التوحيد، والجملة السابقة للإشارة إلى المرحلة الفعلية الظاهرة في الخلق قولاً وفعلاً وصفة كما لا يخفى.

فقوله عليه السلام هنا: الدعاة إلى اللّه، يشير إلى منصب الداعوية، كما أن قوله عليه السلام السلام على أئمة الهدى، يشير إلى منصب الإمامة الذاتية.

وأمّا قوله عليه السلام: الدعوة الحسنى، فالمراد منها معناها الأسمى أي حقيقة الدعوة الإلهية، التي هي اثر من تلك القابلية الذاتية التي تقدم ذكرها، فاذا أظهروها ـ بالقول فيما يكون قولياً أو بالفعل فيما يكون فعلياً ـ فيتصفون بالداعوية الفعلية إلى اللّه تعالى.

والحاصل: أن ما تحصل به الدعوة من بيان المعارف والأحكام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكون الدعوة الحسنى، وملخص القول: أنهم عليهم السلام بلحاظ القابلية الذاتية المستجمعة للأسرار الإلهية فهم الأئمة الدعاة ذاتاً، وبلحاظ الإظهار والفاعلية لتلك الدعوة، فهم الدعاة إلى اللّه قولاً وعملاً، وبلحاظ بيان ما به الدعوة الإلهية من ذكر المعارف والأحكام والأمر والنهي فهم عليهم السلام الدعوة الحسنى.

وكيف كان فهم عليهم السلام دلّوا العباد على سبيل الرشاد، واوضحوا أمر اللّه تعالى ونهيه، وأقاموا في جميع العوالم ما كان معوجاً في جميع الأمور، وفي جميع أصناف

الخلق فهم عليهم السلام دعوا جميع الموجودات إليه تعالى كلّ بلسانه من الجمادات والنباتات والحيوانات والناس بما فيهم الأنبياء السابقون بل والملائكة أيضاً. وهذا أمر واضح لا يخفى على المتتبع لآثارهم عليهم السلام.

وأمّا بيان كيفية دعوة كل موجود إليه تعالى فهو مختص بهم عليهم السلام فإنهم العارفون بحقائق الموجودات بتعريف اللّه تعالى لهم، فلا محالة يدعون كلا منها بما يخصه في الفهم والدعوة كما لا يخفى.

وهذه الجملة التي أُشير إليها للإشارة إلى أنّهم عليهم السلام متصفون بهذه الدعوة منه تعالى لاغيرهم فلهم هذه المناصب؛ ولقد قاموا عليهم السلام بهذه الدعوة، وأجهدوا أنفسهم الشريفة، وأتعبوها بكلّ المشاق حتى ظهر أمر اللّه تعالى في عالم الوجود، بحيث لولاهم لما عرف اللّه، ولولاهم لما عبد اللّه كما تقدم، والحمد للّه ربّ العالمين.

قوله عليه السلام: والقادة الهداة.

أقول: في المجمع: والقود أن يكون الرجل أمام الدابة آخذاً بقيادها، القود (بالفتح فالسكون) الخيل، والقياد (ككتاب) حبل تقاد به الدابة، والمقود الحبل يشدّ به الزمام أو اللجام تقاد به الدابة والجمع مقاود.

وفيه: والقائد واحد القواد والقادة، وفي حديث علي عليه السلام: قريش قادة ذادة، أي يقودون الجيوش، جمع قائد. انتهى ملخصاً.

أقول: والمعنى انهم عليهم السلام يقودون شيعتهم إلى طريق النجاة وأعلا الدرجات، كما تقدم عنهم هذا كثيراً، والهداة جمع الهادي، ولما كانت القادة حسب معناه اللغوي عاماً يشمل من يقود غيره إلى الهدى أو إلى الضلال كما لا يخفى، فاتصفت في العبارة بالهداة إشارة إلى أنهم مصاديق قوله تعالى: ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا**﴾ وقد

مقدم الحديث في بيان هذه الآية، فهم عليهم السلام القادة الهداة إلى كلّ خير.

أقول: وفيه أيضاً إشارة إلى أنهم عليهم السلام مصاديق قوله تعالى: ﴿إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد﴾[١].

في تفسير نور الثقلين[٢]، عن أمالي الصدوق رحمه الله بإسناده إلى عباد بن عبدالله قال: قال علي عليه السلام:

«ما نزلت من القرآن آية إلّا وقد علمت أين نزلت وفيمن نزلت، وفي أيّ شيء نزلت، وفي سهل نزلت» أو في جبل نزلت، قيل: فما نزل فيك؟ قال: لو لا أنكم سألتموني ما أخبرتكم؛ نزلت فيّ هذه الآية: ﴿إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ فرسول الله صلى الله عليه وآله المنذر وأنا الهادي إلى ما جاء به.

وفيه عن مجمع البيان، عن ابن عباس: لما نزلت هذه الآية، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا المنذر وعلي الهادي من بعدي، يا علي بك يهتدي المهتدون».

وفيه عن كشف المحجة ابن طاووس رحمه الله، عن أميرالمؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه: قال الله تعالى لنبيه: ﴿إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد﴾ فالهادي بعد النبي هاد لأمّته على ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله فمن عسى أن يكون الهادي إلّا الذي دعاكم إلى الحقّ وقادكم إلى الهدى.

وفيه عن أُصول الكافي بإسناده عن الفضيل، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿ولكلّ قوم هاد﴾ فقال: كلّ إمام هاد للقرن الذي هو فيهم.

وفيه بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا المنذر، ولكلّ زمان منا هاد يهديهم إلى ما جاء به نبي الله صلى الله عليه وآله ثم الهداة من بعده علي ثم الأوصياء واحداً بعد واحد.

وفيه عن تفسير العياشي، عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه

---

١ ـ الرعد: ٧.

٢ ـ ج ٢ ص ٤٨٢.

عن جده قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: فينا نزلت هذه الآية: ﴿إنَما أنت منذر ولكلّ قوم هاد﴾ فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أنا المنذر وأنت الهادي يا علي، فهنا الهادي والنجاة والسعادة إلى يوم القيامة.

أقول: فهنا، أي عند علي والأئمة عليهم السلام.

وفيه عن عبدالرحيم القصير قال: كنت يوماً من الأيام عند أبي جعفر عليه السلام فقال يا عبدالرحيم، قلت: لبيك، قال: قول اللّه: ﴿إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ إذ قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أنا المنذر وعلي الهادي، ومن الهادي اليوم؟ قال: فمكثت طويلاً، ثم رفعت رأسي فقلت: جعلت فداك هي فيكم توارثوها رجل فرجل حتى انتهيت إليك فأنت جعلت فداك الهادي، قال عليه السلام صدقت يا عبدالرحيم، إن القرآن حيّ لا يموت والآية حية لا تموت.

وفيه عن تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي عن حمّاد عن أبي بصير، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: المنذر رسول اللّه صلى الله عليه وآله والهادي أميرالمؤمنين وبعده الأئمة عليهم السلام وهو قوله: ﴿ولكل قوم هاد﴾ في كل زمان هاد مبين، وهو ردّ على من ينكر أن في كل أوان وزمان إماماً، وان لا تخلو الأرض من حجة كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام: لا تخلو الأرض من قائم بحجة اللّه إما ظاهر مشهور وإما خائف مغمور؛ لئلا تبطل حجج اللّه وبيناته.

فهم عليهم السلام يقودون المؤمنين في جميع عوالم الوجود إلى ما فيه رضا الربّ تعالى، وإلى كلّ خير في كلّ عالم، وإلى السعادات في الدنيا والبرزخ والآخرة بالقول والصفات الحسنة، والأعمال الصالحة تشريعاً وتكويناً، أما الأول: فظاهر وأما الثاني: فلأن المؤمنين بنورهم يهتدون إلى الحق كما تقدم من قوله عليه السلام: واللّه إن الأئمة هم الذين ينورون قلوب المؤمنين، ومن أن علياً عليه السلام يمير العلم للمؤمنين.

وتقدم أنهم عليهم السلام الحفظة، فهم يحفظون بأمر اللّه وإذنه من استجاب لهم في دعواتهم عليهم السلام له فيحفظونهم من الأخطار في كل حال، فينقلونهم بسبب حبّهم

والتمسك بولايتهم إلى منازل الجنان في البرزخ والآخرة، حتى يردوهم منازلهم في حظيرة القدس وفي جوار رب العالمين كلا على حسب استجابته وقبوله الولاية، والتمسك بهم والعمل بما أمروا بالمعرفة لهم كما تقدم.

والحاصل: انهم عليهم السلام يقودون شيعتهم بما ملكهم اللّه من أزمة القيادة والأُمور الإلهية إلى رفيع الدرجات وجميع الخيرات ومنازل الجنان خالدين فيما يشتهون، بحيث لا خوف عليهم ولا يحزنون.

تذييل: إعلم أنهم عليهم السلام كما أنهم يقودون شيعتهم إلى تلك الدرجات، كذلك يسوقون أعداءَهم إلى أضداد تلك الأحوال، من الدركات السافلة إلى أن يحلوا أعداءَهم دار البوار والنكال وعظيم الأهوال، كما يشير إليه ما في زيارة صاحب الأمر(عج): السلام على نعمة اللّه السابغة ونقمته الدامغة.

وقد تقدم مراراً قول علي عليه السلام: «أنا قسيم الجنة والنار» فلا ريب في أن معناه أنهم يقودون من أحبهم إلى الجنة، ومن عاداهم يسوقونه إلى النار، كيف لا وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «يا علي حبك إيمان وبغضك كفر» ومعلوم أن منشأ الجنة هو الإيمان، ومنشأ النار هو الكفر، فإن كان حبه إيماناً فحبه منشأ الجنة، وإن كان بغضه كفراً، فبغضه منشأ النار كما لا يخفى؟!

وإلى هذا يشير ما عن الرضا عليه السلام للمأمون (عليه اللعنة والعذاب) في بيان وجه كون علي عليه السلام قسيم الجنة والنار، فراجع عيون أخبار الرضا عليه السلام.

وكيف كان، قال اللّه تعالى: ﴿**فاهدوهم إلى صراط الجحيم**﴾ وقال تعالى: ﴿**ألقيا في جهنم كلَّ كفار عنيد**﴾[1] وليس سوقهم عليهم السلام للظالمين إلى الجحيم والشقاوة إضلالاً لهم، بل لما لم يقبل الأعداء منهم عليه السلام الهداية والإيمان فحقّ عليهم العذاب لذلك، فكان جزاؤهم حينئذ أن يساقوا إلى العذاب والجحيم. قال اللّه

---

١ ـ سورة ق: ٢٤.

تعالى: **﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون * من دون اللّه فاهدوهم إلى صراط الجحيم * وقفوهم انهم مسئولون * ما لكم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون * وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين * قالوا بل لم تكونوا مؤمنين * وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين * فحقّ علينا قول ربنا إنا لذائقون * فأغويناكم انا كنّا غاوين * فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون﴾**[1] الآيات.

ففي هذه الآيات الشريفة جهات من الكلام.

منها: الذي يدل على ما قلنا وحاصله: أنه تعالى أمر بقوله: **﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾** أن يساقوا إليها، فالهداية كناية عن السوق إلى النار بدلاً عن الهداية إلى الجنة، أي فكان الأولى أن يهدوا إلى الجنة، ولكنهم لسوء فعلهم هدوا إلى الصراط الجحيم وليس هذا اضلال لهم، بل لما لم يكونوا مؤمنين فحق عليهم قول ربّهم من الوعيد لهم إذ لم يؤمنوا بالعذاب، فسوقهم إلى الجحيم جزاء لفعلهم لا اضلالاً لهم كما لا يخفى.

وكيف كان، فباتصافهم عليهم السلام بهذين الوصفين من الهداية للمهتدين، وبسوقهم للظالمين إلى النار بذلك الملاك المذكور يقال لهم: القادة الهداة، بلحاظ الصفة الأولى، والذادة الحماة كما سيأتي قريباً بلحاظ الثانية.

وفي حديث أبي الطفيل قال: قلت: يا أميرالمؤمنين اخبرني عن حوض النبي صلى الله عليه وآله في الدنيا أم في الآخرة. قال: بل في الدنيا، قلت: فمن الذائد عليه؟ قال: أنا بيدي لأوردنّه أوليائي ولأصرفن عنه أعدائي، الحديث.

أقول: قيل: المورد هو القائد، والصارف هو الذائد، ولهذا الحديث شرح يطول بيانه ولعلّه يجيء في طي الشرح إن شاء اللّه تعالى.

---

١ ـ الصافات: ٢٢ ـ ٣٣.

قوله عليه السلام: والسادة الولاة

أقول: في المجمع: السيد: الرئيس الكبير في قومه، المطاع في عشيرته وإن لم يكن هاشمياً ولا علوياً، والسيد: الذي يفوق في الخير، والسيد: المالك، ويطلق على الربّ والفاضل والكريم والحليم والمتحمّل أذى قومه والزوج والمقدَّم. قوله تعالى: ﴿**وألفيا سيدها لدا الباب**﴾ أي زوجها.. إلى أن قال: وفي الحديث: «العلماء سادة» ساد يسود سيادة، والاسم السودد، وهو المجد والشرف، فهو سيد والأنثى سيدة، ثم أطلق على الموالي لشرفهم، وإن لم يكن في قومهم شرف، والجمع سادة وسادات انتهى.

وقال بعضهم: إن حقيقة السيادة هو المجد والشرف، وساير المعاني من لوازمها، والمجد عبارة عن العلو الذي لايدرك كنهه، والفرق بينه وبين الشرف أنه بحسب الذات والشرف بحسب الملكات والصفات، والولاة جمع الوالي وهو الأولى بالتصرف فيمن يولّى عليه.

أقول: أمّا كونهم عليهم السلام الولاة والأولى بالتصرف، فقد تقدم مفصلاً في بيان معنى الولاية ما يدلّ عليه من الآيات والأحاديث من قوله تعالى: ﴿**النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ وقوله تعالى: ﴿**إنّما وليكم اللّه ورسوله**﴾ وقوله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

وقال بعض الأعاظم: وقد ورد عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾: أنها نزلت في الإمرة (يعني الإمارة) أي هو أحق بهم من أنفسهم حتى لو احتاج إلى مملوك لأحد هو محتاج إليه جاز أخذه منه.

وورد في آية الولاية من قوله: ﴿**إنّما وليكم اللّه**﴾ أي هو أحق بهم من أنفسهم حتى لو احتاج إلى مملوك لأحد هو محتاج إليه جاز أخذه منه.

وورد في آية الولاية من قوله: ﴿**إنّما وليكم اللّه**﴾، عن الصادق عليه السلام: أن الخاتم

الذي تصدق به كان وزن حلقته أربعة مثاقيل فضة، ووزن فصه خمسة مثاقيل، وهي ياقوتة حمراء قيمته خراج الشام، وخراج الشام ستمائة حمل فضة وأربعة أحمال من الذهب، انتهى مختصراً وتمام الكلام فيما تقدم فراجعه.

وأمّا كونهم عليهم السلام السادة فقد علمت: أن حقيقة السيادة هو المجد والشرف، وباقي المعاني من لوازمها، وسيجيء في شرح قوله عليه السلام في الزيارة: «فبلغ اللّه بكم أشرف محلّ المكرّمين، وأعلى منازل المقربين، وأرفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يطمع في إداركه طامع، وفيها: طأطأ كل شريف لشرفكم، وبخع كل متكبر لفضلكم» فهم عليهم السلام في محل من العلو والشرف بحيث لا يدرك حقيقته فكيف بالوصول إليه أو الطمع فيه، وتقدم قوله عليه السلام: إن أمرنا لا يحد، أي لا يحاط به علماً فكيف الوصول إليه.

والحاصل: أن ذواتهم المقدسة في مقام القرب منه تعالى، والتلقي منه تعالى حقّ التجليات الإلهية بحيث لا يكون لأحد غيرهم كما قال عليه السلام في الزيارة: «اتاكم اللّه ما لم يؤت أحداً من العالمين»، وسيجيء شرحه.

وعليه: فهم السادة بحقيقة السيادة، بل كل واحد منهم سيد السادات بعده تعالى، ومن لوازمها ساير المعاني التي ذكرناها، فهم عليهم السلام السادة بمعنى الرئيس والكبير، ولا ريب في أنهم عليهم السلام لمكان ولايتهم الكلية فلهم الرياسة والعظمة على الكلّ كما ظهرت آثارهما منهم عليهم السلام في الخلق من التمكن في القلوب قلوب الأولياء بل والأعداء، ومن المعجزات التي صدرت عنهم عليهم السلام حيث دلّت على كونهم بمقام من الرياسة والعظمة بحيث تصدر منهم هذه الأُمور الخارقة للعادة في الخلق، وبمعنى المطاع في عشيرته بل في قومه وجميع الخلق اطاعة تكوينيّة أو تشريعية.

أما الثاني: فظاهر، إذ لا ريب، أن كل متشرع فانما هو يطيعهم في شرعه، وسيجيء قريباً أن الملك العظيم هو الطاعة لهم.

وأمّا الأول: فهم مطاعون في الخلق مطلقاً، فإذا دعواعليهم السلام الخلق ولو غير البشر اجابتهم بحقائقهم ورقائقهم وبشؤونهم وبافئدتهم وقلوبهم وأرواحهم ونـفوسهم وطبايعهم، بل وبالألفاظ والأحوال والأعمال والأقـوال والحـركات والخـواطـر والضمائر والسرائر، فكلّ شيء لهم كيف لا وقد قال اللّه تعالى فيما تقدم أنه ما خلق الخلق إلا لهم، وقد اشتهر قول عليعليه السلام: «نحن صنايع اللّه والخلق بعد صنايع لنـا» فكل شيء لهم ولا محالة يطيعهم.

وقد تقدمت إجابة الحمى للحسينعليه السلام: حين دعاها بقوله: «يا كباسة» بحيث سمع الصوت (صوت لبيك) دون المصوّت.

ومن راجع معجزاتهم علم يقينا أن كل شيء يطيعهم إذا شاؤوا دعوهم بالجد، وبتصرف الولاية التكوينية الثابتة لهمعليهم السلام، وتقدم أن الملك المعطى لهم هو الطاعة وستجيء الإشارة إليه.

وبمعنى الذي يفوق في الخير، فإنهمعليهم السلام فاقوا في كل خير كلّ الخلائق، كيف لا مع أن كل خير لأي موجود فإنما هو منهم كما سيأتي من شرح قولهعليه السلام في الزيارة: «إن ذكر الخير فأنتم أصله ومعدنه ومأواه ومنتهاه..»، فكلّ خير في الوجود فإنما هو فرع منهم وهم أصله، وكيف لم يفوقوا كل خير، وقد قالعليه السلام فيما سيأتي: «فبلغ اللّه بكم أشرف محلّ المكرّمين».

فالله تعالى أحلّهم محلّاً لا يطمع طامع من الخلق سواهم في إدراكه، ولا يفوقه ولا يلحقه أحد منهم أبداً.

وبمعنى المالك سواء فسر بالمالكية المالية أو الحكمية، فقد تقدم كونهم مالكين للخلق، بحيث يكون الخلق ملكاً لهم يتصرفون فيهم بما يشاؤون كما تقدم في شرح قولهعليه السلام: «وساسة العباد» وتقدم آنفاً عن الباقرعليه السلام في معنى الأولويـة مـن قـوله: «حتى لو احتاج إلى مملوك لأحد هو محتاج إليه جاز أخذه منه» وهذه هي الأولوية بالمالكية في التصرف من صاحب المال، إلّا أنّهمعليهم السلام قد علمت قد جعلوا شـيعتهم

والخلق في وسعة من ذلك.

وأمّا المالكية الحكمية فأيضاً قد تقدم أن الملك العظيم هو الحكم الذي أعطاهم اللّه، كما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾ عن الرضاعليه السلام من قوله يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين، فالملك هيهنا الطاعة لهمعليهم السلام الحديث.

أو فسر بمعنى المدبر والمربي والمتمم والمنعم والصاحب، فـإنهمعليهم السلام مـالكون للخلق بجميع هذه المعاني أيضاً، فإنه بعدما ثبت لهم الولاية التكوينية من التصرف في الموجودات والخلق، وأن إرادة الربّ تصدر من بيوتهم إلى الخلق بعدما تهـبط إليهم منه تعالى، وبعد ما ثبت أنهمعليهم السلام علة الخلق خـصوصاً العـلة الغـائية، بـل وغيرها كما تقدمت الإشارة إليه، فلا محالة لهم التدبير والتربية، وتميم كلّ نـاقص، واعطاء النعم الإلهية للخلق، فان هذه من شؤون ولايتهم التكوينية.

ومنها يعلم أنهم مصاحبون للخلق في جميع الأحـوال كـيف لا وهـم سـبب الإفاضة منه تعالى لهم؟ فلا يفارقون الخلق، فكيف يبقى خلق في مفارقتهم، مع أن بقاء كلّ موجود بهم بالعلة الفاعلية فهم مصاحبون للخلق بهـذا المـعنى، ومـعنى كونهم العلة الفاعلية، أن الايجاد الحقيقي، وإن كان منه تعالى، إلّا أنّه لما كان الايجاد منه لهم بسببهم، وهم في طريق الايجاد وسبب الموجودات، فلا محالة هـم كـالعلة الفاعلية للخلق باللّه تعالى، وقد تقدم تحقيقه سابقاً.

ومما ذكر يعلم كونهم سادة بمعنى الربّ والشريف والفاضل والكريم، أما الربّ فلا يراد منه إلّا معنى التربية، وقد علمت أن لهم تربية الخلق وإن أُريد منه مـعنى آخر يرجع إما إلى معاني المالك، أو إلى ساير معاني السيادة المتقدمة، ضرورة أنه لا يراد منه ما يراد منه في إطلاقه عليه تعالى.

وأما الشريف: فقد علمت أن أصل هـذه الأُمـور هـو الشرف والمجـد الذاتي الثابت بما شرفهم اللّه تعالى، ومنه يعلم معنى السيادة إذا فسر بالفاضل كما لا يخفى.

وأمّا الكريم: فقد تقدم أنهم أحسن مصداق لقوله تعالى: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾

وقوله تعالى: ﴿عباد مكرمون﴾ فهم محل الكرم منه تعالى فلا محالة هم الكرماء بجميع معنى الكريم كما لا يخفى، وبمعنى الحلم والتحمل لأذى قومه فلا ريب فيه لمن تتبع الأخبار وجد حلمهم، وتحملهم الأذى من جهال القوم، وعدم انتقامهم مع أنهم يقدرون على نحو لا يمكن أن يقع من غيرهم، كيف لا وقد جعل اللّه الملائكة المدبرين للأُمور بأصنافهم من الموكلين على الماء والأرض أو الجبال وأمثالها مأمورين بالإطاعة لهم في أمر، كما يظهر من الأحاديث المروية في نزول الملائكة على الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وأنهم مأمورون بالاطاعة له عليه السلام فيما يأمرهم به، ومع ذلك لم يأمرهم بشيء بل جعل أمر الانتقام بيده تعالى.

وأمّا كونهم سادة بمعنى الزوج فانه لا يستقيم بظاهره.

نعم لما كان اطلاق السيد على الزوج بلحاظ أن الزوج له رئاسة على الزوجة، أو له المالكية الحكمية عليها، أو له الشرف عليها، أو أنه المطاع لها في الجملة، إذ لابدّ من اطاعتها له كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾[1] إذ المتيقن أنه يراد من الرجال الأزواج ومن النساء الزوجات، لا كل رجل قوام على كل مرأة كما لا يخفى.

وكيف كان فبهذه الجهات أطلق على الزوج السيد، وحيث إنهم عليهم السلام وكما قد علمت أنّ لهم الرياسة والمالكية، وهكذا غيرها على الخلق فهم زوج لهم، بهذه المعاني فهو من باب سبك مجاز من مجاز إذا أُطلق عليهم السيد بمعنى الزوج، لا أنه يطلق عليهم الزوج بمعنى الفاعلية الزوجية، كما تكون هذه للزوج بالنسبة إلى زوجته، وان تكلف بعضهم بتصحيح إطلاق الزوج عليهم عليهم السلام بالنسبة إليهم بمعنى الفاعلية الزوجية، بضرب من التأويل الراجع إلى التأثير والتأثر المعنوي، وهو تكلّف بلا ملزم كما لا يخفى.

---

١ ـ النساء: ٣٤.

قوله عليه السلام: والذادة الحماة

الذود في اللغة بمعنى الطرد يقال: لا تذودوه عنا، أي لا تطردوه، ويقال: رجل ذائد، أي حامي الحقيقة دفاعاً، والذادة جمع الذائد. والحماة جمع الحامي يقال: حميت المكان من باب رمى حمياً وحمية (بالكسر) منعته عنهم، وحميته حماية إذا دفعت عنه ومنعت، وحميت القوم الماء أي منعتهم إيّاه.

والحمى ـ كإلى ـ المكان والكلاء والماء يُحمي أي يمنع، ومنه حِمى السلطان وهو كالمرعى الذي حماه فمنع منه.

وفي الحديث: «ألّا وإنّ لكل ملك حمىً، ألّا وإنّ حِمى اللّه محارمه، فمن رتع حول الحِمى أوشك أن يقع فيه» أي قرب أن يدخله، ويقال: حامي الحمى، أي دافع ما لا ينبغي عن الحمى، كما أنه يقال: حامي الحقيقة، أي من تذود عنها ما ينافيها.

إذا علمت هذا فنقول: الذود متعد إلى مفعول واحد بنفسه، وإلى المفعول الثاني بعن، فالمفعول الثاني هو المطرود عنه، كما أن المفعول الأول هو المطرود منه، فحينئذ إن كان المفعول الثاني الحوض الكوثر مثلاً فالمطرود هم الأعداء طردوا عن الحوض، وإن كان المكاره والنار والأذى مثلاً فالمطرود هم الأحباء والأولياء والشيعة مثلاً.

فاذا قيل: إنهم عليهم السلام الذادة لأوليائهم، أي أنهم عليهم السلام يذودون ويطردون عنهم ما لا يحب اللّه تعالى من العقايد الباطلة، والخطرات الفاسدة، والأعمال القبيحة، والأقوال الردية، والأحوال المستنكرة بل، والمأكل والملابس المحرمة بل والأكل والشرب المضرّين بالبدن أو العقل، أو الداعين إلى الشهوات المحرمة وإلى القسوة، والحاصل يذودونهم عن كل ما يكرهه اللّه تعالى.

وإذا قيل: إنهم يذودون أعداءَهم أي أنهم يذودون ويطردون الأعداء عن كلّ ما يحب اللّه تعالى، وعن كلّ خير الذي أحد مصاديقه الحوض الكوثر، وعن الاعتقادات الحقة والأعمال الصالحة.

وكيف كان فهمعليهم السلام الذادة لاوليائهم عن كلّ شرّ في الدنيا والآخرة، كما أنهم يذودون أعداءَهم عن كلّ خير فيهما.

وأما كيفية ذودهم الأولياء والشيعة عمّا لا يحب اللّه تعالى، فهو إما بالدعاء لهم أو بالطلب منه تعالى لقبول دعائهم كما في الحديث: إنهمعليهم السلام قالوا لشيعتهم: إنّا من ورائكم بالدعاء، الذي لا يحجب عن بارئ السماء، وإمّا بالتعليم والإرشاد والهداية بل والأخذ باليد، وإمّا ببذل فاضل حسناتهمعليهم السلام لهم كما ورد أن المعصومين الخمسةعليهم السلام جعلوا ثواب نصف أعمالهم في ديوان شيعة أميرالمؤمنينعليه السلام فيما رواه في معالم الزلفى[1]، عن كتاب تحفة الاخوان وغيره بحذف الإسناد قال: دخل رسول اللّهصلى الله عليه وآله على أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فرحاً مسروراً مستبشراً فسلّم عليه فردعليه السلام، فقال عليعليه السلام: يا رسول اللّه ما رأيتك أقبلت مثل هذا اليوم، فقال: حبيبي وقرة عيني أتيتك ابشّرك، إعلم أن في هذه الساعة نزل عليّ جبرئيل الأمين وقال: الحق جلّ جلاله يقرئك السلام ويقول لك: بشّر علياً أن شيعته الطايع منهم والعاصي من أهل الجنة، فلما سمع مقالته خرّ للّه ساجداً، فلمّا رفع رأسه رفع يديه إلى السماء، ثم قال: اشهدوا عليّ أني قد وهبت لشيعتي نصف حسناتي.

فقالت فاطمة الزهراءعليها السلام: يا رب اشهد عليّ فإني وهبت لشيعة علي بن أبي طالبعليه السلام نصف حسناتي.

فقال الحسنعليه السلام: يا رب اشهد عليّ أني قد وهبت لشيعة علي بن أبي طالبعليه السلام نصف حسناتي.

فقال الحسينعليه السلام: يا رب اشهد عليّ أني قد وهبت لشيعة علي بن أبي طالبعليه السلام نصف حسناتي.

فقال النبيصلى الله عليه وآله: ما أنتم بأكرم منّي اشهد عليّ يا ربّ أني قد وهبت لشيعة علي

---

١ ـ ص٢٩٢.

ابن أبي طالب عليه السلام نصف حسناتي.

فهبط الأمين جبرائيل عليه السلام وقال: يا محمد إن اللّه تعالى يقول: ما أنتم بأكرم مني إني قد غفرت لشيعة علي بن أبي طالب عليه السلام ومحبيه ذنوبهم جميعاً، ولو كانت مثل زبد البحر ورمل البر وورق الشجر.

وإما بتحمل الذنوب ثم المغفرة منه تعالى كما ورد في قوله تعالى: **﴿ليغفر لك اللّه ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾**.

ففي تفسير نور الثقلين بإسناده عن عمر بن يزيد بياع السابري قال: قلت لأبي عبداللّه عليه السلام: قول اللّه في كتابه: **﴿ليغفر لك اللّه ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾** قال: ما كان له ذنب ولا همّ بذنب، ولكن اللّه حمّله ذنوب شيعته ثم غفرها له، الحديث.

وفيه في حديث آخر عن المجمع، عن الصادق عليه السلام قال: سأله رجل عن هذه الآية، فقال: واللّه ما كان له ذنب، ولكنّ اللّه سبحانه ضمن أن يغفر ذنوب شيعة علي عليه السلام ما تقدم من ذنبهم وما تأخر.

وفي الكافي عن موسى بن جعفر عليه السلام ما حاصله: أن اللّه تعالى غضب على الشيعة فتحمل عليه السلام تلك المصائب؛ ليدفع اللّه تعالى غضبه عنهم، فراجع، الحديث.

وإمّا باستيهابهم عليهم السلام ذنوب شيعتهم منه تعالى إما في الدنيا وإما في الآخرة كما لا يخفى على من راجع أحاديث الشفاعة فإنها أكثر من أن تحصى.

وإما بتسبيب الأسباب الموصلة إلى السعادة الأبدية لهم، كما يظهر ذلك من معاملاتهم عليهم السلام مع شيعتهم.

وإمّا بتحبيب الإيمان في قلوبهم ببيان آثار ألطافه تعالى للمؤمنين، كما هو ظاهر كثير من أحاديثهم.

وإمّا.. يكون طينتهم من فاضل طينتهم عليهم السلام، كما تقدم في كثير من الأحاديث، فإن هذا أحسن وجه؛ لأن يذودوا عن شيعتهم المفاسد.

فإن المستفاد من هذه الأحاديث أن الشيعة متصلة بهم عليهم السلام روحاً، كما هو

صريح بعضها من قوله عليه السلام: شيعتنا جزء منا، وفي بعضها: أنه لا فرق بيننا وبينهم بعد تزكيتهم، راجع تلك الأحاديث فهم عليهم السلام يحنون إلى شيعتهم كما أن شيعتهم يحنون إليهم، فما ظنّك حينئذ بهم عليهم السلام بالنسبة إلى شيعتهم؟

وإمّا بتنويرهم قلوب شيعتهم كما في الكافي بإسناده عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿فامنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ فقال: يا أبا خالد النور والله الأئمة عليهم السلام يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم الذين ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله نورهم عمّن يشاء فيظلم قلوبهم ويغشاهم، الحديث.

فعلم أنهم الذادة عن شيعتهم كل ما يكرهه الله، كل ذلك مما منحهم تعالى تفضلا لهم ولشيعتهم كما يومئ إليه أيضاً قوله تعالى: ﴿وما كان الله معذبهم وأنت فيهم﴾ فوجوده صلى الله عليه وآله سبب لرفع العذاب عن أمته صلى الله عليه وآله، بل ربما يسري هذا الأمر إلى شيعتهم فيدفع الله تعالى بواسطة أحد من الشيعة العذاب عن غيره من سائر الشيعة بل وعن غيرهم من أهل البلد.

ففي الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله ليدفع بالمؤمن الواحد عن القرية الفناء.

وفيه بإسناده عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن اللّه تعالى يدفع بمن يصلي من شيعتنا عمّن لا يصلي من شيعتنا، فلو اجتمعوا على ترك الصلوة هلكوا، وإن الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمّن لا يحج، ولو اجتمعوا على ترك الحج هلكوا، وإن الله ليدفع بمن يزكى من شيعتنا عمّن لا يزكى، ولو اجتمعوا على ترك الزكوة هلكوا، وهو قول الله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾[1] فوالله ما نزلت إلاّ فيكم

---

١ ـ البقرة: ٢٥١.

ولا عني بها غيركم، الحديث.

فإذا كان اللّه تعالى يدفع ببعض الشيعة عن الآخر منهم بأعماله الصالحة، فما ظنك بهم عليهم السلام وما هم من العبادات والأعمال المقبولة كلّها، فاللّه تعالى بهم وبأعمالهم الصالحة يدفع المكاره عن الناس خصوصاً عن الشيعة في الدنيا والآخرة.

هذا كله بالنسبة إلى شيعتهم، وأمّا كيفية ذودهم الأعداء عما يحبه اللّه تعالى فذلك لعلة وبأمور:

أمّا العلة: فهي أن المنافق والكافر إذا مال بطبع ماهيته وسوء اختياره إلى العقيدة الباطلة والعمل الباطل، فلا محالة تصادم هذه الطبيعة الثانية ميل وجوده الأولي الذاتي الذي فطر على التوحيد إلى العمل الصالح، فكان حينئذ يحبّ الشر للفطرة المغيّرة لسوء اختياره عن أصلها، وهو حسب الفطرة الثانية المغيّرة يميل إلى الشرّ، وإن كان بحسب الفطرة الايجادية، التي هي فطرة اللّه قبل أن يغيّر يميل إلى الخير، ولكن لا يمكنه العمل به لمانع أوجده في نفسه وهو الفطرة الثانية المغيّرة.

وإلى هذه الحالة أُشير في قوله تعالى: ﴿كلما أرادوا ان يخرجوا منها أُعيدوا فيها﴾ أي (واللّه العالم) كلما أرادوا أن يخرجوا بفطرتهم الايجادية التوحيدية منها أُعيدوا فيها لوجود الفطرة الثانية المغيّرة، وهذه هي المانعة عنهم لأن يخرجوا منها.

وكيف كان فالعلة لذودهم عليهم السلام الأعداء عن كلّ الخير، هو تركهم الإيمان وقبول الولاية فلسوء اختيارهم يذادون عن كل خير.

ففي الكافي[١]، باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث: كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد دعا قريشاً إلىٰ ولايتنا فنفروا وأنكروا: إلىٰ أن قال: قلت: قوله تعالى: ﴿.. من كان في الضلالة فليمدد له الرّحمن مدّاً﴾[٢]، قال: كلّهم كانوا في الضلالة لا يؤمنون

---

١ ـ الكافي ٥ : ١٢٥.

٢ ـ مريم : ٧٥.

بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولا بولايتنا فكانوا ضالين مضلّين فيمدّ لهم في ضلالتهم وطغيانهم حتّىٰ يموتوا فيصيّرهم الله شرّ مكاناً وأضعف جنداً، الحديث.

فعلم منه أنّ إمداده تعالىٰ لهم في ضلالتهم إنّما هو لإنكارهم ولاية الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

وأمّا الأُمور الّتي بها يذودون أعداءَهم عن الخير: فهي إمّا بالخذلان، فإنّه لمّا مال المنافق بمحبّته إلى الشرّ خذلوه عن الورع والهداية جزاء لسوء اختياره فخلى وطبعه، فحسن الشرّ لديه وزان بنظره بسبب الخذلان العارض له، فحبّه للشرّ وترجيحه على الخير لأمرين:

▣ سوء اختياره وتركه للولاية والايمان.

▣ خذلانهم عليهم السلام إيّاهم، فهم في ظرف الخذلان يميلون إلى الشرّ بميلهم الذاتي لسوء اختيارهم النفساني، وفي هذا الظرف يتأكّد عزمهم على الشرور.

فباعتبار سوء اختيارهم يصحّ استناد الشرّ والكفر إليهم ـ أي إلى الأعداء ـ وباعتبار خذلان الله تعالىٰ والأئمة عليهم السلام لهم يصحّ أن يقال: إنّ الله تعالىٰ أضلّهم أي خذلهم، وأمدّ لهم في طغيانهم لسوء اختيارهم.

وكيف كان فبهذا الخذلان ذادوهم عن الخير، الذي هو الحوض والجنّة والسعادات الدنيوية والأُخروية، أعاذنا الله تبارك وتعالىٰ من الخذلان بمحمّد وآله الطيّبين الطاهرين عليهم السلام.

وأمّا قوله عليه السلام: الحماة، قيل: إنّه كالذادة معنىً؛ لأنّه كما يكون الذود أي الطرد عن الشرّ بداعي الرعاية، فكذلك الحماية تكون بهذا الداعي، فكلاهما بمعنىً، إلّا أنّ الذادة تستعمل غالباً في دفع المكاره عن المحبوب بخلاف الحماة، فإنّها تستعمل في دفع الأعداء عن الخير غالباً، وإن كان كلّ واحدةٍ منهما قد تستعمل في معنى الآخر، هكذا قيل.

أقول: إذا استعمل كل من الذادة والحماة على حدة فهو كما قيل، وأما إذا اجتمعا

كما في المقام فيعطي كلّ منهما للآخر عنواناً.

فقوله عليه السلام: الذادة الحماة، يشار به إلى أنّهم عليهم السلام لا يكون مقصدهم الأولى إلّا حفظ الحقيقة، وهي التوحيد وهو تعظيم الباري تعالى بإجراء حدوده، وبيان معارفه والتحقق بالحقائق الإلهية، فهم عليهم السلام في كونهم ذادة لحفظ الحقيقة سواء كان ذودهم الأولياء عن الشرّ، أو الأعداء عن الخير انما هو بلحاظ حفظ حقيقة الشرع، وتنزيل التوحيد في مظاهر الوجود؛ ولذا هم الحماة أيضاً، أي هم حامون للحقيقة، ودافعون عنها المكاره، فهم ذائدون بداعي الحماية عن الحقيقة، وحامون بالذود عن الأولياء الشّر وعن الأعداء، الخير.

وقد يقال: يكون الحماة تفسيراً للذادة وهو كما ترى كما أنه قد يقال: بأن الذادة يعم الذود للأولياء عن الشر، وللأعداء عن الخير كما علمت، وإذا عقب بالحماة يختص بالذود عن الأولياء، فإن هذا الذود يكون حماية دون ما كان للأعداء عن الخير كما لا يخفى فهذه محتملات العبارة، واللّه تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وابن رسوله عليه السلام أعلم.

قوله عليه السلام: وأهل الذكر

أقول: قد علمت سابقاً في شرح قوله عليه السلام: أهل بيت النبوة، معنى الأهل لغة والفرق بينه وبين الآل، وعلمت ان الآل يطلق ويراد منه أشراف الأهل، فهو حينئذ أخصّ من أهل، وقد يستعمله أهل الشرع على العكس، فيراد من الأهل شرعاً أخصّ من ينسب إلى الرجل، فيراد منه غالباً في كلماتهم الأئمة عليهم السلام.

في معاني الأخبار بإسناده عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه قال: قلت لأبي عبداللّه عليه السلام: جعلت فداك مَن الآل؟ قال: ذرية محمد صلى الله عليه وآله، قال: فقلت: ومن الأهل؟ قال: الأئمة عليهم السلام، فقلت: قوله عزوجل: ﴿أَدخلوا آلَ فرعون أشدَّ العذاب﴾ قال: واللّه ما عنى إلاّ ابنته.

هذا إذا أُضيف إلى الإنسان، وأمّا إذا أُضيف إلى غيره من القرية والعلم، أو

حرفة خاصة فيُراد منه المخصوصون بذلك الأمر بحيث يختصون به دون غيرهم.

فقوله عليه السلام: وأهل الذكر، أي هم القوم المخصوصون بالذكر بما يراد منه من المعنى.

ففي البحار عن المناقب في قوله تعالى: **﴿فاسئلوا أهل الذكر﴾** قال الباقر عليه السلام: نحن أهل الذكر.

فهذا الحديث يبين المراد من الأهل وأنه الأئمة عليهم السلام كما تقدم.

وأمّا الذكر: فقد أُطلق في القرآن المجيد على أُمور:

منها: القرآن.

ففي بصائر الدرجات باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: **﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسئلون﴾**[1] قال: الذكر القرآن ونحن قومه ونحن المسؤولون.

وفيه[2] بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: **﴿فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾** قال: كتاب الله الذكر وأهله آل محمد، الذين أمر الله بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجهال، وسمّى الله القرآن ذكراً فقال: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل اليهم ولعلهم يتفكرون﴾**[3].

أقول: فحينئذٍ المراد من أهل الذكر أهل القران في قوله تعالى: ﴿واسئلوا أهل الذكر﴾ .

ففيه عن أبي عبدالله عليه السلام في معنى الآية إلى أن قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته المسؤولون وهم أولو الذكر.

فعلم منه أنهم أهل القرآن، وأنهم المسؤولون، وأنهم قوم رسول الله صلى الله عليه وآله وبهذا المضمون أحاديث كثيرة كما لا يخفى.

---

١ ـ الزخرف : ٤٤.

٢ ـ بصائر الدرجات ص ٤١ ح ١٩.

٣ ـ النحل : ٤٤.

ومنها: محمد رسول اللهﷺ.

في البحار عن تفسير العياشي، عن خالد بن نجيح، عن جعفر بن محمدعليه السلام في قوله تعالى: ﴿**ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب**﴾[١] قال: بمحمدﷺ تطمئن القلوب، وهو ذكر الله وحجابه.

فحينئذ أهل الذكر يراد منه أهل رسول اللهﷺ أي من يختصون به.

ومنها: أميرالمؤمنين خاصة أو هو والأئمةعليهم السلام.

في البحار عن تفسير علي بن إبراهيم: ﴿**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله**﴾، قال: الذين آمنوا الشيعة وذكر الله أميرالمؤمنين والأئمةعليهم السلام ثم قال: ﴿**ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب**﴾.

وفي تفسير نور الثقلين عن تفسير علي بن ابراهيم وقوله: ﴿**وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر**﴾ قال: لما أخبر رسول اللهﷺ بفضل أمير المؤمنينعليه السلام ويقولون إنه لمجنون، فقال: سبحانه، وما هو يعني أميرالمؤمنينعليه السلام إلا ذكر للعالمين.

وفي تفسير نور الثقلين، عن كتاب المناقب لابن شهرآشوب بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿**فاسئلوا أهل الذكر**) ثم قوله تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾. تفسير يوسف القطان ووكيع بن الجراح وإسماعيل السرى وسفيان الثوري أنه قال الحارث: سألت أميرالمؤمنينعليه السلام عن هذه، قال: والله إنّا لنحن أهل الذكر نحن أهل العلم نحن معدن التأويل والتنزيل.

أقول: فيعلم أنهمعليهم السلام حافظون للذكر بما هو في صدورهم.

وفي البحار وقال سليمان الصهرشتي، الذكر القرآن، إنا نحن نزلنا الذكر، وهم حافظون والعارفون بمعانيه.

وفي تفسير البرهان، محمد بن يعقوب بإسناده عن أبي جعفرعليه السلام عن

---

١ ـ الرعد: ٢٨.

أميرالمؤمنينعليه السلام في خطبة الوسيلة قال أميرالمؤمنينعليه السلام: إلى أن قالعليه السلام: ...

أقول: بعد ذكر الآية المناسبة وهي قوله تعالى: **﴿ياليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلّني عن الذكر بعد أن جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾** فأنا الذكر الذي عنه ضلّ، والسبيل الذي عنه مال والإيمان الذي به كفر، والقرآن الذي إياه هجر، والدين الذي به كذّب، والصراط الذي عنه نكب، الحديث، قولهعليه السلام: والسبيل الذي عنه مال إشارة إلى أنهعليه السلام السبيل الذي يقوله الكافر: ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا.

في تفسير البرهان عن محمد بن العباس بإسناده عن أبي عبداللّهعليه السلام قال: قوله عزوجل: **﴿ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾** يعني علي بن أبي طالبعليه السلام.

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول اللّه عزوجل: **﴿ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾** يعني علي بن أبي طالبعليه السلام.

وفي مقدمة تفسير البرهان، عن الاختصاص، عن جابر الجعفي عن أبي جعفرعليه السلام في حديث إلى أن قال: **﴿فاسعوا إلى ذكر اللّه﴾** وذكر اللّه أميرالمؤمنين، الحديث.

وفيه، وفي الكافي عن سعد الخفاف أنه سأل الباقرعليه السلام فقال: هل يتكلم القرآن؟ إلى أن قالعليه السلام: قال اللّه عزوجل: **﴿إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر اللّه أكبر﴾** فالنهي كلام والفحشاء والمنكر رجال، ونحن ذكر اللّه ونحن أكبر.

وفيه وفي رواية طارق بن شهاب عن عليعليه السلام قال: إن الأئمة من آل محمد الذكر الحكيم.

وفي زيارات عليعليه السلام: أيّها الذكر الحكيم.

وكيف كان فقد أطلق الذكر في كثير من الأخبار على عليعليه السلام وعلى الأئمةعليهم السلام، ووجه إطلاق الذكر أو الذكر الحكيم عليهمعليهم السلام فقد ذكر في مقدمة تفسير البرهان: قال شيخنا العلّامةرحمه الله: فسّر الأئمةعليهم السلام بالذكر؛ لأنهم يذكرون الناس ما فيه

صلاحهم من علوم التوحيد، والمعاد، وسائر المعارف والأحكام التي أعظمها الولاية ومعرفة الأئمة عليهم السلام.

أقول: بل الوجه انه قد قرّر في محلّه أن للقرآن كتابة وهو ما بين الدفتين، ولفظاً وهو ما تلفظ بتلك الكتابة، ولاريب في أنهما ليس لهما إلّا جهة الحكاية عن المعنى، ويعبر عنهما بالوجود الكتبي واللفظي للقرآن، وله وجود ذهني وهو المعاني القرآنية، التي تبادر من ألفاظه في الذهن أو المعاني التي فسرها الأئمة عليهم السلام فالمعاني القائمة بالنفس من تعقل مداليل تلك الألفاظ والقراآت المتلقّاة من الأئمة عليهم السلام هو الوجود الذهني للقرآن.

وله وجود حقيقي خارجي موجود في نفس الأمر، وهو ما أُشير إليه في قوله تعالى: ﴿**بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم**﴾ وقد تقدم أن المراد منه صدور الأئمة عليهم السلام وأنها حقائق أرواحهم المطهّرة، وفي قوله تعالى: ﴿**وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين**﴾ المفسر بأميرالمؤمنين عليه السلام كما تقدم، وتقدم أن لا مراد بالكتاب الذي لاريب فيه وبالكتاب المبين، الذي لا رطب ولا يابس إلّا وهو فيه هو أميرالمؤمنين عليه السلام وتقدم أيضاً أنهم عليهم السلام الأسماء الحسنى للّه تعالى.

فحينئذ فالوجود الخارجي للقرآن هو أميرالمؤمنين والأئمة عليهم السلام ولا ريب في أن القرآن الذي أطلق عليه الذكر، فإنما هو ذكر بلحاظ حقائقه التي هي نفس أميرالمؤمنين والأئمة عليهم السلام فحينئذ أحسن مصاديق الذكر هو الأئمة عليهم السلام وأميرالمؤمنين عليه السلام فبهذا اللحاظ أُطلق الذكر عليهم بل لمكان أنهم عليهم السلام متصفون بأكمل حقائق القرآن وأحسنها، فهم عليهم السلام الذكر الأكبر.

ومما ذكر علم وجه اطلاق الذكر على القرآن وعلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله كما لا يخفى، وكيف كان لا يراد من الذكر في قوله عليه السلام، وأهل الذكر أميرالمؤمنين والأئمة عليهم السلام إلّا على تقدير كون الإضافة بيانية كما لا يخفى، أي أن المراد من الأهل المضاف هو الذكر ثم إنه إنّما اطلق الذكر عليه: لأجل أن الذكر لما كان ما به ظهور المذكور بحسب الذكر

كماً وكيفاً، وقد تقدم قول السجادعليه السلام: «نحن مظاهره فيكم» فهمعليهم السلام مظاهر الرب الذي بهم يذكر، فلا محالة همعليهم السلام أحسن مصداق لذكره تعالى.

ففي غاية المرام[١]، مسنداً إلى عبدالرحمن بن كثير قال: قلت لأبي عبداللهعليه السلام: ﴿فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ قال: الذكر محمدصلى الله عليه وآله ونحن المسؤولون، قال: قلت: قوله: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون﴾، قال: أيانا عنى ونحن أهل الذكر ونحن المسؤولون.

ثم إن الذكر له مراتب من اللفظ والكتابة وما في الذهن، إلّا أن المصداق الخارجي الذي هو حقيقتهمعليهم السلام يكون هو الذكر الحقيقي والذكر الأكبر كما تقدم قول الباقرعليه السلام: ونحن ذكر اللّه الأكبر، فإنه لا يراد من قوله: نحن، إلّا حقيقتهم الربانية التي هي مظهر له تعالى، وبه تحصل الذكر الأكبر له تعالى بحيث لا يحصل من اللفظ والكتابة وما في الذهن كما لا يخفى.

ضرورة أن توصيف الذكر بالأكبر لا يحسن إلّا إذا كان الموصوف هو الذكر الحقيقي، لا الكتابة أو اللفظ أو التصور الذهني كما لا يخفى.

ومنها: الولاية، ففي المقدمة عن الصادقعليه السلام في قوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ قال: يعني عن ولاية عليعليه السلام.

وفي تفسير القمي عنهعليه السلام في قوله تعالى: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾، قال: يعني بالذكر ولاية عليعليه السلام.

وفي تفسير نور الثقلين[٢]، بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبداللّهعليه السلام حديث طويل وفيه: قلت: قوله عزوجل: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ قال: يعني بالذكر ولاية أميرالمؤمنينعليه السلام الحديث.

وفيه: في رواية أبي بصير في قوله: ﴿وما هي إلّا ذكرى للبشر﴾ قال: نعم ولاية

---

١ ـ غاية المرام ص ٢٤٠.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٣١١.

علي عليه السلام وقد أمروا بها.

وعليه فمعنى أهل الذكر أي أهل الولاية كما لا يخفى، وكيف كان فهم عليهم السلام أهل الذكر لتأهّلهم عليهم السلام له وإنهم المستحفظون له، والمتحملون لحقائقه ومعانيه، والمظهرون له بالبيان الشافي الكافي، والمبينون لحال الذكر الإلهي، والمستدلون عليه بالمجادلة الحسنة والبراهين القاطعة، والداعون إليه الخلائق، ولكونهم عليهم السلام أهل الذكر بتلك المعاني فقد شيدوا أركانه، وأحكموا بنيانه وأيدوه فيما احتاج إلى التأييد.

كيف لا وكل واحد من العترة والذكر مبتن على الآخر، فالعترة كتاب ناطق والذكر كتاب صامت والآل عليهم السلام مترجمون له والمستخلفون له، والقائمون بما كلفوا به فيه وما دعاهم إليه، كيف لا وهم المخاطبون بالخطابات الإلهية في، أبياتهم نزل الكتاب وهم أهله ومعدنه والعالمون به. فظهر أنهم عليهم السلام أهل الذكر بجميع معاني الذكر لا غيرهم؟!

ويمكن ان يراد بالذكر ذكر اللّه كما تقدم، فهو حينئذ جامع لجميع معاني الذكر المتقدمة، كيف لا وهم ذكر اللّه الأكبر كما علمت؟

ثم إنه لا بأس بتذييل الكلام بأمر يتم الكلام به، وهو أنه يستفاد من أحاديث كثيرة نذكر بعضها أنه لابد لنا من سؤالهم والرد إليهم فيما اختلفنا فيه وليس عليهم الجواب بل لهم الاختيار في الجواب وعدمه.

في بصائر الدرجات[1]، بإسناده عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ من المعني بذلك؟ قال: قلت: فأنتم المسؤولون؟ قال: نعم، قال: قلت: ونحن السائلون؟ قال: نعم، قال: قلت: فعلينا أن نسألكم، قال: نعم، قلت: وعليكم أن تجيبونا؟ قال: ذاك إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل، ثم قال: هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب.

وفي البحار عن تفسير العياش، عن حمزة بن محمد الطيار قال: عرضت على

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٤٢.

أبي عبدالله عليه السلام بعض خطب أبيه حتى انتهى إلى موضع فقال: كفّ فاسكت، ثم قال لي: اكتب واملى على أنه لا يسعكم فيما نزل بكم مما لا تعلمون إلّا الكفّ عنه، والتثبّت فيه ورده إلى أئمة الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد ويجلوا عنكم فيه العمى، قال: **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾**.

وفيه عن كنز جامع الفوائد بإسناده عن أبي الحسن موسى عليه السلام في قول الله عزوجل: **﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾** قال: الطاعة للإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله.

وفيه بعدما نقل عن بصائر الدرجات بإسناده عن عمر بن يزيد قال: قال أبو جعفر عليه السلام: **﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾** قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته أهل الذكر وهم المسؤولون، الحديث.

قال رحمه الله: بيان: فسّر المفسّرون الذكر بالشرف والسؤال بأنهم يسألون يوم القيمة عن أداء شكر القرآن والقيام بحقه وعلى هذه الأخبار (المعنى) أنكم تسألون عن علوم القرآن وأحكامه في الدنيا والآخرة.

أقول: حاصله: أنه لما كان المراد بالذكر في قوله تعالى: **﴿وإنه لذكر لك﴾** القرآن بما هو شرف للمؤمنين، فهو حينئذ نعمة منه تعالى لهم فلابدّ من أداء شكرها فلا محالة يسألون عن أداء هذا الشكر الذي هو القيام بحقه.

وكيف كان علم أنه لابدّ لنا من السؤال وإن أجابوا لابدّ لنا من الطاعة وليس عليهم الجواب، بل لهم الاختيار في ذلك لما أعطاهم الله تعالى ذلك الاختيار بقوله تعالى: **﴿هذا عطاؤنا﴾** الآية.

والسّرّ فيه هو أنه لما أشهدهم عليهم السلام خلق الكلّ من السموات والأرضين والملائكة والناس أجمعين كما تقدم بيانه مفصلاً، ولما أنهى علمه اليهم وحملهم علمه، وأيضاً فوض إليهم أمر دينه كما سيأتي الكلام فيه مفصلاً إن شاء الله تعالى، فلا محالة هم العالمون بالأُمور وحقائق الأشياء وأرواح الخلائق، ويعلمون ما يصلحهم

عما يفسدهم، فلا يقدمون على أمر إلّا وفيه المصلحة، فلا محالة إذا سألهم سائل نظروا فيما تقتضيه حقيقته لذاته، فيعرفون ما يصلح له فلا محالة أن صلح الجواب أجابوه فيما له، وإلّا أمسكوا عما ليس له بحسب المصلحة.

فهذا هو السرّ في إعطائهم اللّه تعالى مقام الاختيار لما منحهم ذلك المقام المنيع، الذي هو المعرفة بمصالح العباد فأعطاهم اللّه الاختيار في ذلك بقوله تعالى: **﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾** كيف لا وهم عليهم السلام سلكوا سبيل الربّ جلّ وعلا يهدي اللّه تعالى بهم حال كونهم عباداً مكرمين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، بل ولا مشية لهم في شيء إلّا مشية اللّه لما علمت أنه في حقّهم نزل ولا يشاؤون إلّا أن يشاء اللّه، والحمد للّه رب العالمين.

قوله عليه السلام: وأولي الأمر

أقول: في المجمع: أولو جمع لا واحد له من لفظه واحده ذو، اولات لاناث واحدها ذات فقوله: جاءني أولو الألباب وأولات الأحمال، قيل: هو بمعنى صاحب، إلّا أن الأولى يستعمل في مقام التكريم والمدح غالباً، وصاحب على العكس قال تعالى في مقام الثناء: **﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً﴾** وفي مقام العتب **﴿فاصبر لحكم ربّك ولا تكن كصاحب الحوت﴾** فذكر بصاحب وبالحوت لا بالنون.

وأمّا الأمر قال فيه: قوله تعالى: **﴿يتنزل الأمرُ بينهن﴾**[1] أي يجري أمر اللّه وحكمه بينهن.

أقول: فالأمر حينئذ بمعنى الحكم، وجيء بمعنى النفع وبمعنى القيمة في قوله تعالى: **﴿أتى أمر اللّه﴾** أي القيمة.

أقول: الظاهر أن كلمة الأمر موضوع لكلّ ما يساوق معنى الشيء، إلّا أن أغلب

---

١ ـ الطارق : ١٢.

موارد استعماله فيما يكون فيه أهمية بأن يكون مورد نظر المتكلم مثلاً، وحينئذ فله مصاديق كثيرة، والظاهر المتبادر إليه في الذهن أنه يراد منه هناك ما قاله تعالى في قوله: ﴿اطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾ أي هم عليهم السلام المراد من قوله: ﴿وأُولي الأمر منكم﴾ كما دلّت عليه أحاديث كثيرة نذكر بعضها. وإليه يشير أيضاً قوله تعالى: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه﴾ فإن فيه إيماء إلى أنهم يجب عليهم إطاعة أُولي الأمر كما ذكر في الآية السابقة، فوجوب الإطاعة لأُمور:

منها: أنهم يستنبطونه ما اختلف لديهم لهم، وقد يراد بالأمر ما ذكر في قوله تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربّهم من كل أمر﴾، وقوله : ﴿فيها يفرق كلّ أمر حكيم﴾ كما ورد به النص.

في تفسير نور الثقلين[1]، عن كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام في قول اللّه عزوجل: ﴿يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾ قال: الأئمة ولد علي وفاطمة عليهما السلام إلى أن تقوم الساعة.

أقول: والأحاديث في أن المراد من أُولي الأمر هم الأئمة عليهم السلام كثيرة جداً كما لا يخفى.

وفيه[2] باسناده عن أبي جعفر الثاني عليه السلام: أن أميرالمؤمنين عليه السلام قال لابن عباس: إن ليلة القدر في كلّ سنة، وإنه ينزل في تلك الليلة أمر السنة، ولذلك الأمر ولاة بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقال ابن عباس: مَن هم؟ قال: أنا وأحد عشر من صلبي.

وفيه[3] عن احتجاج الطبرسي رحمه الله عن أميرالمؤمنين، وفيه بعد أن ذكر عليه السلام الحجج، قال السائل: مَن هؤلاء الحجج؟ قال: هم رسول اللّه صلى الله عليه وآله وفرض على

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤١٤.

٢ ـ تفسير نور الثقلين: ج ٥ ص ٦١٩.

٣ ـ تفسير نور الثقلين: ج ٤ ص ٦٢٦.

العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم ميثاقاً لنفسه، وهم ولاة الأمر الذين قال اللّه فيهم: ﴿**أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم**﴾، وقال فيه: ولو ردوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم.

قال السائل: ما ذاك الأمر؟

قال عليه السلام: الذي تنزل به الملائكة في الليلة، التي يفرق كلّ أمر حكيم من رزق وأجل وعمل وحيوة وموت، وعلم غيب السموات والأرض، والمعجزات التي لا تنبغي إلّا للّه وأصفيائه، والسفرة بينه وبين خلقهم وهم وجه اللّه الذي قال: ﴿**فأينما تولوا فثم وجه اللّه**﴾ الحديث.

ويمكن أن يراد بالأمر أمر الولاية لقوله عليه السلام: «إن أمرنا صعب مستصعب» وان يراد به ما في قوله تعالى: ﴿**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره**﴾ فهم عليهم السلام أولو هذا الأمر.

وقد يقال: إنّ المراد من الأمر في مقابل النهي وإنما حذف للسجع، وفيه ما لا يخفى.

وكيف كان لما كان للأمر معنى عام يشمل جميع الأُمور فلا محالة يراد منه سرّ ولا يتهم، الذي هو مقنع بالسّرّ كما تقدم وتكون جميع الأُمور راجعة إليه كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**ألا إلى اللّه تصير الأُمور**﴾ أي إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فولايتهم عليهم السلام هي حقيقة الأمر الذي منه جميع الأُمور كما لا يخفى.

قوله عليه السلام: وبقية اللّه

في المجمع: وبقي الشيء يبقى من باب تعب دام وثبت ويتعدى بالألف فيقال: أبقيته، والاسم البقوى (بالفتح مع الواو) البقايا (بالضم مع الياء) وفيه: قوله تعالى:

﴿أُولوا بقيّة﴾[1] أي أُولو تميز وطاعة يقال: في فلان بقيّة، أي فضل مما يمدح به والبقية الرحمة، ومنه حديث وصفهم عليهم السلام: «أنتم بقية اللّه في عباده» أي رحمة اللّه التي منّ اللّه بها على عباده.

وفي البحار[2]، عن كتاب المناقب، أبو عبداللّه عليه السلام في خبر: «ونحن كعبة اللّه ونحن قبلة اللّه».

قوله تعالى: ﴿بقية اللّه خير لكم﴾ نزلت فيهم، بيان: فسّر أكثر المفسرين بقية اللّه بما أبقاه اللّه لهم من الحلال بعد التنزه عما حرّم عليهم من تطفيف المكيال والميزان، أو إبقاء اللّه نعمته عليهم، أو ثواب الآخرة الباقية.

وأمّا الخبر: فالمراد به من أبقاه في الأرض من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لهداية الخلق، أو الأوصياء والأئمة عليهم السلام الذين هم بقايا الأنبياء في أُممهم، انتهى موضع الحاجة.

وقال بعضهم: لتخلّقهم بأخلاق اللّه كأنهم بقية اللّه، ونحن نذكر في الجملة أخبار الباب ثم نعقّبه بما يقتضيه المقام من الكلام.

ففي تفسير نور الثقلين عن أُصول الكافي بإسناده عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: سأله رجل عن القائم (عج) يسلّم عليه بأمرة المؤمنين؟ قال: لا، ذاك اسم سمّى اللّه به أميرالمؤمنين عليه السلام لم يسم به أحد قبله ولا يتسمى به بعده إلّا كافر. قلت: جعلت فداك كيف يسلم؟ قال: يقولون: السلام عليك يا بقية اللّه ثم قرءَ: ﴿بقية اللّه خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾.

وفيه، عنه، عن أبي عبداللّه عليه السلام في حديث طويل، إلى أن قال: فاغلق باب المدينة دونهم، فشكا أصحابه الجوع والعطش قال: فصعد جبلاً يشرف عليهم فقال بأعلى صوته: يا أهل المدينة الظالم أهلها أنا بقية اللّه يقول اللّه: ﴿بقية اللّه خير

---

١ ـ هود: ١١٦.
٢ ـ البحار ج ٢٤ ص ٢١١.

لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ﴾، الحديث.

وفيه، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام في حديث ولادة الرضا عليه السلام إلى أن قال: وقال (أي الكاظم عليه السلام) لأمّ الرضا عليه السلام (نجمة عليها السلام): **خذيه فإنه بقية اللّه عزوجل في** أرضه.

وفيه، عن كتاب إكمال الدين وتمام النعمة في حديث قال: خرج أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام علينا، وعلى عاتقه غلام كان وجهه القمر ليلة النور من أبناء ثلاث سنين فقال: يا أحمد بن إسحق، لولا كرامتك على اللّه عزوجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنّه سمّي رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلى أن قال: فنطق الغلام عليه السلام بلسان عربي فصيح فقال: أنا بقية اللّه في أرضه، والمنتقم من أعدائه، ولا تطلب أثراً بعد عين، الحديث.

وفي حديث آخر في خروجه عليه السلام بعدما أسند ظهره إلى الكعبة يقول: أنا بقية اللّه وحجته وخليفته عليكم، فلا يسلم إليه مسلم إلاّ قال: السلام عليك يا بقية اللّه في أرضه.

وفي تفسير نور الثقلين[1]، حديث طويل في شرح قوله تعالى: **﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة﴾** قال عليه السلام: البقية ذرية الأنبياء، الحديث.

وفيه في حديث آخر عن الصادق عليه السلام فقال: ذرية الأنبياء.

وفيه عن عدة كتب:

منها: المناقب، عن أبي هريرة قال: سألتُ رسول اللّه صلى الله عليه وآله عن قوله: **﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾** قال: جعل الإمامة في عقب الحسين عليه السلام يخرج من صلبه تسعة من الأئمة عليهم السلام منهم مهدي هذه الأمة.

---

١ ـ نور الثقلين ج ١ ص ٢٠٥.

ونحو هذه الأحاديث كثيرة جدّاً فحينئذ نقول: المستفاد من هذه الأحاديث أمور:

الأول: أن الوجه في اطلاق بقية اللّه عليهم إمّا ما تقدم من أنهم عليهم السلام تخلّقوا بأخلاق اللّه بمنتهاها حتى كأنهم بقية اللّه تعالى، وإما باعتبار أنهم عليهم السلام من أبقاهم اللّه تعالى بفضله وكرمه لهداية الخلق فهم بقيته تعالى بإبقائه، وإمّا أنهم رحمة اللّه التي منّ بها على عباده، لما علمت من أن البقية قد يأتي بمعنى الرحمة، وإمّا لأنّه تعالى بهم أبقى على العباد رحمته أو بهم إبقاؤهم كما هو مفاده قوله عليه السلام: «لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها» فهم سبب البقاء أو سبب بقاء الرحمة. فالحمل حينئذ للمبالغة كما لا يخفى.

وإمّا لأنهم عليهم السلام عندهم أعباء الرسالة وحمولة الرب كما تقدم، وعندهم الحكمة والعلم، وما به الفخر والمدح، فبقايا العلم عندهم أي ورثوها من الأنبياء عليهم السلام فبهذا اللحاظ أطلق عليهم بقية اللّه، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿**اولوا بقية**﴾ أي اصحاب البقية، وبعبارة أُخرى: هم الواجدون لبقايا العلم وما به المدح؛ ولذا فسّرت ﴿**أولوا بقية**﴾ بـ(أولو) تمييز وطاعة أي فضل مما يمدح به، إما كونهم عليهم السلام أولي تمييز فلأنّ التميز هو أثر العلم فهم أهل الذكر والقرآن الجامع لجميع العلوم كما تقدم، ولذا عندهم يكون فصل الخطاب عند تشابه الحق مع غيره في العلوم والموضوعات كما لا يخفى.

وإمّا كونهم عليهم السلام أولي طاعة فإما بمعنى أنهم أهل طاعة اللّه، فهذا أظهر من الشمس، بل ليس في الوجود أطوع منهم للّه تعالى، كما دلت عليه الآيات والأحاديث، وإما بمعنى المطاعية فهذا أيضاً ثابت بالآيات والأحاديث لقوله تعالى: ﴿**أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ المفسّر بهم عليهم السلام كما تقدم آنفا، وعلمت سابقا أن الملك العظيم هو الطاعة لهم في قوله تعالى: ﴿**وآتيناهم ملكاً عظيماً**﴾ بحيث يطيعهم الكلّ حتى الجمادات فضلاً عن الملائكة أو البشر.

وإما لكونهم من ذرية الأنبياء ومن بقيتهم من حيث الأولاد، فهم بقية الأنبياء

كما فسّر قوله تعالى: **﴿وبقية مما ترك آل موسى﴾** وحينئذ اطلاق بقيّة اللّه عليهم بلحاظ أن الأنبياء لما كانوا مذكرين للّه تعالى، فهم بهذا اللحاظ للّه تعالى فأولادهم حينئذ أيضاً بقية اللّه كما لا يخفى.

وهنا وجه آخر في اطلاق بقية اللّه عليهمعليهم السلام وحاصله: أن شعيباًعليه السلام قال لقومه: بقية اللّه خير لكم، أي ما أبقى اللّه لكم من الحلال إذا تنزهتم عما حرّم عليكم خير لكم إن كنتم مؤمنين.

ومن العلوم أن للقرآن تأويلا وبطنا كما صرحت به الأحاديث، فيمكن حينئذ أن يكون تأويلها: بأن ما أبقى اللّه لكم من آل محمدصلى الله عليه وآله «الذين علمهم طعام حلال، إذا تجنبتم أعداءَهم الذين علمهم طعام حرام وقد نهيتم عن تناوله، لأنه جهل محض ليس من الحق في شيء» خير لكم، أي أن ما أبقى اللّه لكم من علم آل محمدعليهم السلام الذي طعام حلال لروحكم خير من علم أعدائكم الذي صورة علم في الظاهر، وجهل محض في الواقع بل وفي الظاهر أيضاً.

ويؤيد هذا المعنى بل يدل عليه ما رواه في البحار[1] عن كتاب غيبة النعماني، وبهذا الإسناد عن محمد بن منصور قال: سألت عبداً صالحاًعليه السلام عن قول اللّه عزوجل: **﴿إنما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾** قال: فقالعليه السلام: إن القرآن له ظاهر وباطن، فجميع ما حرّم اللّه في القرآن فهو حرام على ظاهره، كما هو في الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحلّ اللّه في الكتاب فهو حلال، وهو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الهدى.

وفيه[2] عن كنز الفوائد روى الشيخ أبو جعفر الطوسيرحمه الله بإسناده إلى الفضل ابن شاذان عن داود بن كثير قال: قلت لأبي عبداللّهعليه السلام: أنتم الصلوة في كتاب اللّه عزوجل، وأنتم الزكوة وأنتم الحج، فقال: يا داود نحن الصلوة في كتاب اللّه

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ١٩٠.

٢ ـ البحار: ج ٢٤ ص ٣٠٣.

عزوجل، ونحن الزكوة ونحن الصيام ونحن الحج، ونحن الشهر الحرام، ونحن البلد الحرام ونحن كعبة اللّه، ونحن قبلة اللّه ونحن وجه اللّه قال اللّه تعالى: **﴿فأينما تولوا فثمَ وجه اللّه﴾** ونحن الآيات والبينات.

وعدوّنا في كتاب اللّه عزوجل الفحشاء والمنكر والبغي، والخمر والميسر والانصاب، والأزلام والأصنام والأوثان، والجبت والطاغوت، والميتة والدم ولحم الخنزير.

يا داود إن اللّه خلقنا فأكرم خلقنا وفضّلنا، وجعلنا أُمناءَه وحفظته وخزّانه على ما في السموات وما في الأرض، وجعل لنا أضدادا وأعداء فسمانا في كتابه، وكنّى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبّها إليه، وسمّى أضدادنا وأعداءَنا في كتابه، وكنّى عن أسمائهم، وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتقين.

فصريح هذين الحديثين وأمثالهما يدلّ على ما ذكرنا من أن القرآن له تأويل وظاهر، فالظاهر هو ما يتبادر منه، والباطن هو ما فسّروه عليهم السلام كما في هذين الحديثين، وبمعونة الأحاديث السابقة يعلم أن باطن قوله تعالى: **﴿بقية اللّه خير لكم﴾** هو الأئمة عليهم السلام وتأويلها هم عليهم السلام كما في ساير الآيات، بل الظاهر من الأحاديث أنه كما لابدّ من الإيمان بظاهر الآيات، لابد أيضاً من الإيمان بباطنها المفسّر من عندهم عليهم السلام.

في البحار[1]، عن بصائر الدرجات بإسناده عن الهيثم التميمي قال: قال أبوعبداللّه عليه السلام: يا هيثم التميمي إن قوماً آمنوا بالظاهر، وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن، وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً، ولا إيمان بظاهر إلّا بباطن ولا بباطن إلّا بظاهر.

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ٣٠٢

فهذا الحديث دلّ على أنه لابدّ من الإيمان بجميع ما بينوه عليهم السلام تأويلاً وباطناً للآيات، كما ورد عنهم في كثير من الآيات القرآنية في موارد شتى من شؤون ولايتهم عليهم السلام التي منها ما في المقام، ويدل على وجوب الإيمان بالظاهر والمشي عليه أيضاً رداً على الباطنية الذين اعتقدوا بأنه من عرف الأئمة عليهم السلام بالباطن من أنهم حقائق تلك الأُمور، فلا يحتاج بعد إلى اتيان العبادات في الظاهر، وقد تقدم مفصلاً بيان في ردّهم في بيان معنى الولاية، فراجع.

ثم إن الوجه في كونهم عليهم السلام الصلوة والصوم والحج والكعبة والقبلة ونحوها ممّا ذكره عليه السلام في الحديث السابق وفيما هو بمثله ما حاصله: أنه إنما خلق اللّه الخلق ـ وكما علمت ـ ليعبدون قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون**﴾ وعلمت أيضاً من قول الحسين عليه السلام في السابق: «أن اللّه ما خلق الخلق إلاّ ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه»، الحديث.

فروح العبادة المعروفة فهي حينئذ الغاية للخلق، ومن المعلوم أنهم عليهم السلام محال معرفة اللّه كما تقدم مفصلاً، وأنه لا يعرف اللّه إلّا بسبيل معرفتهم، وأنه بِهم عُرف اللّه وبِهم عُبد اللّه كما تقدم مراراً، فإذا كانوا عليهم السلام حقيقة المعرفة للّه تعالى بحيث قال الحسين عليه السلام: «إن معرفة اللّه معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذي تجب عليهم طاعته» فلا محالة هم عليهم السلام أصل العبادة وروحها الساري في فروعها وأقسامها من الصلوة والحج وغيرهما، وأيضاً لاريب في أن للصلوة ظاهراً وهو الافعال والأقوال، والأذكار والهيئات المخصوصة التي افتتاحها التكبير واختتامها التسليم، فهي بهذا المعنى هي الموضوع للأحكام الثابتة لها في الشريعة المقدسة، التي بيّنها العلماء والفقهاء في رسائلهم العملية.

فالصلوة بهذا المعنى هو الظاهر من الصلوة التي علمت أنه لابدّ من الإيمان بها والمشي عليها، ولا ريب أيضاً في أن لها باطناً المشار إليه بقوله تعالى: ﴿**أقم الصلوة لذكري**﴾ وقوله عليه السلام: «الصلوة معراج المؤمن» وقوله عليه السلام: «الصلوة قربان كلّ تقي»

ونحوها، إذ من المعلوم أن هذه التعاريف للصلوة لا تنظر إلاّ إلى جهة الباطن لها، فان باطنها معراج المؤمن وقربان كلّ تقي، ويتحقق ذلك بما قال النبيﷺ فيما رواه في الحقائق عنهﷺ: إنما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع، وتيأس (وتبأس خ ل) وتندم وتقنّع تمدّ يديك وتقول: «اللّهم فمن لم يفعل فهي خداج» ولا ريب في أن هذه العبارات في تعريف الصلوة إنما هي لبيان معناها الباطن الذي به تكون معراجاً للمؤمن كما لا يخفى.

ولا ينظر في الحديث إلى الجهة الظاهرية من الركوع والسجود ونحوهما، كما لا يخفى، وبهذه المعاني يتحقق ذكر اللّه تعالى في الصلوة، فقوله تعالى: **﴿أقم الصلوة لذكري﴾** الدال على أنه لابدّ من إقامة الصلوة للذكر وهو باطن الصلوة.

ومن المعلوم أن الذكر لا يتحقق إلّا بما ذكرهﷺ من تلك الحالات، ولذا قالﷺ بعد ذلك: تمدّ يديك وتقول: اللّهم، أي بعد تحقق هذه الحلات، تشرع وتأتي بالصلوة الظاهرة التي عنوانها اللّهم، وإلا فمن لم يفعل تلك الحالات قلباً فصلاته خداج أي ناقصة.

إذا علمت هذا (أي علمت أن حقيقة الصلوة هي الذكر، وهو عبارة عن تلك الحالات المشار إليها) فحينئذ نقول: لاريب في أن تلك الحالات تكون في الأئمة، وفي أرواحهم بالنحو الأتم الأكمل فهمعليهم السلام حقيقة الصلوة لمكان تحقق حقائق تلك الحالات، التي هي باطن الصلوة فيهمعليهم السلام كيف لا وقد ورد أن الذاكر للّه في الصلوة بلحاظ ان روح الصلوة هو الذكر، فإذاكان أحد ذاكراً فلا محالة هو في الصلوة ما دام في الذكر فإذا كان أحد من الناس يتمكن من الاتّصاف بالصلوة أوان لم يأت ، بالأفعال الظاهرية لها فما ظنك بهمعليهم السلام وهم دائماً في الذكر كما سيأتي في شرح قولهعليه السلام: وأدمتم (أدمنتم خ ل) ذكرهم؟!

هذا وقد تقدم عن المفضل، عن الصادقعليه السلام: أنهمعليهم السلام دائماً في مقام الحضور والقرب عند اللّه تعالى المشار إليه في قوله: **﴿ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولا**

يستحسرون﴾ فإذا علمت أن حقيقة الصلوة التي هي الذكر إنما هي حقيقتهم وأرواحهم المطهرة بالبيان المذكور، فاعلم أيضاً أنهم عليهم السلام حقيقة ساير العبادات، إذ جميعها بحسب الباطن يرجع إما إلى المعرفة وإما إلى تلك الحالات العبودية له تعالى نحو إرجاع الفرع إلى أصله فهم عليهم السلام أيضاً حقيقة تلك العبادات.

وكيف كان فبعدما كانت الصلوة خير موضوع في الشرع، بحيث لم يشرع مثلها في المكانة والأهمية؛ لجامعيتها لعناوين العبادات كما حقق في محله، وكون حقيقتها أرواحهم المقدسة، فكانوا حقائق ساير العبادات بطريق أولى كما لا يخفى وجهه.

ويُشير بل يدلّ على ما ذكرنا ما في البحار[1]، وروى الشيخ أيضاً بإسناده عن الفضيل، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «نحن أصل كل خير، ومن فروعنا كل برّ، ومن البرّ التوحيد والصلوة والصيام، وكظم الغيظ والعفو عن المسيء، ورحمة الفقير وتعاهد الجار، والإقرار بالفضل لأهله، وعدونا أصل كلّ شرّ، ومن فروعهم كل قبيح وفاحشة، فمنهم الكذب والنميمة، والبخل والقطيعة، وأكل الربا وأكل مال اليتيم بغير حقه، وتعدي الحدود التي أمر الله عزوجل، وركوب الفواحش ما ظهر منها وما بطن من الزنا والسرقة، وكل ما وافق ذلك من القبيح، وكذب من قال أنه معنا وهو متعلق بفرع غيرنا».

فهذا الحديث الشريف دلّ على أنهم أصل كلّ العبادات حتى التوحيد، ومعنى الأصل يعني حقيقته، وجميع ساير الفروع منشعبة منه، وأيضاً أن عدوهم أصل كلّ شرّ، وجميع المعاصي منشعبة منهم، والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة جداً، وفيما ذكرنا كفاية، ومن أراد التفصيل فليراجع المفصّلات.

ثم إنه قد فسّرت بقية الله بالباقيات الصالحات، يعني أحد مصاديق الباقيات الصالحات هو بقية الله (أي الأئمة عليهم السلام) كما تقدم، أو هي ولايتهم كما ورد في التفسير.

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ٣٠٣.

في تفسير نور الثقلين عن مجمع البيان: وروى أنس بن مالك عن النبيﷺ أنه قال لجلسائه: خذوا جنتكم، قالوا: حضر عدونا؟ قال: خذوا جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر، فإنّهن المقدمات، وهنّ المنجيات، وهنّ المعقبات، وهنّ الباقيات الصالحات.

وفيه: وقيل: هي الصلوات الخمس.

وروي عنهﷺ أيضاً: أن من الباقيات الصالحات القيام بالليل لصلوة الليل.

وفي البحار[1]، عن كنز الفوائد بإسناده عن محمد بن إسماعيل بن عبدالرحمن الجعفي، قال: دخلت أنا وعمّي الحصين بن عبدالرحمن على أبي عبداللهﷺ فسلّم عليه فردّﷺ وأدناه وقال: ابن مَن هذا معك؟ قال: ابن أخي اسماعيل، قال: رحمه وتجاوز عن سيّئ عمله، كيف مخلفوه؟ قال: قال: نحن جميعاً بخير ما أبق الله لنا مودتكم، قال: يا حصين لا تستصغر مودّتنا فإنها من الباقيات الصالحات، فقال: يابن رسول الله ما استصغرها، ولكن أحمد الله عليها.

أقول: ينبغي أن يحمد الله واجد الولاية على أول النعم.

في البحار[2]، عن العلل ومعاني الأخبار وأمالي الصدوق بإسناده عن أبي جعفر الباقرﷺ قال: من أصبح يجد برد حبنا على قلبه، فليحمد الله على بادي النعم، قيل: وما بادي النعم؟ قال: طيب المولد.

وفيه، عنها، عن أميرالمؤمنينﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: يا علي من أحبّني وأحبّك وأحبّ الأئمة من ولدك، فليحمد الله على طيب مولده، فإنه لا يحبنا إلّا من طابت ولادته، ولا يبغضنا إلّا من خبث ولادته.

وفيه[3]، عن العلل في حديث طويل عن رسول اللهﷺ: .. وفي أُخرى ثم رفع

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ٣٠٤.
٢ ـ البحار ج٢٧ ص١٤٦.
٣ ـ البحار ج٢٧ ص١٥١.

رأسه ﷺ فقال: معاشر الأنصار أعرضوا أولادكم على محبة علي. قال جابر بن عبدالله: فكنا نعرض حبّ علي عليه السلام على أولادنا، فمَن أحبّ علياً علمنا أنه من أولادنا، ومَن أبغض علياً عليه السلام انتفينا منه، الحديث.

هذا وقد يقال: إن المراد ببقية الله هو آثار وجوده تعالى في الخلق.

بيانه: أنه لا ريب في أنه تعالى يدبّر الأمر في عالم الخلق بأسمائه الحسنى كما يومئ إليه قوله عليه السلام في الدعاء: وبأسمائك التي ملأت أركان كلّ شيء، وقوله عليه السلام في زيارة الحجج عليهم السلام يوم الجمعة: يسبح الله بأسمائه جميع خلقه.

فالمراد بجميع الخلق هو جميع أنواع الموجودات من الأنبياء والأئمة والملائكة والبشر، والحيوانات والنباتات والجمادات، وساير ما يرى منها وما لا يرى. وما علم منها وما لم يعلم فجميعها يسبحونه تعالى بأسمائه.

ومن المعلوم أنه ليس المراد منه التسبيح اللفظي؛ لعدم صدوره ظاهراً من غير البشر والملك، بل المراد التسبيح المعنوي كلّ بالاسم الذي به قوام وجوده، بنحو يكون من جهته قائماً به تعالى، وهو تعالى قيّومه، وتسبيحه عبارة عن تنزيهه تعالى عما لا يليق بجنابه المقدس، مما يكون هذا الموجود محدوداً به ومبتلى به ومقيدا به. ومحروماً به عن مطلق الفيوضات تسبيحاً حالياً يفسّره بالقول مَن اطلع عليه من الأنبياء والأئمة عليهم السلام ولذا ورد في الأحاديث عنهم أذكار الحيوانات وتسبيحها كما في البحار، فراجع.

وكيف كان لا ريب في أنه تعالى يدبّر الأُمور، ويربّي الخلق بأنواع التربية، حيث إنه الربّ المطلق بأسمائه الحسنى، ولا ريب في أن الأسماء الحسنى التي هي صفة له تعالى تكون في عالم صقع وجودها غير محدود بحدّ ومنعوت بنعت لقوله عليه السلام:

وليس لصفته حدّ محدود بحدّ .لقوله عليه السلام : وليس لصفته حدّ محدود ولا نعت موجود» فالأسماء في عالم الإطلاق مطلقة. وفي عالم الخلق تتحددّ بتحدد مجاريه، أي الموجودات يستفيد منها كلّ على حسب حدّه. لا أنها توجب تقييداً لها،

فالتحدد بها بلحاظ الأثر للمحدود، لا لها بأنفسها كما لا يخفى.

هذا وقد علمت مراراً أنهم عليهم السلام قالوا: «والله نحن الأسماء الحسنى» وقد تقدم شرحه في الجملة، فحينئذ نقول: المستفاد ممّا ذكر أُمور:

الأول: أن الأسماء الحسنى له تعالى بجميع شؤونها من حيث وجودها النفس الامري، الذي ليس لها حدّ محدود ولا نعت موجود، ومن حيث ظهورها في الخلق واستفادة الخلق منها؛ لفاقته إليها كلّها من حيث الأصل، ومن حيث الظهور هي نفس الذوات المقدسة لمحمد وآله عليهم السلام فتلك النفوس المطهرة بلحاظ. قربها إليه تعالى، وقيامها به تعالى بما هي هي صفات له تعالى بما لها من المعنى الواقعي، والصفة عرفت أنها معرف للموصوف والموصوف ظاهر فيها.

فهم عليهم السلام في تلك المقام والحال لا فرق بينهم وبين خالقهم إلّا أنهم عباده وخلقه فتقها ورتقها بيده، بدؤها وعودها إليه كما تقدم شرحه، وإلى هذا المقام يشير ما ورد عنه عليه السلام: «أن لنا مع الله حالات» الحديث، ففي تلك الحالات، وذلك المقام ليس إلا ظهوره تعالى في فنائهم عن أنفسهم وعن غيره تعالى، وبلحاظ تنزّل تلك الصفات في عالم التعيّن الخلقي بالمعنى المتقدم، وفي مقام استفادة كلّ مخلوق منها ومن تلك الأسماء كما علمت، فهم عليهم السلام في هذا العالم الخلقي ظاهرون بتلك الحقائق في المظاهر المحدودة، فبهذا اللحاظ يقال لهم بقية الله، فإن البقية هي المرتبة النازلة أو المحدودة من ذوي البقية أي الأصل.

والحاصل: أن ما تنزل من عالم الإطلاق إلى عالم الخلق والحدود من الأسماء الحسنى الإلهية هو ذواتهم المقدسة، وهم بهذا اللحاظ بقية الله تعالى، وحينئذ نقول: لما كانت جميع أفعال العباد الجوارحي والجوانحي والقلبي إنما هي بالأسماء الحسنى الإلهية، وهي أرواحهم وحقيقتهم عليهم السلام فلا محالة تكون عبادة الخلق له تعالى بهم عليهم السلام من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، فكلّها تصدر منهم إلّا أنّها بهم عليهم السلام وأيضاً تكون معرفتهم له تعالى، وقصدهم إياه تعالى، وذكرهم له تعالى

بهم عليهم السلام أيضاً، وسيجيء في شرح قوله عليه السلام: «ومن قصده توجه بكم» ما يوضح لك ذلك.

بل قد يقال: خلق الله الخلق لهم وبهم ومنهم رزق الخلق والورى كما يومئ إليه الحديث الآتي إن شاء الله، وأيضاً بهم ولهم وعليهم حفظ الخلق كما علمت في شرح قوله: «وحفظة وروّاداً» بل عنهم ومنهم ولهم أمات الله الخلق. وأيضاً بهم ومنهم ولهم إحياء الخلق كلها بإذن الله، وبالتصرف الولايتي التكويني كما مرّت الإشارة إليه.

وإلى هذه الأمور كلّها يشير ما رواه في التوحيد بإسناد صحيح عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن للّه عزوجل خلقاً من رحمته، خلقهم من نوره ورحمته من رحمته لرحمته، فهم عين الله الناظرة، وإذنه السامعة، ولسانه الناطق في خلقه بإذنه وأُمناؤه على ما انزل من عذر أو نذر أو حجة، فبهم يمحو السيئات، وبهم يدفع الضيم، وبهم ينزل الرحمة، وبهم يحيي ميتاً، وبهم يميت حيّاً، وبهم يبتلي خلقه، وبهم يقضي في خلقه قضيّته، قلت: جعلت فداك مَن هؤلاء؟ قال: الأوصياء.

فقوله عليه السلام: وبهم يدفع الضيم، وبهم ينزل الرحمة.. الخ خصوصاً قوله: وبهم يقضي في خلقه قضيته، يدل على ما ذكرنا كما لا يخفى، فحيث هم عليهم السلام بقية الله بهذا المعنى، فلا محالة لهم تلك الشؤون والتصرفات الأولوية في الخلق.

وقد يقال: إن المراد من بقية الله آياته تعالى، التي أراها الله الخلق في الآفاق وفي الأنفس قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَن لهم أنه الحق﴾ الآية.

روى محمد بن قولويه في كامل الزيارات[1] بسنده عن عبدالله بن بكر قال:

---

١ ـ كامل الزيارات ص٣٢٦.

صحبت أبا عبداللهعليه السلام في طريق مكة من المدينة، فنزلنا منزلاً يقال له: عسفان، ثم مررنا بجبل أسود عن يسار الطريق موحش فقلت له: يابن رسول اللّه ما أوحش هذا الجبل! ما رأيت في الطريق مثل هذا، فقال لي: يابن بكر أتدري أي جبل هذا؟ قلت: لا، قال: هذا جبل يقال له الكمد، وهو على واد من أودية جهنم، وفيه قتلة أبي الحسينعليه السلام فذكرعليه السلام ما كان سمعه من القتلة ومن الأول والثاني (لعنهم اللّـه) ومـا يجيبهم بطوله إلى أن قال:

قلت له: جعلت فداك فأنت تسمع ذا كلّه ولا تفزع؟! قالعليه السلام: يـابن بكـر إن قلوبنا غير قلوب الناس إنا مطيعون مصفون مصطفون، نرى ما لا يـرى النـاس، ونسمع ما لا يسمع الناس، وإن الملائكة تنزل علينا في رحالنا.. إلى أن قالعليه السلام: وما من ليلة تأتي علينا إلّا وأخبار كلّ أرض عندنا وما يحدث فيها، وأخبار أهل الهوى من الملائكة، وما من ملك يموت في الأرض ويقوم غـيره إلّا أتـانا خـبره وكـيف سيرته في الذين قبله، وما من أرض من ستة أرضين إلى السابعة إلّا ونحـن نـؤتى بخبرهم.. إلى أن قالعليه السلام: وإنا لنحمل ما لا يقدر العباد على الحكومة فيه فـنحكم فيه، فمن لم يقبل حكومتنا جبرته الملائكة على قولنا وأمرت الذين يحفظون ناحيته ان يفسروه على قولنا، وإن كان من الجن من أهل الخلاف والكفر أوثقته وعـذبته حتى يصير إلى حكمنا به، قلت: جعلت فداك فهل يرى الإمـام مـا بـين المـشرق والمغرب؟ فقال: يابن بكر فكيف يكون حجة اللّه على ما بـين قـطريها، وهـو لا يراهم ولا يحكم فيهم؟ وكيف يكون حجّة على قـوم غـيب لا يـقدر عـليهم ولا يقدرون عليه؟ وكيف يكون مؤدياً عن اللّه وشاهداً على الخلق وهو لا يـراهـم؟ وكيف يكون حجة عليهم وهو محجوب عنهم، وقد حيل (جعل خ ل) بينهم وبينه أن يقوم بأمر ربّه فيهم واللّه يقول: ﴿ما أرسلناك إلّا كافة للناس﴾ يعني به من على الأرض، والحجة من بعد النبيصلى الله عليه وآله يقوم مقام النبي من بعده، وهو الدليل على مـا تشاجرت فيه الأُمة، والأخذ بحقوق الناس والقيام بأمر اللّه والمنصف لبعضهم من

بعض؟

فإذا لم يكن معهم من ينفذ قوله وهو يقول: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ فأيّ آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق، وقال: ﴿ما نريهم من آية إلّا هي أكبر من اختها﴾ فأيّ آية أكبر منا، والله ان بني هاشم وقريشاً لتعرف ما أعطانا الله، ولكن الحسد أهلكهم كما أهلك إبليس، الحديث.

وإنما ذكرناه بأكثره لما فيه من الفوائد، وما فيه من الدليل على السابق لبقية الله كما لا يخفى، ولما فيه بيان أنهم عليهم السلام اتم مصداق لقوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾، وكيف كان فآيات الله تعالى بقيته في الأرض بالبيان المتقدم في كون الأسماء مصداق بقية الله في الخلق، وهم عليهم السلام أحسن مصداق لها كما لا يخفى.

ومن المعلوم أن الآية هي علامة ذوي الآية، ومرآة لذي الآية معرّف له، بل ظهور ذي الآية بها، فالمعرفة بهم عليهم السلام بما أنهم آيات الله معرفة بالله تعالى كما تقدم مراراً، فحينئذ معنى قوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ (والله العالم) هو أن الله تعالى يرينا في أنفسنا ايّاهم بأن يرينا أنا من شعاع أنوارهم وظهورهم، فيظهر أن الخلق منهم وبهم ولهم وإليهم فهم بالحقيقة قوام الخلق حتى بالنسبة إلى أعدائهم بنحو يناسبهم إذ لا حول ولا قوة إلّا بالله وهم حوله وقوته كما لا يخفى.

ولهذا الكلام مزيد بحث ربما يأتي في محله والحمد لله ربّ العالمين.

قوله عليه السلام: وخيرته

في المجمع: والخيرة (بالكسر فالسكون) من الاختيار، والخيرة (بفتح الياء) بمعنى الخيار، والخيار هو الاختيار، والخيار هو اسم من تخيّرت الشيء مثل الطيرة اسم من تطيّر، وقيل: هما لغتان بمعنى واحد، قاله في المصباح، والاختيار الاصطفاء ومحمد صلى الله عليه وآله خيرتك من خلقك (بكسر الخاء وبالياء والراء المفتوحتين) أي المختار المنتخب، وجاء بتسكين الياء.

أقول: المراد منه هنا الجنس ليعمهم عليهم السلام ومعناه أنهم من اختارهم واصطفاهم واجتباهم من بين الخلائق وهذا الاختيار منه تعالى لهم يتحقق في **مقامين**:

الأول: في مقام عالم الأرواح والأنوار.

الثاني: في مقام عالم الخلق والتكوين والتناسل والتوالد فنقول **أما الثاني**: «**فيدل عليه ما** عن تفسير نور الثقلين عن اعتقادات الصدوق رحمه الله وقال النبي صلى الله عليه وآله: أنا أفضل من جبرئيل ومكيائيل وإسرافيل، ومن جميع الملائكة المقربين، وأنا خير البريّة وسيد ولد آدم».

وفي منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، عن ابن عمر، عنه صلى الله عليه وآله، أنه صلى الله عليه وآله قال: إن اللّه اختار خلقه، فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم، فاختار منهم العرب، ثم اختار العرب فاختار منهم قريشاً، ثم اختار قريشاً فاختار منهم بني هاشم، ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم، فلم أزل خياراً من خيار، ألا من أحبّ العرب فيحبني أحبهم، ومن أبغض العرب فيبغضني أبغضهم.

وتقدم أيضاً عن المناقب، عن أحمد بن حنبل والنسائي، عن علي عليه السلام حديث إلى أن قال عليه السلام: وقال اللّه له (أي للنبي صلى الله عليه وآله): أنت المختار المنتجب، وعندك ثابت نوري، وأنت كنوز هدايتي.

وتقدم أيضاً عن معاني الأخبار، عن عايشة قالت: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب، قلت: وما السيد؟ قال: من افترضت طاعته كما افترضت طاعتي.

وفي البحار، عن غيبة النعماني، الكليني بإسناده عن أبي عبداللّه عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام وصفاتهم فقال: إن اللّه تبارك وتعالى أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح لهم عن باطن ينابيع علمه، فمن عرف من أُمّة محمد صلى الله عليه وآله واجب حق إمامه، وجد طعم حلاوة إيمانه. وعلم فضل طلاوة إسلامه، إن اللّه نصب الإمام علماً لخلقه، وجعله حجة على أهل طاعته. ألبسه اللّه تاج الوقار، وغشّاه من نور الجبار، يمد بسبب من السماء

لا ينقطع عنه مواده، ولا ينال ما عند اللّه إلّا بجهة أسبابه، ولا يقبل اللّه الأعمال للعباد إلّا بمعرفته. فهو عالم بما يرد عليه من مشكلات الوحي، ومعميات السنن، ومشتبهات الدين، لم يزل اللّه يختارهم لخلقه من ولد الحسين(صلوات اللّه عليهم) من عقب كلّ إمام، فيصطفيهم لذلك، ويجتبيهم، ورضي بهم لخلقه، ويرتضيهم لنفسه، كلما مضى منهم إمام، نصب عزوجل لخلقه من عقبه إماماً علماً بيّنا، وهادياً منيراً، وإماماً قيما، وحجة عالماً، أئمة من اللّه يهدون بالحقّ وبه يعدلون، حجج اللّه ورعاته على خلقه، يدين بهداهم العباد، وتستهل بنورهم البلاد، وتنمى ببركتهم التلاد، وجعلهم اللّه حياة الأنام، ومصابيح الظلام، ودعائم الإسلام، جرت بذلك فيهم مقادير اللّه على محتومها.

فالإمام هو المنتجب المرتضى، والهادي المجتبى، والقائم المترجى، اصطفاه اللّه لذلك، واصطفيه على عينه في الذّر حين ذرأه، وفي البرية حين برأ، ظلّا قبل خلقه نسمة عن يمين عرشه، محبّواً بالحكمة في علم الغيب عنده، اختاره بعلمه، وانتجبه بتطهيره بقية من آدم، وخيرة من ذرية نوح ومصطفى من آل ابراهيم، وسلالة من إسماعيل، وصفوة من عترة محمدﷺ لم يزل مرعياً بعين اللّه، يحفظه بملائكته، مدفوعاً عنه وقوب الغواسق وتفوث كلّ فاسق، مصروفاً عنه قوارف السوء، مبرّأ من العاهات، محجوباً عن الآفات، مصوناً من الفواحش كلّها، معروفاً بالحلم والبر في بقاعه، منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه. مسنداً إليه أمر والده، صامتاً عن المنطق في حياته، فإذا انقضت مدة والده انتهت به مقادير اللّه إلى مشيّته، وجاءت الإرادة من عند اللّه فيه إلى محبته، وبلغ منتهى مدة والده، فمضى وصار أمر اللّه إليه من بعده وقلده اللّه دينه، وجعله الحجة على عباده، وقيّمه في بلاده، وأيده بروحه، وأعطاه علمه، واستودعه سرّه، وانتدبه لعظيم أمره، وأتاه فضل بيان علمه، ونصبه علماً لخلقه، وجعله حجة على أهل عالمه، وضياء لأهل دينه، والقيم على عباده، رضي اللّه به إماماً لهم، استحفظه علمه، واستحباه حكمته، واسترعاه لدينه،

وحباه مناهج سبله وفرائضه وحدوده، فقام بالعدل عند تحيّر أهل الجهل، وتحبير أهل الجدل بالنور الساطع والشفاء النافع بالحق الأبلج، والبيان من كل مخرج على طريق المنهج، الذي مضى عليه الصادقون من آبائه، فليس يجهل حق هذا العالم إلّا شقي، ولا يجحده إلّا غوي، ولا يصدّ عنه إلّا جريّ على اللّه جل وعلا، الحديث.

فالمستفاد من هذه الأحاديث وأمثالها: أن اللّه تعالى اختارهم من بين أمثالهم من الخلائق من جميع أنواع البشر، فضلاً عن الجن والحيوانات والنباتات والمعادن والجماد، فاللّه تعالى اختارهم من بينهم كلهم على الكل، وانتقاهم واجتباهم لأمره كما مرت الإشارة إليه، وادعى انعقاد الإجماع من الفرقة المحقة على تفضيلهم عليهم السلام على الخلق، بل وعلى الأنبياء والرسل والملائكة المقربين، كما ظهر ذلك من الأحاديث المتقدمة أيضاً، ولا يخالف الفرقة المحقة إلّا من لا يعبأ بقوله من المخالفين.

وأمّا المقام الأول (أعني كونهم عليهم السلام خيرة في عالم الأرواح والأنوار) فيدل عليه كثير من الأخبار، وقد تقدم شطر منها في المباحث المتقدمة، وأحسن كلام دلّ على هذا الاختيار في ذلك العالم ما تقدم من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير والجمعة وعن مصباح الشيخ الطوسي رحمه الله.

ومنها: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله استخلصه في القدم على سائر الأُمم على علم منه، انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، انتجبه آمراً وناهياً عنه، اقامه في ساير عالمه في الاداء.

إلى أن قال عليه السلام: واختصه من تكرمته بما لم يلحقه أحد من بريّته، فهو أهل ذلك بخاصته وخلته، إذ لا يختص من يشوبه التغيير، ولا يختار من يلحقه التظنين إلى أن قال عليه السلام: وإن اللّه تعالى اختصّ لنفسه بعد نبيه من بريّته خاصة، علّاهم بتعليته، وسما بهم إلى رتبته، إلى أن قال عليه السلام: أنشأهم في القدم قبل مذرؤ ومبرؤ أنواراً أنطقها، إلى أن قال عليه السلام: وأشهدهم وولّاهم ما شاء من أمره، وجعلهم تراجمة مشيته وألسن إرادته. الخطبة.

فقوله عليه السلام: استخلصه في القدم على ساير الأمم، وقوله عليه السلام: **واختصه من تكرمته بما لم يلحقه أحد من بريته.** قوله عليه السلام: في شأن الأئمة عليهم السلام: أنشأهم في القدم قبل مذرؤ ومبرؤ، يدل عى اختياره تعالى النبي والأئمة عليهم السلام على سائر الخلق في عالم الأنوار والأرواح كما لا يخفى.

ثم إن هنا كلاماً وحاصله: أن الاختيار لشيء لابدّ له من المختار منه من بين أمثاله، فإن الاختيار لشيء يساوي الانتخاب له، والانتقاء من بين أشياء، فلابدّ هناك من أشياء ليختار منها هذا الشيء، هذا وقد دلّ الدليل القطعي كما تقدم مراراً على أنهم عليهم السلام خلقوا قبل الخلق بألف دهر كما في حديث، وبتعديد آخر كما في سائر الأحاديث، فحينئذ كيف يصح الاختيار منه تعالى لهم قبل الخلق، ولا تظن أنهم عليهم السلام ما كانوا خيرة من خلقه إلّا بعد أن خلق الخلق، وإلا يلزمك أنهم ما بلغوا تلك المراتب العالية التي رتبهم اللّه فيها المشار إليها بكونهم خيرته، إلاّ بعد أن خلق خلقه، مع أن هذا أيضاً خلاف ما دلت الأخبار بالضرورة على أنهم كانوا خيرة من أول خلقهم عليهم السلام قبل ساير الموجودات كما تقدم.

والجواب عن هذا بما حاصله: أن الخلق كلهم بلا استثناء في علمه تعالى في جامع واحد، فهو تعالى عالم بكيفية الخلق، كل في مرتبته وحاله وصفته، فعلمه تعالى بالخلق قبل الخلق وبعد الخلق يكون سواء، كما نطقت به الأخبار في توحيد الصدوق من قوله عليه السلام: علمه بالأشياء قبل خلقها كعلمه بها بعد خلقها، كما يشير قوله تعالى إلى هذا بالنسبة إليه عليهم السلام: **﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾** فاستحقوا الاختيار من اللّه تعالى قبل العالمين، وما ذكرنا في الآية تأوليها كما لا يخفى.

والحاصل: أنه تعالى اختارهم في مقام علمه الأزلي، فكانوا عليهم السلام خيرته وصفوة خلقه في علمه تعالى، ثم بعدما البسوا حلّة الوجود الخارجي كانوا عليهم السلام خيرة الخلق أيضاً، لما هم خيرته تعالى في عالم علمه، والسرّ في أنه تعالى اختارهم في علمه على

العالمين هو أنه تعالى خلقهم خيراً محضاً، لا شرّ فيهم ذاتاً وصفة وفعلاً؛ لانتفاء مقتضى الشّر فيهم، وهو الشك كما تشير إليه آية التطهير النازلة في حقهم المفسّر فيها الرجس المنفي بالشك كما تقدم.

وكيف كان، فإذا كانوا موجودين في أول الوجود في عالم الأنوار والأرواح خيراً محضاً بنحو يجمع جميع الخيرات، فلا محالة يقتضي ذلك أن يكونوا خيرة له تعالى؛ لأنهم حينئذ واجدون لملاك الاختيار أي ملاك كونهم مختارين (بالفتح) فلابدّ من أن يكونوا خيرة، وهذا بخلاف غيرهم حتى بالنسبة إلى الملائكة، بل وبالنسبة إلى الأنبياء فإنهم (أي الملائكة والأنبياء) إذا لوحظوا بالنسبة إليهم عليهم السلام كان فيهم نقص ما يوجب نفي بعض مراتب الخير ومصاديقه، فلم يكونوا (أي الملائكة والأنبياء) خيراً محضاً، فلا يكونوا بقول مطلقاً مختارين (بالفتح) له تعالى.

ثم إن معنى هذا الاختيار هو الإبانة والاستخلاص والاختصاص.

أمّا الإبانة: فلأجل واجديتهم ملاك الخيرة أبانهم اللّه تعالى، أي فضّلهم عن ساير الخلق، فلم يهملهم في الخلق بلا رعاية منه تعالى لهم، بل ابانهم عليهم السلام منهم أي جعلهم في مرتبة خاصة لهم.

وأما الاستخلاص: فمعناه أنه تعالى لما أوجدهم واجدين لملاك الخير كلّه، فاستخلصهم لنفسه بان منحهم مقام القرب والولاية الكبرى الإلهية، وساير ما اختصّهم عليهم السلام كما تقدمت الإشارة إليه.

وأمّا الاختصاص: فمعناه أنه تعالى اختصهم بذلك المقام الرفيع لذلك الملاك بحيث لم يشاركهم في مقامهم أحد من الخلق، كما يشير إليه ما سيأتي في شرح قوله عليه السلام: «آتاكم اللّه ما لم يؤت أحداً من العالمين» فهم عليهم السلام في مقام لا يساويهم أحد، ولا يدانيهم أحد، فضلاً عن أن يفوقهم أحد، كما دلّت عليه كثير من الأخبار المذكورة في هذا الشرح في مظانّها، ويدلّ على هذه الأُمور الثلاثة ما تقدم من خطبة أميرالمؤمنين عليه السلام آنفاً في صلوٰة يوم عيد الغدير

والجمعة.

ثم إن الاختيار لما كان معناه ما قلناه من تلك الأُمور الثلاثة، فيلزمها أنهم عليهم السلام خاصة اللّه، وهم أبداً عنده تعالى فلا يفقدون الباري تعالى بالحجاب أبداً. كما أنه تعالى لا يفقدهم حيث ما يريدهم من مقام الطاعة والقرب. فلا يكون فيهم عليهم السلام ما يوجب نفي القرب عنه تعالى مما ليس فيه رضاه تعالى.

وإلى هذا يشير ما تقدم عن المفضل، عن الصادق عليه السلام حينما ذكر عليه السلام بعض ما خصّهم اللّه تعالى به، وفيه قال له المفضل: هل بذلك شاهد من كتاب اللّه تعالى؟ قال: نعم يا مفضل، قوله تعالى: ﴿**وله ما في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون**﴾ إلى قوله ﴿**ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون**﴾ ويحك يا مفضل أتعلمون أن ما في السموات هم الملائكة، ومن في الأرض هم الجن والبشر، وكلّ ذي حركة، فمن الذين قال: ومن عنده، قد خرجوا من جملة الملائكة والبشر. وكلّ ذي حركة، فنحن الذين كنا عنده ولا كون قبلنا، ولا حدوث سماء ولا أرض، ولا ملك ولا نبي ولا رسول، الحديث.

فحقيقة الاختيار بماله من المعنى المتقدم هو الكون عنده تعالى. وهذا مقام لا يدانيه مقام، إذ فيه حقيقة الاختصاص والاصطناع لنفسه (أي الاستخلاص) وهذه الأُمور هي نتيجة الاختيار.

وإليه يشير أيضاً: «نحن صنايع ربنا والخلق بعد صنائع لنا» أي اصطفينا لنفسه وهو معنى الاختيار، وصنع الخلائق لنا، وهو معنى قوله تعالى في الحديث القدسي: «خلقتك لأجلي وخلقت الأشياء لأجلك»، كما لا يخفى. والحمد للّه أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

قوله عليه السلام: وحزبه

في المجمع: الحزب (بالكسر فالسكون) الطائفة وجماعة الناس، قال اللّه تعالى ﴿أولئك حزب اللّه ألا إن حزب اللّه هم المفلحون﴾[1].

ففي اللوامع النورانية (للسيد البحراني رحمه الله) علي بن إبراهيم: أولئك حزب اللّه يعني الأئمة عليهم السلام أعوان اللّه ﴿ألا إنّ حزب اللّه هم المفلحون﴾ وقال تعالى في المائدة: ﴿ومن يتول اللّه ورسوله والذين آمنوا فان حزب اللّه هم الغالبون﴾.

ففي تفسير نور الثقلين[2]، عن احتجاج الطبرس، عن أميرالمؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه: والهداية هي الولاية كما قال اللّه عزوجل: ﴿ومن يتول اللّه ورسوله والذين آمنوا فإن حزب اللّه هم الغالبون﴾ الذين آمنوا في هذا الموضع هم المؤتمنون على الخلائق من الحجج والأوصياء في عصر بعد عصر.

أقول: فقوله تعالى: ﴿فإن حزب اللّه﴾ الآية، خبر لقوله: ومن يتول اللّه وقوله: ﴿والذين آمنوا﴾ وإنما أدخل عليه الفاء لما أشرب فيه معنى الشرط، فالمعنى: هؤلاء المؤمنون (أي المؤتمنون) هم حزب اللّه الغالبون.

وفيه عن كتاب التوحيد، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: يجيء رسول اللّه صلى الله عليه وآله يوم القيمة آخذاً بحجزة ربّه، ونحن آخذون بحجزة نبينا، وشعيتنا آخذون بحجزتنا، فنحن وشيعتنا حزب اللّه، وحزب اللّه هم الغالبون، واللّه ما يزعم أنها حجزة الازار. ولكنها أعظم من ذلك، يجيء رسول اللّه صلى الله عليه وآله آخذاً بدين اللّه، ونجيء نحن آخذين بدين نبينا، وتجيء شيعتنا آخذين بديننا.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «يا علي حزبك حزبي وحزبي حزب اللّه».

وفي المحكى عن الأمالي، عن علي عليه السلام قال: نحن النجباء وحزبنا حزب اللّه، وحزب الشيطان الفئة الباغية.

---

١ ـ المجادلة: ٢٢.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٥٣٧.

وعن تفسير الواحدي في قوله تعالى: ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾ يعني شيعة الله ورسوله هم الغالبون.

وفي زيارة الحجة عليه السلام: أشهد أن حزبك هم الغالبون.

فقوله عليه السلام: وحزبه، إشارة إلى أنهم الغالبون وهم أحسن مصاديق حزب الله.

هذا ولكن المهم بيان أن الغلبة كيف صارت لحزب الله تعالى فلابدّ من بيان سرّه فنقول: الظاهر من قوله تعالى: ﴿ومن يتول الله ورسوله﴾ هو أن من فوض أمره إلى الله تعالى، واعتصم به، وقام بواجب حقه، فلا محالة يكون مؤيداً بنصر الله وتأييده، فإن هولاء قد تبرّأوا من حولهم ومن قوتهم، والتجأوا بحوله تعالى وقوته، فلا محالة تكون لهم الغلبة.

ثم إن تولي الله ورسوله قد يكون في أخذ العلم ومعالم الدين منهم، وقد يكون في متابعتهم صفة وعملاً وحالاً، ففي جميع هذه المراتب إنما تكون الغلبة لمن كان من أهل ولايتهم.

وبعبارة أُخرى: قد علمت من حديث الاحتجاج أن الذين آمنوا في هذا الموضع هم الأئمة عليهم السلام وهم عليهم السلام كما تقدم مراراً حقيقة الأسماء الحسنى الإلهية، وهم القائمون بقدرة الله في عالم الوجود، كما تقدم قوله صلى الله عليه وآله: وكان نوري محيطاً بالعظمة، ونور علي محيطاً بالقدرة» فلا محالة تكون الغلبة للأئمة عليهم السلام ولمن تولاهم، كما صرّح به صدر الآية الشريفة وقال تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ فدلّ هذا على ثبوت الغلبة لرسله كما قال أيضاً: ﴿إن الله بالغ أمره﴾ فدلّت هذه الآيات على أن الغلبة كانت في حزب الله الذين هم الأئمة عليهم السلام.

وبعبارة أُخرى: أنه تعالى لما خلقهم في أول الإيجاد، وحمّلهم علمه، وجعلهم حقائق أسمائه الحسنى، فلا محالة لا تكون الغلبة لشيء إلّا هم عليهم السلام فإنهم قدرة الله ويد الله وجنب الله وحزب الله الغالبون، فجميع الخلائق في قبضتهم، كيف لا وقد خلق الله الخلق من فاضل أشعة أنوارهم، ومن عكوس تلك الأشعة خلق

أعداءَهم؟! وقد علمت فيما تقدم أن جميع الإمدادات الإلهية لجميع الخلائق إنما هي بهم عليهم السلام فهم يد اللّه، التي في قبضتها ملكوت كلّ شيء، وكلّ شيء مطيع لهم، كما علمت من حديث عبداللّه بن شداد عن الحسين عليه السلام: واللّه ما خلق اللّه شيئاً إلّا قد أمره بالطاعة لنا.

فإذا كانوا عليهم السلام كذلك فلا محالة كلّ من تولّاهم كان في حزبهم الغالب وقد أمرنا بذلك، وإليه يشير ما في دعاء الصباح والمساء: «أصبحت اللهم معتصماً بذمامك المنيع، الذي لا يطاول ولا يحاول» إلى قوله: «في جنة من كل مخوف بلباس سابغة ولاء أهل بيت نبيك محتجباً من كل قاصد لي إلى أذية بجدار حصين الاعتراف بحقهم موقناً أن الحق لهم ومعهم وفيهم وبهم» الدعاء.

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام في المحكى عن أنيس السمراء في دعاء له، إلى أن قال: «لم تكن الدعائم من أطراف الأكناف، ولا من أعمدة فساطيط السجاف الأعلى كواهل أنوارنا».

وفيه أيضاً من قوله عليه السلام: «نحن العمل ومحبتنا الثواب، وولايتنا فصل الخطاب، ونحن حجبة الحجاب..».

وحاصل كلامه عليه السلام: أن دعامة عالم الوجود وأكنافه من اظلاله وحضائره، وفسطاط أهل العالم ومجامعهم، واستار العوالم الوجودية كلها من أكوانها وأعيانها وهيا كلها وأحوالها، وأفعالها وأقوالها وأعمالها وحركاتها وسكناتها، وارتباطات بعضها ببعض ونسبتها، لم تكن تلك كلها إلا على كواهل أنوارنا، وأظهر قوانا النورانية، فلا يقوم شيء من خلق اللّه إلّا بقيوميّة أنوارنا، وذلك لما قاله عليه السلام من ان الدهر الذي هو عنوان ما سوى اللّه قد قسمت حدوده بأقسامها وفصولها فيهم عليهم السلام أي هم العالمون بها وبحدودها.

وهم القائمون بإدارتها واخذ منهم هم عليهم السلام العهد للقبول منهم، ولا يخفى عليهم شيء من أمرهم، فحينئذ لا أمر منه تعالى لأحد إلّا لأجلهم، ولا ثواب إلّا محبتهم التي

فيها جميع نعم اللّه تعالى، إذ بولايتهم يفصل الخطاب عمّن قبل ولايتهم، فما ميّز من الباطل من لم يقبل ولا يتهم ولم يعمل بأمرهم فولايتهم فصل الخطاب والنجاة من العذاب، والدخول في الأمن الإلهي، كيف وهم حجبة الحجاب فإن النبي ﷺ هو الحجاب الأكبر له تعالى، وهم عليهم السلام حجبته ﷺ والمقربون إليه ﷺ فهم الحجبة بالنسبة إلى الخلق بينهم وبينه ﷺ.

ومن المعلوم أنه لا فيض إلّا بهعليهم السلام ولا وسيلة بين الخلق وبينهعليهم السلام إلّا همعليهم السلام.

فتحصّل ممّا ذكر: أن الغلبة إنما هي لهمعليهم السلام ولمن تولاهم في الدنيا والآخرة، ولهذا الكلام مزيد بحث لا يسعه المقام واللّه العالم، والحمد للّه أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

قوله عليه السلام: وعيبة علمه

قال في المجمع: والعيبة (بالفتح): مستودع الثياب، أو مستودع أفضل الثياب، وعيبة العلم على الاستعارة.

أقول: فالعلم باعتبار على قسمين:

ـ قسم منه مبذول بين الناس وهو ما يرجع إلى أُصول دينهم وفروعه ممّا لابدّ من تعلّمه، وقد بيّنوهعليهم السلام للناس.

ـ وعلم مكنون لا يظهروه إلّا لأهله فهو أفضل العلم ومستودع عندهم في السّر، إذ هم خزنة علم اللّه ومستودع سرّه.

في بصائر الدرجات[1]، بإسناده عن عبدالرحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبداللّهعليه السلام يقول: نحن ولاة أمر اللّه، وخزنة علم اللّه، وعيبة وحي اللّه، وأهل دين اللّه، وعلينا نزل كتاب اللّه، وبنا عبداللّه، ولولانا ما عرف اللّه، ونحن ورثة بني اللّه وعترته.

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٦١.

وفي البحار[١]، عن كتاب المحتضر للحسين بن سليمان، رواه من كتاب الخطب لعبد العزيز بن يحيى الجلودي قال: خطب أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: «سلوني قبل أن تفقدوني، فأنا عيبة رسول الله صلى الله عليه وآله سلوني فأنا فقأت عين الفتنة بباطنها وظاهرها، سلوا مَن عنده علم البلايا والمنايا والوصايا وفصل الخطاب، سلوني فأنا يعسوب المؤمنين حقا وما من فئة تهدي مائة أو تضل مائة إلّا وقد أتيت بقائدها وسائقها، والذي نفسي بيده لو طويت لي الوسادة فأجلس عليها؛ لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم، ولأهل الزبور بزبورهم، ولأهل الفرقان بفرقانهم».

قال: فقام ابن الكوّا إلى أميرالمؤمنين وهو يخطب بالناس فقال: يا أميرالمؤمنين اخبرني عن نفسك، فقال: ويلك أتريد أن أزكّي نفسي، وقد نهى الله عن ذلك، مع أني كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني، وإذ سكّت ابتدأني، وبين الجوانح منّي علم جمّ، ونحن أهل البيت لا نقاس بالناس.

أقول: ومثله كثير من كلامه عليه السلام كما لا يخفى على المتتبع.

ويمكن أن يراد من كونهم عيبة علم الله ما حاصله: أنهم عليهم السلام بعدما أشهدهم الله خلق السموات والأرض والأشياء، وحملهم علمه، كما صرحت به الأحاديث الكثيرة، فلا محالة يكون لهم علم بالأشياء بالنسبة إلى جميع ما سوى الله بجميع شؤونها وأقسامها، وأحوالها وأطوارها، وأعراضها وحدودها ومكائيلها كما علمت ذلك من حديث المفضل السابق ذكره، وهذا العلم لا محالة لا يكون لغيرهم، بل هو أولاً وبالذات يكون للّه تعالى.

ثم إنه تعالى منحهم ذلك العلم لما جعلهم قواماً للحق، ولما فوّض إليهم أمر الخلق، كما علمت من التفويض المجاز، وسيأتي توضيحه، فهم عليهم السلام عالمون بالخلق

---

١ ـ البحار ج٢٦ ص١٥٢.

من حيث وعاء وجودهم في الزمان والمكان، ولساير الخصوصيات بهذا العلم، وهو العلم المستودع عندهم منه تعالى، لا يعلمه إلّا هم من تعليمه تعالى إياهم، ولا يمكن لغيرهم أن يعلموه وإلّا لكانوا في رتبتهم مع أنه عليه السلام قال: ونحن أهل بيت لا نقاس بالناس، وسيأتي في شرح قوله عليه السلام: «آتاكم اللّه ما لم يؤت أحداً من العالمين»، ما يزيد لهذا توضيحاً، والحمد للّه رب العالمين.

قوله عليه السلام: وحجته

في المجمع: والحجة (بضم الحاء) الاسم من الاحتجاج، قال تعالى ﴿فللّه الحجة البالغة﴾[1] وقيل: الحجة البرهان والدليل.

فنقول: لاريب في أنهم عليهم السلام حجج اللّه تعالى على الخلائق من الملائكة والأنبياء والخلق أجمعين، والكلام يقع في أمور ثلاثه:

الأول: في أنهم لماذا صاروا حجة اللّه على الخلق أجمعين؟

الثاني: في لزوم الحجة على الخلق من اللّه تعالى وعدمه.

الثالث: في كونهم عليهم السلام حجج اللّه على جميع الخلائق حتى الملائكة والأنبياء في جميع العوالم من عالم الأرواح، وما دونه وكذا يوم القيمة .

أمّا الأول: فنقول: الوجه والسّر في أنه تعالى جعلهم الحجج على الخلائق دون غيرهم، هو أنه تعالى خلقهم كاملين في العلم والمعارف، وحمّلهم علمه، وأعطاهم حكمته، واتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين.

ففي بصائر الدرجات ما تقدم عن الصادق برواية عبدالرحمن بن كثير.

وفيه بإسناده عن عبداللّه بن أبي يعفور، قال: قال لي أبو عبداللّه عليه السلام: يابن أبي يعفور إن اللّه تبارك وتعالى واحد متوحد بالوحدانية متفرد بأمره، فخلق خلقاً

---

١ ـ الأنعام: ١٤٩.

ففرّدهم لذلك الأمر فنحن هم، يابن أبي يعفور فنحن حجج اللّه في عباده، وشهداؤه في خلقه وأمناؤه وخزّانه على علمه، والداعون إلى سبيله، والقائمون بذلك، فمن أطاعنا فقد أطاع اللّه.

أقول: ومثله كثير من الأحاديث، فدلّ هذا ونحوه على أنهم إنما صاروا حجج اللّه، لما أفردهم اللّه لأمره، وهم أهل دينه وخزنة علمه، فبهذا الملاك والواجدية صاروا حجج اللّه على الخلق دون غيرهم، فبهم عرف اللّه وعبد لا بغيرهم كما لا يخفى.

أمّا الثاني: (أعني لزوم الحجة والاضطرار إليه) فلما ذكره الصادق عليه السلام في الوافي عن الكافي بإسناده عن أبي عبداللّه عليه السلام أنه قال للزنديق الذي سأله: من أين أثبت الأنبياء والرسل؟ إنا لما اثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً، لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه، ويحاجّهم ويحاجّوه، ثبت ان له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم.

فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبرون عنه جلّ وعزّ، وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبون في الحكمة مبعوثون بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم، مؤيّدون عن الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين؛ لكيلا تخلو أرض اللّه من حجة، يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته.

أقول: وهذا الحديث كاف في إثبات لزوم الحجة، ومثله كثير من الأخبار وبيان الأعلام، فمن أراد الاطلاع عليها فليراجع المطوّلات مثل الوافي ونحوه.

وفي كمال الدين وتمام النعمة بإسناده عن أبي الحسن الأول (يعني موسى بن

جعفر عليه السلام قال: ما ترك الله عزوجل الأرض بغير إمام قطّ منذ قبض آدم عليه السلام، يهتدى به إلى الله عزوجل، وهو الحجة على العباد مَن تركه ضلّ، ومن لزمه نجا حقّاً على الله عزوجل.

وفيه بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته وهو يقول: لم تخل الأرض منذ كانت من حجة عالم، يحيي فيها ما يميتون من الحقّ، ثم تلا هذه الآية: **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾**.

وفيه عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: الحجة قبل الخلق مع الخلق وبعد الخلق.

وفيه عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن الأرض لم تخل إلّا فيها عالم كيما إن زاد المسلمون شيئاً ردّهم إلى الحق وإن نقصوا شيئاً تمّمه لهم.

وفيه عن أبي الحسن الليثي قال: حدثني جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن في كل خلف من أُمتي عدلاً من أهل بيتي، ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين وإن أئمتكم قادتكم إلى الله عزوجل، فانظروا بمن تقتدون في دينكم وصلاتكم.

وفي هذه الأحاديث دلالة على لزوم الحجة منه تعالى للعباد حفظاً للدين، وردّاً للمبطلين كما لا يخفى.

أمّا الثالث: (أعني كونهم عليهم السلام حجج الله على الكلّ في جميع العوالم).

ففي المحكي عن الاحتجاج، عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الغدير: إن الله قد جعلنا (يعني نفسه والأئمة عليهم السلام حجّة على المقصرين والمعاندين، والمخالفين والخائبين، والآثمين والظالمين من جميع العالمين، الخبر.

وعن كنز الفوائد عن أبي ذر، وفي كتاب سليم بن قيس عنه أيضاً أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن علياً عليه السلام حجّة الله على خلقه، ولم يزل يحتج بعلي في كل أُمة فيها نبيّ مرسل وأشهدهم معرفته، الخبر.

وتقدم الحديث عن بصائر الدرجات الطويل عن أبي عبدالله عليه السلام وفيه: وأُمناء الله على ما أهبط الله من علم أو عذر أو نذر، وشهداؤه على خلقه، والحجّة البالغة على مَن في الأرض، جرى لآخرهم من الله مثل الذي أوجب لأولهم، فمن اهتدى بسبيلهم وسلم لأمرهم، فقد استمسك بحبل الله المتين وعروة الله الوثق، ولا يصل إلى شيء من ذلك إلّا بعون الله. الحديث.

وفي البحار عن مشارق الأنوار بإسناده عن الحسن بن محبوب، عن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: يا علي أنت الذي احتجّ اللّه بك على الخلائق أجمعين، حين أقامهم أشباحاً في ابتدائهم، وقال لهم: ﴿ألستُ بربكم قالو بلى﴾ وقال: ومحمد نبيكم؟ قالوا: بلى، قال: وعلي إمامكم؟ قال: فأبى الخلائق جميعاً عن ولايتك، والإقرار بفضلك، وعتوا عنها استكباراً إلّا قليلاً منهم، وهم أصحاب اليمين، وهم أقل القليل، وإن في السماء الرابعة ملك يقول في تسبيحه: سبحان من دلّ هذا الخلق القليل من هذا العالم الكثير على هذا الفضل الجليل.

وتقدم عن كتاب رياض الجنان: عن أنس بن مالك قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله صلى صلوة الفجر.. إلى أن قال صلى الله عليه وآله: يا علي لقد جعلك الله حجة بالغة على العباد إلى يوم القيامة.

وفي كمال الدين وتمام النعمة بإسناده عن الحارث بن نوفل قال: قال علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله أمنّا الهداة أم من غيرنا؟ قال: بل منّا الهداة (إلى الله) إلى يوم القيمة، بنا استنقذهم الله عزوجل من ضلالة الشرك، وبنا يستنقذهم من ضلالة الفتنة، وبنا يصبحون إخواناً بعد ضلالة الفتنة، كما بنا أصبحوا اخوانا بعد ضلالة الشرك، وبنا يختم الله كما بنا فتح.

وفي بصائر الدرجات[1]، باسناده عن بريد العلجي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٦٣.

عن قول اللّه تبارك وتعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أُمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾** قال: نحن أُمة الوسط، ونحن شهداء اللّه على خلقه وحجته (وحججه ن ل) في أرضه.

وفي تفسير البرهان بإسناده عن سدير، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض.

وفي البحار عن الخصال بإسناده عمّن حدثه، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض.

وفي البحار عن الخصال بإسناده عمّن حدثه، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: إن للّه عزوجل اثني عشر ألف عالم، كلّ عالم منهم أكبر من سبع سمٰوات وسبع أرضين، ما يرى عالم منهم أن للّه عزوجل عالماً غيرهم، وإنّي الحجة عليهم.

وفيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبي سعيد قال: قال الحسن بن علي عليهما السلام: إن للّه مدينة بالمشرق ومدينة بالمغرب، على كلّ واحدة سور من حديد، في كلّ سور سبعون ألف مصراع من ذهب يدخل من كل مصراع سبعون ألف لغة ادميين، وليس فيها لغة إلّا مخالفة للأُخرى، وما منها لغة إلّا وقد علمتها، ولا فيهما ولا بينهما ابن نبيّ غيري وغير أخي وأنا الحجة عليهم.

أقول: ومثله كثير.

وفيه عن السرائر بإسناده عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبداللّه عليه السلام يقول: ما من شيء ولا من آدمي ولا انسي، ولا جني ولا ملك في السمٰوات إلّا ونحن الحجج عليهم، وما خلق اللّه خلقاً إلّا وقد عرض ولايتنا عليه، واحتجّ بنا عليه، فمؤمن بنا وكافر وجاحد حتى السموات والأرض والجبال. الآية.

أقول: لعلّ المراد بقوله: الآية، الآية التي ذكر فيها أنواع الموجودات من قوله تعالى: **﴿إنّا عرضنا الأمانة على السمٰوات..﴾** الآية.

وفيه، ومن كتاب البصائر لسعد بن عبداللّه بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ

اللّه عز وجل خلق جبلاً محيطاً بالدنيا من زبرجدة خضراء، وإنما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل، وخلق خلفه خلقاً لم يفترض عليهم شيئاً ممّا افترضه على خلقه من صلوٰة وزكوٰة وكل يلعن رجلين من هذه الأُمة وسمّاهما.

فتحصّل ممّا ذكرنا من الأحاديث: انهم الحجج للّه تعالى بتمام ملاك الحجية على جميع الخلائق في جميع العوالم: من عالم الأرواح والذّر والدنيا والآخرة وغيرها، هذامع أن العقل يحكم بأنه لابدّ من كونهم حجج اللّه تعالى على الخلق هكذا؛ وذلك بعدما ثبت أنهمعليهم السلام معصومون عن الخطإ والجهل والنسيان والغفلة، والخيانة والطمع، وجميع ما ينافي الركون إليهم في أفعالهم وأحوالهم، وأعمالهم وأقوالهم، وحركاتهم وسكناتهم من بدو خلقهم إلى ختمه في جميع عوالمهم.

بل وثبت أيضاً أنهم في منتهى مرحلة الكمال من العلم والمعارف الإلهية، والحلم والحكم، والكرم والشجاعة، والزهد والعبادة، والورع واليقين، والتقوى والصدق والعفّة، وساير الصفات الحميدة المرغوب فيها، فلا محالة كانوا لمكان تلك الأُمور حجج اللّه تعالى على الخلق أجمعين، إذ الحجة إما يعتمد عليها في مقام الأمر ـ والنهي وبيان المعارف، فهمعليهم السلام لمّا كانوا واردين لحقائق المعارف، وعارفين بحقائق الأوامر والنواهي الإلهية، فلا محالة إذاً أمروا بشيء أو نهوا عنه أو بينوه كان حقّاً، ولابدّ من أخذه ومتابعته والمشي عليه عقلاً وشرعاً، ولانعني بالحجة إلّا هذا.

وإمّا يعتمد عليها في مقام الاقتداء بهم من حيث الكمالات والحالات المعنوية، فيقتدى بها في مقام السير والسلوك إلى اللّه تعالى فلا ريب في أنهمعليهم السلام أحسن مصاديق الكمالات والحالات والمعارف كما دلّت عليه أخبار كثيرة، فهمعليهم السلام الصديقون في جميع شؤونهم وحالاتهم، ،دلّ على ذلك .أنهم أهل طاعة للّه تعالى في جميع أنحاءالعبادة والطاعة، ولم يصدر منهم خلاف ما يقتضي العبودية في جميع الحالات أبداً. وإليه يشير ما في بصائر الدرجات بإسناده عن أحمد بن محمد قال: سألت الرضاعليه السلام عن قول اللّه تعالى: **﴿يا أيّها الذين آمنوا اتقوا اللّه وكونوا مع**

الصادقين﴾، قال: الصادقون الأئمة الصديقون بطاعتهم.

فقوله عليه السلام: بطاعتهم، يشير إلى أنه إنّما يستدل على أنهم صديقون بسبب طاعتهم له تعالى، إذ الطاعة تدل على أنهم في كلّ ما يعتقدون، أو يتصفون، أو يقولون من الوظائف الإلهية صادقون بسبب طاعتهم له تعالى، فيما تقتضيه عبوديتهم له تعالى بالنسبة إلى العقائد والصفات والوظائف؛ ولأجل كونهم عليهم السلام واجدين لحقائق المعارف المستدل عليها بطاعتهم له تعالى كانوا شهداء على الخلق يوم القيمة، كما تقدم مفصّلاً فلكونهم حجج اللّه تعالى صاروا شهداء على الخلق، واللّه تعالى يحتج بهم، ويستشهد بهم على خلقه في مقام إعطاء الثواب أو إجراء العقاب.

فكلّ أحد في مقام التعلم أو المتابعة في السلوك يقتدي بهم عليهم السلام؛ لكونهم حجج اللّه تعالى في هذه الأُمور، هذا مع أنه لم ير أحد من المتابعين لهم، بل ومن المخالفين لهم ما ينافي كونهم حجج اللّه تعالى بل أقرّ الجميع من المؤالف والمخالف على فضلهم عليهم السلام كما سيجيء توضيحه في قوله عليه السلام: فبلغ اللّه بكم أشرف محل المكرمين. هذا مضافاً إلى أن الخلق بجميع أنحائهم من الملائكة والأنبياء والأولياء، بل والحيوانات، بل والجمادات لا يرى ما يميل إليه نفسه ويهواه، ويحبه ويشتهيه بفطرته إلّا وقد رآه موجوداً فيهم عليهم السلام.

فهم (أي الخلق أجمعون) يميلون إليهم عليهم السلام ويحبونهم عليهم السلام ويعظمونهم، ويرونهم حجة له تعالى في المقام الأعلى بفطرتهم، وإليه يشير ما في الاستيذان الذي ذكر للدخول إلى البقاع المشرفة للأئمة عليهم السلام للزيارة من قوله عليه السلام: «ثم مننت عليهم باستنابة أنبيائك؛ لحفظ شرايعك وأحكامك، فأكملت باستخلافهم رسالة المنذرين، كما أوجبت رياستهم في فطرِ المكلفين.. الخ».

فالجملة الأخيرة دالّة على ما قلنا، فثبت أن كونهم عليهم السلام حجج اللّه تعالى ثابتة بالنقل الإلهي والشرعي، وبالعقل والفطرة، وقد أوضحت ذلك الأحاديث الواردة في هذا الباب وفيما ذكرناه كفاية، هذا مضافاً إلى أنه تعالى قد أيّدهم عليهم السلام وايّد كونهم

حججه بأن جعل الآيات والبينات والمعجزات الظاهرات الباهرات صادرة عنهم وبأيديهم وبسببهم دون غيرهم، كلّ ذلك تشييداً له تعالى؛ لكونهم عليهم السلام حججاً له وتثبيتاً لقرب عباده في الركون إليهم عليهم السلام ومتابعتهم، والاعتقاد بكونهم حججه، فأظهر فيهم لخلقه آيات الآفاقي والأنفسي فأراها لهم بهم.

وتقدم قوله عليه السلام: «أيّ آية أعظم منا أراها أهل الآفاق» فراجع، فهم الحجج والآيات الإلهية بوجودهم، وبما صدر منهم من تلك الأُمور الخارقة للعادات والمعجزات الباهرة، إلّا أن الناس قد جحدوها لكفرهم قال اللّه تعالى: ﴿**وكانوا بآياتنا يجحدون**﴾، فروي عن المفضل بن عمر، عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال عليه السلام: «وهي واللّه آياتنا».

أقول: أي التي جحدوها هي آياتهم من أنفسهم المقدسة، وما صدر منهم من تلك الآيات والمعجزات الباهرات، رزقنا اللّه تعالى متابعتهم، واليقين بهم وبولايتهم بمحمد وآله الطاهرين.

قوله عليه السلام: وصراطه

الصراط في اللغة هو الطريق، والصراط هو الجادّة؛ لانه يسترط السابلة، أي يبتلع أبناء السبيل المختلفين، وقيل: لأنهم يسترطون الطريق.

وأمّا بيان كونهم عليهم السلام صراطه تعالى، فهذا يتوقف على بيان الأحاديث الواردة في تلو الآيات المتضمنة لبيان الصراط ثمّ نعقبه بالتوضيح، فنقول:

في تفسير نور الثقلين[1]، عن المجمع: .. وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إن اللّه تعالى منَّ عليَّ بفاتحة الكتاب.. إلى قوله: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ صراط الأنبياء، وهم الذين أنعم اللّه عليهم.

وفيه في تفسير علي بن إبراهيم في الموثق، عن أبي عبداللّه عليه السلام: ﴿**اهدنا الصراط**

---

١ ـ نور الثقلين ج١ ص١٧.

المستقيم﴾ قال: الطريق ومعرفة الإمام.

وبإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: والله نحن الصراط المستقيم.

وفي معاني الأخبار بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ قال: هو أميرالمؤمنين ومعرفته، والدليل على أنه أميرالمؤمنين قول الله عزوجل ﴿**وإنه في أمّ الكتاب لدينا لعلي حكيم**﴾ وهو أميرالمؤمنين عليه السلام في أم الكتاب في قوله: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾.

وبإسناده إلى المفضل بن عمر، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الصراط فقال: هو الطريق إلى معرفة الله عزوجل، وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة:

فأمّا الصراط في الدنيا: فهو الإمام المفترض الطاعة، مَن عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط، الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومَن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة، فتردى في نار جهنم.

وفي معاني الأخبار بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: الصراط المستقيم أميرالمؤمنين عليه السلام.

وفيه بإسناده عن سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام قال: نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم.

وفيه عن أُصول الكافي بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله ﴿**واستمسك بالذي أوحي إليه إنك على صراط مستقيم**﴾، قال: إنك عل ولاية عليّ وعليّ عليه السلام هو الصراط المستقيم.

وفيه عن كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى خثيمة الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام: ونحن الطريق الواضح، والصراط المستقيم إلى الله عزوجل، ونحن نعمة الله على خلقه.

وفي في تفسير العياشي، عن عبدالله بن سليمان قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام

قوله: **﴿قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبينا﴾**، قال: البرهان محمد صلى الله عليه وآله والنور علي عليه السلام: قلت له: صراطاً مستقيماً، قال: الصراط المستقيم علي عليه السلام.

وفيه[1]، عن بريد العلجي عن أبي جعفر عليه السلام قال: **﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾** قال: تدري ما يعني بصراطي مستقيما؟ قلت: لا، قال: ولاية علي والأوصياء، قال: أتدري ما يعني فاتبعوه؟ قال: يعني علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: أو تدري ما يعني ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله؟ قلت: لا، قال: ولاية فلان وفلان والله، قال: أو تدري ما يعني فتفرق بكم عن سبيله؟ قلت: لا، قال: يعني سبيل علي عليه السلام.

فيه عن سعد، عن أبي جعفر عليه السلام: **﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾** قال آل محمد عليهم السلام الصراط الذي دلّ عليه.

وفيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تبارك وتعالى: **﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾** قال: هو والله علي. هو والله الميزان والصراط.

وفيه عن تفسير علي بن إبراهيم، عن أبي جعفر عليه السلام في الآية قال عليه السلام: نحن السبيل، فمن أبى فهذه السبل (فقد كفر، ن خ).

اقول: قوله عليه السلام: فمن أبى فهذه السبل، أي من أبى أن نكون نحن السبل، فهذه السبل المتفرقة ترونها: إنّها لا تهدي إلى الحق بخلاف سبيلنا، فإنها تهدي إليه: ولذا ذكر في بعض النسخ فقد كفر بعد قوله: فهذه السبل.

وفيه عن الاحتجاج، عن النبي صلى الله عليه وآله في خطبة الغدير.. إلى أن قال صلى الله عليه وآله: معاشر الناس أنا صراطه المستقيم، الذي أمركم باتباعه، ثم علي من بعدي ثم من ولدي من صلبه أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون.

---

١ ـ معاني الأخبار ج ١ ص ٦٤٤.

وفيه[١] في تفسير علي بن ابراهيم: وأمّا قوله: ﴿**قل كلٌ متربص فتربصوا** (أي انتظروا أمراً) **فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى**﴾ فانه حدثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: قال: واللّه نحن السبيل الذي أمركم اللّه باتباعه، ونحن واللّه الصراط المستقيم، ونحن واللّه الذين أمر اللّه بإطاعتهم، فمن شاء فليأخذ هنا، ومن شاء فليأخذ هنا، لا تجدون واللّه عنا محيصاً.

أقول: وفي هذا الحديث شرح لقوله عليه السلام في الحديث السابق: فمَن أبى فهذه السبل، كما لوحنا إليه.

وفيه[٢]، وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام: .. إلى أن قال: وقوله: ﴿**وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم**﴾، قال: إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

وفيه عن أمالي الشيخ رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام: مَن أحبّك لدينك، وأخذ بسبيلك، فهو ممن هدى إلى صراط مستقيم، ومن رغب عن هواك وأبغضك وانجلاك، لقي اللّه يوم القيمة لا خلاق له.

وفيه، في تفسير علي بن إبراهيم قال: ﴿**وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون**﴾ قال: عن الإمام لحادون.

وفي اللوامع النورانية[٣] للسيد البحراني (رضوان اللّه عليه) بإسناده عن المفضل بن عمر قال: حدثني ثابت الثمالي، عن سيد العابدين علي بن الحسين (صلى الله عليهما) قال: ليس بين اللّه وبين حجته حجاب، ولا للّه دون حجته ستر، نحن أبواب اللّه، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن موضع سرّه.

---

١ ـ معاني الأخبار ج٣ ص٤١١.

٢ ـ معاني الأخبار ج٣ ص٥٤٨.

٣ ـ اللوامع النورانية ص٨.

وفي مقدمة تفسير البرهان[1]، وفي تفسير القمي وغيره عن الثمالي عن الباقر عليه السلام قال: في قوله تعالى: **﴿صراط الله﴾** يعني علياً، وقال الباقر عليه السلام: معنى علي عليه السلام صراط الله أنه الصراط إلى الله، كما يقال: فلان باب السلطان إذا كان يوصل به إليه، ثم إن الصراط هو الذي عليه علي عليه السلام.

وفيه وفي تفسير فرات عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: **﴿عن الصراط ناكبون﴾** قال: عن ولاية علي عليه السلام، ورواه في كشف الغمة عن علي عليه السلام قال: ناكبون عن ولايتنا.

وفي كنز الفوائد عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: **﴿فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى﴾**، قال: الصراط السويّ القائم (عج) واهتدى من اهتدى إلى طاعته.

وعن الباقر عليه السلام أنه قال: أصحاب الصراط السوي علي عليه السلام.

وعن ابن عباس أنه قال: والله هو محمد وأهل بيته.

وفي البحار عن تفسير القمي: **﴿ان الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾** يعني إلى الإمام المستقيم.

وفيه، عنه: **﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾**، الصراط الطريق الواضح ,وامامة **الأئمة** عليهم السلام .

هذا شطر من الأحاديث الواردة في هذا الباب، ومَن أراد المزيد فعليه بالبحار باب ١٦ في أنهم السبيل والصراط والميزان ج ٣٥، وباب أنهم السبيل والصراط ج ٢٤، وباب الصراط من كتاب المعاد ج ٨.

ثم إنه لابدّ من تقديم أُمور لتوضيح كونهم عليهم السلام صراط الله، الأمر الأول: لاريب في أن للصراط معنىً ظاهرياً وحقيقة معنوية.

أما الأول: فهو قسمان: قسم في الدنيا وقسم في الآخرة.

---

١ ـ تفسير البرهان ص ٢١٢.

والذي في الدنيا: فله مصاديق.

توضيحه: أنه قد تحقق في محله أن الألفاظ موضوعة للمعاني العامة، فكلّ لفظ موضوع لمعنى عام، وله مصاديق مختلفة بحسب الخصوصية والنوعية والفردية، ومتحدة بحسب ذلك المعنى العام الموضوع للمعنى الجامع المشترك بين تلك الأفراد المختلفة:

فمنها: لفظ الصراط فهو كما علمت ما به استراط الطريق. وما به طيّ الطريق بنحو يوصل السابلة إلى المقصد، فهذا المعنى له مصاديق: بعضها في الآخرة وبعضها في الدنيا:

أمّا الدنيوي فمنها: الطريق الذي يسلكه الإنسان للوصول إلى مكان خاص، فالصراط حينئذ هو ما استعمل في المعنى الخارجي.

ومنها: ما يستعمل في طريق تحصيل الغنى، فيقال: التجارة هو الطريق، والصراط لتحصيل الغني، أو في طريق تحصيل الصحه، فيقال شرب الدواء طريق تحصيل الصحة.

وكيف كان فجميع هذه المصاديق مصاديق للصراط، فكما أن الإنسان لا يصل إلى المكان الذي قصده، إلّا بطيّ طريقه ومسافته، كذلك لا يصل إلى تلك المقاصد إلّا بطيّ تلك الوسائل والمقدمات.

إذا علمت هذا فنقول: لاشكّ في أن الوصول إلى نعيم البرزخ والجنة والآخرة بأقسامها وأنواعها متوقفة على معارف وأخلاق وأعمال هي الموصلة إليها، ويعبر عن مجموعها بالدين والشريعة، وحينئذ فصراط نعيم الآخرة وصراط الذي أنعم اللّه عليهم هو الدين والعبادة أعني المشي عليه قال تعالى: ﴿وان اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾.

بقي هنا أمران:

الأول: أن الصراط الذي فسّرناه بالطريق بما له من المعنى العام، ربما يقال

بالفرق بينه وبين الطريق، بأن الطريق هو مطلق طيّ المسافة بذلك المعنى العام، وهذا بخلاف الصراط، فإنه يتبادر منه طيّ مسافة على نحو الاستعلاء على شيء والتحفظ من شيء كالجسر والقنطرة، حيث إن وضع الصراط المفسر بالجسر والقنطرة مثلاً، إنما هو للمشي على شيء يوجب الحفظ من الوقوع في خطر التلف أو الغرق أو الحرق مثلاً، فبينهما عموم وخصوص مطلق فالصراط أخص من الطريق، كما يستفاد ذلك من موارد استعمال الصراط، وهذه الخصوصية التي ذكرناها في معنى الصراط تعتبر في مفهومه، ومع ذلك هو (أي الصراط) من أحد مصاديق معنى الطريق بماله من المعنى العام كما لا يخفى.

الثاني: أن الصراط قد يتصف بالاستقامة كقوله تعالى: ﴿**هذا صراط مستقيم**﴾ ونحوه، فربما يقال: بان التوصيف للاحتراز، فهناك صراط معوّج، وقد يعبر عنه بالسبل المتفرقة، فإن الصراط إذا اعوج صار تلك السبل المتفرقة كما أُشير إليه في الآية السابقة مع تفسيرها فحينئذ نقول: الصراط على قسمين:

* مستقيم: وهو بالنسبة إلى السير المكاني السير الذي يكون في أقصر الخطوط المتصورة بين ابتداء السير والمقصد.

* وغير مستقيم: وهو ما كانت خطوطه معوجة تكون أطول من ذلك الخط المستقيم.

هذا في الصراط المكاني، وأمّا فيما نحن فيه فنقول: فالصراط المعنوي الذي هو الدين. قد يتصف بالاستقامة إمّا باعتبار التوسط وترك الإفراط والتفريط فيه، كما يشير إليه ما في البحار عن تفسير العسكري عليه السلام: الصراط المستقيم صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة:

فأمّا الصراط المستقيم في الدنيا: فهو ما قصر من الغلوّ، وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل.

وأمّا الصراط في الآخرة: فهو طريق المؤمنين إلى الجنة، الذي هو مستقيم لا

يعدلون عن الجنة إلى النار، ولا إلى غير النار سوى الجنة.

وأمّا باعتبار كون سلوكه كسلوك الطريق المستقيم في سرعة الوصول إلى المقصود وقربه، ضرورة أن المشي في الصراط المستقيم أسرع وصولاً من المشي في الصراط والطريق المعوج، أمّا في الدنيا فنرى أن المتابع لهم عليهم السلام في الدين والعلم والمعارف يكون أسرع وصلاً إلى الحق.

ففي البحار[1]، عن بصائر الدرجات، بإسناده عن مقرن قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: جاء ابن الكوّاء إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين ﴿**وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم**﴾ فقال: نحن الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لا يعرف اللّه عزوجل إلاّ بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يعرفنا اللّه عزوجل يوم القيمة على الصراط، فلا يدخل الجنة إلّا من عرفنا ونحن عرفناه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه. إن اللّه لوشاء لعرف العباد نفسه، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى عنه. فمن عدل عن ولايتنا، أو فضّل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون، ولاسواء من اعتصم بما اعتصم الناس به، ولا سواء من ذهب حيث ذهب الناس، ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها من بعض، وذهب من ذهب إلينا إلى عين صافية تجري بأمور (تجري بأمر ربّها، كذا في مختصر البصائر) لا نفاد لها ولا انقطاع.

وتقدم ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال لحكم بن عيينة، وسلمة بن كهيل: «شرّقا وغرّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا».

فقوله عليه السلام: «وذهب من ذهب إلينا إلى عين صافية»، هو حقيقة سرعة الوصول إلى الحق الذي لانفاد له ولا انقاطع، بخلاف من ذهب إلى غيرهم، فإنه ذهب إلى عيون كدرة، من غيرهم لا وضوح لها ولاحق فيها، وكذا قوله عليه السلام: «فلا تجدان علماً

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ٢٥٣.

صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا» فإن العلم إذا كان صحيحاً (أي مطابقاً للواقع) ومأخوذاً عن منطق الوحي، فلامحالة يوصل المتعلم به من هذا العالم له إلى الواقع سريعاً، وإلى مرضاته تعالى سريعاً، وهذا بخلاف المأخوذ من غيرهم فإنه ربما يسلكه إلى وادي الهلاكة والضلالة أو الحيران، كما ترى من المخالفين ومن ذهب إلى عيون الكدرة.

هذا في الدنيا وأمّا السرعة إلى النعيم في الآخرة، ففيه عن مناقب ابن شهرآشوب، تفسير مقاتل، عن عطاء، عن ابن عباس: **﴿يوم لا يخزي اللّه النبي﴾** لا يعذب اللّه محمداً والذين آمنوا معه، ولا يعذب علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وحمزة وجعفراً **﴿نورهم يسعى﴾** يضيء على الصراط لعلي وفاطمة مثل الدنيا سبعين مرة فيسعى نورهم **﴿بين أيديهم﴾** ويسعى عن إيمانهم، وهم يتبعونها (يتبعونهما) فيمضي أهل بيت محمد وآله زمرة على الصراط مثل البرق الخاطف، ثم قوم مثل الريح، ثم قوم مثل عدو الفرس، ثم يمضي قوم مثل المشي، ثم قوم مثل الحبو، ثم قوم مثل الزحف.

ويجعله اللّه على المؤمنين عريضاً، وعلى المذنبين دقيقاً، قال اللّه تعالى: **﴿يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾** حتى يجتاز به على الصراط قال: فيجوز أميرالمؤمنين في هودج من الزمرّد الأخضر، ومعه فاطمة على نجيب من الياقوت الأحمر حولها سبعون ألف حوراء كالبرق اللامع، الحديث.

فقوله: ثم قوم مثل الريح.. ألخ، يشير إل سرعة السير إلى الوصول إلى النعيم يوم القيمة على الصراط، وهذا من أثر سرعة السير إلى الحق من متابعتهم عليهم السلام في الدنيا كما لا يخفى.

ثم إنه يقابل الصراط المستقيم **قسمان من الصراط:**

أحدهما: غير المستقيم وهو الطريق الذي لم يتمحض للقرب إلى المقصد، بل هو بين تقريب وتبعيد نظير الطريق المكاني، الذي هو مشتمل على توجه نحو المقصود

وانحراف عنه، فكأنه مركب من المستقيم وغيره، وبقدر ما فيه من المستقيم يوصل إلى المقصود، وبقدر ما فيه من الانحراف يبعده عنه، ويؤخر الوصول إلى المقصد، فسالك طريق العبودية والطاعة المحضة هو السالك للصراط المستقيم الذي تقدم بيانه.

والآخرون (أي السالك لغير المستقيم) هم الذين خلطوا بينه وبين غيره، فسلوكهم مشتمل على الاستقامة والانحراف، فبقدر ما فيه من الطريق المستقيم يقربون إلى المقصود، فإن كان طريقهم المستقيم غالباً على ما فيه الانحراف أدّاهم لا محالة ولو بعد بطء إلى المطلوب، وإلاّ فهم إمّا هالكون وإما مرجون لأمر اللّه إمّا يعذبهم أو يتوب عليهم.

وثانيهما: الطريق الذي لا استقامة فيه، بل هو انحراف محض كطريق الكفار والمخالفين كما قال عليه السلام: وتدري ما يعني فتفرق بكم عن سبيله؟ قلت: لا، قال ولاية فلان وفلان، وكما قال تعالى: ﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾.

ففي المحكي عن تفسير العسكري عليه السلام عن أميرالمؤمنين عليه السلام في حديث في ذيله قال في المغضوب عليهم: هم اليهود الذين قال اللّه فيهم: ﴿**من لعنه اللّه وغضب عليه**﴾ وفي الضالين قال: هم النصارى الذين قال اللّه فيهم: ﴿**قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً**﴾.

وفي ذيله على ما في تفسير الإمام عليه السلام ثم قال أميرالمؤمنين عليه السلام: كل من كفر باللّه فهو مغضوب عليه وضالّ عن سبيل اللّه.

وعن معاني الأخبار، عن النبي صلى الله عليه وآله: ﴿**الذين أنعمت عليهم**﴾ شيعة علي عليه السلام يعني أنعمت عليهم بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام لم تغضب عليهم ولم يضلّوا.

وعن الكافي في الصحيح عن معاوية بن وهب قال: لأبي عبداللّه عليه السلام: أقول: أمين إذا قالم الإمام ﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾ قال: هم اليهود والنصارى ولم يجب في هذا.

ونقل عن القمي أنه روى بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قرأ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين قال: المغضوب عليهم النصاب والضالين الشكاك الذين لا يعرفون الإمام عليه السلام.

ومثل هذه أخبار كثيرة في مطاوي الأحاديث في الأبواب المتفرقة.

وكيف كان فالصراط المعوج هو صراط الكفار والمغضوب عليهم والضالين، والظاهر أنه يدخل فيهم الجاحد للحق والمعاند له عن علم وتعمد بلا تدارك بالتوبة، والمقصر الذي تهيّئ له أسباب الهداية والرشاد، ولكنه أعرض عنها وعاند وأصرّ على خلافه، فهؤلاء كلّهم داخلون في المغضوب عليهم، كما أن المريد للحق والطاعة ولكن اعتل في تحصيل الحق ومصاديقه إلى أن أخطأ واعتقد خلافه، أو بقي حيران كما يرى من كثير من أهل الخلاف والمتصوفة والفلاسفة، الذين أخذوا دينهم منها، فهؤلاء داخلون في الضالين عن الطريق المستقيم، فإن الضال ليس من يريد الباطل أولا بل الضال من يريد الحق، ولكنه أخطأ بتقصيره عن الجد في التفحص والانقياد للحق.

وبعبارة أخرى: المتوجه إلى الصراط المستقيم إذا عرض له تقصير ما في طلب الهداية. وأخطأ عنه بسبب عدم بذل الجهد بكماله في تحصيل المقصود، فهو ضال عن الحق ومدبر عنه، وقد زلّ عن الحق لاستكباره أو عناده أو لعصبيته.

والحاصل: أنه قد يتوجه الإنسان إلى الحق، ولكن لمكان اتصافه بتلك الصفات الخبيثة من الاستكبار والعناد والعصبية ربما يخطئ ويختار الباطل، أو يتحير فهو من الضالين كما تومئ إليه الأحاديث الكثيرة من قولهم عليهم السلام: «أصول الكفر ثلاثة».

في الخصال[1]، باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أُصول الكفر ثلاثة: الحرص والاستكبار والحسد».

---

١ ـ الخصال ص٧٨.

فأما الحرص فآدم حين نهي عن الشجرة حمله الحرص على أن يأكل منها، وأمّا الاستكبار فإبليس حين أمر بالسجود فأبى. وأمّا الحسد فابنا آدم حين قتل أحدهما صاحبه حسداً.

فالمستفاد منه أن هذه الصفات لها استعداد للوصول إلى الكفر، وإن كان ربما تداركه التوفيق والعناية الإلهية فخلص من الكفر كما في آدمعليه السلام ولكون الحرص سبباً لأكل آدمعليه السلام من تلك الشجرة بحيث يوجب المعصية كلام طويل مذكور في محله، فانه قد حقق أنّ الأنبياء معصومون، فلصدر هذا الحديث معنى لا ينافي عصمة الأنبياء مذكور في محله.

وكيف كان يقابل الصراط المستقيم هذا القسم من الصراط المعوج الموصل إلى النار، وهو صراط الكفار والمغضوب عليهم والضالين والشكاك وما علمت ذكرهم، هذا كله في معنى الصراط في الدنيا بماله من المعنى الظاهري.

وأمّا الصراط في الآخرة بمعناه الظاهر فهو كما في الأحاديث قال اللّه تعالى: ﴿إن ربّك لبالمرصاد﴾.

ففي البحار[1]، وروى عن الصادقعليه السلام أنه قال: «المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة».

وفيه عن أمالي الصدوق بإسناده عن أبي عبداللّه الصادقعليه السلام قال: الناس يمرون على الصراط طبقات، والصراط أدقّ من الشعر ومن حدّ السيف، فمنهم من يمرّ مثل البرق، ومنهم من يمرّ مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ حبواً، ومنهم من يمرّ مشياً ومنهم من يمرّ متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً، وتقدم قول الصادقعليه السلام: «مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة».

وفيه عن معاني الأخبار، عن أبي جعفرعليه السلام قال: قال رسول اللّهصلى الله عليه وآله: يا علي إذا

---

١ ـ البحار ج٨ ص ٦٤.

كان يوم القيمة أقعد أنا وأنت و جبرئيل على الصراط، فلم يجز أحد إلّا من كان معه كتاب فيه براة بولايتك.

وتقدم حديث ابن عباس.

وفيه عن الكافي، عن أبي جعفرعليه السلام قال: قال أبوذر (رضوان اللّه عليه): سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: «حافتا الصراط يوم القيمة الرحم والأمانة، فإذا مرّ الوصول للرحم المؤدي للأمانة نفذ إلى الجنة وإذا مرّ الخائن للأمانة القطوع للرحم لم ينفعه معهما عمل وتكفّأ به الصراط في النار».

وفيه عن النهج: واعلموا أن مجازكم على الصراط، ومزالق دحضه، وأهاويل زَلَلِهِ وتارات أهواله[1].

وفيه عن كتاب فضائل الشيعة للصدوق رحمه الله بإسناده عن السكوني، عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: اثبتكم قدماً على الصراط أشدكم حبّاً لأهل بيتي.

وتقدم أيضاً ما عن تفسير الإمام عليه السلام من معنى الصراط في الدنيا والآخرة.

أقول: لابدّ من تحقيق الكلام في هذه الأحاديث، فنقول: قد دلّت هذه الأحاديث على أنه في يوم القيُمة يوضع جسر على متن جهنم، لابدّ في الوصول إلى الجنة من المرور عليها، فإن المستفاد من الآيات والأخبار ان النار بما هي عذاب تحيط بأهل المحشر، فالوسيلة التي تكون بها النجاة منها هو المعبّر عنه الجسر الموضوع على متن تلك النار، وأما كيفية حقيقتها فمعنى يبعد عن الأذهان معرفتها، ولا طريق إليه إلّا بما يستفاد من الألفاظ المعبّر بها عنه من قولهم عليهم السلام: «إنه جسر أو قنطرة» وهو يقتضي أن يكون كذلك نظراً إلى أن المعاد جسماني كما هي العقيدة وقد حقق في محله، فلا محالة يكونساير مشتملاته أيضاً جسمانياً كما لايخفى.

والاعتبار الصحيح يقتضي أن يكون سلوك ذلك الصراط الاخروي مطابقاً

---

١ ـ نهج البلاغة الخطبة ٨٣ ص ١١١.

لسوك الصراط المتقدم في دار الدنيا، فهو يمرّ غداً على ذلك الصراط على نحو ما كان يسلكه في الدنيا.

نعم ربما يكون سلوكه في الآخرة عليه أحسن وأسرع مما سلكه في الدنيا؛ وذلك لتدارك حالة الرحمة الخاصة الإلهية، ثم إنه قد علمت التعبير عنه فيما رواه الصدوق عن الصادقعليه‌السلام بأنه أدق من الشعر ومن حدّ السيف (وأحد من السيف).

وهذا التعبير يشار به إلى **أمرين**، أحدهما: يكون في الدنيا، وثانيهما في الآخرة.

أمّا الأولى: أنه تقدمت أحاديث كثيرة جدّاً دلّت على أن أمرهمعليهم‌السلام صعب مستصعب، وأنه سرّ مستسر، وأنه لا يحتمله أحد بكنهه إلّا من شاءوا، أو همعليهم‌السلام فقط ومعلوم أن هذه التعابير تدل على غموض أمر الولاية بما هي مظهر للتوحيد، وباطن للرسالة كما تقدم، فقلّ من يحتملها بحقيقتها، كيف لا وهي الأمانة التي عرضت على السمٰوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها؟!

وتقدم أن الولاية الثابتة لهم التي هي ولاية اللّه قد تضمنت معنى التوحيد والمعرفة الإلهية، ولا ريب في أن شأن التوحيد ومعرفته تعالى يكون بمثابة من الدقة إلى حدّ لا يوصف، كيف لا ولا يمكن المعرفة بالكنه لأحد حتى لأشرف المخلوقاتصلى‌الله‌عليه‌وآله فقل ما يكون معرفته مطابقة لما عليه الواقع من جميع الوجوه لغيرهمعليهم‌السلام هذا بحسب واقع التوحيد.

وحينئذ فكما أن وقوع البصر على الشعرة ودركها صعب ومشكل جدّاً فكذلك درك الحقائق يكون دقيقاً يخفى على كثيرين، ولذا ورد في الدعاء: «اللّهمّ اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك» فإن الحقّ ربما يختلف فيه بأن يدعي كلّ واحد أن الحقّ معه، كما نرى من الفلاسفة حيث اختلفوا في علمه تعالى، الذي هو عين ذاته، فعرّفوه بتعاريف ربما تبلغ الى ستة أقوال أو ثلاثة عشر قولاً، كلّ يدعي منهم أن الحق معه ولذا لابدّ في درك الحق الحقيق من الأخذ عمّن يكون منطقه منطق الوحي كالنبي والأئمةعليهم‌السلام كما علمت من قولهصلى‌الله‌عليه‌وآله: فلا تجد أن علماً صحيحاً

إلّا خرج من عندنا.

ثم إن لشأن العبودية له تعالى وتوحيده حدّاً ومعياراً في مقام التعظيم له دقيقاً، يكون الخروج منه لأجل الغلو أو التقصير، خارجاً عن الاستقامة التي تكون مطلوبة من كل أحد، فقلّ أيضاً من يخرج عمّا هو وظيفته في هذا المقام، بنحو ينبغي له تعالى، فذاك دقة عقلية، وهذا دقة عملية؛ ولذا ورد أنهعليه السلام قال: «إياك وان تخرج نفسك من التقصير، وذلك لعدم تحقق العمل بالوظيفة كما ينبغي له تعالى من كل أحد، وبهذه الجهة عبر عن الصراط بماله من المعنى العام المنطبق على الدين والولاية في الدنيا، وعلى الجسر الموضوع على متن جهنم في الآخرة بأنّه أدقّ من الشعر.

وأمّا التعبير عنه بأنه أحدّ من السيف؛ وذلك لأن الأعمال المشروعة، بل والصفات والعقائد إنما تنتج للإنسان الفوز إلى الدرجات العلى، إذا كانت عن اخلاص وعدالة؛ بأن تكون الأعمال صادرة عن إخلاص وإنصاف وعدالة خارجاً عن حدّ الإفراط والتفريط، مستجمعة لجميع الحدود والشرائط الظاهرية المقررة في الفقه، والباطنية المقررة في علمي الكلام والأخلاق؛ لكي تقع صحيحة وكاملة ومقرونة بالقبول، فالأعمال بلحاظ الوجود الخارجي مشروطة بشرائط صعبة، وبلحاظ المنشإ النفساني للعامل فأيضاً مشروطة بشرائط صعبة.

وقد علمت أن الصراط في الآخرة موافق للصراط الدنيوي، وحقيقة الصراط الدنيوي الذي هو الدين المفسر بهذه الأمور من الأعمال المستجمعة لتلك الشرائط التي ذكرنا أنّ تحصيلها صعب جدّاً.

والسرّ فيه أن قولهعليه السلام فيما روى في البحار[1]، عن تفسير علي بن إبراهيم، عن أبي جعفرعليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾، سئل عن ذلك رسول اللّهصلى الله عليه وآله فقال: أخبرني الروح الأمين، إلى أن قالصلى الله عليه وآله: ثم يوضع عليها (اي

---

١ ـ البحارج٨ ص٦٥.

على جهنم) الصراط أدقّ من الشعرة، وأحدّ من السيف، عليها ثلاث قناطر، فأما واحدة فعليها الأمانة والرحم، وأما ثانيها فعليها الصلوة، وأما الثالثة فعليها عدل ربّ العالمين لا إله غيره، فيكلفون الممر عليها، فتحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلوة، فإن نجوا منها، كان المنتهى إلى ربّ العالمين جلّ وعزّ وهو قوله تعالى: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ والناس على الصراط فمتعلق بيد وتزول قدم ويستمسك بقدم، الحديث، أخذنا منه موضوع الحاجة.

فان كون الصراط أحدّ من السيف، فإنما هو لأجل أن المشي على ما يقتضيه الرحم والأمانة، وكذا الصلوة، وخصوصاً عدل ربّ العالمين صعب جدّاً، لأن هذه لا تناسب ما تشتهيه النفس الأمارة بالسوء، فكما أن السيف الحاد يقطع كل شيء، ولا يقاومه شيء إلاّ قدّه، فكذلك الأمانة والرحم والصلوة، ولعل العدل الإلهي لا تقاومه النفس وما تشتهيه، فالمشي عليها صعب جداً يساوي الموت وقطع النفس، ولعله إليه يشير ما في حديث المعراج من قوله تعالى: يموت الناس مرة، ويموت أحدهم في كل يوم سبعين مرة من مجاهدة أنفسهم وهواهم، والشيطان الذي يجري في عروقهم، الحديث.

والحاصل: أن الاستقامة على الحق الحقيق بنحو يقتضيه العدل الإلهي، والصلوٰة التي ينبغي أن يؤتى بها وقت العبادة أحدّ من السيف بحيث لا يبقىٰ للإنسان شيءٌ من آثار النفس والهوى، بل يصير فانياً فيه تعالى كما حقق في محله.

وكيف كان فالناس يوم القيمة مختلفون في المرور عليها، كما يختلفون في الدنيا في القيام بوظائف الدين بنحو يقتضيه الواقع، حيث إن واقع الدين الحقيقي مظلم على الناس، يسعى الناس فيه على قدر أنوارهم، ضرورة أن أمر الدين في الدنيا مشتبه جدّاً، لا يصل إليه أحد إلّا بنور المعرفة، فمن كانت نورانية معرفته أكثر كانت إصابته للحق ومشيه عليه أحسن وأتقن، فيكون أثره في الآخرة بنحو تقدم ذكره من السرعة والبطء المشار إليهما كما لا يخفى.

هذا كله في معنى الصراط الظاهري في الدنيا والآخرة، وأمّا حقيقة الصراط المعنوية التي هي السّر والقوام للصراط الدنيوي والأخروي فحاصله: أنه قد تقدم: أن معرفة اللّه هي معرفة الإمام عليه السلام كما قال الحسين عليه السلام بعدما سئل عن معرفة اللّه، قال عليه السلام: «معرفة أهل كان زمان إمامهم الذي تجب عليهم طاعته» وعلمت معناه.

وأنهم عليهم السلام محال معرفة اللّه، وتقدم الحديث عن البحار عن كنز الفوائد عن داود بن كثير قال: قلت لأبي عبداللّه عليه السلام: أنتم الصلوة في كتاب اللّه عزوجل وأنتم الزكوة وأنتم الحج؟ فقال: «يا داود نحن الصلوة في كتاب اللّه عزوجل، ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج، ونحن الشهر الحرام ونحن البلد الحرام، ونحن كعبة اللّه ونحن قبلة اللّه، ونحن وجه اللّه قال اللّه تعالى: **﴿فأينما تولّوا فثمّ وجه اللّه﴾** ونحن الآيات والبينات» الحديث.

ومثله أحاديث قد تقدم ذكرها وعلمت معنى كونهم عليهم السلام تلك الأمور، ولا ريب في أن تلك الأُمور المذكورة في الحديث المتقدم، خصوصاً مع ما روى الشيخ بإسناده عن الفضل، بإسناده عن أبي عبداللّه عليه السلام أنه قال: «نحن أصل كلّ خير، ومن فروعنا كلّ برّ، ومن البر التوحيد والصلاة والصيام، وكظم الغيظ، والعفو عن المسيء؛ ورحمة الفقير، وتعاهد الجار والاقرار بالفضل لأهله. وعدونا أصل كل شرّ» الحديث. هي كلها حقيقة الدين والشرع المبين، وهي كما صرح في هذين الحديثين ليست إلاّ ذواتهم المقدسة.

وبعبارة أُخرى: أن الدين أُصولاً وفروعاً وأخلاقاً وأعمالاً لو كان تشخصاً حسيّاً، وقالباً مرئياً لكان أميرالمؤمنين والأئمة عليهم السلام لأنهم في كل مقامات الدين قد استجمعوا جميع أنحائه، ففي مقام الإيمان والمعرفة والتوحيد، وسائر المعارف الإلهية هم عليهم السلام كل الإيمان وكل المعارف ومحالها ومظهر التوحيد، كما علمت هذه مما تقدم مفصلاً، وأيضاً فهم عليهم السلام في مقام جميع الأخلاق الحسنة هم الكاملون فيه، بحيث لا يخرج عن صفاتهم شيء من تلك الأخلاق الحسنة، بل لو فرض في أحد صفة زايدة

على ما كان فيهم عليهم السلام في مقام الصفات فهو خارج عن العدالة، وداخل في حدّ الإفراط وليس من جزء الدين.

وأيضاً فهم عليهم السلام في مقام الأعمال تكون أعمالهم هو العمل المطلوب في الدين، ولو لم يكونوا كذلك لم يؤمر بالاقتداء بهم والأخذ بسنتهم والتأسي بهم، هذا مع الآيات والأحاديث الكثيرة في الأبواب المتفرقة، التي قد أمرتنا بمتابعتهم واطاعتهم والتأسي بهم، كما لا يخفى على أيّ مسلم كان ذا حظ قليل من الدين.

إذا علمت هذا فإذا كان الدين حسب ما نطقت به الاخبار الكثيرة صراطاً، وكان الدين تلك الأُمور المذكورة في الحديث السابق ذكره، وكانوا عليهم السلام بذواتهم المقدسة تلك الأُمور، فلا محالة كانت حقيقة الصراط وصورته الخارجية في الدنيا والآخرة صراطاً حقيقياً، وكان ظاهر الدين صراطاً شرعياً، فمن عرفهم عليهم السلام واقتدى بهداهم نجا؛ لأنّ معرفتهم هكذا والاقتداء بهم هو الدين الحقيقي، كيف لا وقد علمت أنه لا يعرف الدين بجميع مراتبه من العلم به، والمعرفة به والوجدان به؛ إلّا بهم فإنهم عليهم السلام بينوه علماً وأظهروه معرفةً وتمثلوه وجداناً خارجياً.

ففي الحقيقة صورة الدين أيضاً هم عليهم السلام إذ لم يعرف الظاهر منه إلّا منهم، كما أن حقيقة الدين أيضاً هم، فحينئذ فهم بقول مطلق الدين، وهم بقول مطلق الصراط في الدنيا والآخرة وفي الظاهر فيهما وفي الحقيقة فالإمام عليه السلام حينئذ هو الصراط صورة وحقيقة، ومعرفته صراط للعارف بهم، إذ علمت أن الإمام والدين متحدان مصداقاً وإن اختلفا مفهوماً، فمعرفة الإمام هو معرفة الدين، ومعرفة الدين والإمام هو الصراط، والعمل به سلوك هذا الصراط، وليس العمل حينئذ إلّا الاقتداء بهم، والاستنان بسنتهم والأخذ بطريقتهم في كل مقام لهم.

وهذا الاقتداء هو عين التمسك بالدين والعمل به، إذ كل شأن من شؤونهم داخل في الدين، وليس للدين شأن خارج عن شؤونهم عليهم السلام فهم عليهم السلام أرباب الدين وحقيقة الدين والصراط المستقيم بقول مطلق، رزقنا اللّه متابعتهم والاقتداء بهم،

والكون معهم في الدنيا والآخرة بمحمد وآله الطاهرين.

الأمر الثاني: قد علمت معنى الصراط بلحاظ السرّ والحقيقة المعنوية، وهو ذواتهم المقدسة بالبيان المتقدم، فحينئذ نقول: المشي في صراطهم عليهم السلام على **قسمين**:

قسم ظاهري وهو المشي على حسب الوظائف المقررة في الشريعة المقدسة من حيث العقائد الحقة، والصفات الحميدة والأعمال الصالحة، وساير الأُمور المدونة فيها، وعلى هذا قاطبة أهل الإيمان بماهم من الطبقات من الزاهدين والعابدين والذاكرين والعلماء وأمثالهم.

وقسم معنوي لا يكون إلّا للأوحدي ولمن سبقت له من اللّه تعالى الحسنى.

وحاصله: أن السير للإنسان كما قد يكون ظاهرياً من العمل بالوظائف، أو الاتصاف بالصفات الحسنة، وهذا سير لا يكون معه شهود للحقائق ولواقع ذواتهم المقدسة عليهم السلام بل غالباً يكون مع الحجاب بين الساير وبينهم عليهم السلام وقد يكون السير معنوياً محضاً.

وحاصله: أن الأئمة عليهم السلام لما كانت ذواتهم المقدسة بالحقيقة أنوار إلهية ومظاهر للتوحيد وللمعارف الحقة، فهم من تلك الجهة هياكل التوحيد ومعانيه، ومظاهر الحق ومرائيه، فهم يسيرون إليه تعالى بتلك الأنوار الإلهية كما عرفتها سابقاً مراراً ومفصلاً فحينئذ نقول: تحقق السير المعنوي للإنسان إنّما يكون إذا كان في قلبه وذاته من تلك الأنوار شعبة بحيث تؤثر فيه من جذباتهم الإلهية، فيكون هذا الساير منجذباً إليه تعالى تبعاً للجذبة التي تكون فيهم عليهم السلام منه تعالى فهم منجذبون إليه تعالى بانجذابهم عليهم السلام إليه بالجذبة الإلهية.

يدل على ما ذكر ما رواه في البحار[1]، عن أمالي الصدوق بإسناده عن أبي عاصم، عن الصادق عليه السلام قال: شيعتنا جزء منا خلقوا من فضل طينتنا، يسوؤهم ما

---

١ ـ البحار ج٦٨ ص ٢٤.

يسؤونا ويسرهم ما يسرنا، فإذا أرادنا أحد فليقصدهم فإنهم الذي يوصل منه إلينا.

وفيه عنه بسناده عن عاصم بن حمزة، عن علي عليه السلام وعن الحارث، عنه عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: مثلي مثل شجرة أنا أصلهاوعلي فرعها والحسن والحسين ثمرتها والشيعة ورقها، فأبى أن يخرج من الطيب إلّا الطيب.

وفيه، عن المحاسن، عن أبي بصير قال: قال أبو عبداللّه عليه السلام: واللّه ما بعدنا غيركم، وأنكم معنا في السنام الأعلى فتنافسوا الدرجات.

وفيه، عنه، عن أبي العلاء قال: قال أبو عبداللّه عليه السلام: إن لكل شيء جوهراً، وجوهر ولد آدم محمد صلى الله عليه وآله ونحن وشيعتنا.

وفيه، عنه، عن سدير قال: قال أبو عبداللّه عليه السلام: أنتم آل محمد أنتم آل محمد وفيه عنه، عن فضيل بن يسار، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: أنتم واللّه نور في ظلمات الأرض.

وفيه[1] عن الكافي، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: شيعتنا أهل الهدى، وأهل التقى، وأهل الخير، وأهل الإيمان، وأهل الفتح والظفر.

وفيه، عن رياض الجنان، عن جابر الجعفي قال: كنت مع محمد بن علي عليهما السلام قال: يا جابر خلقنا نحن ومحبّونا من طينة واحدة بيضاء **نقيّة** من أعلا عليين. فخلقنا نحن من أعلاها، وخلق محبونا من دونها، فإذا كان يوم القيمة التحقت السفلى بالعليا، فضربنا بأيدينا إلى حجزة نبينا، وضربت شيعتنا بأيديهم إلى حجزتنا، فأين ترى يصيّر اللّه نبيه وذريته، وأين ترى يصير ذريته محبينا؟ فضرب جابر بن يزيد على يده وقال: دخلناها وربّ الكعبة.

أقول: فهذه الأحاديث وما شابهها وهو كثير جدّاً دلّت على أن الشيعة تكون حقيقتها من فضل حقيقتهم، فلها الاستعداد وإمكان الالتحاق بهم عليهم السلام في الدنيا،

---

١ ـ البحار: ١٨ ص ١٨٦.

ولهم امكان مشاهدة هذا الاتصال المعنوي، نعم لابد له من طيّ مسافة معنوية ومنازل روحية حتى يصل الإنسان إلى إمامه عليه السلام حالاً وعملاً وعلماً وتشبه به عليه السلام فحينئذ تظهر له معرفة الإمام عليه السلام بالحقيقة على حسب دركه، ولكن لابد من عبادات جسمانية وروحانية، وتقوى ظاهرية وباطنية، واقتداء به في كل الأُمور وتحصيلاً لعلمهم وحالاتهم عليهم السلام.

إذ من لم يكن عنده حظ ما من شيء، لا يعرف حال من له الحظ الأوفر منه، فمن لم يذق شيئاً لم يدر ما حال الذائقين، فكلّ مقام ثابت للأئمة ولأوليائه تعالى، ليس للعبد فيه نصيب فهو محروم عنه، وعن معرفة أهله من هذه الجهة والصفة.

وكيف كان إن معرفة الأئمة عليهم السلام والالتحاق بهم روحاً على نحو اليقين موقوف على حصول الارتباط المعنوي بهم، وظهور مقامات ولايتهم الباطنية على النفس المتصلة بهم عليهم السلام حتى يكون التصديق بإمامتهم وبأحوالهم وبمقاماتهم عن عيان، لا عن خبر وسماع، كما يرى هذا من حال بعض خواصهم عليهم السلام كسلمان عليه السلام ونحوه.

ولنعم ما قيل في بيان هذا الدرك والمشاهدة:

مراديست كه او رانه انتهاست نه غايت
نهايت همه دلها به پيش اوست بدايت
علوم او زطريق تجلى است وتدلى
نه از طريقه بحثاست وعقل ونقل روايت

ويشير إلى أوصاف هولاء وعلومهم وكيفية سيرهم وسرّهم كثير من الأخبار منها في النهج قال عليه السلام في كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي رضي الله عنه إلى أن قال عليه السلام: اللّهم بلى! لا تخلو الأرض من قائم للّه بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، وإما خائفاً مغموراً؛ لئلا تبطل حجج اللّه وبيناته، وكم ذا وأين أُولئك؟ أولئك واللّه الأقلون عدداً، والأعظمون عند اللّه قدراً، يحفظ اللّه بهم حججه وبيناته، حتى يودعوها نظراءَهم،

ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء اللّه في أرضه، والدعاة إلى دينه، اهِ اهِ شوقاً إلى رؤيتهم! انصرف يا كمل إذا شئتَ[١].

وفيه، قال عند تلاوته: **﴿يُسبح له فيها بالغدو والآصال رجالٌ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللَه﴾**: إن اللّه سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاء للقلوب، تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة، وما برِح للّه ـ عزت آلاؤه ـ في البُرهة بعد البُرهة، وفي أزمان الفترات، عبادٌ ناجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الأبصار والأسماع والأفئدة.. إلى أن قال: فلو مثلتهم لعقلك في مقاومهم المحمودة، ومجالسهم المشهودة، وقد نشروا دواوين أعمالهم، وفرغوا لمحاسبة أنفسهم على كلّ صغيرة وكبيرة أمروا بها فقصّروا عنها، أو نُهوا عنها ففرّطوا فيها.. إلى أن قال: لرأيت أعلام هدىً، ومصابيح دجىً، قد حفّت بهم الملائكة، وتنزلت عليهم السكينة، وفتحت لهم أبواب السماء، وأُعِدّت لهم مقاعدُ الكرامات، في مقعد اطلع اللّه عليهم فيه، فرضِيَ سعيهم، وحمد مقامهم..[٢]

وفيه، في وصف سالك الطريق إلى اللّه تعالى: قد أحيا عقله وأمات نفسه حتى دقّ جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربّه.

فقوله: ناجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم، وقوله: ونزلت عليهم السكينة وفتحت لهم أبواب السماء، وقوله وتدافعته الابواب إلى دار

---

١ ـ نهج البلاغة ص ٤٩٥.

٢ ـ نهج البلاغة ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣.

السلامة ودار الإقامة، يبيّن لهم مقاماً شامخاً عنده تعالى، فلا محالة تكون حينئذ أرواحهم معلقة بالمحل الأعلى كما قالهعليه السلام في كلامه مع كميل. وهذا المحل هو المحل المرتبط بمقامهمعليهم السلام المشهودة لهم حينئذ كما لا يخفى.

والحاصل: أن للإنسان سيراً معنوياً إلى الله تعالى حال كونه متصلاً روحاً بهمعليهم السلام ومنجذباً إليه تعالى بانجذابهمعليهم السلام إليه تعالى، فربما يظهر للسالك هذا السير المعنوي في حال الخلسة أو في المنام، فيرى سيره فيها على ما هو عليه من الصورة المعنوية، ويرى نفسه سالكاً فيها، فيكون صراطه المستقيم إليه تعالى وإلى معرفة تلك الصورة والحالة المشهودة له في حال الخلسة، فما ذكر من الأحاديث في صفات الشيعة ونحوها، وحصر الشيعة في تلك الصفات، يشير إليهم بما هم في هذا السير المعنوي كما تقدم.

أقول: لابأس بتفصيل الكلام في هذا المقام، لشرح الصراط المستقيم المعنوي، فاستمع لما يتلى عليك ثم نسئل الله تسأل التوفيق لهذا السير، فنقول: قال الله تعالى: **﴿كلا إن كتاب الفجّار لفي سجّين * وما أدراك ما سجّين * كتاب مرقوم * ويل يومئذ للمكذبين﴾**[1] وقال تعالى في هذه السورة: **﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين * وما أدراك ما عليون * كتاب مرقوم * يشهده المقربون﴾**.

وعن أُصول الكافي بإسناده عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفرعليه السلام يقول: إن الله خلقنا من أعلى عليين، وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إلينا؛ لأنها خلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآية: **﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين * وما أدراك ما عليون * كتاب مرقوم * يشهده المقربون﴾**[2] وخلق عدونا من سجين، وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه، وابدانهم من دون ذلك، قلوبهم تهوى إليهم؛ لأنّها خلقت مما خلقوا منه ثم تلا هذه

---

١ ـ المطفّفين : ٧ ـ ١٠.

٢ ـ المطففين : ١٧ ـ ٢١.

الآية: ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين * وما أدراك ما سجين * كتاب مرقوم﴾.

وعن مجمع البيان، عن البرأ بن عازب قال: قال رسول اللهﷺ: سجين أسفل سبع أرضين.

وعن أُصول الكافي في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفرعليه السلام قال: السجين الأرض السابعة وعليون السماء السابعة.

أقول: السجين مبالغة من السجن، بمعنى الحبس كسكّير وشرّيب من السكر والشرب، فمعناه الذي يحبس من دخله على التخليد؛ لأنه سجن في سجن إلى أسفل سافلين، ويقابله العليون (فهو مبالغة في العلو) ومعناه علو على علو مضاعف، ففيه شيء من معنى السفل الإضافي والانحباس الإضافي بقرينة مقابلته مع السجين.

إذا علمت هذا فاعلم أن للعلوم والمعارف والإدراكات جوهرية نورانية، كما أن للجهل المركب والكفر والشرك جوهرية ظلمانية، ولكلّ منهما عالم وراء هذا العالم، فحقيقة العلوم والمعارف، والكفر والشرك جواهر مجردات عن المادة العنصرية في غيب هذا العالم إمّا في طرف عليين الذي يشهده المقربون من حقيقة محمد وآله الطاهرين، وإمّا في طرف سجين الذي يقابله كما علمت.

فقولهعليه السلام: «إن الله خلقنا من أعلى عليين» يشير إلى تلك الحقيقة الغيبية التي تكون في طرف عليين، كما أن قولهعليه السلام: «وخلق عدونا من سجين» يشير إلى الحقيقة الغيبية التي تكون في طرف سجين، ثم إن قوله تعالى: ﴿**كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾ يدل على أن للنفس والقلب بحسب طبعها الأُولي صفاء وجلاء يدرك به الحق كما هو وتميز بينه وبين الباطل، وتفرق بين التقوى والفجور، كما قال تعالى: ﴿**ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقويها**﴾[1] كما تدل على أن الأعمال السيئة نقوشاً وصوراً في النفس تنتقش وتتصور بها، وتمنعها عن أن تدرك الحق.

---

١ ـ الشمس: ٨.

ويدل أيضاً تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ على أن عمل الخير يراه الإنسان في نفسه كما يومئ إليه ما عن أُصول الكافي رفعه عن بعض قال: قال رسول اللّه ﷺ: تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا فإن الحديث جلاء للقلوب، إن القلوب لترين كما يرين السيف وجلاؤه الحديث.

فيستفاد من المجموع أن للأعمال الحسنة أثراً وهو أنها تصعد بصاحبها إلى ذلك العالم العلوي، كما أن للأعمال السيئة أثراً وهو أنها تهبط بصاحبها إلى ذلك العالم السلفي، وأيضاً أن الأخلاق الحسنة لها صورة بهيّة، كما أن للأخلاق السيئة صورة قبيحة تكون كلّ منهما من نتائج الأعمال الحسنة والسيئة، حيث إن لهما أيضاً تجسّمات حسنة وقبيحة كما حقق في، محله فحينئذ نقول: السير المعنوي الذي هو باطن في الإنسان وفي أعماله الحسنة والقبيحة هو أنه كلما فعل خيراً فهو بمنزلة خطوة معنوية تقربه إلى عليين، فهو سلوكه في الصراط المستقيم، وكلما فعل شرّاً فهو بمنزلة خطوة معنوية تقربه إلى سجين وإلى أسفل سافلين، فهو سلوك له إلى الجحيم.

في تفسير نور الثقلين: روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: أما المؤمنون فيرفع أعمالهم وأرواحهم إلى السماء فتفتح لهم أبوابها، وأما الكافر فيصعد بعمله وروحه حتى إذا بلغ إلى السماء نادى مناد أهبطوا إلى سجين وهو واد بحضرموت يقال له: برهوت.

فدلّت هذه الرواية على ما ذكرناه، بل المستفاد من رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام: أن هيهنا سموات سبعة وأرضين سبعة، لكل منها سكان واقتضاآت وأهل، وكل إنسان بحسب مقام باطنه ساكن في واحد منها على حسب ما تقتضيه أعماله وأخلاقه الحسنة أو السيئة فهو ساكن فيه إن كان واقفاً، وقعدت به تلك الحالات على تلك المنزلة من مراتب العليين أو السجين، وقد يكون توقفه بنحو الإقامة التي تقبل السفر إلى ما بعده إن كان حاله متبدلاً، بحيث لم تكن تلك

الحالات ملكة له وموجبة للسكون فيه كما لا يخفى.

والحاصل: أنّ الإنسان وان كان ببدنه في الدنيا إلّا أنه في الباطن بحسب أعماله وأخلاقه في أحد تلك الأماكن، فسالك السماء والعليين سالك في الصراط المستقيم، وسالك الأرض والسجين سالك إلى الجحيم.

وأمّا بيان السر في أن الأعمال والأخلاق بقسميها كيف يوجبان السير الباطني أما إلى عليين وأما إلى السجين هو أنه: إن المستفاد من أحاديث العقل والجهل أن حقيقة العقل نازلت من عند العرش في مقام القرب إلى اللّه سبحانه، كما أن حقيقة الجهل في مقابله أي في كمال البعد عنه تعالى، وأن حقيقة العقل هو الكلي المجرّد النوراني، وله جنود من الملكات والأعمال والعلوم في عالم المجردات، كما أن الجهل هو الكلي البسيط الظماني له جنود من الملكات والأعمال بنحو الكلي يقابل جنود العقل على نحو مذكور في الأحاديث.

فالعقل والجهل الكليان بمنزلة الأصل الواقع كلّ منهما في عالمه، هذا عند الربّ وفي مقام القرب، وذاك في منتهى مقام البعد عنه تعالى، ولكن جنود كل منهما يظهر فينا، فبقدر ظهور كلّ من الجندين في الإنسان يقرب الإنسان إلى منزل أصله وسلطانه ومأواه، فهو سلوك وصراط بالنسبة إليه، وعلمت أن الأعمال والأخلاق بقسميها يؤثر في الإنسان أثراً بيّناً يكون ذلك الاثر نتيجة سيره إلى الأصل من العقل والجهل الكليين، فالإنسان واقع في هذا الميدان بين جنود العقل والجهل، كلّ منهما يدعوه إلى مقتضاه.

يدلّ على ما ذكرنا ما في الكافي[1]، بإسناده عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبداللّه عليه السلام وعنده جماعة من مواليه، فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبداللّه عليه السلام: اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا فقال سماعة: فقلت: جعلت فداك لا نعرف إلّا ما عرفتنا، فقال أبو عبداللّه عليه السلام: إن اللّه عزوجل خلق

---

١ ـ الكافي ج ١ ص ٢١.

العقل. وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره فقال له: ادبر، فأدبر، ثم قال: اقبل، فأقبل، فقال اللّه تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي.

قال: ثم خلق الجهل من البحر الاجاج ظلمانياً فقال له: ادبر، فأدبر ثم قال له: اقبل، فلم يقبل، فقال له: استكبرت، فلعنه، ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جندياً، فلما رأى الجهل ما أكرم اللّه به العقل، وما أعطاه أضمر له العداوة فقال الجهل: يا رب هذا خلق مثلي خلقته وكرمته وقويته، وأنا ضدّه ولا قوة لي به، فأعطني من الجند مثل ما أعطيته، فقال: نعم، فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي. قال: وقد رضيت، فأعطاه خمسة وسبعين (جندياً)، فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين جندياً الخير وهو وزير العقل، وجعل ضده الشرّ وهو وزير الجهل.

إلى أن قال: فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلّا في نبيّ أو وصي نبيّ، أو مؤمن قد امتحن اللّه قلبه للإيمان، وأمّا سائر ذلك من موالينا فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود، حتى يستكمل وينقى من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء، وإنما يدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده، وبمجانبة الجهل وجنوده، وفقنا اللّه وإياكم لطاعته ومرضاته.

أقول: قوله: «عن يمين العرش من نوره» يدل على ما ذكرنا من أن العقل يكون عند العرش، وفي مقام القرب منه تعالى، وقوله: «لعنه» يدلّ على أن الجهل في منتهى مرتبة البعد، فإن اللعن هو الطرد والبعد كما لا يخفى، وقوله: إنما يدرك ذلك بأن يتصف به بمعرفة العقل وجنوده، أي بتحصيل تلك الحقائق التي هي العقل وجنوده، وبمجانبة الجهل وجنوده أي بالتخلّي عنها، كلّ ذلك بالأعمال الصالحة والعبادات الشرعية والسلوك الصحيح كما لا يخفى.

وفيه[١]، بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن للقلب اذنين، فإذا همّ العبد بذنب، قال له روح الايمان: لا تفعل، وقال له الشيطان: افعل، وإذا كان على بطنها نزع منه روح الايمان.

وفيه عن أبان بن تغلب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من مؤمن إلّا لقلبه أذنان في جوفه، أذن ينفث فيها الوسواس الخناس، وأذن ينفث فيها الملك فيؤيد المؤمن بالملك فذلك قوله: **﴿وأيدهم بروح منه﴾**.

فيعلم من هذين الحديثين أن روح الانسان دائماً بين النفثتين إحداهما من الملك والآخر من الشيطان، فيدعوه اللّه تعالى إليه بلسان الملك والشيطان يدعوه إليه قال اللّه تعالى: **﴿وأنيبوا إلى ربّكم﴾**[٢] وقال تعالى عن لسان الشيطان **﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والمنكر﴾**[٣] فان قبل الروح الدعوة الإلهية ومشي على طبقها فلا محالة يصير إلى العليين، وان قبل دعوة الشيطان الذي هو حقيقة الجهل فلا محالة يصير إلى السجين.

وبعبارة أُخرى: أن اللّه خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، على ما مرّ من الأحاديث، وفي عالم الأرواح خاطبهم بقوله: **﴿ألستُ بربّكم قالوا بلى﴾**، فأصل حقيقته هو ذلك المقام الذي خوطب بذلك الخطاب، وكان في ذلك المقام عارفاً بربّه، ثم نزل بعد ذلك حتى وصل إلى هذا العالم المشحون بأسباب الغفلة، والبعد عن الحضور، وعن تلك المعرفة، ثم إنه بعد ما نزل إلى الدنيا، ونسي ما كان قد عرفه من المعارف الالهية في عالم الأرواح خوطب في الدنيا بالخطاب والأحكام الإلهية الشرعية المتضمنة لبيان العقائد الحقه والأعمال الصالحة والصفات الحميدة؛ ليعرج بسبب امتثالها، ويصل به إلى ذلك المقام الذي كان له أولا؛ ولذا كان روح الصلوة

---

١ ـ الكافي ج ٢ ص ٢٦٧.

٢ ـ الزمر : ٥٤.

٣ ـ البقرة : ٢٦٨.

المأمور بها هو العروج كما ورد: «إن الصلوة معراج المؤمن» فعلمه بهذه الوظائف الشرعية سلوك صراط مستقيم يوصله إلى ربّه، كما تقدم من قول الصادقعليه السلام في حديث ما مضمونه: ومن عمل بما جاء به الرسولصلى الله عليه وآله وصل إلى اللّه.. فهذا السلوك يوصله إلى ذلك المقام الأولى، كما كان واصلاً قبل ذلك في عالم الأرواح، كما علمت حتى يقابل القوس الصعودي القوس النزولي، ولعل إليه يشير قوله تعالى: **﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلّا الذين آمنوا﴾**[1] فتأمل تعرف إن شاء اللّه.

فجميع هذه المنازل والسير إليه تعالى هو بالعقل، الذي به السير إليه تعالى، ضرورة أن حقيقته تقتضي الرجوع إليه تعالى بحقيقته النورية، كما يدل عليه الحديث القدسي: «ادبر فأدبر»، ثم قال له: «اقبل، فأقبل» فإقباله إليه تعالى بعد رجوعه إلى الدنيا وإلى عالم النفس والطبيعة هو السير الصعودي بالنسبة إلى ما كان فيه.

والحاصل: أن العقل ومن كان فيه يكون إدباره رجوعه إلى الدنيا بالسير النزولي، وإقباله هو السير الصعودي إليه تعالى كما لا يخفى، فتأمل تعرف إن شاء اللّه.

ويدل على ما ذكر أيضاً ما في تفسير نور الثقلين: أبيعليه السلام مسنداً عن زرارة قال: سألت أبا جعفرعليه السلام عن قول اللّه عزوجل: **﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾** قال: ثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه يوماً، ولولا ذلك لم يدر أحد مَن خلقه ولا مَن رازقه.

وفيه عن تفسير علي بن إبراهيم مسنداً عن ابن مسكان، عن أبي عبداللّهعليه السلام في قوله: **﴿وإذ أخذ ربك﴾** إلى قوله: **﴿قالوا بلى﴾** قلت: معاينة كان هذا؟ قال: نعم فثبتت المعرفة، ونسوا الموقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحد مَن خالقه

---

١ ـ التين: ٤ ـ ٦.

ورازقه، فمنهم من أقرّ بلسانه في الذر ولم يؤمن بقلبه فقال اللّه: **﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾** فتأمل في الحديثين تعرف ما ذكرناه.

إذا علمت هذا فاعلم: أنه لما كان كل حركة وسكون من العبد إما يقرّبه إليه تعالى وإلى رضوانه ومقام أوليائه، وإلى الإفاضات المعنوية من البركات والثواب الأُخروي، وإمّا يبعده عنه تعالى وعن هذه الأمور، ويقربه إلى الهوان والغضب منه تعالى، وإلى مواطن أعدائه من شياطين الجن والانس والكفرة والشقاوة والبعد والعقاب، وإمّا يوسطه حيث لا خير فيه ولا شر، وذلك لالتباس الأمر عليه في هذه الدار الظلمانية البعيدة عن عالم النور، مع شدة الحاجة إلى معرفة ذلك في جميع أنحاء شؤونه وتنقّلاته، واجتماعاته وافتراقاته وإنكاره وإنظاره ولحظاته؛ ليكون بسبب تلك المعرفة والمشي عليها سالكاً سبيل العليين.

ثم إنه يرى الناس غالباً من القسم الثاني، وأما القسم الأول فقليلون على أنهم على قلتهم يعملون بظاهر الشرع من دون معرفة، ومن دون سير معنوي يجدون أثره في أنفسهم كما لا يخفى، فحينئذ أغلب الناس إما من القسم الثاني وإما من القسم الثالث المتحيّر في السلوك والطريق، وإن كانوا ربما مشوا في الظاهر على ظاهر الشرع، فحينئذ من أهم الأُمور وألزمها بعد الالتزام بالعبودية، وبأصل الدين والمعارف الإلهية هو الاهتداء بتوسط هاد من جنس البشر، وليس هو إلّا النبي والأئمة الاثني عشر (صلوات اللّه عليهم) إذ هو الواسطة بين الحق والخلق في مقام الهداية، والمبين للحق بكلامه وعلمه وخلقه وعمله.

وحينئذ فمن كان اهتداؤه واقتداؤه وعلمه بالإمام عليه السلام أكثر كان أعلم وأعرف بالحق، إذ علمت أن الإمام هو مع الحق والحق معه، وهو مظهر لمعارفه، بل هو عين معارفه كما تقدم، فحينئذ ظهر أنّ معرفته (أي الإمام) معرفة الصراط، وهو (أي الإمام) الصراط، فكما أن المار على الصراط يصل إلى ما بعده سالماً، فكذلك أن المقتدي به علماً وعملاً ومعرفة وروحاً وارتباطاً واتصالاً يكون في الجنة، وهذا هو

حقيقة الصراط وهي حقيقتهم عليهم السلام.

فقوله عليه السلام: «وصراطه» أي صراط اللّه يكون بهذا المعنى، فمن كان ثابتاً معه نجا كالثابت على الصراط،ـ والمتخلّف عنه هالك كالذي زلّ قدمه عن الصراط، وقد علمت أقسام المارّين على الصراط يوم القيمة فيما تقدم، وأقسامهم إنما هي بلحاظ أن الثابت مع الإمام عليه السلام في الدنيا إما ثابت باستقامة وقوة بلا كلفة، بل عن ميل ورغبة، ومحبة وعشق بإمامه بحيث صار فانياً فيه فهو مار على الصراط كالبرق الخاطف، وإما مع كلفة يسيرة فهو كالماشي على الصراط، وإما مع تكلف شديد فهو كمن يمرّ حبواً كما تقدم.

وأما من ثبت مع الإمام في الدنيا تارة، وينحرف عنه أخرى، أو ثبت معه من جهة من الحقائق والمعارف دون جهة كبعض المتفلسفة من المسلمين، فهو يمرّ يوم القيمة على الصراط متعاقباً، تأخذ النار منه شيئاً من انحرافه عنه عليه السلام وتترك منه شيئاً، ولعلّ هذا هو السرّ في أن العبد في صلوٰته يطلب منه تعالى، بعد الحضور بين يدي السلطان المطلق، وعرض العبودية له، وتخصيص الاستعانة الدالة على العجز والنقص، الهداية بقوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ المفسر بمعرفة أميرالمؤمنين.

ومن المعلوم أنه ليس المراد من معرفة الإمام معرفة شكله وأوصافه البشرية، فانها وإن كانت في غاية المطلوبية لما فيه من عجائب اللطف منه تعالى له عليه السلام فالكفار والفجار المشاهدون له عليه السلام يعرفون ذلك وأن الموالين لهم عليهم السلام الغائبين عنهم عليهم السلام وعن خدمتهم لا يشاهدون ذلك، بل المراد معرفة إمامته ومقام ولايته المطلقة الإلهية التشريعية والتكوينية، بما لها من المعنى المتقدم مشروحاً، فالإمام بهذه المعروفية والمنزلة هو مصداق الدين، وحقيقة الصراط المستقيم، فالمقتدي به بنحوما تقدم هو السالك للصراط المستقيم.

فيعلم من هذا أن طلب الهداية إلى الصراط متحد مصداقاً حقيقياً مع معرفة أميرالمؤمنين عليه السلام كما لا يخفى، وأمّا سرّ كون الإمام عليه السلام صراط اللّه، وأن معرفته معرفة

اللّه كما نطقت بـه الأحـاديث والروايـات، وأن السـير الحـقيقي هـو مـعرفتهﷺ والارتباط بهﷺ روحاً وعملاً، فحاصله كما عن بعض الأكابر (رضوان اللّه عليه): أن الذي يظهر من التأمل في الإمام، وفي صفاته أنه مظهر للحق بانيّته أي أنه تعالى أثبت وجوده في العالم بوجود الإمامﷺ إذ هو تعالى الظاهر بهﷺ بوجوه:

منها: أنهﷺ اسماؤه الحسنى، كما تقدم عن الصادق، وعن أميرالمؤمنينﷺ من قولهم: واللّه نحـن الأسماء الحسـنى، ومـعنى كـونهم أسماءَه الحسـنى أنهـا ظـاهرة فيهمﷺ.

وقد علمت سابقاً أنه تعالى إنما عرف نفسه لعباده باسمائه وصفاته، فإذا كانت أسماؤه ظاهرة فيهمﷺ فهم لا محـالة يصيرون عين معرفته تعالى، فهم عين معرفة اللّه تعالى، أي ما به معرفة للخلق، فلا محالة تكون معرفتهمﷺ هكذا معرفة الحق، وهذه المعرفة بهم هكذا هو الطريق والصراط إلى معرفة اللّه تعالى وتوضيحه: أن الإمامﷺ الذي هو مظهر للأسماء الحسنى، لما كان فانياً عن نفسه، وباقياً بـربّه أي ليس في جميع شؤونه استقلال بنفسه، وليس بين جميع شؤونه وحالاته، وبين ربهّ حجاب نفساني وغير نفساني، بل لا يرى منه ظاهراً وباطناً إلّا وهو أثر منه تعالى فقط.

وجميع صفاتهﷺ تكون فانية في ربّه، وفانية عن نفسه المقدسة، أي لا ينسب إلى نفسهﷺ ولا تحدّ بحدود خلقية، بل هي (أي صفاتهﷺ) انعكاس صفات الحق فيهﷺ وهكذا بالنسبة إلى إرادته فهوﷺ فان عن إرادته، بل هو تابع على الإطلاق لإرادة ربّه، أي لا تكون فيهﷺ إرادة إلّا ارادة اللّـه تـعالى، وإرادتـهﷺ انـعكاس إرادته تعالى، وظهور إرادته تعالى فيهﷺ، وهكذا بالنسبة إلى أفعاله فهوﷺ فـان عن افعاله، بل ليس أفعالهﷺ إلّا ظهور أفعاله تعالى، وانعكاس أفعاله تعالى فيهﷺ فهو المظهر للتوحيد ذاتاً وصفة وأفعالاً وما يتبعها.

فإذا هوﷺ مرآة لمعرفة اللّه تعالى بعنوان مطلق ليس فيهﷺ من غيره تـعالى

شيء، ولذا ورد: «أنه مَن أحبّكم فقد أحبّ اللّه، بقول مطلق، ومن عرفهم فقد عرف اللّه بقول مطلق»، نعم حيث انهم عليهم السلام إنما صاروا كذلك بواسطة النبي صلى الله عليه وآله بل ورد: أولنا محمد صلى الله عليه وآله وآخرنا محمد صلى الله عليه وآله وأوسطنا محمد صلى الله عليه وآله، بل له أولاً وبالذات، ثم لهم عليهم السلام تأخراً رتبياً لا زمانياً ولا مكانياً كما علمت من أحاديث بدو خلقهم عليهم السلام بالنورانية، نعم في عالم الوجود في الدنيا بالتدريج فلا محالة كل معصوم يحكي عن المعصومين قبله إلى النبي صلى الله عليه وآله.

فمعرفة الإمام أيّ إمام من المعصومين عليهم السلام وفي أيّ زمان تكون مرآة لمعرفة النبي صلى الله عليه وآله وللإمام قبله أيضاً؛ لأنّه عليه السلام مماثل له صلى الله عليه وآله ونائب عنه صلى الله عليه وآله وخليفة له، وقائم مقامه صلى الله عليه وآله في جميع الشؤون سوى خصائص النبي والنبوة صلى الله عليه وآله كل ذلك لأجل أنهم نور واحد كما علمت، ثم إنه لما كان الإمام مظهراً للأسماء الحسنى، فلا محالة يكون نظام عالم الوجود به عليه السلام ضرورة أن العالم يدور وينتظم بالأسماء كما تقدم كل على حسب ظرفه، فإذا كانوا عليهم السلام مظهراً لها فلا محالة هم نظام العالم، وهم مظهر العدل الإلهي في شؤونه عليه السلام وفي شؤون العباد والخلق كلهم كما لا يخفى.

ثم إن الإمام عليه السلام حاك بوجوده، وبجميع علومه وأفعاله وصفاته عمّا سوى اللّه من شؤون العالم الدنيوي والأُخروي من المبدإ والمعاد، فهو وجود جامع كيف لا وهو الكتاب التكويني الإلهي الجامع كما حقق في محله؟ فحينئذ فالمعرفة به كما هي معرفة للّه تعالى، كذلك هو معرفة للعالم وشؤونه من المبدإ والمعاد فكما هو عليه السلام حاك عما مضى والحال، كذلك حاك عن المعاد بجامعيته فإنه قد علمت أنه عليه السلام وجود جامع، والمعاد ليس إلا هو المجمع، والجمع بين العوالم المتضادة وتوافق العالم وظهور البعض في الآخر.

وجميع هذه ظاهر في صفات الإمام عليه السلام ومن استشرافه عليه السلام على عالم الآخرة، فحينئذ العارف بالإمام بما هو هو هو العارف بأصول الدين، وجميع ما سوى اللّه من المبدإ والمعاد.

والحاصل: أنه عليه السلام هو المجمع لآيات الآفاق والأنفس من اللّه تعالى، فالمعرفة به معرفة بها فيترتب على المعرفة به عليه السلام أنه الحق كما لا يخفى، فتأمل تعرف إن شاء اللّه، وأيضاً أنه عليه السلام مع ماله من هذه المراتب العظيمة عبد مطلق ظهرت فيه العبودية بكمالها وتحققت فيه عليه السلام.

فحينئذ فالمعرفة به عليه السلام معرفة بكيفية العبودية وحقيقتها، كما أنها (أي معرفته عليه السلام) معرفة الربوبية أيضاً، حيث إنه عليه السلام مظهر للربوبية بصفاتها كما علمت، فمتابعة هذا الإمام عليه السلام بما هو كذلك خلقاً وإرادة وعملاً هو العبودية والعبادة والمعرفة باللّه تعالى، فهو حينئذ الصراط الخارجي والتابع له كذلك سالك في هذا الصراط كما لا يخفى.

وبعبارة أُخرى: لما كانوا بنحو قيل فيهم عليهم السلام: «إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه، كما سيجيء شرحه إن شاء اللّه تعالى، فلا محالة يكون الصراط المستقيم الذي هو اكتساب الخيرات كلّها إلى أن يصل الإنسان إلى المقصود الأعلى هو ذواتهم المقدسة عليهم السلام.

فهم عليهم السلام أصل الصراط المشتمل على جميع ما يقرب العبد إلى اللّه سبحانه بهذا الاعتبار، ومعنى المشي في هذا الصراط (اي ومعنى كونهم عليهم السلام صراطاً لتابعيهم) هو أن يحصل في التابع رشحات منه عليه السلام ومن تلك الخيرات التي هو أصلها وفرعها كل بقدر مرتبته وتشيّعه، والسرّ المستسر في كون الشيعة التابع لهم عليهم السلام هكذا يكون ماشياً في الصراط هو أنهم عليهم السلام الأصل للطينة الطيبة، التي هي أصل الخيرات، لقداستها الذاتية، والتي هي طينة المؤمنين والشيعة كما علمت، فالشيعة بطينتهم تكون تبعاً لطينتهم عليهم السلام حيث إنها أصل لها كما تقدم.

ففي الحقيقة رجوع الطينة الفرعية، التي تكون في الشيعة إلى الطينة الأصلية، التي تكون في الإمام هو السير المعنوي، وهو السير في الصراط المستقيم، وهو المراد من قوله عليه السلام: «الشيعة من الشعاع كشعاع الشمس» فكما أن شعاع الشمس تابع

للشمس فكذلك الشيعي تابع للإمامعليه‌السلام كما تقدم التصريح به هكذا في الأحاديث السابقه..؛ لذا عبر عن الشيعة بالجزء في الخبر المتقدم قريباً بهذه العناية، وهو معنى أن الشيعة أخذون بحجزتهمعليهم‌السلام فالإمامعليه‌السلام هو الصراط للكلّ، ولكلّ من تبعهم وخصوصاً للشيعة.

ثم إن معنى كونهم صراطاً أنهم الهداة للخلق بالنسبة إلى جميع المعارف والسعادات والمقامات وهي على **أقسام**.

منها: تعلّم العلم منهمعليهم‌السلام بالمشافهة، أو بمطالعة أخبارهم الحاكية عما صدر عنهم من قول أو عمل، أو بالأخذ عمّن تعلم منهمعليهم‌السلام.

ومنها: الهداية من طرف العقل الذي هو حجة داخلية ابتداءً، وبملاحظة آيات الآفاق والأنفس.

وبعبارة أُخرى: قد يهتدي الإنسان من العقل من حيث هو نور، وقد يهتدي به من حيث أعماله في الآيات الآفاقية والأنفسية.

ومنها: الهداية من طرف ما يجري اللّه تعالى على ألسن العباد من الحكم والنصائح.

ومنها: كما علمت من طرف اتصال النفس المتصف بصفات التشيع بالإمامعليه‌السلام فيستمد منه، كما نقل ذلك عن أولياء اللّه تعالى فهم حين اتصالهم الروحي بإمامهم وبولايته يشاهدون من الحقائق والمعارف ما لا يشاهدونه في غير تلك الحالات، وقصصهم مشهورة وكثيرة.

ومنها: الهداية من طرف صحة الحواس الباطنية المدركة لأمور غائبة عن مشاعر هذا العالم، ففي توحيد الصدوق في حديث: «إن اللّه إذا أراد بعبد خيراً فتح العينين اللذين في جوفه فيبصر بهما الغيب».

ومنها: الهداية بوقوع النور الإلهي في قلبه، كما في حديث عنوان البصري من قولهعليه‌السلام: ليس العلم بالتعلم بل هو نور يقع في قلب مَن أراد اللّه أن يهديه.

والحاصل: أن الإمام عليه السلام مظهر للاسم الهادي بجميع أنحاء الهداية الثابتة والكائنة في الخلق، فالتابع له عليه السلام يهتدي بهداه في جميع هذه المراتب فهو (أي الإمام) صراطه الواضح إليه تعالى في هذه الأُمور تكويناً وتشريعاً، وهو من لوازم ثبوت الولاية التكوينية والتشريعية لهم كما تقدم شرحه مفصلاً، وفي المحكي عن شيخنا البهائي (رضوان اللّه عليه) ما لفظه: واعلم أن أصناف هدايته جلّ شأنه، وإن كانت مما لا يحصر مقداره، ولا يقدر انحصاره إلاّ أنها على **أربعة أنحاء:**

أولها: الهداية إلى جلب المنافع ودفع المضار بإضافة المشاعر الظاهرية والمدارك الباطنية والقوةالعاقلة، وإليه يشير قوله تعالى: **﴿اعطى كلَ شيء خلقه ثم هدى﴾**.

وثانيها: نصب الدلائل العقلية الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد وإليه يشير قوله عزّ وعلا: **﴿وهديناه النجدين﴾**.

وثالثها: الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وإليه يومئ قوله تعالى: **﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾**.

ورابعها: الهداية إلى طريق السير إلى حضائر القدس، والسلوك إلى مقامات الأنس بانطماس آثار التعلقات البدنية، واندراس أكدار الجلابيب الجسمية، والاستغراق في ملاحظة أسرار الكمال، ومطالعة أنوار الجمال، وهذا النوع يختص به الأولياء ومن يحذو حذوهم.

ثم قال: فإذا تلا هذه الآية أصحاب المرتبة الثالثة أرادوا الهداية للمرتبة الرابعة، وإذا تلاها أصحاب المرتبة الرابعة أرادوا الثبات على ما هم عليه من الهدى، كما روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام من تفسير اهدنا بثبتنا أو زيادته.

قوله (رضوان اللّه عليه): وإذا تلا هذه الآية أصحاب المرتبة الثالثة.. الخ. المراد منها قوله تعالى: **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾**، كما يظهر من سياق الكلام، وأنه ذكر هذا الكلام بعض الاعلام في تفسير هذه الآية كما لا يخفى.

أقول: الهداية في جميع هذه المراتب من إفاضات الإمامعليه السلام على الخلق، لمكان ولايتهم عليهم السلام التكوينية كما لا يخفى، ففي الحقيقة هم الصراط في جميع ذلك كما لا يخفى.

هذا وقد يقال: معنى كونهم عليهم السلام صراطه تعالى ما حاصله: أن المستفاد من قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني**﴾[1] هو أن الخلق بجميع أقسامهم وشؤونهم وحدودهم ليسوا إلّا فقراً محضاً ومعدماً محضاً، ليس لهم شيء من الوجود وساير ما به قوامهم في جميع شؤونهم إلّا منه تعالى، فالخلق هو الفقر والعدم وما به حياتهم هو حقائق الأسماء الحسنى الإلهية، كلّ بحسب ظرفه واحتياجه كما تقدم وحيث تقدم: أنهم عليهم السلام الأسماء الحسنى، فلا محالة أن الخلق متقلبون ومتصرفون في تلك الأسماء، فالخلق حينئذ متصرفون في فضائل حقائقهم عليهم السلام وترشحاتها فهم (أي الخلق) دائماً مستفيضون ومتسمدون بواسطة حقائقهم عليهم السلام.

ففي الحقيقة هم عليهم السلام الصراط بحقائقهم إلى مطلوبات الخلق، فلا يصل أحد إلى مقصد وسعادة ومعرفة ومقام إلّا بهم عليهم السلام فالخلق الذي هو الفقر المحض يصل إلى اللّه تعالى، وإلى سائر ألطافه الدنيوي والاخروي بواسطتهم، بل بهذا البيان أن أعداءَهم أيضاً مستفيضون منهم عليهم السلام في الوصول إلى مقاصدهم.

نعم الأعداء محرومون عن كثير من السعادات في الدنيا، وعنها كلياً في الآخرة؛ لعداوتهم الموجبة لانقطاعهم عنهم عليهم السلام الذي يلزم انقطاع الفيض منهم عليهم السلام كما لا يخفى، فحينئذ نقول: فهم عليهم السلام صراط اللّه، أي طريق اللّه إلى خلقه في الخلق والرزق والحياة والممات.

فهذه الأُمور الأربعة تصل من اللّه تعالى إلى الخلق بواسطتهم عليهم السلام، وهم أيضاً طريق الخلق إلى اللّه تعالى في جميع مطالبهم في ذرّات الأُمور الأربعة المذكورة، التي هي أركان ما في الإمكان، فجميع الخلائق يسعون إلى اللّه، وإلى ما منه بدؤهم في

---

١ ـ فاطر: ١٥.

جميع المطالب بأعمالهم وأقوالهم وأحوالهم، ووجوداتهم وقوابلهم بحقيقة استعدادهم كل ذلك بواسطتهم عليهم السلام وهذه الأُمور كلها وجدت في الخلق منهم وبواسطتهم، إذ قد علمت فيما تقدم أن الأئمة عليهم السلام بأنوارهم بدأ الخلق منهم على التفصيل المذكور في الأحاديث، نعم الأعداء خلقوا من أظلة شعاعهم فهم مخلوقون بالتبع كما حقق في محله.

وبعبارة أُخرى: الجعل الإلهي الذي ذرأ فيه جميع الخلائق بما هم عليه وبما هم فيه ولما هم له، عنهم عليهم السلام صدر وبهم ظهر، وفي بطن علمهم أي علمه فيهم بطن وحقائقهم في حقائقهم عليهم السلام بطن واستتر، فالخلائق كلهم قائمون في الوجود بظلّهم الذي مدّه اللّه تعالى شأنه، وجعل الدليل عليهم شمس حقيقتهم عليهم السلام.

والحاصل: أن الفعل مطلقاً منه تعالى، إلّا أنه تعالى يفعل ما يفعل بأسمائه وهم عليهم السلام أسماؤه تعالى، فاللّه تعالى بهم خلق ما خلق، ورزق ما قدر من الأقوات، وأحيا وأمات بهم كما تقدم من قول أميرالمومنين عليه السلام في وصف الإمام: واللّه ما الإمام إلّا من يحيي ويميت، أو ما يقرب منه معنى فراجع.

ثم إنه تعالى لوشاء لأعطى كل واحد من خلقه كل ما شاء كما شاء بمقتضى جوده الكلي، ولكمال غناه عما سواه بحيث لا يوجد جاهل ولا فقير مطلقاً، ولكنه تعالى للطفه ورحمته وحكمته أن جعل الاختلاف في مراتب خلقه من حيث العلم والجهل والغنى والفقر. والقوة والضعف، واقتضت حكمته أنه تعالى يفعل بالأسباب من العلل الأربع الفاعلية والمادية والصورية والغائية؛ لوجود الخلق والرزق والحياة والممات، كل ذلك لتتحقق مظاهر أسمائه الحسنى، التي ربما لا تعدّ ولا تحصى، فجعل أكثر خلقه عاجزاً عن القبول لتلك الاستعدادات العالية للمراتب العالية، بل جعلهم عاجزين عن القبول لإيجاداتهم على ما هم عليه بلا واسطة، بل لم يكونوا كذلك إلّا بالاسباب والمتممات للقوابل، فحيث إن حكمته تعالى اقتضت وجوب الاختلاف في مراتب أنواع الخلقة؛ لظهور مجاري أسمائه الحسنى المتعددة فلا محالة

يكون في الخلق ضعفاء بذاتهم وصفاتهم وإدراكاتهم وساير شؤونهم، ومع ذلك فهم محتاجون في الكمال إلى ما به وصولهم إلى الكمال، فلا محالة حينئذ اقتضت الحكمة الإلهية خلق محمداً وأهل بيته المعصومين عليهم السلام وجعلهم خزائن لتلك الكمالات بأسبابها بحقيقة ما هم عليهم السلام أهله.

فاقتضت الحكمة حينئذ أن يكونوا عليهم السلام خزائن رحمته ومحبته، وأبواب فيضه ومدده، ونواب إفاضاته، وحفظة آلائه ونعمه، وحملة آثار وجوده وكرمه إلى ما شاء من جميع خلقه بأنواعهم وأقسامهم، واقتضت حكمته للزوم حفظ نظام الخلق المشيء وجوده على النحو الأتم الأكمل بلا معارضة أن لا يكون له سبحانه طريق، ولا باب يفيض عند عطاياه، وإمداداته غيرهم عليهم السلام فهم حينئذ صراطه تعالى في علمه تعالى بخلقه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا عين اللّه الناظرة وقدرته عليهم كما قال(ع): أنا قدرة الله وسمعه تعالى لكلامهم كما قال(ع): أنا أُذن الله ورؤيته تعالى لهم على ما هم عليه وإمداده تعالى، بل وقيوميته تعالى إياهم، وجميع ما بهم منه تعالى من خلق ورزق وموت وحياة». ثم إنهم عليهم السلام لما كانوا عالمين بعلمه، وقادرين بقدرته، ومسلطين بالسلطة الإلهية على خلقه تعالى. فلا محالة هم عليهم السلام عالمون بحقائق الوحي الإلهي وبحقائق الموجودات. فهم حينئذ مترجمون لكلامه بنحو يبيّنون معاني الوحي للخلق لكل بحسب فهمه وإدراكه، كما لا يخفى وسيجيء توضيحه إن شاء اللّه، فهم مترجمون للخلق الشرعيات الإلهية، والأمور التكوينية بلوازمها وملزوماتها، فبهم وبحقائقهم خلق اللّه الخلق، وألزمهم التشريع والتكليف من العقائد والأعمال، وبهم خلق الموجودات بمقاديرها وكيفياتها ورتبها وأمكنتها وأوقاتها وآجالها وما يلزمها.

والحاصل: أنه تعالى تقضى بهم قضيته كما تقدم من قول الصادق عليه السلام وكما ورد: إرادة الرب في مقادير أُموره تهبط إليكم، وتصدر من بيوتكم، والصادر عما فصل من احكام العباد. هذا كله بالنسبة إلى ما يصل من اللّه إلى الخلق مطلقاً، واما

بالنسبة إلى ما يصل من الخلق اليه تعالى، فبهم عليهم السلام وبالاتباع لهم عليهم السلام والأخذ عنهم في معالم الدين مطلقاً، والولاية لهم والبراءة من أعدائهم، ومن ولاية أعدائهم والرضا بهم عليهم السلام تقبل الاعمال العبادية، ويدخل الانسان في زمرة المؤمنين، وفي زمرة أولياء اللّه، وبترك الولاية وبقية الأمور ترد الأعمال على صاحبها.

ومما ذكرنا ظهر أنهم عليهم السلام الصراط لما من اللّه تعالى إلى الخلق، وأيضاً الصراط لما من الخلق إليه تعالى من قبول أعمالهم، وتقربهم إليه تعالى، ومشاهدتهم معارفه وحقائق الأشياء، فهم عليهم السلام الصراط المستقيم في ذلك كلّه، وكونهم صراطاً مستقيماً لأجل أن هذا الصراط (أي هدايتهم من اللّه للخلق وسوقهم الخلق مما لهم إليه ووساطتهم لذلك كلّه) إنما هو على حدّ الاعتدال من العدل والحكمة المقتضية لصلاح الخلق - وأخباراتهم وأعمالهم إذا اتبعوهم فيها.

وبعبارة أُخرى: أنهم عليهم السلام يسيّرون الخلق التابعين لهم بنحو خلقهم اللّه تعالى بمقتضى حكمته في علم الغيب، فالتارك لهم إنما هو ظالم وسائر في الفساد وحاكم بالزور، وإلى هذا يشير ما ورد من أنهم عليهم السلام «الصراط المستقيم والقسطاس المستقيم» رزقنا اللّه الاهتداء بهم عليهم السلام والمشي في صراطهم المستقيم بمحمد وآله الطاهرين.

قوله عليه السلام ونوره

في المجمع: والنور كيفية ظاهرة بنفسها مظهرة لغيرها، والضياء أقوى منه وأتم؛ ولذلك أضيف للشمس، وقد يفرق بينهما بأن الضياء ضوء ذاتيّ والنور ضوء عارضيّ، كما في الشمس فإن نورها ذاتي، فيقال: ضياء الشمس بخلاف القمر فيقال: نور القمر، لأنه مكتسب من الشمس كما لا يخفى.

إلى أن قال: والنور: الضياء، وهو خلاف الظلمة وسمّي النبي صلى الله عليه وآله نوراً للدلالات الواضحة التي لاحت منه للبصائر، وسمّي القرآن نوراً للمعاني التي تخرج

الناس من ظلمات الكفر، ويمكن أن يقال: سمّى نفسه تعالى نوراً لما اختص به إشراق الجلال وسبحات العظم التي تضمحل الأنوار دونها، وعلى هذا لا حاجة إلى التأويل.. الخ.

أقول: لابدّ من بيان كونهم عليهم السلام نوراً ثم معنى إضافته إليه تعالى فاللازم ذكر الآيات والأحاديث الدالة على انهم النور وانهم نور اللّه تعالى فنقول:

ففي البحار[١]، باسناده عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿**فآمنوا باللّه ورسوله والنور الذي أنزلنا**﴾ فقال: يا أبا خالد النور واللة الأئمة (النور واللّه نور الأئمة) من آل محمد إلى يوم القيمة، هم واللّه نور اللّه الذي أنزل، وهم واللّه نور اللّه في السموات والأرض، واللّه يا أباخالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم واللّه ينورون قلوب المؤمنين، وحجب نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم، واللّه يا أبا خالد لا يحبنا عبد ويتولانا حتى يطهر اللّه قلبه، ولا يطهّر قلب عبد حتى يسلم لنا، ويكون سلماً لنا إذا كان سلماً لنا سلّمه اللّه من شديد الحساب، وآمنه من فزع يوم القيمة الأكبر.

وفيه، عنه بإسناده عن أبي عبداللّه عليه السلام في قوله: ﴿**نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم**﴾، قال: قال: أئمة المؤمنين نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى ينزلوا منازل لهم.

أقول: أي نورالأئمة يسعى بين يدي المؤمنين.

وفي تفسير نور الثقلين[٢]، عن تفسير العياشي، عن بريد العجلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول اللّه: ﴿**أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس**﴾، قال: الميت الذي لا يعرف هذا الشأن يعني هذا الأمر، وجعلنا له نوراً، إماماً يأتم به يعني علي بن أبي طالب عليه السلام قال: فقوله: ﴿**كمن مثله في الظلمات ليس**

---

١ ـ البحار ج٢٣ ص٣٠٨.

٢ ـ نور الثقلين ج١ ص٦٣٢.

بخارج منها﴾، فقال بيده هكذا هذا الخلق الذي لا يعرف شيئاً.

وفيه[١] علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل **﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ﴾** إلى قوله: **﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾** قال: النور في هذا الموضع أميرالمومنين والأئمة عليهم السلام.

ووفي البحار عن كنز جامع الفوائد باسناده عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته﴾** قال: الحسن والحسين عليهما السلام قلت: ويجعل لكم نوراً تمشون به، قال: يجعل لكم إماماً تأتمون به.

وفي حديث آخر فيه بسند آخر وفيه بعد قوله تأتمون به: وهو علي بن أبي طالب عليه السلام.

أقول: والأخبار في تفسير النور المذكور في القرآن بهم عليهم السلام كثيرة جدّاً كالأحاديث الواردة في تفسير آيةالنور، ونحن نذكر منها في تفسيرها حديثاً جامعاً فيه فوائد كثير.

ففي تفسير البرهان[٢].. وعنه قال: حدثني أبي، عن عبدالله بن جندب، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن تفسير هذه الآية، فكتب إليّ الجواب:

أمّا بعد: فإن محمداً صلى الله عليه وآله كان أمين الله في خلقه، فلما قبض النبي صلى الله عليه وآله كنّا أهل البيت ورثته، فنحن أُمناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا، وأنساب العرب، ومولد الإسلام، وما من فئة تضل مائة إلاّ ونحن نعرف سائقها وقائدها وناعقها، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الايمان وحقيقة النفاق، وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، ويردون موردنا، ويدخلون مدخلنا، ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم إلى يوم القيٰمة.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين: ج ٢ ص ٨٣.

٢ ـ تفسير البرهان ج٣ ص ١٣٥.

نحن الآخذون بحجزة نبينا، ونبينا آخذ بحجزة ربنا، والحجزة النور، وشيعتنا أخذون بحجزتنا، مَن فارقنا هلك، ومَن تابعنا نجا، والمفارق لنا والجاحد لولايتنا كافر، ومتبعنا وتابع أوليائنا مؤمن (والمتبع لولايتنا مؤمن) لا يحبنا كافر، ولا يبغضنا مؤمن، ومن مات وهو يحبنا كان حقّاً على اللّه أن يبعثه معنا، نحن نور لمن تبعنا، وهدىً لمن اهتدى بنا، ومَن لم يكن معنا فليس من الإسلام من شيء، بنا فتح الله الدين، وبنا يختم (يختمه)، وبنا أطعم اللّه عشب الأرض، وبنا أنزل اللّه قطر السماء وبنا آمنكم اللّه من الغرق في بحركم، ومن الخسف في برّكم، وبنا نفعكم اللّه في حياتكم، وفي قبوركم، وفي محشركم، وعند الصراط، وعند الميزان، وعند دخول الجنة، مثلنا في كتاب اللّه مشكاة، والمشكاة في القنديل، فنحن المشكاة، فيها مصباح، المصباح محمد رسول اللّهﷺ المصباح في زجاجة من عنصره الطاهر، الزجاجة كأنها كوكب درّي، توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، ولا دعية ولا منكرة، يكاد زيتها يضيء، ولو لم تمسسه نار، كمثل القرآن نور على نور، إمام بعد إمام، يهدي اللّه لنوره من يشاء، ويضرب اللّه الأمثال للناس، واللّه بكلّ شيء عليم، فالنور عليعليه السلام يهدي اللّه لولايتنا من أحبّ، وحقّ على اللّه أن يبعث ولينا مشرقاً وجهه، منيراً برهانه، ظاهرة عند اللّه حجته، حقاً على اللّه أن يجعل أولياءَنا المتقين والصديقين، والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

فشهداؤنا لهم فضل على الشهداء بعشر درجات، ولشهيد شيعتنا فضل على كلّ شهيد غيرنا بتسع درجات، فنحن النجباء، ونحن افراط الأنبياء، ونحن أولاد الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب اللّه، ونحن أولى الناس برسول اللّهﷺ ونحن الذين شرع اللّه لنا دينه فقال في كتابه: **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك (يامحمد) وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾** قد علمنا وبلغنا ما علمنا واستودعنا علمهم ونحن ورثة أولي العلم وأُولي العزم من الرسل والأنبياء (ونحن ورثة أولي العلم. بحار). **﴿أن اقيموا الدين** (يا آل محمدﷺ)

ولا تتفرقوا فيه﴾ (وكونوا على جماعتكم بحار) كبر على المشركين من اشرك بولاية علي عليه السلام ما تدعوكم (ما تدعوهم) إليه من ولاية علي عليه السلام إن اللّه (يا محمد) يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب من يجيبك إلى ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وقد بعثت بكتاب فيه هدى، فتدبره وافهمه فإنه شفاء لما في الصدور، الحديث بتمامه.

فظهر مما ذكر: أن كلمة نور كثيراً ما في القرآن قد اطلق، وفسّر بهم عليهم السلام ويدل أيضاً على أنهم عليهم السلام نور اللّه ما ورد في بدء خلقهم عليهم السلام وقد تقدم كثير منها.

ومنها: في البحار[1]، عن الكشي، عن الصدوق رحمه الله عن رجاله عن ابن عباس قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وهو يخاطب علياً عليه السلام ويقول: يا علي إن اللّه تبارك وتعالى كان ولا شيء معه* فخلقني وخلقك روحين من نور جلاله فكنا أمام العرش، الحديث.

وفيه[2] عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: إن اللّه تعالى خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته، قبل خلق آدم بأربعة عشر الف عام فهي أرواحنا، فقيل: يا بن رسول اللّه عدّهم بأسمائهم فمن هؤلاء الأربعة عشر نوراً؟ محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين وتاسعهم قائمهم، ثم قال إلى آخر الحديث وقد تقدم بتمامه ظاهراً.

وفيه[3] باب نادر في معرفتهم (صلوات اللّه عليهم) بالنورانية قال: روي عن محمد بن صدقة أنه قال: سأل أبو ذر الغفاري سلمان الفارسي (رضوان اللّه عليهما) يا أبا عبداللّه ما معرفة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام بالنورانية؟ قال: ياجندب فامض بنا حتى نسأله عن ذلك، قال: فاتيناه فلم نجده، قال: فانتظرناه حتى جاء، قال

---

١ ـ البحار ج٥٢ ص٣.
٢ ـ البحار ج ٢٥ ص ٤.
٣ ـ البحار: ج ٢٦ ص ١.

(صلوات اللّه عليه): ما جاء بكم؟ قالا: جئناك يا أميرالمؤمنين نسألك عن معرفتك بالنورانية، قال (صلوات اللّه عليه): مرحباً بكما من وليّين متعاهدين لدينه لستما بمقصّرين، لعمري إن ذلك الواجب على كل مؤمن ومؤمنة، ثم قال (صلوات اللّه عليه): يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أميرالمؤمنين.

قال عليه السلام: إنه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية، فإذا عرفني بهذه المعرفة، فقد امتحن قلبه للإيمان، وشرح صدره للإسلام، وصار عارفاً مستبصراً، ومن قصّر عن معرفة ذلك فهو شاك ومرتاب، يا سلمان وجندب قالا: لبيك يا أميرالمومنين، قال عليه السلام: معرفتي بالنورانية معرفة اللّه عزوجل، ومعرفة اللّه عزوجل معرفتي بالنورانية، وهو الدين الخالص الذي قال اللّه تعالى **﴿وما أمروا إلاّ ليعبدوا اللّه مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة﴾**[1]، الحديث.

أقول: يعرف من هذا الحدث الشريف وجه إضافة نوره، أي إضافة كونهم أنواراً إليه تعالى، وذلك لأن حقيقتهم النوارية هي معرفة اللّه، كيف واللّه تعالى خلقهم من نور عظمته كما علمت، وتقدم الكلام فيه مفصلاً، فظهر مما ذكر أنهم نور اللّه، الذين نوروا العلم بعلمهم الإلهي، وبهدايتهم للخلق إليه تعالى بأقسامها، وبدلالتهم للخلق إليه تعالى حيث إنهم عليهم السلام الأنوار اللائحة، التي تلوح لبصائر الخلق، فيقتدي بهم كلّ على حسب استنارته منهم عليهم السلام وقد تقدم أن تضاعف درجات المؤمنين انما هو على حسب معرفتهم بهم عليهم السلام.

وبعبارة أُخرى: قد علمت أن النور هو الظاهر بنفسه، ومن أسمائه تعالى الظاهر والنور كما ورد نور السموات والأرض، وقد علمت أنهم الأسماء الحسنى، فمظهر هذا الاسم هو ذواتهم المقدسة، فهم بنور اللّه تعالى، وبكونهم مظهراً له ينورون العالم، ويظهرون التوحيد في الوجود بماله من المعاني والمعارف والمظاهر والمصاديق

---

١ ـ البينة : ٥.

في الخلق بذاتهم عليهم السلام نوّروا العالم بنور الوجود في زيارة الحجة(عج): «السلام عليك يا عين الحيوة»، فالوجود لجميع الخلق إنما هو بنورهم.

والحاصل: أن جميع ما سواهم وسوى اللّه تعالى موجود بهم وبنورهم كما تقدم وحقق في محله، ويمكن أن يراد من قوله عليه السلام: ونوره، أيضاً ما ورد في الأحاديث الكثيرة من أن عندهم عليهم السلام النور الذي فسر به سورة إنا أنزلناه.

ففي بصائر الدرجات[١]، بإسناده عن إسحق الحرير قال: كنت عند أبي عبداللّه عليه السلام فسمعته وهو يقول: إن للّه عموداً من نور حجبه اللّه عن جميع الخلائق، طرفه عند اللّه وطرفه الآخر في اذن الإمام، فإذا أراد اللّه شيئاً أوحاه في إذن الإمام.

وفيه[٢] بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو عبداللّه عليه السلام: إنا أنزلناه نور كهيئة العين على رأس النبي صلى الله عليه وآله والأوصياء، لا يريد أحد منا علم أمر من أمر الأرض أو أمر من أمر السماء إلى الحجب التي بين اللّه وبين العرش إلاّ رفع طرفه إلى ذلك النور، فرأى تفسير الذي أراد فيه مكتوباً.

فقوله عليه السلام: إن للّه عموداً من نور، يشير إلى أنّ في قلوبهم عليهم السلام نوراً مرتبطاً بينهم وبينه تعالى، فهم ذلك النور الإلهي المرتبط بهم عليهم السلام وتقدمت الأحاديث الواردة في شرح قوله تعالى: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾[٣] ما فيه ذكر النور، فراجع.

ثم إنه يستفاد من كثير من الأحاديث، وقد تقدم بعضها أن بعض الشيعة والمؤمنين لهم من هذا النور نصيب، فقلوبهم منورة بنورهم عليهم السلام كما تقدم في حديث أبي خالد الكابلي وفي البحار[٤]، عن الكنز بإسناده عن كعب بن عياض قال: طعنت

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٤٣٩.
٢ ـ بصائر الدرجات ص ٤٤٢.
٣ ـ الشورى: ٥٢.
٤ ـ البحار ج ٢٣ ص ٣١٩.

على علي عليه السلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فوكزني في صدري، ثم قال: يا كعب إن لعلي عليه السلام نورين: نور في السماء ونور في الأرض، فمَن تمسك بنوره أدخله الله الجنة، ومن أخطأه أدخله الله النار، فبشّر الناس عني بذلك.

وفيه[١] عن الخصال بإسناده عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما خلق الله عزوجل الجنة خلقها من نور عرشه، ثم أخذ من ذلك النور ففرّقه (فعرفه أوفقذفه،ن) فأصابني ثلث النور وأصاب فاطمة عليها السلام ثلث النور وأصاب علياً عليه السلام وأهل بيته ثلث النور، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى إلى ولاية آل محمد، ومن لم يصبه من ذلك النور ضلّ عن ولاية آل محمد عليهم السلام.

وفي بصائر الدرجات[٢]، باسناده عن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك هذا الحديث الذي سمعته منك ما تفسيره؟ قال وما هو؟ قال: إن المؤمن ينظر بنور الله، فقال: يا معاوية إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية على معرفته يوم عرفهم نفسه فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، أبوه النور وأمه الرحمة، وإنما ينظر بذلك النور الذي خلق منه.

وفيه، في حديث، وفيه بعد قوله عليه السلام: «يوم عرفهم نفسه» فهو المتقبل من محسنهم، المتجاوز عن مسيئهم، من لم يلق الله ما هو عليه (بما هو عليه خ بحار) لم يتقبل منه حسنة، ولم يتجاوز عنه سيئة، رزقنا الله تعالى من نورهم ونور ولايتهم بمحمد وآله الطاهرين.

---

١ ـ البحار: ج ٢٣ ص ٣٠٨.

٢ ـ بصائر الدرجات ص ٨٠.

قوله عليه السلام: وبرهانه. **هذا على نسخة العيون دون التهذيب.**

أقول: سيأتي في الزيارة قريباً قوله عليه السلام: ونوره وبرهانه عندكم، فهنا أطلق النور والبرهان عليهم عليهم السلام بلحاظ ذاتهم وحقيقتهم، وهناك ذكر أن نوره تعالى وبرهانه عندهم عليهم السلام فلعله للإشارة إلى أنه من أراد أن يقف على نوره وبرهانه، فنوره وبرهانه عندهم لاعند غيرهم، فبهذا الاعتبار لابأس بالتكرار، وكيف كان فنذكر شرح البرهان الذي عندهم فيما يأتي، ومنه يظهر إن شاء الله كيفية أنهم عليهم السلام برهانه تعالى بذاتهم، فترقب.

قوله عليه السلام: ورحمة الله وبركاته، قد تقدم بيانه إلّا أن في تكرار هذه الجملة بعد كل تسليمة بناء على أن الجمل إنشائية لا إخبارية يفيد طلب الرحمة منه تعالى لهم عليهم السلام والبركة.

وقد تقدم أن طلب ذلك كالصلوة عليهم يزيد في الألطاف الإلهية لهم عليهم السلام من حيث إن ذاته المقدسة تبارك وتعالى غير متناهية بخلاف ذواتهم عليهم السلام فلا محالة يحسن التكرار، كما يحسن تكرار الصلوة عليهم (عليهم الصلوة والسلام) في كل آن كما لا يخفى.

قوله عليه السلام: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له كما شهد الله لنفسه.

أقول: شرح هذه الجمل يقع في جهات:

الجهة الأولى: في المجمع: قوله: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ قيل: معناه بين وأعلم، كما يقال: شهد فلان عند القاضي، أي بيّن وأعلم لمن الحق وعلى من هو. أي يبين أن الحق ثابت لمن (واللام للنفع) وأنه على من وعلى للضرر.

أقول: أي أنه تعالى بيّن أنه لا إله إلّا هو إما بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وإما باراءته تعالى آياته الآفاقية والأنفسية حتى يتبين لهم أنه الحق، وقوله: أعلم لمن الحق وعلى من، أي يبين تعالى أن الوحدانية والإلهية الحقة يستحق لمن في الوجود،

ويبين أنه لا يستحق إلا لذات الواجب المستجمع لجميع الصفات الجلالية والجمالية، أو فالتوحيد له وحقه تعالى، ويبين أنها ينبغي لجميع الخلق أن يشهدوا على أن التوحيد والوحدانية الحقة يكون له تعالى، فيشهدوا عليه عند الكل خلافاً على المشركين والمنكرين لوحدانيته تعالى، وقيل: الشهادة معناه حضور المشهود به عند الشاهد كما سيجيء توضيحه.

وفيه: والشهيد من أسمائه تعالى وهو الذي لا يغيب عنه شيء والشاهد الحاضر، وفعيل من أبنية المبالغة في فاعل، فإذا اعتبر العلم مطلقاً فهو العليم، وإذا أُضيف إلى الأُمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أُضيف إلى الأُمور الظاهرة فهو الشهيد الخ.

أقول: فالشهيد هو العالم بالأُمور الظاهرة مع إظهارها علناً.

وفيه: وشهدت على الشيء اطلعت عليه وعاينته فأنا شاهد والجمع أشهاد وشهود، وشهدت العيد أدركته وشاهدته عاينته، وشهدت المجلس حضرته وقولهم: الشاهد يرى ما لايرى الغائب، أي الحاضر يعلم ما لا يعلمه الغائب، إلى أن قال: وشهد بكذا، يعدى بالباء لأنه بمعنى أخبر، وأشهد أن لا إله إلّا اللّه يتعدى بنفسه؛ لأنه بمعنى أعلم.. الخ.

أقول: فقوله: شهدت العيد أدركته، وقوله: أشهد أن لا إله إلّا اللّه يتعدى بنفسه؛ لانه بمعنى أعلم، يعطى أن شهد بمعنى الدرك والعلم، والأول أخص من الثاني؛ لأنّ العلم هو الصورة الحاصلة في النفس سواء أدركه القلب أم لا، وهذا بخلاف الدرك فانه عبارة عن وجدان القلب حقيقة المشهود به، فعلى هذا قوله ﷺ: وأشهد أن لا إله إلّا اللّه.. الخ أي أدركت مفاد لا إله إلّا اللّه دركاً وجدانياً، نعم ربما يكون معناه أعلم مفاد لا إله إلّا اللّه وإن لم يكن قد أدركه قلباً دركاً وجدانياً كما هو المشاهد من كثير من غير الكاملين كما لا يخفى.

هذا بخلاف ما إذا عدي بعلى مثل شهدت على الشيء، أي اطلعت عليه، أي

سواء أدركه أم لا فإن الاطلاع أعم كما لا يخفى، أو عدي بالباء كقولهم: شهد بذلك، أي أخبر به أو أعلم به فإنه حينئذ أعم من اليقين ومن الظن المعتمد عليه في الشرع كما لا يخفى.

وكيف كان فقوله: أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له، أي أدرك أنه لا إله إلّا اللّه عن علم ويقين الحاصلين عن المشاهدة، أو عن الدليل والبرهان القطعي كما عند الأكثر.

والحاصل: أشهد أي أرى حضور المشهود به، أعني مفاد لا إله إلّا اللّه بواسطة إراءته تعالى إيّاي من الآيات الآفاقية والانفسية رؤية وجدان وانكشاف، وأما مفاده المنكشف فهو أنه لا معبود بالحق إلّا الذات المقدسة، التي هي مستجمعة لجميع صفات الجلال والجمال بوحدته، ولا شريك له في استحقاقه للعبودية، وفي هذه الصفات الذاتية.

وقوله عليه السلام: كما شهد اللّه لنفسه وشهدت له ملائكته، يعني أن توحيده تعالى بالتوحيد الحقيقي والإخلاص التحقيقي، ليس مما تطيقه القدرة البشرية والقوة الإنسانية؛ لكي تشهد له تعالى بالذات والصفات شهوداً وإدراكاً بالكنه، كما شهد تعالى لنفسه كما قال صلى الله عليه وآله: «سبحانك لا أصفك إلّا بما وصفت به نفسك».

فالخلق عاجزون عن أن يوحدوه تعالى كما وحد نفسه تعالى، بل غاية الإمكان أن يقال: نشهد بوحدانيته كما شهد هو تعالى بها، وفيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿**شهد اللّه أنه لا إله إلّا هو والملائكة وأولوا العلم**﴾[1] من خلقه (من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين والموحدين والعارفين) لا إله إلّا هو العزيز الحكيم، والتوصيف بالعزيز وهو الغالب القاهر إشارة إلى أنه لا يمكن لأحد أن يصل إلى كبريائه ودركه وتوحيده ولذا قال عليه السلام: كما شهد اللّه لنفسه كما لا يخفى.

---

١ ـ آل عمران: ١٨.

والتوصيف بالحكيم بعده أي أنه تعالى بعدما كانت ذاته المقدسة في أرفع المحل بحيث سقطت الأشياء دون بلوغ أمده، إلّا أنه تعالى عليم وفاعل للأشياء بحسب الحكمة والمصالح، أي أنه تعالى بعد علو مكانه، وانقطاع كل أحد دون معرفته الذاتية، ليس بنحو لا أثر له تعالى في خلقه، بل هو الفاعل لما يشاء بالحكمة الإلهية، بحيث لا يضر شيئاً واحداً علو مكانه، فهو يفعل كأنه مرءى لكلّ أحد بالعين، وذلك بحكمته البالغة وقدرته النفاذة في الأشياء لا إله إلّا هو العزيز الحكيم.

وقد يقال: وجه التوصيف بالعزيز وهو ما لايكاد يوجد لقلة وجوده، هو أنه تعالى لا يمكن أن يظهر هويته تعالى في عالم من العوالم قال عليه السلام: «يامن لا يعلم ما هو ولا أين هو ولا حيث هو ولا كيف هو إلّا هو» والوجه فيه أن العوالم بأجمعها لا تسع لوجوده تعالى، فإن وجوده تعالى ذاته المقدسة وهي لا انقطاع لها ولا أمد لها ولا نهاية لها لا بالعدم ولا بالوجود الآخر الذي هو طارده، بل هو تعالى محيط بتمام العوالم ﴿الاّ إنه بكلّ شيء محيط﴾[1] فلا يكون محاطاً وموردا ًلتأثير من شيء، فهو محيط علما بالأشياء، وداخل في الأشياء لاكدخول شيء في شيء، وخارج عنها لا كخروج شيء عن شيء، وسيجيء توضيحه إن شاء اللّه تعالى، ومع ذلك فهو حكيم لما مرّ بيانه.

الجهة الثانية: في وجه الشهادة بالوحدانية.

إعلم أنه قد علمت أن الشهاده عبارة عن الدرك والوجدان، وهو إما بالعين أو بالقلب، والأول ظاهر في المرئيات، وأمّا الثاني الذي به يحصل الدرك به تعالى أي بوحدانيته، فحيث تكون الوحدة مشهوداً بها كما هو المطلوب فهو (اي هذا الدرك القلبي) يحصل بأُمور:

منها: وهو الأصل: أنك تستدل أولاً عقلاً بوحدة الأثر، أي بوحدة النظم في

---

١ ـ فصلّت : ٥٤.

عالم الوجود على وحدة المؤثر، فإن مشاهدة الوحدة في آثار الموجودات من الفلكيات والأرضيات وما فيهما يدل على وحدة المؤثر، بل ترى في كلّ موجود جهة وحدة تكون حافظة لشؤون ذلك الموجود، فهو بماله من الشؤون المختلفة قائم بتلك الجهة الواحدة.

والحاصل: أن جميع ما سوى المدعى انه الله تعالى له جهة وحدانية يدل على وحدة موجده ،، فلو كان هناك موجدٌ آخر لوقع الاختلاف في الجهة الوحدانية في الموجودات، مثلاً لو كان لك ظلّ واحد علمت منه أن هناك سراجاً واحداً، ولو كان لك ظلّان دلّا على السراجين، لما تعلم عقلاً من أن الظل الواحد لا يكون من سراجين ولا أن الظلّين من سراج واحد، وهكذا في المقام تعلم من الجهة الوحدانية في الوجود أن هناك موجداً واحداً، إذ لا تكون الجهة الواحدة من موجودين، كما لا يكون الأثران والجهتان المختلفتان من موجد واحد، فنعلم قطعاً من الجهة الواحدة الجارية في الخلق على أن الخالق واحد وليس هناك خالق آخر؛ لأنه إن كان فهو إما يكون أعلى من هذا فهذا نقص لهذا. وقد ثبت في محله أن الناقص لا يكون إلهاً. لما نرى من كمال الموجودات الدالة على كمال موجودها، وإن كان مساوياً فأيضاً يوجب نقص كل منهما، فإن كون الإله أعلى من سواه هو الكمال الأتم، فهو أكمل من كونه مساوياً فتحقق الكمال الأتم اللازم والثابت في الإله، الذي لا يكون إلّا بعدم مساو له، تدل على أنه لا مساوي له، فإثبات المساواة نقص بل وحاجة إذ لو لا المساوي لما حصل له هذا النقص، هذا مع أن الغنى المطلق والوجوب الحق منزه عن كل نقص كما حقق في محله.

وبعبارة أُخرى: لابدّ من نفي النقص من الإله مطلقاً، إذ بهذا النفي يتحقق غناه المطلق؛ وذلك لأنّ النقص يدعو إلى الاحتياج وإلى التتميم في ذاته، فلا يكون واجب الوجوب بالذات كما لا يخفى.

وبعبارة أُخرى: ليس في صقع الوجود إلّا الذات الواجب البحت الكامل بنحو

الأتم، الذي لا يفرض فوقه كمال أبداً، فهو الذات الواجب الأزلي الأبدي المستجمع لجميع الكمالات والصفات الجمالية والجلالية، وما يفرض خارج الذات المقدس فهو الموجود الجائز والممكن بالإمكان الذاتي، فحينئذ لو فرض واجب آخر فلا صقع لوجوده إلّا في ظرف الامكان؛ لما علمت من انه لا يمكن في ظرف الوجوب لثبوت وحدته، فإذا فرض أنه لم يوجد مفروض الواجب إلّا في ظرف المكان، فلا محالة لا يكون بذاته واجب الوجود، بل يمتنع ويكون ممكن الوجود كما لا يخفى.

فظهر من جميع ما ذكرنا: أنه لو فرض تعدد الالهة وقع التصادم والتدافع في مركز الوجوب، وفي الكمال المطلق والغنى الحق، وأن ذاته المقدسة التي هي الغنى المطلق يدفع توهم وجود آلهة أُخرى كمثله تعالى، ويقتضي نفي آلهة أُخرى، وإلّا لما كان واجب الوجود، فحينئذ بهذا البرهان العقلي وجب العلم وحصل العلم القطعي والحضور الحقيقي والعيان البديهي بحيث لا يحتمل النقيض عقلاً بوحدة الواحد، بحيث يدرك القلب والعقل دركاً وجدانياً، فهذا معنى أشهد (اي أجد وأدرك) أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له.

وبعبارة أُخرى: قال تعالى: **﴿وما كان معه من إله إذاً لذهب كلّ إلٰه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾**[1] يعني لو كان هناك إلهان كاملان؛ لاقتضى كمال كل واحد منهما طلب العلو على الآخر، فهذا الاقتضاء يقتضي التصادم بينهما دائماً، فلو شاء واحد منهما أن يخلق إنساناً، وشاء الآخر أن يخالفه طلباً للعلو فيخلق بهيمة فحيث فرض وجوب وجودهما ذاتاً، الذي لازمه وجود ما أراد أن يخلقه، فيكون الخلق منهما على مشيتهما من إرادة خلق الإنسان من أحدهما والبهيمة من الآخر، ومعلوم بالضرورة أن اختلاف إرادتهما إنساناً وبهيمة في حالة واحدة بنحو الوجوب من أعظم المحال، فيلزم عدم وجود ما أراد أو هو باطل لمنافاته لوجوب وجودهما.

---

١ ـ المؤمنون: ٩١.

وإذا ثبت بطلان هذا، ونرى في الخلق وجود الأشياء فلا محالة يدل على وحدة الخالق تبارك وتعالى، وإلى هذا الاختلاف في الإرادة بنحو ما ذكر يشير قوله تعالى: **﴿لو كان فيهما آلهة لفسدتا﴾**[1] أي لزم من إرادة خلق كلّ منهما عدم خلق موجود، والفساد في النظام الخلقي وحيث يرى الموجودات والنظام الكامل، فيعلم بوحدة الخالق جلّ جلاله وعظم شأنه.

ثم إن توحيده تعالى بهذه الوحدة له مظاهر في **مواطن أربعة**.

وبعبارة أُخرى: أن وحدانية الذاتية تبارك وتعالى لابدّ من أن يعتقد بها في مظاهر الكثرات، وهي مظاهر الصفات والأفعال وفي العبادات فهي هنا أربعة مواطن للتوحيد:

الأول: توحيد الذات وهو يتضح **بأمرين**:

□ بنفي الشريك له ولو بنحوالتساوي وقد تقدم.

□ بتحقق الأحدية ودركها في الذات بمعنى تفريده عن الكثرة في ذاته بكل اعتبار، وبكل ما يتوهم من الكثرة حتى اعتبار المعنى الكلي، وان هذا فرد من مفهومه بحيث يستحيل وجود غيره فهذا أيضاً منفي عنه تعالى.

وبعبارة أُخرى: أنه قد تتوهم الأوهام لانسها بالكثرة والتعدد أن المستثنى المثبت بعد إلّا في قولك: لا إله إلّا اللّه، هو كلي إلّا ان المثبت هو فرد منه وجزئي منه بحيث يستحيل وجود جزئي آخر غيره بدعوى أن هذا لا ينافي توحيده الذاتي تبارك وتعالى، ولكن يدفعه أن المستفاد من قوله تعالى: **﴿وقال اللّه لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد﴾**[2] هو أنه لابدّ من التفريد البحت في الذات المقدسة عندالشهادة بوحدانيته بقوله: **﴿لا إله إلّا اللّه﴾**[3].

---

١ ـ الأنبياء : ٢٢.

٢ ـ النحل : ٥١.

٣ ـ الصافات : ٣٥.

وهذه الآية تنصيص على هذا وهو توحيد الذات، ولذا أكّد بقولهﷺ:« وحده لا شريك له (في الزيارة)» فإن هذا التأكيد لأجل نفي اعتبار التعدد في مقام الشهادة، فالقول: بأن المستثنى المثبت بعد الا، يمكن أن يكون كلياً إلّا أنه لم يوجد إلّا فرد واحد منه، وإن كان بحسب الوضع في كلمة الجلالة أمراً ممكناً إلّا أنه مناف لظهور الآية الشريفة، فلابدّ من أن يكون المراد من المشهود به ومن المستثنى المثبت بعد إلا هو الفرد البحت لما ذكرنا من دلالة الآية الشريفة عليه.

هذا على أن احتمال كون المستثنى المثبت بعد إلا هو كلي لم يوجد له إلّا فرد واحد إنما نشأ من الاختلاف الواقع في وضع لفظ الجلالة أعني اللّه في أنه هل هو علم للذات المقدسة أو مشتق، فعلى الأول لا يراد من لفظة الجلالة إلّا الذات البحت، وهذا بخلاف القول الثاني فإنه حينئذ كلّي، غاية الأمر لا يراد منه إلا فرد واحد حيث إنه لا يوجد له إلا فرد واحد، ولكن هذا الابتناء مدفوع على القولين وتوضيحه يتوقف على تحقيق الكلام في وضع كلمة الجلالة ثم بيان المطلوب فنقول وعليه التوكل.

لا خلاف في أن الألف واللام في لفظ الجلالة حرف تعريف في الأصل لا من أصل الكلمة كما صرح به بعضهم، وذهب بعضهم إلى أن أصله الإلاه وجوز سيبويه أن يكون أصله لاها من لاه يليه تستر واحتجب، وقيل بمعنى ارتفع ويبعده كثرة دوران إله في الكلام واستعمال إله في المعبود واطلاقه على اللّه، فلو كان بمعنى تستر واحتجب أو ارتفع لما كثر استعماله في غيره تعالى.

وكيف كان فعلى كون أصله الإلاه فهو كلفظ الناس حيث إن أصله الأناس فحذف منه الهمزة وعوض منه الألف واللام كما عن أبي علي النحوي أو من دون تعويض كما ذكره غيره.

فالإله مشتق من أَلَهَ (بالفتح) إلهةً أي عبد عبادة على ما ذكره الجوهري ووافقه جماعة.

وعن المصباح: أَلِه يَأْلَه من باب تعب أُلهةً عبد عبادة وتألّه: تعبد. والإله المعبود وهو اللّه سبحانه ثم استعار المشركون لما عبدوا من دونه، وآله على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه أي معبود ككتاب بمعنى مكتوب، وإمام بمعنى مؤتمّ به فلما أدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفاً لكثرته في الكلام، ولو كانتا عوضاً منها لما اجتمعت مع المعوض في قولهم: الإله، وقطعت الهمزة في الابتداء للزومها تفخيماً لهذا الاسم.

وأجود منه ما ذكره الجوهري من تعليل تسمية الأصنام بالآلهة لاعتقادهم أن العبادة تحق لها، وأسماؤهم تتبع اعتقادهم لا ما عليه الشيء في نفسه. وفي الواقع، وكيف كان فعلى القول بكونه مشتقاً هو على نحو ما ذكر باتفاقهم، وقيل: انه اسم جنس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق، كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذا السنة على عام القحط، والبيت على الكعبة، والكتاب على كتاب سيبويه، هذا في الإلاه، وأما اللّه بحذف الهمزة تختصّ بالمعبود الحق لم يطلق على غيره.

ثم إن ما ذكر من أصل اشتقاقه فيما تقدم هو المتفق عليه على القول بالاشتقاق، وقيل: إنه مشتق من أَلِه (بالكسر) أي تحير، وذكر الجوهري: أنه أصله الوله، ورد بمخالفته لكثير من كلام أهل اللغة.

وكيف كان فالمناسبة ظاهرة إذا كان مشتقاً من أَلِه أي تحير إذ تحيرت الأوهام وغمضت مداخل الفكر وعجزت العقول عن إدراكه.

وقيل: من الهت إلى فلان أي سكنت إليه فإن النفوس لا تسكن إلاّ إليه والعقول لا تقف إلاّ لديه قال تعالى: ﴿ألا بذكر اللّه تطمئنّ القلوب﴾.

وقيل: من الوله، وهو ذهاب العقل لما نرى سواء فيه الواصلون إلى ساحل بحر العرفان والواقفون في ظلمات الجهالة وتيه الخذلان.

وقيل؛ من أله الفصيل إذا ولع بأُمه لأن العباد تتضرع إليه في البليات فهذه

أقاويلهم في معنى اشتقاقه.

وفي المجمع: واللّه اسم علم للذات المقدسة الجـامعة لجـميع الصـفات العـليا والأسماء الحسنى.

وفي الحديث: سأل عن معنى اللّه، فقال: استولى على ما دقّ وجلّ، وفيه: اللّه معنى يدل عليه بهذه الأسماء، وكلها غيره.

أقول: أي الأسماء غير الذات المقدسة.

وفي الحديث: يا هشام اللّه مشتق من إله، والإله يقتضي مألوهاً كان إلها إذ لا مألوه، أي لم تحصل العبادة بعد، ولم يخرج وصف العبودية من القوة إلى الفعل.

وفي المنقول عن جوامع التوحيد: «كان إلهاً إذ لا مألوه» معناه سمى نفسه بالإله قبل أن يعبده أحد من العباد.

قيل: وهو غير مشتق من شيء بل هو علم لزمته الألف والام، وقال سيبويه نقلاً عنه: هو مشتق وأصله إلهٰدخلت عليه الألف واللام فبقي الإله ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام وسقطت فبقى اللّه فأسكنت اللام الأُولى وأُدغَمت وفخّم تـعظماً، لكنه ترقّق مع كسرة ما قبله.

أقول: قد يقال: إنّ قوله ﷺ في الحديث: يا هشام اللّه مشتق من إله.. الخ، يرجح كونه مشتقاً لا علماً، ولكن يدفعه أن المراد منه (واللّه العـالم وابـن رسـوله) هـو الاشتقاق المعنوي أي معنى اللّه يقتضي مألوهاً لأن معناه إله أي عبد نظير: إن العلي مشتق من العلى الأعلى، فإنه لاريب في أنه اشتقاق معنوي فتدبر.

وفيه: ﴿ولا إله إلاّ اللّه﴾ قال الزمخشري نقلاً عنه: قد بلغني أن المختار فيها أن يكون أصلها (اللّه إله) ثم قدّم الخـبر فقيل: إلهٌ اللّه، ثم أُدخل (لا) و (إلا) لتحصيل الحصر فصار (لا إله إلاّ اللّه).

أقول: توضيحه: أن اللّه إلهٌ يعني أن المبتدأ هو اللّه، ومن المعلوم أن المبتدأ هـو المعرفة، أي ما عرف حاله عند المتكلم والمخاطب والخبر هو المجهول بلحاظ نسبته

إلى المبتدإ فإذا قيل: اللّه إلهٌ، أي أن اللّه الذي عرفه الأنبياء والرسل، ونطقت به الكتب السماوية هو إله لا الأصنام وغيرها مما يعبدها الجاهلون.

قوله: ثم قدم الخبر فقيل: إله اللّه، يعني إذا قيل: إله اللّـه، بحيث قدّم الخبر فيستفاد منه الحصر، أي أن المتكلم يبين بقوله: إله اللّه، أن معبودي هو اللّه لا غيره، إلّا أن هذا حصر بالإضافة إلى المتكلم أفاده تقديم الخبر كما لا يخفى.

قوله: ادخل عليه لا وإلّا لتحصيل الحصر أي أن تقديم ما حقه التأخير، وإن كان يفيد الحصر، إلّا أنه يفيد حصراً إضافياً بالنسبة إلى المتكلم كما علمت، وأمّا الحصر الحقيقي المنبئ عن الواقع فهو الحصر المستفاد من الإثبات بعد النفي كما في المقام؛ ولذا بياناً للحصر الحقيقي الواقعي النفس الأمري قيل في المقام لا إله إلّا اللّه بلسان النفي والإثبات كما لا يخفى.

ونقل عن الخليل ومتابعيه وأكثر الأُصوليين والفقهاء من العامة: أن اسم الجلالة ليس بمشتق، وأنه اسم علم له سبحانه، واحتج لذلك بأنه لو كان مشتقاً لكان معناه كلياً لا يمنع نفس تصوره عن وقوع الشركةفيه فلا يكون إلّا اللّه موجباً للتوحيد المحض، وأيضاً احتج بأن الترتيب العقلي ذكر الذات ثم نعته بالصفات؛ ولذا إنا نقول: اللّه الرحمن الرحيم العالم القادر، ولا نقول بالعكس فدلّ على أنه اسم علم، وأيضاً احتج له بأنه لو كان صفة وسائر أسمائه تعالى أيضاً صفات، فحينئذ يلزم أن لا يكون للباري تعالى اسم مع أنه لم تبق العرب شيئاً من الأشياء إلّا سمته فكيف لم تسم خالق الأشياء ومبدعها؟! وهذا محال.

أقول: لاريب في أن اللّه أصله الإله من إله وهو فعال بمعنى مفعول؛ لأنه مألوه أي معبود ككتاب بمعنى مكتوب كما علمت التصريح بذلك لغة وحديثاً، وأله بمعنى عبد وأصل العبودية هو الخضوع والذل، أو بمقتضى الانصراف إلى الفرد الكامل هو غاية الخضوع والتذلل، ثم حيث إنه يقتضي مألوها (أي معبوداً) فيكون الإله هو المعبود الذي لأجله يقع الخضوع والتذلل الكامل.

ثم إن المعبود الذي يراد من لفظ الإله في موارد اطلاقاته قد يؤخذ ويراد منه بالإضافة إلى شخص خاص فيقال: معبود زيد، وتارة يؤخذ مطلقاً، وعلى الأول فلا يبعد انصرافه إلى من كان من شأنه أن يعبده ذلك الشخص الخاص، وكان معبوده قابلاً وأهلاً لذلك، وإلّا فلو كان بحيث لم يكن أهلاً له فهو (أي المعبود) حينئذ متخذ للعبودية ادعاء لا أنه معبوده، فليس في صراط المعبودية التي تنصرف إليه الأذهاب في مقام العبادة ولو في عرف المشركين، ولكن هذا بنظر العرف العام من متابعي النفس والهوى.

ولكن بنظر الشرع الإلهي والعقلاء الكاملين لما لم يكن المخلوق أهلاً لذلك (اي للمعبودية) في ظرف الواقع كان اطلاق الإله والمعبود ولو مقيداً على المخلوق المتخذ معبوداً خطأ في الإطلاق للاشتباه في المصداق في عقيدتهم العمياء كما سبق عن الجوهري، أو كان مبنياً على اعتقاد المخطي، فيكون اطلاق إله هذيل ومعبودهم على الصنم المتخذ للعبودية مبنياً على اعتقادهم الفاسد، فيكون المعنى انه معبود بزعمهم وعلى حسابهم.

وكيف كان فعلى نظر الأنبياء والأئمة والعقلاء والكملين بعد تخطئة أهل العرف المشركين لا مصداق للإله حقيقة وفي نفس الأمر سوى الواحد الحق فقط، وأما اطلاقه على غيره فهو مبنيّ على الزعم الفاسد بلحاظ المعبود بالإضافة إلى شخص خاص دون اللّه تعالى باطل لا واقع له.

وأمّا الثاني: أعني أخذ المعبود مطلقاً أي ما هو المعبود المطلق فهذا يعتبر على **ثلاثة وجوه**:

□ ما هو مأخوذ بمعنى الشأنيّة والاستحقاق مع قطع النظر عن تحقق العابد في الخارج بأن يقال: إن لفظ إله إذا أُطلق يراد منه ما شأنه المعبودية بنحو الاستحقاق الذاتي.

□ أن يراد منه عند إطلاقه ما هو المعبود بالفعل لكلّ من سواه استغراقاً بأن

يكون معبوداً مطلقاً يعبده جميع من سواه.

فهذان القسمان لاريب في اختصاص لفظ الإله ولفظ اللّه حينئذ بالحق تعالى على الظاهر من الأدلة المتقنة، إذ هو الذي ما من شيء إلّا يسبح بحمده **﴿إن كلُّ من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً﴾**[1] فعليهما لا يراد منه إلّا الحق تعالى.

□ أن يراد منه في إطلاقه (أي اطلاق لفظ إله) على وجه الإجمال بحسب الوضع (أي المعبودية بنحو الإجمال) من طرف العابدين فيمكن شموله للجميع ولبعضهم، ولكن ربما يحمل على العموم، وإذا حلي بالألف واللام قوي؛ ذلك لأن الألف واللام قد أشرب فيهما معنى الإشارة فيقتضي التعريف الإشارة التي مدلولها التعيين ولا يتعين المعبود بمعنى الفعلية من حيث كونه معبوداً إلّا بإضافته إلى العابد، ولا تعين لشيء من العابدين في اللفظ، لتساوي نسبتها إلى اللفظ وامتناع الترجيح من غير مرجح، فتعين إرادة الجميع والتوصيف بالمعبودية المطلقة لكلّ أحد نظير ما قرروه في إفادة الجمع المحلى باللام العموم في الأُصول.

وبعبارة أُخرى في بيان حاصل المقصود: أنه بعدما علمت بطلان إرادة معبود خاص من إطلاق لفظ إله، فلا محالة يتعين مدلوله بالحقّ تعالى، ومعنى تعيّنه له تعالى أنه لا معبود لأحد من الخلق طراً إلاّ ذاته المقدسة، وحينئذ إن كان الموضوع له للفظ إله سواء قلنا بالعلمية أو بكونه مشتقاً، لا يمتنع تصوره عن وقوع الشركة فيه من له شأنية العبادة أو فعليتها، التي علمت أنه حينئذ يتعين في الحق تعالى في الصورتين أو من هو معبود بالإجمال، وحينئذ معلوم بالضرورة أنه لا يراد الإجمال في المعبودية بالشأنية؛ لأنه يرجع إلى القسم الأول.

غاية الأمر أن الأول كان بنحو الكلي وهذا في الجملة، بل لابدّ من أن يراد منه المعبودية الفعلية غاية الأمر بنحو الإجمال فحينئذ نقول: بمقتضى قصر النظر إلى

---

١ ـ مريم : ٩٣.

لفظ إله مجرداً ربما يقال: بأنّه حينئذ لا يدل إلّا على من هو معبود بالفعل في الجملة، أي بالنسبة إلى بعض العابدين، ولكن يدفعه أنه لابدّ من حمله على العموم بالنسبة إلى العابدين؛ لمكان الألف واللام، ولعدم إمكان الترجيح بلا مرجح بالبيان المتقدم.

ثم إنه يظهر مما ذكرنا أنه لا حاجة إلى تقييد الإله في كلمة لا إله إلّا اللّه بقولهم: لا إله (أي لا معبود بالحق) إلّا اللّه بدعوى أنه إله يطلق على المعبود الأعم من الحق والباطل فلابدّ من تقييده بالحق، وهذا بخلاف اللّه المحلى بالألف واللام فإنه حينئذ ظاهر في المعبود بالحق؛ لما عرف بأنه موضوع للذات المستجمع لجميع صفات الجلال والجمال؛ وذلك لما تقدم في معنى إله من أنه لا وجه لإطلاقه على غيره تعالى إلّا بزعمهم الفاسد، وأما إطلاقه عليه تعالى إما بلحاظ الشأنية أو الفعلية أو الإجمال المحمول على العموم للألف واللام، أو عدم الترجيح بلا مرجح كما تقدم، فحينئذ لامحالة لا يراد منه إلّا المعبود بالحق بحيث يكون جوهر الكلمة بلحاظ صلاحيتها الذاتية هو الحق تعالى، لا أنه بالتقييد يدل على أنه المعبود بالحق كما لا يخفى، فالإله هو الذي يعبده جميع من سواه بالاستحقاق الذاتي، وتتأكد هذه الدلالة عند حذف الألف وقطع همزة التعريف بصيرورته كالمنسلخ عن الإضافة الخاصة حين القطع والحذف، فلا يتوهم حينئذ إن الألف واللام أفادا معنى الإضافة المفيدة لمعنى التعريف.

وكيف كان إن كثرة استعمال الإله فيه تعالى، وهجر غيره حتى صار كالأعلام الشخصية في الاختصاص به تعالى، بل هو منها حقيقة بحسب ظاهر النظر في العرف، وفي دوران الاستعمال وهذه (أي صيرورته كالأعلام الشخصية) عرفاً تكون حكومة يرجع إليها في جميع موارد الاستعمال بين المثبتين للاشتقاق، أي كونه مشتقاً منحصراً في فرد بحيث لا يوجد له فرد آخر، وبين القائلين بالعلمية الشخصية أو الاسمية أي كونه اسم جنس كما تقدم؛ وذلك لأجل أن الوضع العرفي الذي علمته هو الطارئ على المعنى الأصلي اللغوي بحسب الوضع الأولي، فهذا الطرو يجعله علماً

من الأعلام الشخصية.

فإن قلت: القائلون بالاشتقاق أيضاً لا يريدون منه في موارد الإطلاق معنىً إلّا الذات ولو بالقرائن، وكذلك القول بكونه اسم جنس، فما الفرق في موارد إطلاقه حينئذ بين القول بالاشتقاق أو القول بالوضع الطارئ العرفي وهل ما قلتم إلّا تعسّف ظاهر؟

قلت: الفرق هو أن المتبادر على القول بالاشتقاق لابدّ من أن يكون هو المعنى الوصفي، الذي لا يمتنع تصوره من وقوع الشركة فيه كما علمت بحسب الوضع، إلّا أنه بالقرائن لا يراد منه إلّا الفرد الواحد، وهذ بخلاف ما قلنا من أنه بحسب الوضع الطارئ العرفي لا يتبادر منه إلّا الذات المقدسة والفرد البحت من حيث هو هو.

وبعبارة أخرى: أن المدعي أن لفظ إله يكون ـ كالعلامة والمفيد وبحر العلوم وغيرهم ـ، حيث إنها بحسب الوضع الأولي اللغوي موضوع للمعنى الوصفي العام ومتمحّض فيها، إلّا أنه بحسب الوضع الطارئ عليه العرفي لا يراد منها إلّا الأفراد المخصوصة من دون تبادر المعنى الوصفي أولاً ثم بالقرائن يراد منها الفرد بل لا يراد منها أولا إلّا الفرد كما يا يخفى.

ومما ذكرنا يظهر معنى تفسير إله في بعض الأدعية والأحاديث بإله كلّ شيء، فإنه تفسير لحاق الكلمة بلحاظ الوضع الطارئ، وأيضاً ظهر معنى قولهم إنه الاسم الذي لا ينبغي أن يسمى به غير اللّه، ولم يتسم به مخلوق إذ علمت أن معنى اللفظ حينئذ منحصر فيه تعالى.

فظهر مما ذكر أن المراد من موارد اطلاق اللّه الذي علمت أن أصله إله لا يكون إلّا الذات المقدسة الفرد البحت، سواء قلنا بأنه موضوع بنحو العلمية للذات أو أنه مشتق أو أنه اسم جنس لما علمت من قضية الوضع الطارئ العرفي على الوضع اللغوي الأولي فلابدّ من أن يراد منه بعد إلّا الفرد البحت والذات المقدسة كما لا يخفى.

هذا تفسير كلمة التوحيد بلحاظ مفرداتها، وأما مضمونها جملة فهو وإن حصل من بيان المفردات إلّا أن حاصل المستفاد منها ما توضيحه أن أوهام المتوهم من عامة الناس الذين أغلبهم من المشركين والغافلين عن حقائق الأمور قد انست من جهة كثرة الفاعلين المدعين للاستقلال بالفعل، والمالكين المدعين للمكنة الحقيقة، والمتكبرين على الناس ظلماً أو جهلاً في الأُمور، والمستعبدين لهم لاطاعتهم اطاعة العبد لخالقه كما شاهدوها عن الفراعنة.

فإن معنى الإله في جميع موارد اطلاقه هوإله الحق، والإله الذي زعموا أنه إله من معبوداتهم المتعارفة بأنحائها، وبهذا اللحاظ جوّزوا إطلاق إله على الجميع من المعبود بالحق والباطل إطلاقاً حقيقيّاً عندهم إما بوضع الإله لها بنحو التشكيك حيث إن المشركين وإن كانوا يعتقدون بمعبودية الأصنام مثلاً إلّا أن المرتكز في أذهانهم ولو كانوا غافلين عنه هو المعبود بالحق والإله الحقيقي، كما ربما يشير إليه قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿ما نعبدهم إلّا ليقربونا إلى اللّه زلفى﴾[1].

فلا محالة حينئذ إذا قيل بإطلاق الإله على الحق والباطل بالوضع فلابدّ من أن يكون بنحو التشكيك بأن يكون للموضوع له مراتب مختلفة في الشدة والضعف في ملاك المعبودية يكون أفضلها المبعود بالحق الذي يعبدون غيره من المراتب الدنيّة ليقربوهم إليه زلفى، ولا يمكن أن يقال: بأنّه موضوع لمطلق الإله الأعم من الحق والباطل بنحو التواطئ، كالإنسان بحيث يطلق على جميع أفراده من الحق والباطل على السواء، لما علمت من أن المرتكز في أذهانهم هو إله الحق وإن ذهبوا إلى عبادة الآلهة الباطلة فقوله تعالى: ﴿لا إله إلّا اللّه﴾ إنما نزلت ردعاً لأوهامهم الباطلة رحمة منه تعالى لهم وهداية منه تعالى لنجاتهم.

فحينئذ يكون معنى جملة كلمة التوحيد هو نفي الآلهة الباطلة الثابتة في

---

١ ـ الزمر: ٣.

أوهامهم، المتخذة من انسهم من تلك الاطلاقات الفاسدة التي قد علمتها، وهذا النفي هو مدلول كلمة لا. وأيضاً معناه إثبات الوحدة أي إله الحق تعالى، الذي كان في مرتكز أذهانهم بكلمة إلّا فقيل: لا إله إلّا اللّه، والاستثناء حينئذ استثناء الحق من الباطل الممزوج بالحق الإجمالي حيث كانوا يدعون التشريك كما علمت، ففي الواقع أن الاستثناء مرجعه إلى تخليص الحق الارتكازي من أوهامهم الباطلة بلحاظ ادعائهم لا أن المستثنى الحق كان داخلاً في عموم المستثنى منه بحيث كان الحق، بل الاستثناء في عرض الباطل ومشتركاً معه، بل جيء بإلّا لنفي الباطل وتخليص الحق.

وحينئذ مفاده مفاد قوله تعالى: ﴿قل الله ثم ذرهم ..﴾[1] فالتوحيد الحقيقي هو ظهور اللّه بما له من المعنى ورفع اللّه القلبي عن غيره كما لا يخفى، هذا في الواقع، ثم إن هذه الكلمة جيء بها لتؤثّر في قلب المشركين بما حاصله نفي الآلهة الباطلة من أوهامهم بأداة لا، وإثبات الثابت في الواقع وفي مرتكزاتهم بأداة إلّا، فكأنّه يكون لا مكنسة لإزالة الأوهام الباطلة، وإزالة تلك الأغبرة الوهمية الفاسدة للتوصل وظهور الثابت واثباته في الظاهر بعدما كان مرتكزاً في حاق أنفسهم كما قال تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن اللّه﴾[2] ثم إنّ ما ذكرناه إنما هو بلحاظ نظر المشركين لا ماهو الواقع، وإلّا فقد علمت معنى إله وضعاً أولياً ووضعاً طارياً ثانوياً فلا تغفل.

الثاني من مظاهر التوحيد توحيده الصفاتي المدلول عليه بقول: لاحول ولا قوة إلّا باللّه العلي العظيم: ضرورة أن كل صفة أثر من آثار القدرة التي هي حقيقة الحول والقوة، فإن أعمال القدرة في شيء يوجب تحويله من حال إلى حال، فبهذه الجهة يعبّر عنها بالحول، وحيث إنه بحقيقته مكنون في القادر به يكون تحوّل تلك

---

١ ـ الأنعام: ٩١.

٢ ـ لقمان: ٢٥.

الأحوال فيعبر عنها بالقدرة.

وكيف كان لابدّ في التوحيد الذاتي من التوحيد الصفاتي، بل هذا التوحيد من آثار التوحيد الذاتي، وقد أُشير إلى هذا التوحيد (أي الصفاتي) وإلى التوحيد الافعالي بقوله ﷺ: «لاشريك له»، أي ليس له ندّ في صفاته (أي ليس كمثله شيء لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال) ومن هنا ظهر حال التوحيد الافعالي، الذي هو المظهر للتوحيد المطلق، ويدلّ عليه أيضاً قوله تعالى: **﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات﴾**[1] فإن توحيده الافعالي لما كان أمراً بديهيّاً لا يشركه أحد، فسأل عن الشريك في أفعاله تعالى، فهل لما يدعى أنه الشريك فعل؟ لا محالة يكون الجواب منهم منفياً، وهذا نظير قوله تعالى في بيان أن وجوده تعالى أمر بديهيّ لاشكّ فيه حيث قال تعالى: **﴿أفي اللّه شك فاطر السمٰوات والأرض﴾**[2].

ثم إنه يلزم من هذا التوحيد في المواطن الثلاثة التوحيد في العبادة المشار إليه بقوله تعالى: **﴿وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون﴾**[3] وبقوله: **﴿ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً﴾**[4] ضرورة أنه بعدما ثبتت وحدته الذاتية والصفاتية والافعالية، فلا محالة تستحق ذاته المقدسة بان يعبد وحده بحيث لا يشرك في عبادته، بل هذه التوحيدات الثلاث يقتضي انه تعالى لم يخلقهم إلّا للعبادة، بعدما ثبت غناه الذاتي الذي يلزم توحيده في الصفات والأفعال، فلا مقصود للخلق حينئذ إلّا العبادة له تعالى كما لا يخفى، إذ ليس بيدهم حينئذ أمر من صفة أو فعل، وإنما هو قائم بنفسه تعالى في الأمور كلها، فلابد من أن يراد من الخلق العبادة، ويدل على هذا اللام

---

١ ـ فاطر : ٤٠.

٢ ـ إبراهيم : ١٠.

٣ ـ الذاريات : ٥٦.

٤ ـ الكهف : ١١٠.

الغائية المذكورة في قوله تعالى: ﴿ليعبدون﴾ كما لا يخفى.

ثم إنه عليه السلام إنما ذكر قوله: أشهد أن لا إله إلّا اللّه بعد تلك التسليمات الخمسة دون غيره لعلّه لوجوه:

الأول: أنه بعدما ذكر في الجمل السابقة في التسليمات أوصاف الإمام، وآثار ولايته التكوينية والتشريعية، وأنه مظهر له تعالى بحيث عرف اللّه تعالى بسبب معرفتهم عليهم السلام لتلك الصفات المذكورة كما تقدم، فحينئذ كأنّ الزائر بعد ذكره هذه التسليمات، وإحصائه واحاطته بمضامينها، فقد وصل إلى معرفته تعالى التي هي المقصود من بيان تلك الأوصاف، ومن معرفته تلك الصفات، فظهر حينئذ في قلبه التوحيد وإلوهيته تعالى بنحو لم يكن ظاهراً فيه قبلاً، فقال في غاية اللذة والشوق عن معرفة حقيقة: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، كما لا يخفى على العارف البصير.

الثاني: أن الزائر لما ذكر الإمام عليه السلام بتلك الصفات السنية، التي هي آثار ولايتهم التكوينية، والتي هي مظاهر أنوار جلاله وجماله تعالى، فأثر في نفسه عظمة الإمام عليه السلام وظهر الإمام حينئذ في قلبه بمقامه السامي، الذي ليس فوقه مقام، فكأن الزائر حينئذ في مظنّة توهم أن يدعي أن ظهور هذه الأنوار والعظمة منهم عليهم السلام هو من أنوار المخلوقين وعظمتهم، بحيث كاد أن يقع في خطر الغلو، وأن ينسب هذه الصفات إليهم عليهم السلام بالذات فقال عليه السلام: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، بعدها دفعاً لهذا التوهم، وتلويحاً إلى أن هذه الأنوار والصفات والعظمة إنما هي للّه تعالى لا لهم بالذات، بل ليسوا هم عليهم السلام إلّا المظاهر له تعالى ولتلك الصفات كما لا يخفى.

الثالث: أن الإمام عليه السلام لما علّم الزائرين كيفية زيارتهم عليهم السلام بتلك الأوصاف العظيمة، وهو عليه السلام في هذا البيان أظهر مقامه السامي ومقامهم عليهم السلام فلو لم يعقبه بقوله عليه السلام: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، لأمكن أن يتوهم أنهم ادعو الربوبية لأنفسهم بالبيان السابق، فقال عليه السلام: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، للإشارة إلى الإقرار منهم عليهم السلام بالعبودية، وأنه لا إله إلاّ اللّه، وللإشارة إلى مقام الربوبية له تعالى، وأنه المعبود

بالحق كما لا يخفى.

قوله عليه السلام: كما شهد الله لنفسه.

أقول: شبّه عليه السلام شهادته في قوله عليه السلام: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، بشهادته تعالى لنفسه في قوله: **﴿شهد اللّه أنه لا إله إلّا هو﴾**(١) ووجه التشبيه أمور:

الأول: أنه كما تكون وحدانيته تعالى المشار إليها بقوله تعالى: **﴿لا إله إلّا هو﴾** في قوله: **﴿شهد اللّه أنه لا إله إلّا هو﴾** أمراً بديهياً لنفسه تعالى، حيث إنه تعالى لا يوجد في أزليته ولا في أبديته غيره كما قال تعالى: **﴿قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السمٰوات ولا في الأرض﴾**(٢) فإنه تعالى لا يعلم أن معه غيره لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في استحقاقه لأن يعبد، بل هو يجد نفسه بنفسه عند نفسه بمعنى أن وجدانه (بمعنى المصدرية) هو عين وجوده وذاته ووجدانه (بمعنى المصدرية) لذاته وذاته وجوده تعالى وتقدس.

وبعبارة أُخرى: أنه تعالى لا يرى غير نفسه شيئاً أبداً في صقع ذاته المقدسة، وإقراره تعالى بهذا المعنى للخلق هو ظهوره بالوحدانية وهو وجه الباقي جلّ وعلا الذي تقتضي إفناء الخلق وفناءَه فتدبر.

ثم إنه لا يذهب عليك من تكثر العبارات وتكثر عباراتنا أنا نريد الكثرة، بل ليس المراد إلّا التنبيه العقلي الدقيق على أنه شيء بحقيقة الشيئية واحد بحقيقة الوحدة أي احدى المعنى، فكل صفاته وإن تكثرت في التعبير فإنها يراد منها هذا الذي ذكرنا، فإذا قلنا: إنه عالم (أي علم بذاته) أو إنه بصير (أي إنه بصير بذاته) وكيف كان لا يراد منها إلّا التفهيم والتبيين والتوصل إلى إثبات الثابت في القلوب ،والأهواء بالفطرة الإلهية.

---

١ ـ آل عمران: ١٨.

٢ ـ يونس: ١٨.

والمراد بإثبات الثابت أنه بعدما ثبت وصفه لعبده، وللمقرّ بالشهادة بظهور أوصافه، التي عرف نفسه بها لعبده، فقد بين نفسه بهذا التعريف الوصفي لعبده. فعنده عرفه بالوصف الذي ظهر منه تعالى فيه، فالتعابير وإن تعددت فإنما يشار بها إلى ما ظهر من مضامينها في نفس العبد، التي بها عرف اللّه نفسه لعبده، فمن دلالة هذه الأوصاف المعلومة عنده يقرّ بالوحدانية له تعالى بقوله: أشهد أن لا إله إلّا اللّه. فليس في الشهادة اللفظية وإن كان فيها ذكر الأوصاف الكثيرة مغايرة ولا كثرة لاحيثاً ولا اعتباراً ولاعقلاً، ولا في الأزل ولا في الأبد، ولا في ظهوره تعالى بأوصافه لعبده في قلبه.

إذ العبد وما ظهر في قلبه من تلك الأوصاف المعرفة لربّه، لا يراد منها إلاّ الإشارة إليه تعالى بما هو هو أي بهذه الأمور يريد إثباته (أي إثبات الثابت في الواقع) ومعنى الإثبات الإقرار به ونفي ما سواه تعالى؛ لكي لا يُرى ظهور إلّا له تعالى، فكلّ من يقول: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، لا يريد من الشهادة بالوحدانية له تعالى إلّا بهذا الوجه الذي ذكرنا، وذلك أنه لا طريق للعبد إلى الإقرار بوحدانيته، وإلى شهادته له تعالى إلّا بذلك الوصف، الذي ظهر منه تعالى في قلبه، بل لا حقيقة للعبد من حيث هو ذو نفس ناطقة عارفة بربّها فطرة، إلّا ذلك الوصف الذي ظهر ربّه به له، أي الذي ظهر ربّه بذلك الوصف لهذا العبد، بل ظهر تبارك وتعالى بعبده أي بوجوده عنده (أي بايجاد عبده لعبده) كما تقدمت الإشارة إليه.

فإقرار العبد بالوحدانية في قوله: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، مع تشبيهه بإقراره تعالى لنفسه بقوله: كما ﴿شهد اللّه﴾ لنفسه يراد منه تشبيه شهادته له تعالى بشهادته تعالى لنفسه من حيث بداهة وحدانيته، أي كما أن وحدانيته تعالى لنفسه أمر بديهي له بالبيان المتقدم، فكذلك شهادتي بديهية لي بالبيان المتقدم أي أني أشهد بالبداهة بوحدانيته تعالى من حيث وصفه تعالى، الذي ظهر منه في القلب، والذي منه عرّف نفسه لي، فقد عرفته بالوحدانية في نفسي بما عرفني نفسه في نفسي،

فشهادتي بديهية كشهادته البديهية لنفسه تعالى.

ومن المعلوم أن الشهادة البديهية للعبد لا تكون إلّا بنحو ذكرناه، وإلّا فمن لم يكن عارفاً بهذا البيان فلعله لا يكون كلامه صادقاً في قوله: كما ﴿**شهد اللّه**﴾ لنفسه إذا أراد من التشبيه البداهة في الشهادة، إلّا إذا كان مراده الوجه الآتي من وجه الشبه كما لا يخفى.

وإلى ما ذكرنا يشير ما في كلامهم من تقسيم التوحيد إلى توحيد الصديقين وإلى توحيد غيرهم، وان الأول هو التوحيد وإثبات الوحدة له تعالى من طريق البداهة الوجدانية الظاهرة، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿**أفي اللّه شك فاطر السموات والارض**﴾، وقوله عليه السلام: «ما رأيت شيئاً إلّا وقد رأيت اللّه قبله» وقوله عليه السلام: «كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، ألغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك».

فإن هذه الجمل كلها تشير إلى ظهوره تعالى في بصيرة القلب، التي هي أقوى من بصر العين، وذلك بالوجه الذي ذكرنا، أو بما هو أوضح منه، ولنعم ما قيل:

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد   إلّا على أكمه لا يبصر القمرا

وما قيل:

دلى كز معرفت نور وصفا ديد   بهر چه بنگرد اول خدا ديد

الثاني من وجه التشبيه أن يقال: إنه قد علمت أن توحيده ووحدانيته تعالى بديهي عنده تعالى بالبيان المتقدم، إلّا أنه لا يمكن لغيره تعالى الشهادة بالوحدانية بعين ما شهد به تعالى لنفسه، إذ لا ريب في انه تعالى عالم بكنه ذاته، ولا ريب في أن غيره تعالى وإن كان رسولاً خاتماً أو ولياً خاتماً، لا يكون عالماً بكنهه تعالى، فلا

محالة لا يمكن لغيره الشهادة بالوحدانية الذاتية عن معرفة، بل تختص به تعالى، ذلك وما ذكر في الوجه السابق من بداهة الاقرار للعبد أيضاً بالبيان المتقدم، فإنما هو بداهة في أنّ وجوده الغائب عن الأوهام والقلوب، لا في بداهة مشاهدة ذاته كما هو هو كما لا يخفى.

ولذا ورد في الخبر: «ما وحد اللّه غير اللّه» وعنه صلى الله عليه وآله: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»، وورد: «ما عرفناك حقّ معرفتك»، وإليه يشير أيضاً ما ورد: «أن اللّه احتجب عن القلوب كما احتجب عن الأبصار».

ولعله إليه يشير أيضاً قوله تعالى: ﴿وما قدروا اللّه حقّ قدره﴾[1] وقال علي عليه السلام: «لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن» وقيل أيضاً شعراً.

ما وحد الواحد من واحد — إذ كل من وحده جاحد
توحيده اياه توحيده — ونعت من ينعته لاحد

ولعدم امكانه لأحد قال عليه السلام: «لا تكلموا في ذات اللّه، فإنه لا يزيدكم إلا تحيراً» كما في توحيد الصدوق وفي الدعاء: «يا من لا يعلم ما هو إلّا هو» فعلى هذا:

فدع عنك بحراً — ضلّ فيه السوابح

وعلى هذا فقولك: أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له كما شهد اللّه لنفسه، معناه أنك تشبّه توحيدك له تعالى بتوحيده لنفسه، تريد بذلك أني أشهد له بأحدية لا يعرفها غيره، وهي أحدية الوجوب التي هي أحدية هي ذاته، ويكون حاصل المعنى أن المدرك للعبد وإن بلغ ما بلغ هو احدية الوجوب وأحدية الذات، وهذه الأحدية مراة وآية للأحدية الذاتية المشهودة له تعالى ولنفسه تعالى، ولا طريق للعبد إلى الأحدية المشهودة إلّا من هذه الأحدية المرآتية.

---

١ ـ الأنعام: ٩١.

وبعبارة أُخرى: معناه أني لا أدرك إلّا أحدية هي آية ومرآة أحديته الذاتية جلّ وعلا، وحينئذ لاريب في أن جميع الخلائق من نبي مرسل وملك مقرب ومؤمن كامل ممتحن إنما يدركون هذه الأحدية المرآتية، التي هي آية احديتة الذاتية، وإن تفاوت مراتب المدركين والمدركات من الأحديات، التي هي آيات أحديته، التي هي ذاته التي شهدتها لنفسه تعالى تفاوتاً غير متناه في عالم الممكنات.

ومن المعلوم أن هذه الأحدية المرآتية غاية ما يمكن للعبد أن يشير بها إلى أحديته الذاتية في مقام التوحيد، سواء كانت هذه ثابتة عنده علماً أو مدركة وجداناً، فليس له تعالى ظهور لعبده إلّا بهذه الوحدة، التي عرفت أنها ترجع إلى مراتب أربع في التوحيد، وهذه الوحدة المرآتية لا يمكن التوصل بها إلى معرفة ذاتية والإحاطة والعلم لكنهه تعالى إلّا بالإشارة، ولذا غاية الإقرار بوحدانيته تعالى إنما هو بإظهارها في ضمن كلمة التوحيد حال تشبيهها بتوحيده تعالى لنفسه.

وبعبارة أخرى؛ أن قول: لا إله إلّا اللّه، وإن كان يدل على التوحيد إلّا أنه لا يدل إلّا على ما أدركه القائل بها، وما أدركه معلوم لنفسه لا ما هو الواقع في ذاته تعالى، فحينئذ لا يكون الأعلى والأحسن في مقام الإقرار بالوحدانية بهذه الكلمة المباركة إلّا بالتشبيه أي إلا بتشبيهها بتوحيده تعالى كما لا يخفى.

ثم إن الوجه في أن التوحيد والوحدة المرآتية لا تدلّ على بيان كنه المدلول عليه، أي لا يدل على بيان كنهه تعالى، هو أن هذه الوحدة المرآتية ظهور منه تعالى في عالم قلوب أوليائه، وهو خلق منه تعالى، والخلق مهما كان أقرب يكون محدوداً بالنسبة إلى ذاته تعالى، التي لا اسم له ولا رسم ولا حدّ ولا إشارة ولا توهم، فالعبد بما هو خلق ودركه التوحيد والوحدة المرآتية بما هي خلق، لا يمكن لها الوصول إلى كنه ذاته المقدسة؛ لأن غاية ما يعرفه غيره تعالى قد علمت أنه آية، والآية غاية ما تدلّ على ذي الآية لا على كنه ذي الآية في خصوص المقام؛ وذلك لأنّ هذه الوحدة مهما كانت في الظهور فهي مخلوقة، وهي بفقرها الذاتي وحاجتها في الاستناد إلى غيره،

تدل على غنى مطلق. هو لا يستند إلى غيره فهو تعالى في غناه وساير صفاته الذاتية لا يستند إلى غيره، وإلّا لتحول دليلاً بعدما كان مدولاً عليه.

وبعبارة أُخرى: فلو كانت ذاته المقدسة تستند إلى غيره؛ لكان دليلاً على ذلك الغير، والمفروض أنها مدلولٌ عليها بتلك الوحدة المرآتية، فهو تعالى لا يدل بدلالة المحتاجين والمخلوقين على غيره يكون هو الخالق، بل هو مدلول آياته الآفاقية والأنفسية، ومعنى كونه تعالى دالاً على ذاته بذاته هو أن ذاته تعالى بآثاها تدل على ذاته.

وبعبارة أخرى: بخلقه الآيات تدل ذاته على ذاته، وهذه الدالة غير دلالة المخلوق على خالقه، على أن معنى كونه دالاً على ذاته أن المدلول هو ذاته المقدسة لا غيره، وهذا غير دلالة الاشياء على خالقها الذي هو غيرها، وأيضاً هذا غير الدلالة المنفية عنه تعالى، فإن المنفية هي دلالته تعالى على غيره لا دلالته على نفسه وذاته، كما لا يخفى فقوله عليه السلام: دلّ على ذاته بذاته خارج عما نحن فيه، من أنه تعالى لا يكون دليلاً على غيره خروجاً موضوعياً فتدبر تفهم إن شاء اللّه.

فظهر مما ذكرنا: أنه لا يمكن الدلالة على ذاته المقدسة بالكنه من شيء، ولو من الوحدة المرآتية بأعلى مراتب ظهورها في أشرف المخلوقات؛ ولذا قال صلى الله عليه وآله: «ما عرفناك حقّ معرفتك».

وكيف كان فما عرفت من الوحدة الحقيقية التي شهدت بها له تعالى من الوحدة المرآتية دلّك هذا الذي عرفته على الوحدة، التي شهد بها تعالى لنفسه شهادة وجدانية له تعالى، بحيث لا يشترك فيها غيره من جميع المخلوقين، ووجه الدلالة أن الوحدة المرآتية التي هي مشهودة لك، مستندة واقعاً إلى تلك الوحدة التي شهد بها تعالى لنفسه، وهذه أيضاً مفتقرة إليها وتلك (أي الوحدة التي هي مشهوده تعالى)ظاهرة بهذا الوحدة التي تكون مشهوداً لك، فهي مرآة لها ودالة عليها دلالة المظهر على الظاهر والمخلوق على الخالق، فقولك: أشهد أن لا إله إلّا اللّه كما شهد

اللّه لنفسه، معناه أني بهذه الشهادة أي الوحدانية المرآتية التي عرفتها وتعني بالتشبيه في قولك: كما شهد، مالم تعرفه من الوحدانية التي شهد بها تعالى لنفسه.

في الحقيقة بالتشبيه تشير إلى تلك الشهادة التي شهد بها لنفسه، وتجعل الشهادة للوحدة المذكورة لك مراةً لتلك الشهادة التي شهد بها تعالى لنفسه، ولعل المعرفة الصحيحة التي هي غاية ما يمكن أن يراد من العبادة هي هذه التي ذكرناها ولا طريق إلى غيرها، بل ربما يقال: إنّ الخطابات والأدعية التي تتوجه من العباد إليه تعالى لا تدل إلّا على معنى، تكون مراةً لما يناسب ذاته المقدسة كل بحسبه؛ وذلك لأنّ الخطابات والادعية كلها خلق قد اقدرك اللّه عليها فبها تتوصل إلى الحق، ويكون كيفية التوصل بها إليه تعالى بنحو ذكرناه في الشهادة والمعرفة بالوحدة المرآتية.

فظهر معنى أشهد أن لا إله إلّا اللّه كما شهد اللّه لنفسه بناء على أن تكون الكاف للتشبيه.

الوجه الثالث للتشبيه: هو أن يكون التشبيه بلحاظ التوصيف؛ أي أني أشهد أن لا إله إلّا اللّه بنحو وصفه اللّه تعالى لنا، وأمرنا أن نصفه وأن نوحّده بلسان أنبيائه وكتبه.

والحاصل: ان شهادتي بالوحدانية له تعالى إنما تكون على وصفه تعالى لنا أن نشهد له وأن نوحّده به.

وبعبارة أُخرى: أنه قد علمت أنه تعالى قد عرّف نفسه لكل أحد من خلقه، فكلّ قد عرفه بما أظهر تعالى فيه (أي في نفسه) من آياته الأنفسية بحيث تجلى اللّه تعالى بتلك الآيات الأنفسية لذلك الشخص كما قال عليه السلام: «تجلى لها بها» وقد مرّ شرحه، وعلمت سابقاً أن تعرفه لك هو ظهروه تعالى لك وقد مرّ أيضاً شرحه، إلّا أن هذه المعرفة معرفة شخصية أي بحسب ما ظهر من الآيات في نفس العارف، وليست معرفة كلية لما علمت من اختلاف مراتب ظهوره في الآيات الأنفسية في

الخلق.

فأدنى المخلوقين قد عرف اللّه تعالى بما عرفه به نفسه، وأشرف المخلوقين أيضاً قد عرفه اللّه تعالى نفسه بالآيات، التي جعلها فيه كما قال عليه السلام وقال عليه السلام: «ما للّه آية أكبر مني» وبين المرتبتين مراتب كثيرة لا تتناهى جدّاً.

وكيف كان فهذه المعرفة معرفة شخصيّة، والمعرفة الكليّة هي التي وصفها اللّه تعالى وأثبتها لنفسه وحينئذ معنى قوله: أشهد كما شهد لنفسه، أني أشهد بالوحدانية التي وصفها اللّه تعالى لنا في كتبه وبلسان أنبيائه، وإن لم يكن ظاهره بحقيقتها لنا، بل كانت ظاهرة له تعالى فقط، إلّا أنا نشهد بالوحدانية حال كونها موصوفة بما وصفها اللّه لنا، وتبين هذه الجهة بقولك: كما شهد لنفسه، ويؤيده بل يدل عليه ظاهر العطف في قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلّا هو والملائكة وأولوا العلم..﴾[1] المقتضي للتشريك.

وبعبارة أُخرى: أن ظاهر العطف هو اشتراك المعطوف مع المعطوف عليه في الشهادة، مع أنه قد علمت أن الشهادة الحقيقية مختصة به تعالى لا يشترك معه أحد، فحينئذ لابدّ من أن يكون المراد المعطوف عليه أي شهادته تعالى لنفسه في الآية المباركة هي الشهادة التوصيفية لخلقه، لا الشهادة الحقيقية لذاته؛ ليصح العطف الدال على الاشتراك وحينئذ قولك: أشهد أن لا إله إلّا اللّه كما شهد الله لنفسه، داخل في شهادته بهذا النحو، فالكاف قد أتى لها للاتحاد بين الشهادتين، فشهادته تعالى لنفسه تكون عين شهادتك له تعالى في الوصف له تعالى بالوحدانية، الذي ذكره تعالى بلسان أنبيائه وكتبه.

ثم إن التوصيف قد يكون بلحاظ الكلية بالنسبة إليه تعالى، وقد يكون بلحاظ توصيفه تعالى نفسه لكلّ فرد من عباده بالخصوص، وما ذكرنا هو مبني على الأول، وأما على الثاني فحينئذ يكون معناه أني أشهد له بالوحدانية كما وصف نفسه

---

١ ـ آل عمران: ١٨.

ووحدانيته لي بالخصوص، فحينئذ يكون معناه: أنا أشهد أن لا إله إلّا اللّه وهي شهادته لنفسه أن لا إله إلّا اللّه وهي شهادته لنفسه ان لا إله إلّا هو لي، أي توصيفه تعالى وحدانيته لي بالخصوص، فأنا أشهد بهذه الشهادة التي شهد تعالى بها لي بالوصف.

وبعبارة أخرى: أشهد بالوحدانية كما عرفها لي بتوصيفها لي، وتوصيفها لي عبارة عن ظهوره تعالى لي بنفسي أي بالآيات والصفات والأوصاف التي بينها لي في نفسي كما تقدم مراراً، هذا كله بناء على أن تكون الكاف للتشبيه، ويحتمل أن تكون للتعليل ومعناه أني أشهد أن لا إله إلّا اللّه لأنه شهد أن لا إله إلّا اللّه.

وبعبارة أُخرى: كما أن الإنسان يعتمد في الأُمور العظيمة والمطالب الدقيقة على عظماء أهل العلم والمعرفة، بل كما أنه يعتمد كل جاهل بأمر على العالم به في المشي على علمه في ذلك العلم والاعتماد عليه، فكذلك في المقام تكون معنى الشهادة أنه لما كان اللّه تعالى عالماً بجميع الأُمور وعالماً بنفسه وبصفاته وبوحدانيته، وأنه لا شريك معه، وهو تعالى شهد على وحدانيته فأنا بتلك العلة أشهد أن لا إله إلّا اللّه.

والحاصل: أنه تعالى عالم، فلو وجد معه غيره لما وحد نفسه، فلما وحد نفسه علم وحدانيته، فأنا أشهد لها لأنّه شهد بها فالكاف للعلة، ويدلّ بالالتزام على ما يدلّ على وحدانيته ممّا بينه في كتبه وبلسان أنبيائه، ثم إنه تعالى ما كان محتاجاً لأن يشهد لنفسه بالوحدانية، وإنما يشهد بها ليدلنا على ما فيه هدايتنا إلى ما أعدّ من

الخيرات في الدنيا والآخرة لموحديه، وعلى ما فيه نجاتنا مما أعد من العقوبات في الدنيا والآخرة لمنكري توحيده.

وهنا وجه آخر دقيق لشهادته تعالى بوحدانيته لنفسه على جميع التقادير وحاصله: أنه قد ثبت في محلّه أنه لا يكون في صقع الوجود وعالمه إلّا ذاته المقدسة وصفاته وأفعاله تعالى، قال تعالى: **﴿لا إله إلّا هو﴾**[١] وقال تعالى: **﴿لا قوة إلّا باللّه﴾**[٢]، وقال: **﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾**[٣]، فرجع هذا إلى التوحيد الذاتي والصفاتي الأفعالي في عالم الوجود.

وهذا بالنسبة إلى الواقع ونفس الأمر، وأمّا في الظاهر وفي نظر الخلق فهم مع قطع النظر عن تعريفه تعالى لنا نفسه هكذا محجوبون عن هذه المعارف، فلا يكاد يصل أحد إليها إلّا بتعريفه تعالى فحينئذ قوله تعالى: **﴿شهد اللّه أنه لا إله إلّا هو﴾**[٤]، للتنبيه على هذه المعارف.

وبعبارة أخرى: للإشارة إلى أن مادة جميع أكواننا في جميع مراتب الايجادات من الصفات والأفعال والمثوبات الدنيوية والأخروية هو ذاته المقدسة تبارك وتعالى، فقوله تعالى: **﴿لا إله إلّا هو﴾** هو أنه تعالى بذاته أصل كل الأمور من الأفعال والصفات مطلقاً، وتوحيدنا له وقبولنا لتوحيده بقولنا: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، هو قبولنا لتلك المعارف.

وبعبارة أُخرى: هو قبولنا للوحدانية الذاتية والصفاتية والافعالية، فالشهادة الحقيقية منه تعالى هو بيان تلك المعارف، وشهادتنا له تعالى حقيقة هو قبولنا بنحو ما ذكرناه، فتأمل تعرف راشداً إن شاء اللّه تعالى.

---

١ ـ البقرة: ١٦٣.
٢ ـ الكهف: ٣٩.
٣ ـ القصص: ٦٨.
٤ ـ آل عمران: ١٨.

قوله ﷺ: وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه

الكلام يقع هنا في جهات:

الجهة الأولى: قوله ﷺ: وشهدت، عطف على أشهد للإشعار على أن الشهادة بوحدانيته أمر ثابت عند الملائكة وأُولي العلم، وإنما خصّ العطف بهم دون جميع الخلق؛ لعدم الاعتناء بغير أُولي العلم اذ غيرهم كالأنعام بل هم أضل، فلا يعتنى بهم وبأفعالهم وأقوالهم.

إذن فالإقرار بوحدانيته مسلم عند الملائكة وأُولي العلم، فهذا للتنبيه أيضاً على أن وحدانيته أمر لا ينكره الملائكة وأولو العلم فهي من مهامّ ما أقرّ به الملائكة وأولو العلم؛ فينبغي لكل أحد أن يتبعهم في ذلك، على أنه لو لم يكن الإقرار بالوحدانية أمراً مهمّاً لما كانت الملائكة وأُولو العلم ـ المراد منهم الأنبياء والأولياء كما سيأتي ـ مقرّين بها كما لا يخفى.

الجهة الثانية: في بيان معنى الملائكة.

ففي المجمع: الملك من الملائكة واحد وجمع، وأصله مَألك فقدّم اللام وأخّر الهمزة، ووزنه مَفعل من الألوكة وهي الرسالة، ثم تركت الهمزة لكثرة الاستعمال فقيل: مَلك، فلما جمعوه ردّوه إلى أصله فقالوا: مَلائك، فزيدت التاءُ للمبالغة أو لتأنيث الجمع.. إلى أن قال: واختلف في حقيقة الملائكة، فذهب أكثر المتكلمين ـ لما أنكروا الجواهر المجردة ـ إلى أن الملائكة والجن أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة.

وفي شرح المقاصد: الملائكة أجسام لطيفة نورانية كاملة في العلم، والقدرة على الأفعال الشاقة، شأنها الطاعات، ومسكنها السموات، وهم رسل اللّه إلى الأنبياء، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.. الخ.

أقول: في البحار[1]، عن الاختصاص بإسناده عن المعلى بن محمد، رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله عزوجل خلق الملائكة من نور» الخبر.

وفيه[2]، عن الاحتجاج بإسناده إلى أبي محمد العسكري عليه السلام فيما احتج رسول الله صلى الله عليه وآله به على المشركين: والملك لا تشاهده حواسّكم؛ لأنه من جنس هذا الهواء لاعيان منه، ولو شاهدتموه بان يزداد في قوى أبصاركم لقلتم: ليس هذا ملكاً بل هذا بشر، الخبر.

وفي خصال الصدوق[3]، بإسناده عن محمد بن طلحة، بإسناد يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: الملائكة على ثلاثة أجزاء، فجزء لهم جناحان، وجزء لهم ثلاثة أجنحة، وجزء لهم أربعة أجنحة.

وفيه عن الحسن بن محبوب، عمّن ذكره عن أبي الله عليه السلام قال: الجن على ثلاثة أجزاء، فجزء مع الملائكة، وجزء يطيرون في الهواء، وجزء كلاب وحيّات، والانس على ثلاثة أجزاء، فجزء تحت ظل العرش يوم لاظل إلّا ظله، وجزء عليهم الحساب والعذاب، وجزء وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين.

قال المجلسي في البحار[4]: تكملة، إعلم أنه أجمعت الإمامية بل جميع المسلمين ـ إلّا من شذّ منهم من المتفلسفين، الذين أدخلوا أنفسهم بين المسلمين لتخريب أصولهم، وتضييع عقائدهم ـ على وجود الملائكة، وأنهم أجسام لطيفة نورانية أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع، وأكثرهم قادرون على التشكل بالأشكال المختلفة، وأنه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما يشاء من الأشكال والصور على حسب الحكم والمصالح، ولهم حركات صعوداً وهبوطاً، وكانوا يراهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام والقول بتجردهم وتأويلهم بالعقول والنفوس الفلكية والقوى والطبائع، وتأويل

---

١ ـ البحار ج ٥٩ ص ١٩١.
٢ ـ البحار ح ٥٩ ص ١٧١.
٣ ـ خصال الصدوق ـ باب الثلاثة ص ١٤٥.
٤ ـ البحار ج ٥٩ ص ٢٠٢.

الآيات المتضافرة، والأخبار المتواترة تعويلاً على شبهات واهية، واستبعادات وهمية زيغ عن سبيل الهدى، واتباع لأهل الجهل والعمى.

أقول: لم يعلم ثبوت إجماع الإمامية على جسمانية الملائكة مطلقاً، بل المستفاد من الأحاديث أن الكروبيين والمهيمين ليسوا بأجسام بل مجردات، نعم التجرد الحقيقي مختصّ به تعالى، وساير المجردات على القول بها مجردات بالنسبة كما حق في محلّه.

ثم ذكرﷺ الأقوال في حقيقة الملائكة مع الأدلة نفياً وإثباتاً، ونحن لا نتعرض لها روماً للاختصار ثم ذكرﷺ أقسامهم وأوصافهم، فمن أراد الإحاطة بها فليراجع الجلد المذكور منه، هذا ولكن نحن نذكر بعض الأحاديث في بيان خلق بعض الملائكة مما يظهر منه عظمته تعالى فنقول:

ففي البحار[١]، عن تفسير القمي بإسناده عن أبي عبداللّهعليه السلام أنه سأل: هل الملائكة أكثر أم بنو آدم؟ فقال: والذي نفسي بيده لملائكة اللّه في السموات أكثر من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضع قدم إلّا وفيها ملك يسبّحه ويقدّسه، ولا في الأرض شجر ولا مدر إلّا وفيها ملك موكل بها، يأتي اللّه كل يوم بعملها واللّه أعلم بها، وما منهم أحد إلّا ويتقرب كل يوم إلى اللّه بولايتنا أهل البيت، ويستغفر لمحبينا، ويلعن أعداءَنا، ويسأل اللّه ان يرسل عليهم العذاب إرسالاً.

وفيه[٢]، عن التوحيد والخصال بإسنادهما عن زيد بن وهب قال: سُئل، أميرالمؤمنين عن قدرة اللّه جلّت عظمته، فقام خطيباً: فحمد اللّة وأثنى عليه ثم قال: إن للّه تبارك وتعالى ملائكة، لو أن ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته، ومنهم من لو كلفت الجن والانس أن يصفوه ما وصفوه؛ لبعد ما بين مفاصله، وحسن تركيب صورته، وكيف يوصف من ملائكته من سبعمائة

---

١ ـ البحار ج ٥٦ ص ١٧٦.

٢ ـ البحار ج ٥٩ ص ١٧٨.

عام ما بين منكبه وشحمة اذنه؟ ومنهم من يسدّ الأُفق بجناح من أجنحته دون عظم يديه، ومنهم من في السموات إلى حجزته، ومنهم من قدمه على غير قرار في جوّ الهواء الأسفل، والأرضون إلى ركبتيه، ومنهم من لو ألق في نقرة إبهامه جميع المياه لوسعته، ومنهم من لو القيت السفن في دموع عينه لجرت دهر الداهرين فتبارك اللّه أحسن الخالقين.

وفيه[1]، عن الكافي، عن السكوني، عن أبي عبداللّهعليه السلام قال: قال رسول اللّهصلى الله عليه وآله: إن للّه ملكاً رجلاه في الارض السفلى مسيرة خمس مائة عام، ورأسه في السماء العليا مسيرة ألف سنة يقول: سبحانك (سبحانك خ ل) حيث كنت فما أعظمك! قال: فيوحي اللّه عزوجل إليه ما يعلم ذلك من يحلف بي كاذباً.

وفيه[2]، عن التوحيد، بالاسناد المتقدم عن النبيصلى الله عليه وآله قال: إن للّه تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة نصف جسده الأعلى نار، ونصفه الأسفل الثلج، فلا النار تذيب الثلج، ولا الثلج يطفئ النار، وهو قائم ينادي بصوت له رفيع: سبحان الذي كفّ حر هذه النار، فلا تذيب هذا الثلج، وكفّ برد هذا الثلج فلا يطفئ النار، اللّهم يا مؤلفاً بين الثلج والنار ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك.

ومنه بهذا الإسناد عن النبيصلى الله عليه وآله قال: إن للّه تبارك وتعالى ملائكة ليس شيء من أطباق أجسادهم إلّا وهو يسبح اللّه تعالى، ويحمده من ناحيته بأصوات مختلفة لا يرفعون رؤوسهم إلى السماء، ولا يخفظونها إلى أقدامهم من البكاء والخشية للّه عزوجل.

وفيه، عنه، عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبداللّهعليه السلام هل في السماء بحار؟ قال: نعم أخبرني أبي عن أبيه، عن جدّهعليهم السلام قال: قال رسول اللّهصلى الله عليه وآله إن في السموات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمس مائة عام، فيها ملائكة قيام منذ

---

١ ـ البحار ج ٥٩ ص ١٩٧.

٢ ـ البحار ج ٥٩ ص ١٨٣ عن التوحيد ص ١٨٢.

خلقهم اللّه عزوجل والماء إلى ركبهم، ليس منهم ملك إلّا وله ألف وأربع مائة جناح، في كل جناح أربعة وجوه، في كل وجه أربعة ألسن، ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم إلا وهو يسبح اللّه تعالى بتسبيح لا يشبه نوع منه صاحبه.

وفيه عنه بإسناده عن الأصبغ قال: جاء ابن الكواء إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين واللّه إن في كتاب اللّه تعالى لآية قد أفسدت عليّ قلبي وشككتني في ديني، فقال له عليه السلام: ثكلتك أُمك وعدمتك وما تلك الآية؟ قال: هو قول اللّه تعالى: **﴿والطير صافات كلٌ قد علم صلاته وتسبيحه﴾** فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: يا بن الكواء إن اللّه تعالى خلق الملائكة في صور شتّى، إلّا أنّ للّه تعالى ملكاً في صورة ديك ابجّ أشهب، براثنه في الأرضين السابعة السلفى، وعرفه مثنى تحت العرش، له جناحان جناح في المشرق وجناح في المغرب واحد من نار والآخر من ثلج.

فإذا حضر وقت الصلوة قام على براثنه، ثم رفع عنقه من تحت العرش، ثم صفق بجناحيه كما يصفق الديوك في منازلكم فينادي: أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً سيد النبيين، وأن وصيه سيد الوصيين، وأن اللّه سبوح قدوس رب الملائكة والروح، قال: فتخفق الديكة بأجنحتها في منازلكم فتجيبه عن قوله وهو قوله عزوجل: **﴿والطير صافات كلٌ قد علم صلاته وتسبيحه﴾** من الديكة في الأرض.

أقول: الأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً فراجع البحار ج ٥٩.

الجهة الثالثة: في معنى شهادة الملائكة بالوحدانية له تعالى فنقول: قد علمت قوله عليه السلام: فينادي (أي ذلك الملك الذي هو بصورة الديك) أشهد أن لا إله إلّا اللّه.. الخ، فيمكن أن تكون شهادته وكذا شهادة سائر الملائكة باللفظ، ويمكن أن تكون بالمعاني المعبّرة عنها باللفظ، وقد يقال: إن المراد من الأجنحة للملائكة هو الأمر الموكل بأعماله، الذي أقدره اللّه تعالى عليه، فهي بأعمالها في مواردها وعدم مخالفتها لما أمرت به تكون مقرة بالشهادة على التوحيد، وذلك لأن الإقرار اللساني لا يراد

منه إلّا بما هو حاك عن الايقان القلبي، والايقان القلبي لا يراد منه إلّا حق الامتثال لمن أقر بوحدانيته وعظمته.

فلو أن أحداً عمل بما أمره اللّه ولم يخالف أبداً كما حكى اللّه تعالى عنهم بقوله: **﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾** المفسّر بالملائكة أيضاً، فقد أقر بحقيقة وجوده على توحيده كما لا يخفى، وربما يدل عليه ما ورد من الأحاديث الدالة على أن المعصية هي شرك باللّه تعالى، وأن الطاعة الحقيقة هي حقيقة الإقرار بالتوحيد بجميع شؤونه، واللّه العالم.

الجهة الرابعة: في بيان المراد من أُولي العلم.

في تفسير نور الثقلين عن تفسير العياش، عن جابر قال: سألت أبا جعفرعليه السلام عن هذه الآية: **﴿شهد اللّه أنه لا إله إلّا هو والملائكة وأُولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلّا هو العزيز الحكيم﴾** قال أبو جعفرعليه السلام: شهد اللّه أنه لا إله إلّا هو، فإن اللّه تبارك وتعالى يشهد بها لنفسه وهو كما قال، فأمّا قوله: **﴿والملائكة﴾** فإنه أكرم الملائكة بالتسليم له بهم، وصدقوا وشهدوا كما شهد لنفسه، وأمّا قوله: **﴿وأُولوا العلم قائماً بالقسط﴾** فإن أُولي العلم الأنبياء والأوصياء وهم قيام بالقسط (والقسط العدل في الظاهر) والعدل في الباطن أميرالمؤمنينعليه السلام.

وفيه عن مروان القمي قال: سألت أبا الحسنعليه السلام عن قوله تعالى: **﴿شهد اللّه أنه لا إله إلّا هو والملائكة وأُولوا العلم قائماً بالقسط﴾**، قالعليه السلام: هو الإمام.

أقول: فالمراد من أولي هم الأنبياء والأوصياء كما ذكر.

وعلى هذا فيكون قولهعليه السلام: من خلقه، للتبعيض، بخلاف ما إذا أريد منه العوام فانه حينئذ للبيان كما لا يخفى، وعلى الأول (أي كون المراد من أُولي العلم الأنبياء والأوصياء فقط) يستفاد منه أن غيرهم وإن حصلت منهم الشهادة بالتوحيد إلّا أنها لا تخلو واقعاً من شوب الكفر، بل نفس الكفر حقيقة كما ورد في النملة أنها إذا تصورت خالقها فإنها تثبت له زبانتين؛ لزعمها أن كمال الخلاق في ذلك كما ذكر في

الحديث.

نعم يمكن أن يقال: إن جملة أولي العلم إنما صيغت لبيان انقياد جميع الخلق له تعالى بشهادته له بالوحدانية، فحينئذ يشمل العموم إلّا أن هذا أيضاً فيه شيء إذ علمت أن غير المخلصين (بالفتح) من العباد يكون اللّه تعالى منزهاً عن توصيفهم لقوله تعالى: ﴿سبحان اللّه عما يصفون * إلّا عباد اللّه المخلَصين﴾[1] فنزه اللّه نفسه المقدسة عن توصيف غير المخلصين لها، فحينئذٍ لا يليق أن يراد من أولي العلم الأعم الشامل لغير المخلصين فضلا عمّن دونهم وعن العوام بعدما عطف عليه تعالى.

وبعبارة أُخرى: لا يليق عطف شهادة غير المخلصين على شهادته تعالى، لتنزهه تعالى عن توصيف وتوحيد غير المخلصين، فتدبر، وهذا بخلاف وصف الملائكة وأُولي العلم من خلقه من الأنبياء والأوصياء المخلصين فإنه حينئذ لايق للعطف، حيث إنهم يعرفونه حقّ معرفته، ويعظمونه حقّ عظمته لمكان خلوصهم وحصول مراد اللّه تعالى بشهادتهم وثنائهم له تعالى، هذا مع أن الأنسب إرادة العموم لتصح عطفه على الملائكة، كما سيجيء.

ولما أُطلق كثيراً في الأخبار أولو العلم على العلماء (غير الأنبياء والأوصياء) فيشمل من عرف اللّه تعالى بالدليل بحيث يعرفون خصوص التوحيد، أو الأعم منه ومن ساير علوم الدين، ويشمل العالم بالعلم الحقيقي الذي هو نور يقع في قلب من أراد اللّه أن يهديه وعلامته الخشية منه تعالى لقولهﷺ في الدعاء: «سبحانك اعلمهم بك أخوفهم منك، أو ما يقرب منه في العبارة، وفي الدعاء أيضاً: لا علم إلّا خشيتك، ولا حكم إلّا الإيمان بك، ليس لمن لم يخشك علم، ولا لمن لم يؤمن لك حكم.

---

١ ـ الصافات: ١٥٩ ـ ١٦٠.

بل يمكن أن يقال: إن كل علم في أي موضوع لأيّ أحد يوجب لصاحبه من طريق علمه الإقرار بالوحدانية له تعالى، فإن العلم مهما كان يدلّ على معلوم مشتمل على الحكم والصالح وآثار القدرة، وهي تدل على خالقها ومعطيها، فتدل بالملازمة على توحيده؛ لعدم امكان تلك الأمور من غيره تعالى كما لا يخفى.

الجهة الخامسة: في وجه العطف في الآية الشريفة فنقول: قد ذكر الملائكة قبل أُولي العلم في الزيارة وفي الآية الشريفة وفي الأحاديث، فعلى كون المراد من أولي العلم الأعم من الأنبياء والأوصياء، فيشمل جميع الخلق بناء على كون من للبيان، فلا إشكال فيه لأنّ الملائكة حينئذ لقربهم إليه تعالى أفضل من الخلق بقول مطلق، وإن كان فيهم من هو أفضل من الملائكة كما لا يخفى.

وان أريد منهم الأنبياء والأوصياء خاصة فأيضاً يمكن أن يقال: إن الملائكة على الإطلاق، حيث كان فيهم من هو أفضل من بعض الأنبياء، فحينئذ بلحاظ العموم في الملائكة قدم على الأنبياء بلحاظ وجود المفضول فيهم، بالنسبة الى الملائكة، فإنه وإن كان فيهم من هو أفضل من الملائكة كمالا يخفى إلّا أن المسامحة في التعبير والتقديم كان بهذا اللحاظ، وأما مع قطع النظر عن هذه الجهات فربما يقال:

إنه لا وجه لتقديم الملائكة في الذكر على الأنبياء والأوصياء، مع أن فيهم من هو أفضل من جميع الخلق حتى جميع الملائكة، فحينئذ قد يجاب بأن ذلك محمول على لحاظ الترقي في الذكر، فإنه يبتدأ بالأدنى ثم بالأعلى، ولكن فيه إن كان المراد الذكر اللفظي فلا ترجيح فيه بهذا اللحاظ، بل الأولى تقديم الأعلى، وإن كان بلحاظ الحال والسلوك فإنه وإن كان الأدنى أسبق واقعاً في السلوك، فكان المناسب تقديم ذكره في اللفظ؛ ليطابق اللفظ الواقع إلا أن هذا اذا كانت الزيارة والقول بهذه الكيفية من الشهادة صادراً من غير الإمام عليه السلام أو منه وكان في مقام التعليم لا في مقام الزيارة كما لا يخفى.

وكيف كان فعلى هذا الجواب قد يقال: فكان المناسب تقديم شهادة الملائكة

وأولي العلم على اللّه تعالى، مع أنه قدم شهادته عليهما في جميع الموارد، وأجيب بأن توحيده تعالى نفسه قبل ذلك؛ لأنه تعالى المعلم والداعي في أصل الشهادة، فكان حق التعظيم التقديم، وقد يجاب أيضاً عن أصل الإشكال بأن التقديم محمول على ما تعرفه العوام من أن الملائكة هم الوسائط بين اللّه وبين الخلق، كما هو ظاهر الأدلة، أو على أن الملائكة لما كانوا لبساطتهم وتجردهم أشدّ استغراقاً وأدوم ذكراً من غيرهم بحسب العموم فقدموا في الذكر.

ففي الدعاء عن السجادعليه السلام: «اللهم وحملة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك، ولا يسأمون من تقديسك، ولا يستحسرون في عبادتك، ولا يؤثرون التقصير على الجد في أمرك، ولا يغفلون عن الوله اليك» إلى أن قالعليه السلام: «والذين لا تدخلهم سأمة من دؤب، ولا إعياء من لغوب، ولا فتور، ولا تشغلهم عن تسبيحك الشهوات، ولا يقطعهم عن تعظيمك الغفلات» الدعاء، وهذا بخلاف الماديات والمركبات، لكثرة الموانع فيها، ولهذه الجهة كان المؤمن الصالح في البشر أفضل من الملائكة، والطالح منهم أكثر شرّاً من الأنعام.

ففي الحديث عن العلل وغيره عن الصادقعليه السلام حين سأله عبداللّه بن سفيان: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: أميرالمؤمنينعليه السلام: إِعلموا أن اللّه ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومَن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم.

وقد يقال: إن الملائكة لما كانوا وسائط في التعليم بالوحي غالباً بحسب الظاهر كما تقدم، فحسن تقديم ذكرهم على أولي الأمر بلحاظ التقديم الوساطي لا المعنوي وإلّا فالملائكة متأخرون خلقاً عن الأنبياء والأئمةعليهم السلام كبّروا فكبّرت الملائكة وهكذا.

أقول: هكذا قيل ولعلّ الوجه في تقدم الملائكة أن الناس غالباً معتقدون بأن الملائكة هم أهل التوحيد قاطبة بخلاف البشر، في الظاهر هم أشرف عندهم من

الناس، فقدم في الذكر مسامحة لهذه الجهة، فتأمل.

هذا وقد يقال: إن الواو لمطلق الجمع، ولا يدلّ على تفضيل المعطوف عليه على المعطوف، بل كل منهما مستقر في محلّه من الشرافة المختصة به سواء قـدّم أم أخّـر، فتدبر.

أقول: الشهادة بوحدانيته تعالى قد تلاحظ في عالم الأنوار والأرواح والعقول القادسة، ففي هذه المرتبة لا ريب في أفضلية شهادة من هو أقرب إليه تعالى، فحينئذ حق الشهادة وحقيتها لا يكون إلّا منه تعالى، ثم من نور النبي والأئمة والزهراء عليهم السلام ثم من الملائكة الأقرب منهم إلى اللّه تعالى فالأقرب، ثم من الخلق أي من أرواحهم المتعلقة بالأبدان الأعرف منهم له تعالى فالأعرف، هذا كله ينتهي إلى أضعف الخلق إيماناً من المؤمنين، هذا بحسب الواقع، فلا محالة لابدّ من تـطابق الظـاهر في مـقام اللفظ للواقع، فحينئذ يقع الإشكال في أنه كيف قدّم الملائكة على الأنبياء مع أفضلية النبيّ والأئمة عليهم السلام عليهم وما ذكر من الأجوبة لا يغني من الحق شيئاً؟ فحينئذ نقول في الجواب الفصل: إن الشهادة حقيقة تنحل إلى الشاهد والشهادة والمـشهود بـه والمشهود له، ولاريب في أن هذه العناوين منفية في صقع الربوبي، فهناك ليس إلّا الذات الحق البحت، فلا اسم له ولا رسم له ولا تعين له إلّا هو هو، فتحقق الشهاده يلازم التعيّن للذات في عالم الأُمور، ثم في عالم الخلق، ولاريب في أن أول التعيّنات الالهية إنما تحقق بحقيقة أنوار محمد والأئمة والزهراء (صلى اللّه عليهم أجمعين) كـما نطقت به الأحاديث الكثيرة.

فحينئذ نقول: لازم ما ذكرناه هو أن قوله **﴿شهد اللّه أنه لا إله إلّا هو﴾** إنما تحقق منه تعالى بتجليه تعالى بأنوار محمد وآله الطاهرين لهم، فبأنوارهم تحقق الشهـادة منه تعالى، فالشاهد وهو اللّه، والمشهود له وهو اللّه، والمشهود به من الشهادة وهو الوحدانية له تعالى إنما تحقق بتجليه تعالى بأنوارهم القائمة به تعالى، والباقية ببقائه وإبقائه بحسب مراتبه في التجلي كما حقق في محله.

وهذه التجليات هي حقيقة محمد وآل محمد الطاهرين، التي بها تحقق الشهادة الحقيقية، فعليه فالنبي والأئمة والزهراءعليهم السلام بحقيقتهم النورانية متقدمون على الكلّ من الملائكة وغيرهم في هذه الشهادة وتحققها؛ ولذا قال تعالى: ﴿شهد اللّه..﴾ ولم يقل شهد هو تلويحاً إلى أن أنوار الأئمة والنبيصلى الله عليه وآله التي هي معنى ـ اللّه ـ كما تقدم هو المقصود والمنظور من هذه الشهادة، أي بتجليه تعالى بهذه الأنوار لها تحققت هذه الشهادة، فالنبيّ والأئمـة والزهراءعليهم السلام داخلون في كلمة ـ اللّه ـ في الشهـادة، فـهو بأسمائه تعالى بما هو اللّه الذي هو اسم للذات بلحاظ الأسماء، شهد بوحدانيّته لا بما هو هو، فإنه بما هو هو ليس إلّا هو فلا تعيّن هناك ولا اسم ولا رسم؛ ولذا قلنا: إن اللّه اسم له تعالى بلحاظ استجماعه لصفات الجـمال والجـلال، وتـقدم أن النـبي والائمةعليهم السلام هم الأسماء الحسنى، فهو شهد بوحدانيته باسمائه الحسنى، التي عبّر عنها بـ ـ اللّه ـ والتي هي حقيقة محمد وآله الطاهرين، فأهل الكشف والحقيقة يرون في قوله تعالى شهد اللّه أن النبي والأئمة والزهـراءعليهم السلام بـلحاظ مـقاماتهم النـورانـية والأسمائية له تعالى مقدمون على الكلّ، وأما المحجوبون عن الحقائق والأنوار يرون التقدم أولاً للّه تعالى ثم للملائكة ثم لأُولي العلم، فالآية بعباراتها التي هي للـعوام قدم فيها الملائكة على الأنبياء وبإشارتها من جعل ـ اللّه ـ فاعلاً للشهادة، الذي هو اسم له تعالى بلحاظ أسمائه الحسنى، قدم فيها النبي والأئمةعليهم السلام على الكلّ، وتـقدم قول الصادق والحسينعليهما السلام: «إن القـرآن عـلى أربـعة أقسـام: العـبارة والإشـارة واللطائف والحقائق» فالعبارة للعوام، والإشارة للخواصّ، واللـطائف للأوليـاء، والحقائق للأنبياء. وهنا معارف غامضة أعرضنا عنها مخافة شنعة الجـهال واللّـه ورسوله والأئمةعليهم السلام أعلم بحقائق الأُمور.

قوله عليه السلام: لا إله إلّا هو العزيز الحكيم.

قيل: كرّر للتأكيد والتوصيف.

أقول: لما بين الإمام عليه السلام أوصاف الإمام المزور عليه السلام بما تقدم، فربما توهّم الاستقلال لهم عليهم السلام بتلك المكانةالعظمى من تلك الأوصاف العليا فعلم عليه السلام الزائر بقوله: أشهد أن لا إله إلّا اللّه كما شهد.. الخ. تنبيهاً إلى أن تلك المقامات إنما هي منه تعالى لهم عليهم السلام ولدلالة كلمة التوحيد على انحصار الكمالات فيه تعالى، وأن ما وجد منها في غيره فإنما هو آثاره تعالى ومظاهره تعالى في أوليائه وسائر خلقه، كما حقق في محله وستجيء الإشارة إليه ولعلّه تقدم أيضاً.

وكيف كان: فقول الزائر بعد تلك التسليمات بما فيها من الأوصاف لهم عليهم السلام: أشهد أن لا إله إلا اللّه كما شهد اللّه.. الخ، إنما هو امتثالاً لأمره عليه السلام في الزيارة واقتداء، بشهادة اللّه تعالى لنفسه وشهادة الملائكة وأولي العلم كما يظهر من كاف التشبيه، فإن التشبيه يعطي أن الزائر لا يشهد بتوحيده تعالى مستقلاً فعلاً بل ادرج نفسه تبعاً في مقام الشهادة في شهادته تعالى نفسه وشهادة الملائكة وأولي العلم، ثم إنه لما شهد بالتوحيد كذلك أشرقت أنوار التوحيد منه تعالى في قلبه، فرجع إلى نفسه حين ما شاهد سناءَها وضياءَها فقال من عند نفسه: لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

ففي الحقيقة أن هذا الإقرار بالتوحيد شهادة منه للّه تعالى مستقلاً وإمّا ما قبله، فهو شهادة له تعالى تبعاً وامتثالاً، واما توصيفه حينئذ بالعزيز الذي معناه المتفرد بالعزة والقدرة، وبالحكيم الذي معناه الذي لا يعدل عن العدل في أفعاله وصفاته وحقيقته فإنما هو للتأكيد الإجمالي لما دلّ عليه جملة الكلام السابق.

وحاصله: أنه لما أمر بالشهادة له تعالى كما شهد لنفسه امتثالاً وتبعاً للتنبه منه على أن الكمالات مختصة به تعالى؛ لأنه الواحد في الذات والصفات والأفعال، كما هو مفاد كلمة التوحيد كما سيجيء وكانت شهادته شهادة تبعية لا حقيقية وواقعية بنحو يليق بذاته المقدسة كما علمت؛ ولذا شبهه بشهادته تعالى بقوله: كما شهد الله لنفسه، ففي الحقيقة أكمل شهادته لكي يليق به تعالى بالتشبيه المستلزم لالحاقه بشهادته تعالى.

ثم إنه لما أراد أن يشهد هو له تعالى من عند نفسه، وعلم من نفسه عجزه عن الشهادة اللائقة بذاته المقدسة، وأراد تكميلها لكي يليق بذاته المقدسة، فذكر الوصفين أعني العزيز الحكيم للتكميل.

ففي الحقيقة أن شهادته السابقة قد أكملها بالتشبيه، وهذه الشهادة قد أكملها بالتوصيف، ووجهه أنه قد علمت أن العزيز معناه المتفرد بالعزّة والقدرة، كما أن الحكيم معناه الذي لا يعدل عن العدل، فكأنه جعل شهادته له تعالى كاملة بهذا التوصيف الموجب لكون المشهود به الذي هو عقيب إلّا هوالمتفرد بالعزة والقدرة، والذي لا يعدل عن العدل، فيلزمه الإقرار بالمعبود الواقعي بما هو أحد متفرد، له الوحدانية الكبرى في الواقع الذي لا يمسه نقص؛ لأنّه الحكيم الذي لا يعدل عن العدل.

فعلم ممّا ذكر: أن هذه الشهادة ليست للتكرير، ولا بداعي التوصيف فقط، بل هي شهادة منحازة عما قبلها، حيث إن السابقة كانت تبعية وهذه من عند نفسه، كما علمت.

نعم: يمكن أن يراد منهما التكرار والتوصيف معاً (أي كرر بداعي التوصيف) أي أشهد به تعالى بما هو موصوف بكذا، ويمكن أن يكون المراد من قوله: لا إله إلّا هو العزيز الحكيم، بيان ما شهد به اللّه لنفسه والملائكة وأولو العلم باللفظ المشار إليه في الذكر الحكيم، أي أن ما شهد اللّه لنفسه وشهد له ملائكته وأولو العلم هو قوله تعالى: ﴿لا إله إلّا هو العزيز الحكيم﴾[1] ويمكن أن يكون هذا التهليل اقتباساً من قوله تعالى حيث إن قوله: «أشهد أن لا إله إلّا اللّه كما شهد اللّه لنفسه» الخ، تلويح إلى آية شهد اللّه، وحيث إنه تعالى ذيلها بقوله: ﴿لا إله إلّا هو العزيز الحكيم﴾ فتبع الإمام عليه السلام ذلك فقال: لا إله إلّا هو العزيز الحكيم.

---

١ ـ آل عمران: ٦.

ثم إنه قد علمت معنى العزيز الحكيم إجمالاً. إلّا أنّه لا بأس ببيانهما مفصلاً فنقول: قال الصدوق رحمه الله: العزيز معناه أنه لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء أراده، فهو قاهر للأشياء، غالب غير مغلوب، وقد يقال في المثل: من عزّ بزّ (أي من غلب سلب) وقوله عزوجل حكاية عن الخصمين: ﴿وعزني في الخطاب﴾[1] (أي غلبني في مجاوبة الكلام) ومعنى ثان أنه الملك ويقال للملك: عزيز، كما قال إخوة يوسف ليوسف عليه السلام: ﴿يا أيها العزيز﴾[2] (والمراد يا أيّها الملك).

وقال: الحكيم معناه أنه عالم، والحكمة في اللغة العلم.

ومنه قوله عزوجل: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾[3] ومعنى ثان انه محكم، وأفعاله محكمة متقنة من الفساد، وقد حكمته وأحكمته لغتان وحكمة اللجام سميت بذلك؛ لأنّها تمنع الدابة من الجري الشديد وهي ما أحاطت بحنك الدابة. انتهى.

وقيل: هو بمعنى التكرم عن النقائص، والتنزه عن الرذائل والأضداد والأنداد والشركاء، والذي لا يطاول ولا يحاول، والشديد ففي المجمع: قوله تعالى: ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ أي شديد يغلب، إلى أن قال: والاسم العزة وهي القوة والغلبة.. الخ.

وقيل في تفسير الحكمة في قوله: ﴿ومن يؤت الحكمة﴾ أي من يوفق للعلم والعمل به، فإذا هو تعالى العزيز الحكيم أي يوصف ذاته المقدسة بالوحدانية والعدل، يعني أنه العزيز الذي لا يغالبه إله آخر بما يدعي أنه إله بالزعم الفاسد، والحكيم الذي لا يعدل عن العدل في أفعاله، وقد جعلت الحكمة في حديث العقل والجهل ضد الهوى قال عليه السلام في عداد جنودهما: والحكمة وضدها الهوى، قال المحدث الكاشاني: يعني (الحكمة) الأخذ باليقينيات الحقة في القول والعمل.

أقول: أي بدون متابعة الهوى الذي هو ضدّه فيها.

---

١ ـ سورة ص : ٢٣.

٢ ـ يوسف : ٨٨.

٣ ـ البقرة : ٢٦٩.

وقال الكاظم عليه السلام في حديث هاشم في قوله تعالى: ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة**﴾ قال العقل والفهم.

وبالجملة الحكيم إذا أطلق عليه تعالى فالمراد منه العالم المطلق الذي لا يغايا ولا ينتهي علمه ولا تكتنه حقيقته، وتجري أفعاله على مقتضى الحكمة (أي على مقتضى الصلاح والعدل) في جميع أنحاء مشيته ولذا قال تعالى: ﴿**وتمت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً**﴾[1] وقد تقدم معنى الحكمة وموارد استعمالها فلا نعيد، إلّا أن هنا ذكرنا معناها المناسب في اطلاقها عليه تعالى والحمد للّه ربّ العالمين.

قوله عليه السلام: وأشهد أن محمداً عبده المنتجب ورسوله المرتضى

أقول: الكلام في شرح هذه الجمل يقع في جهات:

الجهة الأولى: أن الشهادة قد يراد منها الإقرار في الظاهر بأنه صلى الله عليه وآله رسول اللّه إلى الخلق كافة وهذا ثابت بالأدلة النقلية والعقلية، كما هو مذكور في كتب الكلام، ودلّت عليه الآثار والمعجزات، ومن أحسنها دلالة عليه القرآن، الذي هو معجز مستقل في إثباته، وشاهد حاضر في مرءى المسلمين لبيانه، وهو باق يتحدى العلم في صدق دعواه صلى الله عليه وآله بالرسالة المقرونة بالمعجزات أيضاً.

ولعمري إن هذا من شدة وضوحه لا يحتاج إلى بيان، والحمد للّه على التصديق به،وقد يراد منها الشهادة المشهودة لأصحاب الكشف والشهود خاصة من أهل اللبّ والعلم والمعرفة.

وحاصله: أنه بعدما نرى بالوجدان أن الخلق بأجمعهم ما خلا الأنبياء والأوصياء، كلّهم في معرض الخطإ والغفلة والسهو والنسيان، والمعصية ومخالفة الحق، ونرى التعارض والتمانع والتضارب بين عقائدهم وآرائهم وأفعالهم الفاسدة

---

١ ـ الأنعام: ١١٥.

المتخذة كلّها من غير الشرع، هذا مع ادعاء كلّ واحد منهم من أكابرهم الفهم والعقل، وأيضاً نرى بعضهم الذين تباعدوا عن الأنبياء والأوصياء، واعتقدوا في الأمور العقلية والآثار الباطنية بما عليه أهل السحر والكهانة من تأثر الكواكب والطلسمات الباطلة والأصول الوهمية، التي هي مؤثرة عندهم بالاستقلال من دون استناد إلى خالقها؛ لأنهم أنكروه.

والحاصل: هؤلاء أيضاً يكون بينهم التضارب والتعارض في جميع أُمورهم، فمنهم من يستند إلى النوم، أو إلى السحر، أو إلى الكهانة، أو إلى الرياضات الباطلة، فمن كان له عقل سليم لا يمكن له الرجوع إليهم والمشي بآرائهم لمشاهدة تلك المخالفات، وأيضاً بعدما نرى حسب الأدلة العقلية التي قرروها في علم الكلام من أوصافه تعالى ومعارفه، التي اقتضتها الادلة العقلية، وكذا من الأدلة، التي اقتضت النبوة العامة والإمامة العامة بمالها من الأوصاف، فنرى ان جميع ذلك منطبق على ما جاء به الشرع من بيان رسول اللّه صلى الله عليه وآله في صفاته تعالى وصفات النبي والأوصياء والمعارف الإلهية.

والحاصل: أن من عرف اللّه، وعرف صفاته وأفعاله وآثار أفعاله بالأدلة العقلية، ظهر له بالضرورة أن محمداً رسول اللّه صلى الله عليه وآله خصوصاً إذا كان ممن عرف أسرار هذا الدين والمذهب الحق الجعفري بظاهره وباطنه من المعارف، التي عجزت عن مثلها الالبّاء وعقلاء العالم، وأيضاً عرف وأحاط علماً بسيرة هذا النبي وأوصيائه، وأوامره ونواهيه وآدابه وأخلاقه، وشرعه الذي عليه أهل بيته عليهم السلام واتباعهم حصل له القطع بأنّ هذه السيرة التي جاء بها هذا النبي صلى الله عليه وآله قد صدرت عن حكمة ربانية لا يمكن مثلها من الخلق وإن بلغ في الكمال ما بلغ، لا من جهة عقولهم ولا خيالاتهم، ولا من منامهم، ولا من يقظتهم، ولا من فطنتهم، وإن كان من أهل الفلسفة الدقيقة، أو من أهل السحر والكهانة والرياضة، ولا من ساير ما يمكن عليه الاعتقاد من غير الوحي كما لا يخفى، مضافاً إلى ما عرفت من التضارب

والتعارض بينهم، وهذا بخلاف ما جاء به النبيّ وأهل بيّته وأوصيائه المعصومون عليهم السلام فنرى أن أقوالهم يصدق بعضها بعضاً، وكذا افعالهم تصدق أقوالهم، وجار لآخرهم كما كان لأولهم من دون معارضة وممانعة كما لا يخفى على البصير الناقد الساير في سيرهم عليهم السلام وافعالهم، فيعلم منها أن هذا النظام التام الذي يكون جارياً على مقتضى الحكمة، لا يكون إلّا عن مصلحة إلهية، ولا يكون إلّا عن وحي إلهي دون ما كان في غيرهم.

وكيف كان فيظهر مما ذكر اليقين بالشهادة بأنّ محمداً رسول اللّه صلى الله عليه وآله من حيث العقل السليم كما لا يخفى، ثم إن هنا كلاماً وحاصله: أنه وإن كان المرئي من المعصومين من الأنبياء والأوصياء هو ان ما صدر منهم إنما هو على مقتضى الحكمة، فيكشف أنه عن وحي إلهي، إلّا أنه نرى من بعض الأنبياء بعض ما يوهم الخلاف، كما في قصة يونس فإنه أتاه الوحي بأنّه ينزل على قومه العذاب، فأخبر يونس عليه السلام بهلاكهم، ثم إنه كان عاقبة أمرهم أن رفع العذاب عنهم ولم يهلكوا، فقال يونس: كذبني الوحي (بتخفيف الذال المعجمة) أي اخلفني فلا يرون وجهي، أي لا يرون حرمة بوجهي عند اللّه تعالى. فهذا نقض لتلك القاعدة المتخذة من سيرة الأنبياء من أنهم لا يفعلون إلّا بالوحي الإلهي غير قابل التخلف.

وجوابه: أنه ثبت بالتواتر أن للّه تعالى البداء (أي الابداء) كما حقق في محله، وأنه لم يبعث اللّه تعالى نبياً إلّا وقد أخذ عليه القول بالبداء والإقرار بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام وأن يكون في تراثهم كما صرحت بهذا الأحاديث الكثيرة.

فحينئذ نقول: ان صدور ما يوهم الخلاف من النبي كيونس عليه السلام بحسب الظاهر إنما كان لغرض صحيح في نفس الأمر وفي اللوح المحفوظ، وإن كان المراءىٰ في الظاهر خلاف ما هو في الواقع.

وحاصله: أنه ربما يصدر من بعض الأنبياء ما يكون تركه أولى، كما كان عن آدم عليه السلام وكذا في يونس، فاللّه تعالى يفعل به في الظاهر ما يصلحه عن هذا، مع أنه في

الواقع يكون على وفق الحكمة الإلهية؛ ولذا يظهر بعد هذا النبي ولغيره تلك الحكمة، وحاصل قصة يونس عليه السلام أنه لما عرض عليه ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام تردّد في قبولها، كما روى ذلك عن السجاد عليه السلام فكان هذا الترديد تركه أولى من مثله، فـفعل اللّـه ـ ما فعل إصلاحاً لشانه.

فهنا مطلبان: الأول: أنه كيف تردد في الولاية، الثاني: أنه كيف فـعل اللّـه بـه لإصلاحه.

أمّا الأول: فربما يقال: إنّ ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام عبارة عن مظهريته عليه السلام لجميع الصفات الإلهية الحسنة، التي منها كظم الغيظ، وقبول الشـفاعة في حـق العـصاة، وهذه الصفة قد تردد وتخلّف عنها يونس عليه السلام وذلك أنه لما رجع قومه عن العـناد، وجعلوا العالم روبيل شفيعاً بينهم وبين يونس؛ ليشفع لهم عند اللّـه، ويكـظم هـو غيضه عنهم، فلم يقبل يونس قول روبيل، ولم يقبل شفاعته فيهم، مع انه من شأن الكامل الذي أكمل مصداقه أميرالمؤمنين عليه السلام أن يقبل الشفاعة فبردّه شفاعته قـد ردع ولاية أميرالمؤمنين من هذه الحيثية، ولم يصبر معهم ومعه.

قال اللّه تعالى:﴿**إذ ذهب مغاضبا**﴾ يعني لقومه، وهو مـعنى التردد في ولايـة أميرالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿**فظنّ أن لن نقدر عليه**﴾ وهذا تقصير في حق مـثله؛ لأنه نقص في المسافة إلى الدرجات العلى، ولم يكن ذلك و(العياذ باللّه) منه ذنباً، أو تقصيراً في حق قومه بحسب الظاهر، فإنهم لمـعصيتهم اسـتحقوا العـذاب، فـلو لم يرحمهم يونس عليه السلام لما كان ذنباً إلّا أن سعة رحمته تعالى تقتضي العفو عنهم، إذا كان هناك شافع، فمع حصول الشافع كما علمت وردّه وعدم قبوله كأنه ردّ وعدم اعتناء بالنسبة إلى تلك الرحمة الواسعة كما لا يخفى.

هذا مع أنه قد اتفق مثل ذلك بل أشد منه لأميرالمؤمنين عليه السلام فلم يصدر منه عليه السلام إلّا العفو عنهم، أو أنه أخبر بالعفو عنهم، كل ذلك اعـتماداً مـنه عـلى سـعة رحمـته الواسعة تبارك وتعالى، فراجع أحواله عليه السلام في البحار.

ثم إن هذا البحث من حيث شرح معنى الولاية كلاماً طويلاً لعله يجيء فيما بعد إن شاء اللّه.

وأمّا الثاني: وحاصله: أنه لما وقع من يونس عليه السلام ذلك الترديد، وكان من أمر يونس أن سأل ربّه أن ينزل على قومه العذاب ليهلكهم، فأتاه الوحي أنه ينزل عليهم العذاب، مع أنه كان في علمه تعالى وفي اللوح المحفوظ أنه تعالى لم يرد هلاكهم لعلمه تعالى بأنهم يؤمنون، وأمّا يونس فظن أن اللّه تعالى يريد هلاكهم لوعده تعالى أن ينزل عليهم العذاب ولم يتوجه إلى ان العذاب الموعود هو بدون الإهلاك، بل أخذ بظاهر الوعيد؛ وذلك لأنّ الملك المحدّث (بالكسر) قد أخفى عليه حرفاً من الوحي بأمره تعالى فغاب عنه عليه السلام وهو أنه لم يرد اللّه تعالى هلاكهم، ولكنه ظن أن اللّه تعالى يريد هلاكهم.

وهنا لما ابتلي بهذا الظن وكان من شأنه ان يدفعه عن نفسه بقبول شفاعة روبيل عليه السلام ولكنه لم يقبل ذلك فابتلاه ممّا بصره بحال نفسه، ونجا ممّا كان فيه.

وكذا ما كان من موسى عليه السلام حيث أذن اللّه تعالى له لاختياره من قومه رجالاً لميقاته، فوقع اختياره على شرار قومه، وإنما فعل اللّه تعالى هذا به؛ ليكون علمه آية لحق يريد اللّه إظهاره، وهو أنه تعالى بهذا أظهر الحقّ، ونصّ به على ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام وبطلان ولاية من تقدم عليه عليه السلام لدعواهم أنه تكون الولاية باختيار المسلمين، وجه الدلالة والإظهار أنه لو صحّ اختيار المسلمين في هذا الأمر لصح اختيار موسى عليه السلام وهو من الأنبياء أولي العزم، مع أنه لم يكن اختياره مطابقاً للحق الواقع، وشرحه أزيد من هذا موكول إلى علم الكلام.

فظهر ممّا ذكرنا ـ إنّ العارف بأحوال النبي صلى الله عليه وآله وأفعاله ومعارفه، وكذا ما كان من أوصيائه عليهم السلام يقطع بأنه رسول اللّه صلى الله عليه وآله من عند اللّه تعالى قطعاً وجدانياً عن معرفة، هذا مضافاً إلى أنه قد يقال: بأنه لو صحّ فرض العصمة لأحد، وتأسيس الأحكام منه بدون الوحي الخاص؛ لكان مخالفاً للضرورة، وهي أنه يلزم منه عدم احتياج

الناس إلى قبول من أرسله اللّه تعالى نبياً وإلى كتبهم، بل كانوا مستغنين عنهم للاكتفاء بهذا المعصوم المؤسس بدون الوحي بل بالفكر البشري، هذا مع أن العقلاء والكمّلين قد صرح كثير منهم باحتياجهم إلى الأنبياء، وأنهم بعدما ثبت عندهم صحة رسالتهم قبلوها بلا نكير منهم، كما لا يخفى على المتتبع لأحوالهم.

هذا مضافاً إلى أنه لو فرض العصمة لأحد، إلّا أنه لا يكفي هذا الجواز في تأسيس الشرع بدون الوحي بمجرد العصمة؛ وذلك لأنّ التشريع لابدّ من أن يكون ممّن له الإحاطة بجميع أسرار الوجوب، وأسرار أنحاء الموجود، والعلم باستعداداتهم الذاتية.

ومن المعلوم أن مجرد العصمه لا يستلزم هذا العلم والإحاطة، إلاّ إذا اقترنت بالوحي الخاص من علام الغيوب، ونحن إذا راجعنا صاحب شريعتنا ﷺ ورأينا أن ما أسسه على كمال الحكمة والصواب ظاهراً وباطناً بنحو يعجز جميع عقلاء الخلق فضلاً عن غيرهم عن الوصول إليه، والإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، علمنا أنه كان عن وحي خاص، فيكون لا محالة صاحب هذا الشرع هو رسول الله ﷺ في الظاهر وهو نبينا محمد رسول الله ﷺ. وكذا يعلم أنه رسول الله ﷺ في الباطن ممّا تقدم ممّا حاصله: أن من عرف في الجملة نمط انتظام الوجود، وارتباط بعضه لبعض على وفق المصلحة، وعرف أحوال هذا النبي ﷺ وانّه اخبر عنه تعالى بنحو صدقة العقلاء وقَبِلَ كلامه الحكماء لاقترانه بما دلّ عليه من العقل والاعتبار الصحيح وعلم أيضاً أنه لم يدع أحدٌ بمثل ما ادّعى بحيث يُصدق في دعواه وتصدقه العقلاء فلا محالة يعلم أنه رسول الله في الباطن والواقع ونفس الأمر كما تقدم. ولعمري إن هذا أوضح من الشمس، ومن طلب الزيادة فليراجع المطولات في هذا الموضوع. هذا كله في بيان الوجه للشهادة برسالته ﷺ.

الجهة الثانية: في تحقيق معنى لفظ محمد ﷺ والكلام فيه باعتبار كونه علماً لنبينا ﷺ يقع في مقامين:

الأول: في بيان اشتقاقه ومعناه اللغوي المعنى به في اطلاقه عليه ﷺ.

الثاني: في بيان اشتقاقه المعنوي، فنقول:

في المجمع: وأحمد اسم نبيناﷺ في الإنجيل لحسن ثناء اللّه عليه في الكتب بما حمد من أفعاله.

وذكر ابن العربي: أن للّه تعالى أحداً وألف اسم وللنبي ألف اسم، ومن أحسنها محمد ومحمود وأحمد والمحمد كثير الخصال المحمودة، قيل: لم يسم به أحد قبل نبيناﷺ اَلهم اللّه أهله أن يسموه به ومحمدﷺ اسمه في القرآن سمي به؛ لأنّ اللّه وملائكته وجميع أنبيائه ورسله، وجميع أُممهم يحمدونه ويصلون عليه، انتهى ما أردنا نقله.

ومحمد اسم مفعول من حمّد (بالتشديد) من باب التفعيل، ومحمود اسم مفعول من الثلاثي المجرد من حمد، ولعلّ الفرق بينهما أن محمداً يدلّ على أكثرية ممدوحيته كما تقدم عن ابن العربي من أن الأنبياء والأُمم والملائكة واللّه تعالى يحمدونه، وسيأتي في معنى الاشتقاق المعنوي الفرق بينهما أيضاً.

وأمّا ما ذكره ابن العربي من أن لهﷺ ألف اسم فإنما يراد منه الاسم المعنوي كما سيجيء بيانه.

ثم إنه يستفاد من الأخبار شرافة هذا الاسم باعتبار علميته للنبيﷺ وإن اطلق علىٰ غيره.

ففي السفينة عن الكافي عن أبي رافع، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إذا سميتم محمداً فلا تقبحوه ولا تجبهوه[1] ولا تضربوه، بورك بيت فيه محمد ومجلس فيه محمد ورفقة فيه محمد.

وفيه، عنه، عن أبي هارون مولى آل جعدة قال: كنت جليساً لأبي عبداللّهعليه السلام بالمدينة ففقدني أياماً، ثم إني جئت إليه، فقال لي: لم أرك منذ أيام يا أبا هارون؟ فقلت:

---

١ ـ جبهه:أصابه بمكروه.

ولد لي غلام، فقال: بارك اللّه لك، فما سميته؟ قلت: سميته محمداً، فأقبل عليه السلام بخدّه نحو الأرض وهو ويقول: محمد محمد محمد، حتى كاد يلصق خدّه بالأرض، ثم قال: بنفسي وبولدي وبأُمي وبأبوي، وبأهل الأرض كلهم جميعاً الفداء لرسول اللّه صلى الله عليه وآله لا تسبه ولا تضربه ولا تسيء إليه، واعلم انه ليس في الأرض دار فيها محمد إلّا وهي تقدس كلّ يوم.

وأمّا المقام الثاني أعني بيان اشتقاقه المعنوي فنقول: الاسم على **قسمين**:

اسم لفظي: وهو الأعلام والمعارف من الأعلام الشخصية والكنى والألقاب، فإنها موضوع لمعنى خاص إذا أطلق يفهم منه ذلك المعنى بالوضع ولو بالغلبة، ولا يراد من الاسم اللفظي بعد وضعه إلّا المعنى الشخصي، الذي وضع له وإن كان له معنى عام قبل الوضع الخاص، نعم قد يلاحظ في الوضع تحقق معنى العام لذلك اللفظ في اللغة مع قطع النظر عن الوضع الخاص، كما إذا وضع لأحد اسم المحسن لكثرة إحسانه مثلاً وهكذا غيره.

واسم معنوي: كالقادر لمن اتصف بحقيقة القدرة، والعالم لمن اتصف بالعلم، فكون رجل قادراً وعالماً، واطلاقهما عليه ليس باعتبار وضع القادر والعالم عليه كما في سابقه، بل باعتبار اشتمال المستعمل فيه لمبدإ هذا الاسم اللفظي، فمن كان ذا قدرة يقال له: القادر، وهكذا، ففي الحقيقة حقيقة القدرة بما هو معنى قائم بهذا الشخص اسم معنوي له؛ لذا يمكن أن ينتزع لشخص بلحاظ اشتماله على معاني كثيرة من الأوصاف أسماء بحسبها كما لا يخفى.

إذا علمت هذا فاعلم: أن أسماء اللّه تعالى وأسماء النبي والأئمة عليهم السلام تكون غالباً من هذا القسم، بل إذا وضع له صلى الله عليه وآله مثلاً اسم كمحمد صلى الله عليه وآله فإنما يراد منه بلحاظ الجهة المعنوية لا الوضع الشخصي، فهذا الاسم باعتبار الاسم اللفظي له، وباعتبار الاسم المعنوي لانه يطلق عليه بلحاظ كونه ممدوحاً كثيراً كما علمت، ثم إن الأسماء المعنوية قد يكون مفادها مفاد الاسم بماله من المعنى المفرد كقولك له تعالى: يا رازق العباد،

وقد يكون مفاده بلحاظ معنى الجملة الخبرية كقولك: يا حبيب من لاحبيب له.

والوجه فيه أن في الأسماء المعنوية لم يلحظ فيها اللفظ بما هو دال على الشخص الخاص، بل يراد منه الدلالة على أمر معنوي قائم بالمستعمل فيه.

ومن المعلوم أن هذا يختلف من حيث المعنى الإفرادي والإضافي والجملي.

ومن هنا يعلم أن قول ابن العربي: إن له تعالى أحداً وألف اسم وله ﷺ الف اسم، إنما يراد منه الاسم المعنوي، إذ من المعلوم أنه ليس له تعالى أحد وألف اسم بالوضع، بل المراد بيان أوصافه تعالى القائمة به، فأسماؤه تعالى صفاته تعالى، كما تقدم من قول الرضا عليه السلام من أن الاسم صفة لمسمى، واما كون ألف اسم له ﷺ فمعناه أن أوصافه تعالى كلها جارية فيه ﷺ.

وبعبارة أُخرى: أنه ﷺ مظهر لأوصافه تعالى، فالأوصاف أولا وبالذات قائمة به تعالى وثانيا وبالعرض ظاهرة فيه ﷺ وظهورها فيه لا ينافي قيامها به تعالى أيضاً لما حقق في المعارف من التوحيد الصفاتي له تعالى المستلزم لكون جميع الصفات راجعة إليه تعالى بنحو الوحدة وقائمة به تعالى، وان كانت ظاهرة في مظاهر الخلق، ولهذا الكلام مجال عريض موكول إلىٰ محله.

فالالف اسم للنبي ﷺ هو عين الأسماء الثابت له تعالى بإضافة اسم آخر، إلّا أنه يكون اطلاقها عليه تعالى باعتبار اقتضاء ذاته تعالى تلك الأوصاف بنحو حقق في علم الكلام، وأما إطلاقه عليه ﷺ باعتبار مظهريته ﷺ لها كما علمت، وأمّا الاسم المخصوص به تعالى فلعلّه معنى الوجوب الذاتي المختص به تعالى، أو هو الاسم الذي استأثره لنفسه لئلا يعلم ما في نفسه ويعلم ما في أنفس غيره كما صرّح به في الأخبار.

وبعبارة أُخرى: أن ذاته المقدسة حيث اتصفت بالوجوب الذاتي المفسّر بالأبدي والأزلي والذي لانهاية له، ويشار بهذا إلى حقيقة لارسم لها ولا اسم ولا يقبل الإشارة؛ ولذا فسر ذلك الاسم المستأثر لنفسه بما أثره أنه يعلم به ما في أنفس

غيره ولا يعلم ما في نفسه؛ وذلك لوجوبه وإمكان غيره، ولا يمكن إحاطة الممكن بالواجب، وهو معنى لا يعلم ما في نفسه، وهذا بخلاف الواجب فإنه لوجوبه محيط بالممكن كما صرّح به في الأخبار، وهو معنى يعلم ما في أنفس غيره كما لا يخفى، واللّه العالم.

ثم إنه ممّا ذكرنا يعلم اشتقاق اسمه ﷺ واسم غيره من الأئمة عليهم السلام من اسمه تعالى بالاشتقاق المعنوي، كما أُشير في الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، فلابدّ أولاً من ذكرها ثم من بيان ما يوضحها فنقول:

في البحار[1]، عن كتاب قصص الأنبياء بالإسناد إلى الصدوق إلى قوله: عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: لما خلق اللّه آدم ونفخ فيه من روحه، التفت يمنة العرش فإذا خمسة أشباح فقال: يا رب هل خلقت قبلي من البشر أحداً؟ قال: لا، قال عليه السلام: فمن هؤلاء الذين أرى أسماءَهم؟ فقال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك، ولا خلقت الجنة ولا النار ولا العرش ولا الكرسي، ولا السماء ولا الأرض، ولا الملائكة ولا الجن ولا الانس، هؤلاء خمسة شققت لهم أسماء من أسمائي فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا الأعلى وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا ذو الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين.

وفي حديث ابن عباس: والرابع فأنا المحسن وهذا حسن، والخامس فأنا ذو الإحسان وهذا الحسين، آليت على نفسي أنه لا يأتيني أحد وفي قلبه مثقال حبّة من خردل من محبة أحدهم إلّا أدخلته جنتي، وآليت بعزتي أنه لا يأتيني أحد وفي قلبه مثقال حبة من خردل من بغض أحدهم إلّا أدخلته ناري. يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي بهم أُنجي من أُنجي وبهم أهلك من أهلك.

وفي حديث ابن عباس أيضاً صرح بهذا الاشتقاق.

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٥.

وفيه[١] عن كشف اليقين بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه ﷺ: والذي بعثني بالحق بشيراً ما استقر الكرسي والعرش، ولا دار الفلك، ولا قامت السموات والارض إلّا بان كتب عليها (كتب اللّه عليها): لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه، علي أميرالمؤمنين، وأن اللّه تعالى لما عرج بي إلى السماء واختصني اللطف بندائه قال: يا محمد، قلت: لبيك ربّي وسعديك، قال: أنا المحمود وأنت محمد شققت اسمك من اسمي، وفضلتك على جميع بريتي، فانصب أخاك عليّاً علماً لعبادي يهديهم إلى ديني.

يا محمد إني قد جعلت عليّاً أميرالمؤمنين، فمن تأمّر عليه لعنته، ومن خالفه عذبته، ومن اطاعه قربته، يا محمد إني جعلت عليّاً إمام المسلمين، فمن تقدم عليه أخزيته، ومن عاصه أشجبته، إن علياً سيد الوصيين وقائد الغرّ المحجلين، وحجتي على الخليقة أجمعين (وحجتي على الخلق أجمعين ظ صح).

فقوله في حديث أبي هريرة: فأنا المحمود وهذا محمد.. الخ، وفي حديث ابن عباس: أنا المحمود وأنت محمد، مع أن المحمود أيضاً اسم له ﷺ يشير إلى الاشتقاق المعنوي.

وحاصله: أن تحقق ما به استحقاق الحمد من أوصاف الكمال، التي مرجعها إلى الاسماء الجمالية والجلالية إنما هو في ذاته تعالى المقدسة بنحو الوجوب والحقيقة الذاتية أزلاً وأبداً، بحيث لم تكن موروثة من أحد ولا مكتسبة من شيء في ظرف عدمها أولا، وإليه يشير قوله ﷺ في بيان حقيقته تعالى علم كله وقدرة كله ونور كله كما في توحيد الصدوق، فذاته المقدسة بلحاظ هذه الكمالات الذاتية يقتضي أن تكون محمودة بقول مطلقاً، فبهذا اللحاظ يكون محموداً بنحو الاقتضاء الذاتي وينسب إليها الحمد أولاً وبالذات.

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٨.

ثم إنه قد علمت أن الاسم صفة لمسمى، فحينئذ معنى أسمائه المعنوية ﷺ هو صفاته ﷺ، وقد علمت أيضاً آنفاً أن الحقيقة المحمدية ليست إلّا مظاهر لصفاته تعالى، فأيّ اسم معنوي وأي صفة معنوية له ﷺ يكون صفة واسما له تعالى قد ظهرت فيه ﷺ فحينئذ نقول: كون محمد بما هو اسم له ﷺ مشتقاً من اسمه تعالى المحمود، ومعناه أن حقيقته ﷺ قد اتصفت بصفاته تعالى، وظهرت فيه ﷺ منها ما استحق به أن يكون محمداً، أي من يمدحه اللّه تعالى وجميع الخلائق كما تقدم، وهذه الصفات قد ظهرت فيه ﷺ منه تعالى فكأنها فرع من الأصل الذي هو فيه تعالى.

ومن المعلوم أن الفرع مشتق من الأصل، فبهذا اللحاظ يقال: إن اسمه ﷺ أي صفته ﷺ أي كونه محمداً ﷺ مشتق من المحمود، أي من الذات المقدسة التي تستحق هذه الصفات بالذات وبالأصل، وهكذا الكلام في اشتقاق علي من العلي الأعلى، وفي اشتقاق فاطمة من كونه تعالى فاطراً، وفي اشتقاق الحسن والحسين من كونه ذا الإحسان وقديم الإحسان، فإن أصل هذه الصفات يكون منه تعالى وفرعه واشتقاقاته تكون فيهم عليهم السلام كل على ما ذكر.

نعم هنا نكتة دقيقة شريفة وهي: أن حقيقة النبوية والمحمدية لما كانت مستجمعة في المظهرية لجميع صفات الجلال والجمال الربوبي اطلق عليه بقول مطلقاً أنه محمد أي يحمده اللّه والملائكة والأنبياء وجميع الأمم؛ وذلك لجامعيته ﷺ في الصفات التي توجب هذا الحمد من الكل، في الحقيقة جميع الاشتقاقات التي ذكرت في ساير المعصومين عليهم السلام من أميرالمؤمنين وفاطمة الزهراء وساير الأئمة (عليهم الصلوة والسلام) ملحوظة فيه ﷺ بنحو الإجمال ويشار إليه بأنه محمد بقول مطلقاً، وأما فيهم عليهم السلام فحيث إن كلّاً منهم عليهم السلام له منصب إلهي، وهو مظهريته في صفة من صفاته تعالى مختصة به على ما اقتضته الحكمة الأزلية، فلا محالة يكون لكل واحد اسم مختصّ به كما ذكر في الحديث السابق.

فني البحار[1]، عن الخصال وأمالي الصدوق وعلل الشرايع بإسناده عن يونس ابن ضبيان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند اللّه عزوجل فاطمة والصديقة والمباركة والطاهرة والزكية والراضية والمرضية والمحدثة والزهراء.

ثم قال عليه السلام: أتدري أيّ شيء تفسير فاطمة؟ قلت: أخبرني ياسيدي، قال فطمت من الشرّ، قال؛ ثم قال: لولا أن أميرالمؤمنين تزوجها لما كان لها كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه.

وفيه، عن عيون أخبار الرضا بالأسانيد الثلاثة عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إني سميت ابنتي فاطمة لأنّ اللّه عزوجل فطمها وفطم من أحبها مَن النار.

ومثله أحاديث كثيرة.

وفيه عن علل الشرايع، إلى أن قال: حدثنا عبداللّه بن الحسن بن حسن قال: قال أبو الحسن عليه السلام: لم سميت فاطمة فاطمة؟ قلت: فرقا بينه وبين الأسماء قال: إن ذلك لمن الأسماء، ولكن الاسم الذي سميت به أن اللّه تبارك وتعالى علم ما كان قبل كونه، فعلم ان رسول اللّه صلى الله عليه وآله يتزوج في الأحياء، وأنهم يطمعون في وراثة هذا الأمر من قبله، فلما ولدت فاطمة سماها اللّه تبارك وتعالى فاطمة لما أخرج منها وجعل في ولدها، ففطمهم عما طمعوا، فبهذا سميت فاطمة؛ لأنها فطمت طمعهم، ومعنى فطمت قطعت.

وفيه عن علل الشرايع، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما ولدت فاطمة عليها السلام أوحى اللّه عزوجل إلى ملك فانطلق به لسان محمد صلى الله عليه وآله فسماها فاطمة.

ثم قال: إني فطمتك بالعلم وفطمتك عن الطمث، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: واللّه لقد فطمها اللّه تبارك وتعالى بالعلم، وعن الطمث بالميثاق.

---

١ ـ البحار ج ٤٣ ص ١٠.

وفيه عنه أيضاً، عن محمد بن المسلم الثقفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لفاطمة عليها السلام وقفة على باب جهنم، فإذا كان يوم القيٰمة كتب بين عيني كل رجل مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار فتقرأ فاطمة بين عينيه محبّاً، فتقول: يا إلهي وسيدي سميتني فاطمة، وفطمت بي من تولاني وتولى ذريتي من النار، وعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول اللّه عزوجل: صدقت يا فاطمة إني سميتك فاطمة، وفطمت بك من أحبّك وتولاك وأحبّ ذريتك وتولاهم من النار، ووعدي الحق وأنا لا أخلف الميعاد، وإنما أمرت بعبدي هذا إلى النار؛ لتشفعي فيه فاشفعك، وليتبين ملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك مني ومكانتك عندي، فمن قرأت بين عينيه مؤمناً فخذي بيده وأدخليه الجنة.

وفيه، عن مصباح الأنوار، عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: إنما سميت فاطمة بنت محمد الطاهرة لطهارتها من كلّ دنس، وطهارتها من كلّ رفث، وما رأت قط يوماً حمرة ولا نفساً.

أقول: قوله عليه السلام: يتزوج في الاحياء، الأحياء جمع حيّ وهو قبيلة العرب الذين يعيشون، قوله: فلما ولدت فاطمة، الى قوله: لما اخرج منها وجعل في ولدها.

وحاصله: أنه تعالى جعلت فاطمة عنده تعالى ما بها قطع أمل الأحياء من طمعهم في رسول اللّه صلى الله عليه وآله في وراثة هذا الأمر، وذلك أنه لما ولدت أخرج اللّه منها ما (أي أئمة) وجعل في ولدها أي جعل ما أخرج منها في ولدها أي جعل الائمة في ولدها، وجعلهم الوارثين لهذا الأمر.

وكيف كان: فلما ولدت فاطمة عليها السلام انقطع طمعهم في وراثة هذا الأمر لما جعلها في ولدها فهي عليها السلام قد قطعت وفطمت أمالهم في وراثة هذا الأمر؛ فلذا سميت فاطمة عليها السلام، ثم إن الوجه في كون اسمها مشتقاً معنوياً من اسمه تعالى هو أنه تعالى هو الذي فطم من النار عباده، ولكن أظهر هذه الصفة فيها صرح بهذا في حديث محمد ابن مسلم الثقفي حيث يقول اللّه تعالى: «إنما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي»

إلى قوله: «وليتبين ملائكتي موقفك مني» أي ليظهر أنك مظهر هـذه الصـفة وهـو النجاة من النار، واصرح من هذا قول أبي جعفرعليه السلام: واللّه لقد فطمها اللّـه تـبارك وتعالى بالعلم، ومن الطمث في الميثاق.

ومن المعلوم أن الطمث لم يكن في الميثاق، وإنما معناه أنه تعالى جـعلها مـظهراً لعلمه ولطهارته الذين أثرهما القطع عن الطمث، وقوله: بالعلم، أي بما منحها اللّه من علمه ومعارفه الذي هو سبب لتقربها إليه تعالى المستلزم لتلك الطهارة المعنوية، كما أُشير إليها في حديث مصباح الأنوار عن أبي جعفرعليه السلام.

ثم إن المحدث المجلسي (رضوان اللّه عليه) قال: بيان: لا يقال: المناسب على ما ذكر في وجه التسمية أن تسمى مفطومة إذ الفطم بمعنى القطع يـقال: فـطمت الأُمّ صبيها، وفطمت الرجل عن عادته وفطمت الحبل، لأنا نقول: كثيراً ما يجيء فاعل بمعنى مفعول، كقولهم: سرّ كاتم ومكان عامر، وكما قالوا في قـوله تـعالى: ﴿عشـية راضية﴾ و ﴿ماء دافق﴾ ويحتمل أن يكون ورد الفطم لازماً أيضاً.

قال الفيروزآبادي: افطم السخلة حان أن يـفطم، فـإذا فـطمت فـهي فـاطم ومفطومة وفطيم، انتهى.

ويمكن أن يقال: إنها فطمت نفسها وشيعتها عن النار وعن الشرور، وفطمت نفسها عن الطمث لكون السبب في ذلك ما علم اللّه من محاسن أفـعالها ومكـارم خصالها، فالإسناد مجازي، انتهى.

أقول: وعلى هذا يفسر ما روي عـن الصـادقعليه السلام أنـه قـال: سمـيت فـاطمة لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديـناً وحسـباً، وأيـضاً روي: سمـيت فـاطمة لانقطاعها عن فواطم التسعة[١].

هذا بحسب اللغة وتطبيق معناه اللغوي عليهاعليها السلام إلّا أنه قد علمت أن السرَّ فيه

---

١ ـ رياحين الشريعة ج ١ ص ٤٢.

هو كونهاعليها السلام مظهراً لصفته تعالى بنحو تقدم، وأما ماورد من أنها مشتق معنى من الفاطر (كما تقدم في حديث أبي هريرة عنه صلى اللّه عليه وآله) وكما في البحار[١]، عن تفسير العسكريعليه السلام في حديث طويل إلى أن قالعليه السلام فقال: ما هذه الأشباح يارب؟ فقال: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي وبريّاتي، هذا محمد وأنا الحميد المحمود في أفعالي شققت له اسماً من اسمي، وهذا علي وأنا العلي العظيم شققت له اسماً من اسمي وهذه فاطمه وأنا فاطر السمٰوات والأرضين، فاطم أعدائي عن رحمتي يوم فصل قضائي، وفاطم أوليائي عما يعتريهم ويشينهم، فشققت لها اسماً من اسمي، وهذا الحسن وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل شققت لهما اسماً من اسمي.

فما معنى اشتقاقها من الفاطر فأقول: في المجمع: قوله تعالى: ﴿فاطر السموات﴾ أي خالقها ومبتدعها ومخترعها من فطره يفطره (بالضم) أي خلقه.

وعن ابن عباس: كنت لا ادري ما فاطر السموات حتى أتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي ابتدأت حفرها.

إذا علمت هذا فاعلم: أنه يحتمل أن يكون وأنا فاطر السموات والارضين قد ذكرت في مقام العلة لأفعاله تعالى التي منها أنه فاطم الأعداء عن الرحمة، والأولياء عمّا يعذبهم يعني إنما أنا فعلت ما فعلت لأني فاطر السموات والارضين أي مبتدعها وخالقها، فلي السلطنة عليها كيف ما أشاء وكيف ما أفعل؛ ولذا عقبه تعالى بقوله: فاطم أعدائي، فإن هذا هو الاسم الأصلي المختص به ذاتاً، وقد أظهره فيهاعليها السلام حيث جعلها سبباً لفطم الأعداء عن الرحمة والأولياء عن النار كما شرحته الأحاديث السابقة.

ويمكن أن يكون معنى الفاطر من الفطور وهو الانشقاق الحاصل في الشيء بالكسر والثقل ونحوهما، فحينئذ معنى كونه تعالى فاطراً أي يكون بقدرته تعالى عليها مسلطاً.

---

١ ـ البحار ج ٢٦ ص ٣٢٦.

قال في المجمع: ﴿السماء منفطر به﴾ أي مثقلة بيوم القيمة اثقالاً يؤدي إلى انفطارها، وانفطرت السماء انشقت، والفطور: الصدوع والشقوق ﴿ويتفطرن﴾ يتشققن.. الخ.

وحينئذ يكون اشتقاق فاطمة من الفاطر بلحاظ أن الفاطر بما ان له معنى عاماً دالاً على القدرة والتاثير في الأشياء كالمساء مثلاً بحيث يجعله منشقّاً، فلا محالة هو حاك عن القدرة ولاريب في أن الفطم بمعنى القطع في مصاديقه المذكورة في الأحاديث بما علمت، إنما هو أحد مصاديق القدرة وأعمالها في الموجودات خصوصاً في يوم القيامة بالنسبة إلى الأولياء والأعداء كما علمت، هذا كله في اشتقاق فاطمة عليها السلام.

وأمّا اسم علي عليه السلام: فقد ظهر مما ذكر كيفية اشتقاقها المعنوي من العلي الأعلى أو العلي العظيم، حيث إن أصل العلو بقول مطلق يكون له تعالى على جميع ماسواه، ويكون فرعه وظهوره واشتقاقه في علي أميرالمؤمنين عليه السلام.

وإليه يشير ما تقدم من قول النبي صلى الله عليه وآله: وكان نوري محيطاً بالعظمة، ونور علي محيطاً بالقدرة، فعلي عليه السلام بظهور علوه تعالى فيه فهو علي من العلي الأعلى.

وأمّا اشتقاق الحسن والحسين عليهما السلام كما في الحديث السابق من قوله تعالى: وأنا ذو الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين وكما في هذا الحديث، وكما في بعض الأحاديث من قولهم: يا قديم الإحسان بحق الحسين فتوضيحه أنه في المجمع: والحسن نقيض القبح والجمع محاسن على غير قياس، إلى أن قال: وحسنت الشيء تحسيناً زينته.

أقول: الحسن معناه ما يساوق الجميل، وله مصاديق كثيرة كما ذكر في الآيات وغيرها فاذا عدّى بباب الأفعال أو التفعيل فمعناه جعل الشيء حسناً، أو ايجاد الأمر الحسن، فالمحسن هو الذي يفعل الأمور الحسنة كما ورد في قوله تعالى: ﴿إنا نريك

من المحسنين﴾[1].

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان يوسع المجلس ويستقرض للمحتاج ويعين الضعيف.

ومن المعلوم أن ايجاد الأمور الحسنة لا يكون إلّا ممن له الحسن وله ملكة ايجاد الأفعال الحسنة.

وحينئذ نقول: قد علمت أن الاشتقاق المعنوي لا يلاحظ فيه قواعد اللغة والألفاظ، بل الملحوظ فيه هو المعاني الأصلية والفرعية، فقوله: انا ذو الاحسان أي حقيقة هذه الصفة قائمة بي وهو كونه تعالى صاحب الإحسان، وواجد ما به الاحسان، من الأمر الحسن القائم به تعالى.

وقوله تعالى بعد ذلك: «وهذا الحسن» أي هذا ممن جعلته مظهراً للحسن الذي هو قائم بي، فجميع ما يكون من الحسن في الحسن عليه السلام من الصفات والأفعال والقدرة والولاية إنما هو ظهور لحسنه تعالى.

وقوله تعالى: «وأنا المحسن وهذا الحسين» فمعناه بلحاظ الاشتقاق المعنوي هو أن صفة المحسنية تكون أولاً وبالذات قائمة به تعالى بالبيان المتقدم، وتكون هذه الصفة ظاهرة في الحسين عليه السلام ولذا كان نجاة الخلق به عليه السلام أكثر من غيره بحسب الظاهر، كما هو المشاهد من التوسل به بذكر المصائب وبزيارته عليه السلام وهذا الكلام شرح طويل في محله.

أقول: ومما ذكرنا يمكن أن تعرف كيفية اشتقاق أسماء ساير الائمة عليهم السلام بعد تشخصيها كما لا يخفى.

الجهة الثالثة: في معنى العبد.

أقول: قد يبحث فيه بلحاظ اللفظ، وقد يبحث فيه بلحاظ المعنى.

أمّا الأول: في المجمع: قوله تعالى: ﴿ونحن له عابدون﴾ أي خاضعون إذلاء من

---

١ ـ يوسف: ٣٦.

قولهم: طريق معبد، أي مذلل قد عثر الناس فيه، وقال قبل هذا قوله تعالى: **﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾** يعني إن كنتم تزعمون للرحمن ولداً فأنا أول الجاحدين لما قلتم والآنفين من قولهم: عبد إذا جحد وأنف.

وفيه: والعِبادُ في الحديث والقرآن جمع عبد وهو خلاف الحر، والعبيد مثله، وله جموع كثيرة والأشهر منها أعبد وعبيد وعباد، فمعناه لغة هو الخضوع والذلّة وبمعنى جحد وأنف وله اشتقاق بهذا المعنى، وأما معناه الاسمي الجامد فهو خلاف الحر.

وأمّا الثاني: ففي معناه (أي العبادة) تعبيرات ، ففي المنقول عن الشيخ أبي علي: هي غاية الخضوع والتذلل، ولذلك لا تحسن إلّا للّه تعالى الذي هو مولى النعم، فهو حقيق بغاية الشكر.

وقيل: العبادة بحسب الاصطلاح هي المواظبة على فعل المأمور به والفاعل عابد والجمع عِباد.

وفي المجمع: قال المحقق الطوسي في الأخلاق الناصرية: قال الحكماء: عبادة اللّه **ثلاثة أنواع:**

الأول: ما يجب على الأبدان كالصلاة والصيام والسعي في المواقف الشريفة لمناجاته جلّ ذكره.

الثاني: ما يجب على النفوس كالاعتقادات الصحيحة من العلم بتوحيد اللّه، وما يستحقه من الثناء والتمجيد والفكر فيما أفاضه اللّه سبحانه على العالم من وجوده وحكمته، ثم الاتساع في هذه المعارف.

الثالث: ما يجب عند مشاركات الناس في المدن وهي في المعاملات والمزارعات والمناكح وتأدية الأمانات، ونصح البعض للبعض بضروب المعاونات، وجهاد الأعداء والذب عن الحريم وحماية الحوزة ـ انتهى.

أقول: قال الراغب في المفردات ما ملخصه: أن العبوديه. إظهار التذلل والعبادة أبلغ منها؛ لأنه غاية التذلل، ولا يستحقها إلّا مَن له غاية الأفضال وهو اللّه تعالى

وهذا قال: ﴿ألاّ تعبدوا إلّا إياه﴾.

والعبادة ضربان:

الضرب الأول: عبادة بالتسخير كسجود الحيوانات والنباتات والظلال قال اللّه تعالى: ﴿ولله يسجد مَن في السمٰوات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال﴾[١] فهذا سجود تسخير، وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبّهة على كونها مخلوقة وأنها خلق فاعل حكيم.

والضرب الثاني: عبادة بالاختيار وهي لذوي النطق وهي المأمور بها في نحو قوله تعالى: ﴿اعبدوا ربكم﴾[٢].

والعبد يقال: على أربعة أضرب:

الأول: عبد بحكم الشرع وهو الإنسان الذي يصح بيعه وابتياعه نحو العبد بالعبد.

والثاني: عبد بالعبادة والخدمة، والناس في هذا ضربان:

عبد للّه مخلصاً كقوله تعالى: ﴿وعباد الرحمن، إن عبادي، عبدنا أيوب، عبداً شكوراً﴾ ونحو ذلك.

وعبد للدنيا واعراضها وهو المعتكف على خدمتها ومراعتها قال النبي صلى الله عليه وآله: «تعس عبد الدرهم وتعس عبد الدينار».

وعلى هذا النحو يصح أن يقال: ليس كل إنسان عبداً للّه، فإن العبد على هذا بمعنى العابد، لكن العبد أبلغ من العابد. والناس كلّهم عباد اللّه، بل الأشياء كلّها كذلك لكن بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار. انتهى.

وقال الحكيم المتأله السبزواري في شرحه الأسماء من دعاء الجوشن: فإن

---

١ ـ الرعد: ١٥.

٢ ـ البقرة: ٢١.

العرفاء ثلثوا القسمة وقالوا: العبادة للعامة وهو التذلل للّه تعالى، والعبودية للخاصة الذين صححوا النسبة إليه تعالى بصدق القصد إليه في سلوك طريقه والعبودة: لخاصة الخاصّة الذين شهدوا نفوسهم قائمة بالحق في عبوديتهم فهم يعبدونه في مقام احدية الجمع والفرق.. الخ.

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق‎ﷺ: العبودية جوهرة كنهها الربوبية، فما فقد من العبودية وجد في الربوبية، وما خفي عن الربوبية أُصيب في العبودية.

إلى أن قال‎ﷺ: وتفسير العبودية بذل الكلّ، وسبب ذلك منع النفس عمّا تهوى، وحملها على ما تكره.

إلى أن قال‎ﷺ: وحروف العبد ثلاثة (ع ب د) فالعين علمه باللّه، والباء بونه عمن سواه، والدال دنّوه من اللّه تعالى بلا كيف ولا حجاب الخ.

وروى الشيخ البهائي (عليه الرحمة) في الكشكول عن خط الدروس عن عنوان البصري إلىٰ أن قال (أي الصادق‎ﷺ): يا أبا عبد اللّه ليس العلم بالتعليم، وإنما هو نور يقع على قلب من يريد اللّه تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله واستفهم اللّه يفهمك، قلت: ياشريف، قال: قل يا أباعبد اللّه، قلت: يا أبا عبد اللّه ما حقيقة العبودية؟ قال: ثلاثة أشياء، أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله اللّه ملكاً؛ لأن العبيد لايكون لهم ملك، يرون المال مال اللّه يضعونه حيث أمرهم اللّه (ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً).

وجعل اشتغاله فيما أمره اللّه تعالى به ونهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله اللّه ملكاً هان عليه الإنفاق فيما أمره اللّه تعالى أن ينفق فيه، وإذا فوض العبد تدبير نفسه إلى مدبرها هانت عليه مصائب الدنيا، واذا اشتغل العبد بما أمره اللّه تعالى ونهاه لا يتفرّغ منهما إلى المراءِ والمباهاة مع الناس، وإذا أكرم اللّه العبد بهذه الثلاثة هانت عليه الدنيا وابليس والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثراً أو تفاخراً، ولا يطلب ما

عند الناس عزّاً وعلواً، ولايدع ايامه بـاطلاً، فـهذا أول درجـة التـق، قـال اللّـه تعالى:﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين**﴾، الحديث.

وقيل:العبادة نصب العبد نفسه في مقام المـملوكية لربّـه، ومـا تـقدم مـن أن العبودية هو الخضوع فإنما هو تفسير باللازم.

وبعبارة أُخرى: أن اعتبار العبودية من أحد للّه تعالى، بعد طرح خصوصيات موارد استعمالها، ليس إلا أن يرى العبد نفسه مملوكة للّه تعالى ملكاً، يسوغ له تعالى من حيث هو مالكه ومولاه أن يتصرف فيه كيف يشاء، وبما أراد، ويسلب عن العبد استقلال الإرادة مطلقاً، فهو سبحانه مالك كلّ ما يسمى شيئاً :بحقيقة. الملكية، فأي شيء فرض من ذوي العقول، بل ولا من غيرهم من ذوي الشعور والإرادة لا يملك من نفسه ولا من غيره شيئاً لا لنفسه ولا لغيره من ضرّ ولا نفع ولا موت ولا حيوٰة ولا نشور.

وهو (أي العبد) لا يستقل بالنسبة إلى أمر في الوجود من ذات أو وصف أوفعل أبداً، اللّهمّ إلا ما ملكه اللّه تعالى ذلك تمليكاً بحيث لا يبطل ملكه تعالى أيضاً، ولا ينتقل به الملك عنه تعالى إلى غيره وذلك بنحو بينهعليه‌السلام في قوله: «بل هو المالك لما ملكهم، والقادر على ما عليه أقدارهم، وهو عـلى كـلّ شيء قـدير، وبكـلّ شيء محيط».

أقول: وجميع هذه التفاسير يعطي أن العبادة هي الأعمال العبادية، التي تصدر من الإنسان بما هي حاكية من تحقق صفة العبودية في قلب العابد، وإلّا فهو صورة محض لا أثر لها، فالإنسان إنما يكون عابداً له تعالى إذا تحقق في قلبه صفة العبودية، وهي الخضوع والانقياد، ونصب الإنسان نفسه في مقام المملوكية، وأمّا العـبودية التي عرفت تفسيرها عن المحقق السبزواري فهو معنى مختصّ بالأولياء الواصلين إلى مرحلة الفناء، وشرحه موكول إلى محله.

وكيف كان فهو عَلَيْهِ‌السَّلَامُ عبد له تعالى بتمام معنى العبودية والعبدية المفسرة في التعابير السابقة وذلك بالعقل والنقل.

أمّا الأول: فإنه عَلَيْهِ‌السَّلَامُ بظاهره وباطنه عبد داخر للّه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّا إلّا باللّه كما هو أقر لنفسه عَلَيْهِ‌السَّلَامُ بذلك.

وأمّا الثاني: فلقوله تعالى: ﴿**تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً**﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً**﴾[٢]، فقد أثبت له عَلَيْهِ‌السَّلَامُ صفة العبدية له تعالى، وكفى به دلالة ودليلاً.

هذا وقد ثبت في محله أن صفة العبودية مقدمة على صفة الرسالة، وأنها أخص من الرسالة وأقرب؛ وذلك لأنّ العبوديّة خصوصاً في مثله عَلَيْهِ‌السَّلَامُ هو الاستغراق في خدمة المولى، الذي يفسر قوله عليه‌السلام فيما تقدم من ان العين يدل على علمه باللّه تعالى، والباء على بونه من الخلق، والدال على دنوه من الخالق، فهذه الجمل هي حقيقة الاستغراق في خدمة المولى والفناء عن الخلق والنفس والدنيا كما لا يخفى.

ويدل على لزوم تقديم العبودية على الرسالة نظراً إلى أن قوام الرسالة بالعبودية ما رواه في الكافي عن الصادق عليه‌السلام قال: إن اللّه اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وأن اللّه اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وأن اللّه اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وأن اللّه اتخذه خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلما جمع له الأشياء قال: ﴿**إنّي جاعلك للناس إماماً**﴾[٣]، ومثله أخبار أُخر.

وأمّا الرسالة: فهي إيصال أمر المرسل (أي اللّه تعالى) إلى الخلق، وهو مقام بعد مقام العبودية وواجدية حقائق النبوة والرسالة كما لا يخفى.

الجهة الرابعة في شرح قوله: المنتجب ورسوله المرتضى، أقول:

---

١ ـ الفرقان: ١.

٢ ـ الإسراء: ١.

٣ ـ البقرة: ١٢٤.

في المجمع: النجيب الفاضل من كلّ حيوان، وقد نجب (بالضم) ينجب نجابة: إذا كان فاضلاً نفيساً في نوعه، والجمع النجباء.. إلى ان قال: وانتجبه اختاره واصطفاه، والمنتجب: المختار.

وعن القاموس: النجب محركة الحاء الشجر، أو قشر عروقها، إلى أن قال: وانتجبه أخذ قشره.

أقول: في المقام يراد منه صلى الله عليه وآله عبد قد كشف اللّه تعالى عنه جميع الحجب بينه تعالى وبينه صلى الله عليه وآله حتى أوصله إلى قاب قوسين أو أدنى.

وأما قوله عليه السلام: ورسوله المرتضى، إشارة إلى قوله: **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلّا من ارتضى من رسول﴾**[١].

فعن الكافي، عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: وكان محمد صلى الله عليه وآله ممن ارتضاه.

وعن الخرائج، عن الرضا عليه السلام في الآية: فرسول اللّه عند اللّه مرتضى، ونحن ورثة ذلك الرسول، الحديث.

وقد يقال في وجه اتصاف العبد: بأنه المنتجب والرسول بكونه المرتضى، ويقدم الأول على الثاني؛ لأنّ الانتجاب أخصّ من الارتضاء، إذ قد يرتضي الشخص شيئاً خاصاً أو شخصاً، وإن لم يكن ذلك المرتضى خيرة الموجودين ومنتجباً بقول مطلقاً في جميع الأُمور، وهذا بخلاف المنتجب فإنه مرتضى بقول مطلقاً، فكلّ منتجب مرتضى ولا عكس، ثم إنه لما كان المنتجب أخصّ، وعلمت أن العبودية أخصّ صفة للعبد الخاص وهي أقرب من الرسالة، وصف به العبد الأخص من الرسول.

هذا وقد تقدم قول أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة يوم الغدير والجمعة من قوله عليه السلام: أشهد أن لا إله إلّا اللّه وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، استخلصه في القدم على ساير الأُمم على علم منه، انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، وانتجبه آمراً وناهياً عنه، أقامه في ساير عالمه في الأداء مقامه، إذ كان لا تدركه الأبصار، ولا

---

١ ـ الجن: ٢٦ ـ ٢٧.

تحويه خواطر الأفكار، ولا تمثله غوامض الظنون في الأسرار.

وتقدم شرحه وهذا كاف في بيان معنى الانتجاب، وأنه أمر قبل الرسالة كما لا يخفى، والحمد للّه ربّ العالمين.

قوله عليه السلام: أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

أقول: تحقيق الكلام فيه يقع في أُمور:

الأمر الأول: أقول: هذه الجملة اقتباس من قوله تعالى **﴿هو الذي أرسل رسولَه بالهدى...﴾**[1]. في مرآة العقول[2]، عن الكافي، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: سألته عن قول اللّه عزوجل: **﴿يريدون ليطفئوا نور اللّه بأفواههم﴾**، قال: يريدون ليطفئوا ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام بأفواههم، قلت: **﴿واللّه متم نوره﴾** قال: واللّه متم الإمامة لقوله عزوجل: **﴿فآمنوا باللّه ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾** فالنور هو الإمام، قلت: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾** قال: هو الذي أمر رسوله بالولاية لوصيه والولاية هي دين الحق، قلت: **﴿ليظهره على الدين كله﴾**، قال يظهره على جميع الأديان عند قيام القايم (عج) الحديث.

وعن مجمع البيان، وروى العياشي بالإسناد عن عمران بن ميثم، عن عباية أنه سمع أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: هو الذي أرسل عبده بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، اظهروا ذلك بعد؟ قالوا: نعم، قال: كلّا والذي نفسي بيده حتى لا يبقى قرية إلّا وينادي فيها شهادة أن لا إله إلّا اللّه ومحمد رسول اللّه بكرة وعشياً.

أقول: الآية ذكرها عليه السلام اقتباساً؛ ولذا ذكر عليه السلام عبده بدل رسوله المذكور في الآية، ولعلّه نزلت هكذا أيضاً واللّه العالم.

---

١ ـ التوبة : ٣٣.

٢ ـ مرآة العقول ج ٥ ص ١٣٢.

وفي تفسير نور الثقلين[1]، عن كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام في قوله عزوجل: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون﴾** فقال: واللّه ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القايم (عج) فإذا خرج القائم (عج) لم يبق كافر باللّه العظيم ولا مشرك بالإمام إلّا كره خروجه، حتى لو كان كافر أو مشرك في بطن صخرة لقالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله.

وعن المجمع، عن الباقر عليه السلام في هذه الآية: أن ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد (صلوات اللّه عليهم) فلا يبقى أحد إلّا اقرّ بمحمد صلى الله عليه وآله.

وفي خبر آخر عن العياشي قال: ليظهره اللّه في الرجعة.

وعن مجمع البيان أيضاً: قال المقداد بن الأسود: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلّا أدخله اللّه كلمة الإسلام إما بعزّ عزيز أو بذل ذليل أما يعزّهم فيجعلهم اللّه من أهله فيعزوا به وأما يذلهم فيدينون به.

هذه بعض الأحاديث الواردة في بيان الآية، وسيأتي شرحه في شرح قوله عليه السلام: مصدق برجعتكم» إن شاء الله.

الأمر الثاني: قوله تعالى: **﴿بالهدى ودين الحق﴾**.

قد علمت أن دين الحق هي الولاية، وتقدم ما يدل على هذا، وأما الهدى فقد تقدم في شرح قوله عليه السلام: «السلام على أئمة الهدى»، بيان معنى الهداية وموارد استعمالها ممّا لا مزيد عليه، إلّا أنه قد يقال: إن الهداية قد تكون من الهادي بنحو توصل بالعناية والتوفيق والمعونة، وذلك بإلقاء النور من الهادي في المهدي حتى يشير به، ويكون ذلك مقتضياً لميل طبيعة المهدي إلى ما يريد اللّه منه، كما تقدم في حديث أبي خالد من قوله عليه السلام: و «هم واللّه ينورون قلوب المؤمنين» الحديث مرّ بتمامه.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢١١.

فحينئذ يعدى بنفسه اشعاراً بعدم توسط شيء آخر في الهداية، ولا توقفها على أمر، وقد يكون بإرائة الطريق الأقرب، ورفع الموانع المقتضية للضد، وذلك باللطف والتوفيق من الهادي بالنسبة إلى المهدي، فحينئذ يعدّى باللام إشعاراً بقرب المسافة المستفاد من اللام، وبتسهيل السير إلى المطلوب، وهذا في تلو المرتبة الأُولى إذ ليس فيها الايصال إلى المطلوب، إلاّ أنه بلحاظ اللطف والتوفيق قد جعل الوصول إلى المطلوب ميسّراً للمهدي فيصل إليه بذلك اللطف والتوفيق، وقد يكون بإرائة الطريق وتخلية السرب دون بذل اللطف والتوفيق، بل العناية بهما من الهادي تقف على ميل المهدي، فحينئذ يعدى بإلى إشعاراً ببعد المسافة المعبر عنه بتوقف اللطف على ميل العبد واللّه الهادي.

الأمر الثالث: لا ريب في أن الهداية بمالها من المعنى قد ظهرت منهم عليهم السلام إلى الخلق، إلّا أن الخلق متفاوتون في قبول الهداية سواء فسرت الهدى بالولاية أو بالأعم؛ وذلك لاختلاف قبول قلوب الناس نور المعرفة والولاية فحينئذ نقول توضيحاً لذلك:

في مرآة العقول[1]، عن الكافي، عن أحمد بن محمد مرسلاً قال: قال أبو عبداللّه عليه السلام: دعامة الإنسان العقل، والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم، وبالعقل يكمل وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره، فإذا كان تأييد عقله من النوركان عالماً حافظاً ذاكراً فطناً فهماً فعلم بذلك كيف ولم وحيث، وعرف من نصحه ومن غشّه، فإذا عرف ذلك عرف مجراه ـ وموصولة ومفصوله، وأخلص الوحدانية للّه والإقرار بالطاعة، فإذا فعل ذلك كان مستدركاً لما فات وواردأعلى ما هو صائر، وذلك كلّه من تأييد العقل.

وفيه[2]، بإسناده عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول اللّه

---

١ ـ مرآة العقول ج ١ ص ٨١.

٢ ـ مرآة العقول ص ٢٥٢.

تعالى: ﴿فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا﴾ فقال: يا أبا خالد النور واللّه الأئمة عليهم السلام يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم الذين ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب اللّه نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم ويغشاهم بها.

وفي الخصال[1]، عن أبي عبداللّه جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: المؤمن يتقلب في خمسة من النور، مدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور وكلامه نور، ومنظره يوم القيمة إلى النور.

وفيه[2]، عن أبي عبداللّه، عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أربع من كنّ فيه كان في نور اللّه الأعظم، من كانت عصمة أمره شهادة أن لا إله إلّا اللّه وأني رسول اللّه، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنا للّه وإنا إليه راجعون، ومَن إذا أصاب خيراً قال: الحمد لله ربّ العالمين، ومن إذا أصاب خطيئة قال: استغفر اللّه واتوب إليه.

أقول: إذا علمت هذا فاعلم: أن أهل الإيمان طائفتان:

الطائفة الأولى: مَن وقف على عتبة الصورة، ولم ينفتح له باب في قلبه إلى عالم المعنى والملكوت فلا يعلم إلا ظاهراً من الحيوٰة الدنيا، وظاهراً من الأُمور الدينية، فهو من أهل التقليد، فيكون مشربه من عالم المعاملات الدينية، فلا سبيل له إلى عالم العقل والأُمور العقلائية والروحانية.

وكيف كان فهو محبوس في قيد الصورة، وهؤلاء على مراتب قد تقدمت الإشارة إليهم في أوائل الشرح، وغاية ما يكون العامل منهم ماأشارت إليه الآية المباركة: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً عسى اللهُ أن يتوب عليهم إن اللّه غفور رحيم﴾[3] وهؤلاء موكل أمرهم إلى القيٰمة فأما ممن

١ـ الخصال ص ٢٦٢.

٢ـ الخصال ص ٢٠٣.

٢ـ التوبة : ١٠٢.

خفت موازينه، وإما ممن ثقلت على حسب ما يكتب من أعمالهم الملكان.

الطائفة الثانية: هم السائرون والمسافرون روحاً وقلباً من عالم الصور الى عالم المعنى، ومن مضيق المحسوسات الى متسع المعقولات هؤلاء أيضاً **قسمان**:

الأول: من يسير بقدمي الشرع والعقل على طريق الآخرة والجنان فهو إما يعبد اللّه خوفاً من النار أو يعبد طمعاً في الجنة كما تقدمت الإشارة إليه، فهم سائرون إليه تعالى، وفي سبيل مرضاته إلّا بنحو يكون مآله إلى دفع المضار عن نفسه وجلب المنافع إليه مطلقاً خصوصاً في الآخرة.

الثاني: من يسير بجناحي العرفان والعشق والمحبة في فضاء عالم الحقيقة إلى عالم الربوبية ومعدن الإلهية متوجهاً بشراشر قلبه وسرّه إلى حضرة مولاه، غير ملتفت إلى ما سواه.

فحينئذ الأقسام بحسب النوع ثلاثة:

القسم الأول: الواقفون المحجوبون، وهؤلاء لا نتكلّم في حالهم، وإن كان قد تقدم في أوائل الشرح بعض الكلام فيهم، وإنما المهم بيان القسمين الآخرين، ثم إن الأحاديث المذكورة تشير إلى القسم الأول منها ويلوح إلى الثاني، وهناك أحاديث أُخر وردت في حال القسم الثاني، وسنذكر بعضها إن شاء اللّه تعالى.

فقوله عليه السلام: دعامة الإنسان.. الخ، يشير إلىٰ حال القسم الأول وتوضيحه: أن دعامة الشيء هو أصله الذي ينشأ منه فروع أحواله، وشعب أوصافه وكماله، ودعامة الإنسان العقل الذي منه ينشأ سائر صفاته الحسنة، والأحوال والملكات والقوى والاستعدادات كالفطنة والفهم والحفظ والعلم وغيرها، كما أن أضدادها تنشأ من ضد العقل الذي هو الجهل، كلّ هذا ممّا أشار إليه عليه السلام بقوله: دعامة الإنسان العقل.. الخ.

وأوضح عليه السلام ذلك ببيان آثاره ولوازمه وبكونه مكملاً للإنسان، ودليلاً وحجة له أو عليه ومبصراً له على صيغة الفاعل على بناء الأفعال أو التفعيل، أي جاعله

بصيراً وموجباً لبصيرته، أو بكسر الميم وفتح الصاد اسم آلة أي ما به بصيرته، أو بفتح الميم والصاد اسم مكان اي ما فيه بصيرته وعلمه.

وحاصله: أنه موجب لرؤيته للأشياء كما هي، ويكون مفتاح لأبواب العلم والرحمة.

وأما قوله عليه السلام: فإذا كان تأييد عقله من النور.. الخ، فتوضيحه موقوف على بيان أمر وهو: أن العقل الذي هو حجة اللّه تعالى الباطنة بينه وبين خلقه، فإنما يكون شأنه الكشف كالسراج، وقد تقدم قول الصادق عليه السلام: العقل كالسراج وسط البيت، فشأن العقل هو الإراءة وهو خلق روحاني دقيق لطيف، شأنه إراءة الأُمور الملكوتية والإلهية، فهو بنفسه يكشف عما يتعلق به، فإن كان في الأُمور المادية الدينية، فيظهر لصاحبه حقيقتها، وإن كان من الأُمور الإلهية، فيظهر له تلك الأُمور الإلهية.

وبعبارة أُخرى: أنه لابدّ من منظر ومرءى للعقل؛ لكي يعطي كشفاً لصاحبه عن ذلك، فحينئذ قوله عليه السلام: «فإذا كان تأييد عقله من النور» يشير إلى أن المنظر له إذا كان من النور، أي أعانه النور بأن أراه الموارد العالية من الأُمور الإلهية من حقائق الأسماء الحسنى والمعارف الربوبية ونحوها، وأعمل صاحب العقل العقل في تلك الموارد النورانية التي أراها النور، فلا محالة يتقوى العقل ويترقى إلى الكمالات.

وبعبارة أخرى: أن الروح الإنساني يطير بجناح العقل والمعرفة فمسيّره العقل ولكن العقل إنما يسيره اذا كان مويداً بالنور بالنحو المذكور، فيستمد العقل من النور ثم يمدّ بما عند الروح في السير إلى الدرجات العالية.

وليعلم أيضاً: أن هذا النور من الملكوت الأعلى، وليس هو نوراً من الأنوار المحسوسة الكائنة في عالم الظلمات، بل الكائن فيها هو العقل الذي هو أيضاً يعبر عنه بالنور، إلّا أن هذا النور نور ظاهر في عالم الدنيا، وذلك نور من سنخ الملكوت الأعلى، نعم هو (أي هذا النور) من سنخ النور العقلي إذ الشيء (أي العقل مثلاً) لا

يتقوى ولا يستكمل ولا يتغذّى إلّا بما هو من سنخ ذاته ونوعه.

ثم إن المراد من النور الملكوتي الذي شأنه هو ظهور الأشياء عند الحس والعقل هو المعرفة الإلهية، التي عرفت أنها لا تكون إلا بإذن اللّه، وليس للبشر فيها صنع، ويطلق على أرواح الأئمة عليهم السلام لما علمت سابقاً من أن ذواتهم المقدسة إنما هي حقيقة الأسماء الحسنى، وهم حقيقة معارف اللّه تعالى، وقد يطلق على رحمة اللّه تعالى الشاملة لعباده كلّ بحسبه، وحينئذ يطلق أيضاً على ما يلقيه اللّه تعالى في قلوب العارفين من صفاء وجلاء به يظهر عليهم حقائق الحكم ودقائق الأُمور، وقد يطلق النور على الربّ تبارك وتعالى؛ لأنه نور الأنوار، ومنه يظهر جميع الأشياء في الوجود العيني.

ثم أفاد عليه السلام بعدما بين أن تأييد العقل الإنساني ليس إلاّ بما هو من جنس العلم والمعرفة وسايرها.أن العقل المؤيد بنورالبصيرة العلمية، أعني العلم باللّه واليوم الآخر، ممّا يهتدي به الإنسان إلى سلوك السبيل إلى اللّه، ويتمكن من الخلاص عن الجحيم والنجاة من العذاب الأليم الذي منشأه البعد عن عالم الرحمة والرضوان والاحتجاب عن الحق بالهوى إلى عالم الغضب والنيران، وبين عليه السلام أن الإنسان يعلم ذلك ويهتدي تلك الهدايات الإلهية بسبب ذلك النور، الذي أيد عقله به وعلم به كيفية السلوك إلى الآخرة، ويعلم علّة ذلك السلوك.

وبذلك تحصل له الداعي للخروج من النقص إلى الكمال، ومن الهبوط والدنو السفلي إلى الشرف والعلو، ومن الشقاوة إلى السعادة، ومن الظلمات إلى النور، ويعلم أيضاً جهة الآخرة ومنازلها وصراطها المستقيم، ويعلم أيضاً الأئمة الهداه من أئمة الضلال، والمعلم الناصح من المغوى الغاشي، فإذا عرف هذه الأُمور معرفة صحيحة وعلماً يقينياً عرف مجراه ومسلكه المستقيم هو إلى سمته أو معدول عنه أوموصول لمطلوبه الذي يقصده أو مفصول عنه.

كل ذلك بينه عليه السلام بقوله: فعلم بذلك كيف، أي كيفية السلوك والوصول إلى

الدرجات والحقائق (ولم) أي عرف العلة التي بها هبط إلى هذا المنزل الادنى الذي وقع فيه (وحيث) أي يعلم مواضع الأُمور فيضعها فيها كالإمامة يضعها في أهل بيت الرسالة، والنصيحة عند من يقبلها، والحكمة فيمن هو أهل لها، أوعرف الكيفية والعلة لنفسه من جهة أنه من أيّ مرتبة وأيّ عالم أتى إلى هذا العالم، الذي هو فيه اليوم، وإلى أيّ مقام ومصير يرجع من هذا العالم.

وكيف كان انه يعلم حينئذ أحوال المبدإ والمعاد وما فيهما والنظر إليها وفيها حق النظر والاعتبار، وهذا كما روى عن أميرالمؤمنين عليه السلام حيث قال كما في النهج: رحم اللّه أمرءاً أعدّ لنفسه واستعدّ لرمسه وعلم من أين وفي أين وإلى أين.

فقوله عليه السلام: من أين، إشارة إلى معرفة المبدإ تعالى وملائكته ورسله.

وقوله: في أين، إشارة إلى معرفة النفس، وكيفية كونها في هذه النشاة، ومعرفة عبوديتها وافتقارها، وكيفية سلوكها منهج النجاة وصراط الآخرة.

وقوله: إلى أين، إشارة إلى العلم بأحوال المعاد، ومنازلها من القبر والبرزخ والصراط والميزان والكتاب والحساب والعرض والجنة والنار.

والحاصل: أن معرفة ذلك كله إنما هو بتأييد العقل من النور (أي نور المعرفة) والبصيرة، إذ بذلك النور يخرج ذاته من النقص والقصور، ويسعى إلى اللّه بقدمى الإيمان والعبودية، ويطير بجناحي العلم والعمل إلى فضاء عالم القرب والشهود.

قوله عليه السلام: فإذا عرف ذلك (أي إذا علم العاقل المؤيد بالنور) هذه الأُمور، وعلم طريقي الخير والشر، وسبيلي النجاة والهلاك، وما مبدأ طريق الخير والنجاة، وما غايته وما الوقوع في سمته، وما العدول عنه، وما الموصل إليه، وما المنقطع عنه بنحو مرّ بيانه، فلابدّ لهذا الشخص أن يخلص للّه بالوحدانية باطناً وقلباً من غير شائبه رياء أو غرض، ويقرّ له تعالى بالطاعة والانقياد بالعبودية ظاهراً وبدناً، فيكون بسره وعلنه ونفسه وبدنه وقلبه وقالبه منخرطاً في سلك خدمة مولاه وعبادته عارفاً بحقه، مستغرقاً في بحر طاعته طالباً معرضاً عما سواه.

فإذا نزل هذه المنزلة، وتلافى ما فرط، والتزم بالخضوع والخشوع، وكان وارداً على الموت والبعث وما بعدهما بقلب سليم وسرّ صحيح، ونفس خاشعة للّه تعالى، صابرة على بلائه، شاكرة لنعمائه، وعقل عارف به عاشق مشتاق لحضرته، طالب لما عنده تعالى من النعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال، ومن السرور الدائم والحضور في الجنان والروح والريحان والرحمة والرضوان، فإذا وصل إلى هذه المعارف والألطاف الإلهية علم بحقيقة ما هو فيه الآن، وعرف حقيقة الدنيا والعلة التي بها هبط إلى آخر ما مرّ.

ثم إنه قد علمت أن النور الذي به التأييد للعقل هو أرواح الائمة عليهم السلام وأنوارهم وله أشار في حديث أبي خالد من قوله عليه السلام: النور واللّه الأئمة عليهم السلام، وقوله: وهم الذين ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب اللّه نورهم عمّن يشاء، فتظلم قلوبهم ويغشاهم بها، فلا محالة لابدّ من تحصيل هذا النور منهم بالتوسل بهم والتضرع لديهم، وقد تقدم قول الصادق عليه السلام في حديث مفضل عن الاختصاص: أجمل الأمر ما استأهل خلق من اللّه النظر إليه إلّا بالعبودية لنا (أي إلّا بالخضوع لنا وبالانقياد والتسليم لنا كالعبد في قبال مولاه) فإذا منحوه هذا النور يصل إلى ما ذكرناه آنفاً.

وإليه يشير أيضاً ما تقدم عن الخصال، عن علي: «المؤمن يتقلب في خمسة أنوار» الحديث، فإنه حينئذ يصير تمام شؤونه منوراً بنور المعرفة، فلا محالة يكون مخرجه ومدخله وعلمه وكلامه ومنظره نوراً، فهذا الشخص قد جلا قلبه فهو شاهد الأُمور الربوبية، وتحصل له قابلية أن يكون من القسم الثالث المشار إليه سابقاً، هذا كلّه بعض الكلام في حال القسم الأول من الطائفتين.

وأما القسم الثاني: أعني بهم من يسير بجناحي العرفان والعشق والمحبة في فضاء عالم الحقيقة إلى عالم الربوبية إلى آخر ما تقدم، فهؤلاء قد أُشير إليهم في الأحاديث نذكر بعضها، ثم نعقبها بما لابدّ منه في شرحها من الكلام فنقول:

في البحار[١]، عن إرشاد القلوب، وروى عن المفضل بن صالح قال: قال لي مولاي الصادق عليه السلام يا مفضل إن للّه تعالى عباداً عاملوه بخالص من سرّه، فقابلهم بخالص من برّه، فهم الذين تمرّ صحفهم يوم القيمة فارغاً، فإذا وقفوا بين يديه ملأ هاهم من سرّ ما أسروا إليه، فقلت: وكيف ذلك يا مولاي؟ فقال: أجلهم انّ تطلع الحفظة على ما بينه وبينهم.

فقوله عليه السلام: عاملوه بخالص من سرّه، أي بنيّةٍ خالصة لا يشوبها غيره تعالى؛ وذلك لخلو قلوبهم عن غيره.

ففي البحار[٢]، وعن سفيان بن عيينة قال؛ سألت الصادق عليه السلام عن قول اللّه عزوجل:ك ﴿إلّا من أتى اللّه بقلب سليم﴾ قال: «السليم الذي يلقي ربّه، وليس فيه أحد سواه» وقال: «كلّ قلب فيه شك أو شرك فهو ساقط». وإنما أرادوا الزهد في الدنيا؛ لتفرغ قلوبهم للآخرة، فهؤلاء قد سلمت قلوبهم عن غيره تعالى، فليس فيها إلّا اللّه، ولا ريب في أن قلباً ليس فيه غير اللّه تكون معاملته مع اللّه بخالص من سرّه.

ويؤيده ما في مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام: «صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم» لأنّ سلامة القلب من هواجس المذكورات تخلص النية للّه في الأمور كلها قال اللّه تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلّا من أتى اللّه بقلب سليم﴾.

أو المراد من قوله عليه السلام: «عاملوه بخالص من سرّه» أن قلوبهم قد انعقدت على معرفته تعالى، ولا ريب في أنها من أخصّ الأمور وأسرّها، فلا يفطن لها أحد حتى الملائكة.

---

١ ـ البحار ج ٧٠ ص ٢٥٢.
٢ ـ البحار ج ٧٠ ص ٥٩.

ففي الكافي[1]، قال رسول الله ﷺ.. إلى أن قال: «وما يضمر النبي ﷺ في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين» الحديث.

ومن المعلوم أن ما يضمره ﷺ هو غاية معرفته تعالى ويظهر من قوله: أفضل، أن هذه المعرفة المضمرة تعادل اجتهاد المجتهدين بل أفضله.

وكيف كان فهؤلاء مبتهجون بمعرفتهم له تعالى، ويكون جميع معاملاتهم على ما تقتضيه تلك المعرفة كما لا يخفى.

وفي البحار[2]، عن كتاب الكفاية بإسناده عن يونس بن ضبيان، وكذا في تفسير البرهان في قوله تعالى: ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ قال: دخلت على الصادق عليه السلام.. إلى أن قال: ثم قال عليه السلام: إن أولي الألباب الذين عملوا بالفكرة حتى ورثوا منه حبّ الله، فإن حبّ الله إذا ورثه القلب واستضاء به أسرع إليه اللطف، فإذا نزل منزلة اللطف صار من أهل الفوائد، فإذا صار من أهل الفوائد تكلم بالحكمة (فإذا تكلم بالحكمة) صار صاحب فطنة، فإذا نزل منزلة الفطنة عمل في القدرة، فإذا عمل في القدرة عرف الأطباق السبعة، فإذا بلغ هذه المنزلة صار يتقلب في فكره بلطف وحكمة وبيان، فإذا بلغ هذه المنزلة جعل شهوته ومحبته في خالقه، فإذا فعل ذلك نزل المنزلة الكبرى فعاين ربّه في قلبه. الحديث.

وفي البحار وتفسير الصافي واللفظ للثاني.. وعن الصادق عليه السلام أنه سُئل عنها، فقال: الظالم يحوم حول نفسه، والمقتصد يحوم حول قلبه، والسابق يحوم حول ربّه عزوجل. قوله سُئل عنها أي عن قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب﴾ الآية.

ثم إن شرح هذين الحديثين مفصل موكول إلى محله، إلّا أن قوله عليه السلام: فإذا فعل ذلك نزل المنزلة الكبرى، وعاين ربّه في قلبه، يشير إلى حال هذه الطائفة والجمل السابقة تشير إلى مراتب سيرهم الموصل لهم إلى هذه الدرجة الرفيعة، وحال

---

١ ـ الكافي ج ١ ص ٤٠٣.

٢ ـ البحار ج ٣٦ ص ٤٠٣.

هؤلاء هو ما أشار إليه في حديث الصادقعليه السلام من قولهعليه السلام: والسابق يحوم حول ربّه عزوجل، وذلك لأنه لا يكون في قلبه سواه، فلا توجه منه إلى غيره تعالى، وهذه نعمة ليست فوقها نعمة كما روى عن الصادقعليه السلام: ما أنعم اللّه على عبد أجل من ان لا يكون في قلبه مع اللّه غيره».

والغرض من بيان هذه الأحاديث الإشارة إلى حال الطائفة الثانية، وأنهم كيف اهتدوا بالعقل المؤيد بالنور الذي هو الأئمةعليهم السلام ومنه يعلم أن جميع الهدايات تكون منهمعليهم السلام فالهدى الذي جاء به الرسول الذي هو الولاية كما تقدم هو هداهم، ونورهم الذي به ينورون قلوب المؤمنين من شيعتهم، وقد تقدم أن لهم الولاية التكوينية في التصرف في عالم الوجود بإذنه تعالى، وأن أرواحهم هو حقيقة القرآن وحقيقة الأسماء الحسنى، وأنهم أقرب الخلق إليه تعالى، فلا محالة لا تكون هداية بجميع مراتبها لأحد إلّا وهي منهمعليهم السلام.

ثم إن لازم العرفان والمعرفة به تعالى هو المحبة والعشق إليه تعالى، وهذه المحبة والعشق من فروعها وهما يحصلان من الفكر كما أشار إليه في حديث يونس بن ضبيان عن الصادقعليه السلام بقولهعليه السلام فيه: «وجعل شهوته ومحبته في خالقه»، يشير إلى وصوله إلى مقام المحبة الحقيقية المختصة به تعالى فقط، وقولهعليه السلام: «وعاين ربّه في قلبه»، يشير إلى المعرفة الحقيقية كما لا يخفى.

وسيجيء لهذا الكلام مزيد توضيح قريباً إن شاء اللّه تعالى.

قولهعليه السلام: وأشهد أنكم الأئمة الراشدون المهديّون

أقول: الكلام هنا يقع في **مقامين**: **الأول**: في بيان الشهادة بولايتهم وإمامتهم. **والثاني**: في بيان كونهمعليهم السلام راشدين مهديين.

المقام الأوّل: وأما الكلام في كونهم أئمة فقد تقدم، إلّا أن الكلام هنا في مقام الشهاده لهم بذلك فنقول:

قوله عليه السلام: وأشهد أنكم الأئمة الراشدون، في مقام بيان الشهاده الثالثة بعد الشهادتين وهذا مسلم شرعاً.

وبعبارة أُخرى: أن الشهادة بولايتهم وإمامتهم لابدّ من أن تكون بعد الشهادتين أما عقيدة فهي واجبة بجميع الادلة التي دلّت على كونهم عليهم السلام أوصياء النبي صلى الله عليه وآله كما تقدم في قوله عليه السلام: «وأوصياء نبي اللّه» وأما الإقرار اللساني فهو مستحب.

وبعبارة أخرى: أنه تستحب الشهادة الثالثة عند الإقرار بالشهادتين مطلقاً خصوصاً في الأذان والإقامة، نعم فيهما لا بعنوان الجزئية لهما بل بالعنوان الاستحبابي النفسي، فيكون من قبيل مستحب في واجب، أو مستحب على الاختلاف في الأذان والإقامه.

وكيف كان فالتصريح بالنبوة له صلى الله عليه وآله يستلزم التصريح بإمامتهم، فمن شهد بالرسالة يشهد بالإمامة، وهذا كان أمراً معلوماً من صدر الإسلام، نعم غيّره المبطلون، ويدل على هذا ما نقل عن الشيخ سعد بن إبراهيم الأردبيلي من علماء العامه في كتاب الأربعين له بإسناده الى المقداد بن الأسود الكندي قال: كنت مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله وهو متعلق بأستار الكعبة ويقول: «اللّهم أعضدني، واشدد أزري، واشرح صدري، وارفع ذكري».

فنزل جبرئيل عليه السلام وقال له: اقرأ: **﴿ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذي أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك * (بعلي صهرك)﴾** فقرأها النبي على ابن مسعود فألحقها في تأليفه وأسقطها عثمان، فيعلم منه ان المعاندين فرقوا بين النبي والوصي مع انه تعالى قد قرنهما معاً في هذه القراءة.

ونحن نذكر أحاديث أُخر تدلّ على الاستحباب مطلقاً، ثم نعقبه بالدليل العقلي والذوق العرفاني الدال على لزومها، وأنها كالشهادة برسالته صلى الله عليه وآله فنقول:

في البحار[١]، عن الاحتجاج عن القاسم بن معاوية قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم أنه لمّا أسري برسول الله رأى على العرش (لا إله إلّا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق) فقال: سبحان الله غيّروا كلّ شيء حتى هذا،! قلت: نعم، قال: ان الله عزوجل لما خلق العرش، كتب على قوائمه (لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي أميرالمؤمنين).

أقول: ثم عدّ عليه بهذا النحو أموراً من الماء والكرسي واللوح، وإسرافيل وجبرائيل، والسموات والأرضين والجبال والشمس والقمر.

فقال عليه السلام: كتب في جميع هذه مثل ما كتب على العرش، إلى أن قال عليه السلام: فإذا قال أحدكم: لا إله إلّا الله محمد رسول الله، فليقل: علي أميرالمؤمنين وليّ الله.

وفي كتاب القطرة[٢] للسيد العلّامة السيد أحمد المستنبط، رواية نقلها عن فقه المجلسي رحمه الله ما هذالفظه: ويستحب أن يزاد في التشهد ما نقله أبو بصير عن الصادق عليه السلام وهو: بسم الله وبالله والحمد لله، وخير الأسماء كلّها لله، أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحقّ بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، وأشهد أن ربّي نعم الربّ وأن محمداً نعم الرسول وأن علياً نعم الوصي ونعم الإمام، اللّهم صل على محمد وآل محمد، وتقبل شفاعته في أمته وارفع درجته.

أقول: وهذه الرواية صريحة في استحباب الشهادة الثالثة في التشهد كما لا يخفى.

وفيه أي البحار عن الخصال والأمالي، عن جابر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله مكتوب على باب الجنة: لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، على أخو رسول الله، قبل أن تخلق السموات والأرض بألفي عام.

وفيه عن أمالي ابن الشيخ بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما

---

١ ـ البحار ج ٢٧ ص ١.
٢ ـ كتاب القطرة ص ٢٢١.

عرج بي إلى السماء، رأيت على باب الجنة مكتوباً: لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه، علي حبيب اللّه، الحسن والحسين صفوة اللّه، فاطمه أمة اللّه على باغضيهم لعنة اللّه.

وفيه عن كتاب اليقين في إمرة أميرالمؤمنين، عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه عليه السلام: والذي بعثني بالحق بشيراً ما استقر الكرسي ولا العرش، ولا دار الفلك، ولا قامت السمٰوات والأرض إلاّ بأن كتب اللّه عليها: (لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه، علي أميرالمؤمنين).

وفي حديث آخر عن الروضة: مكتوب على أوراق الجنة: (لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه، علي بن أبي طالب ولي اللّه، الحسن والحسين صفوة اللّه).

وفيه عن ابن مسعود قال: قال رسول اللّه عليه السلام.. إلى أن قال: فرفع رأسه (أي آدم عليه السلام) فإذا مكتوب على العرش: لا إله إلّا اللّه محمد نبيّ الرحمة وعلي مقيم الحجة، مَن عرف حقّ علي زكى وطاب، ومَن أنكر حقّه لعن وخاب، أقسمت بعزتي أن أدخل الجنه من أطاعه وإن عصاني، وأقسمت بعزتي أن أدخل النار من عصاه وإن اطاعني.

اقول: قوله تعالى: «من أطاعه» أي أقر بولايته وإمرته (وإن عصاني) أي ولم يؤد التكاليف، وقوله تعالى: (من عصاه) اي أنكر ولايته (وإن اطاعني) أي وإن عمل بالتكليف.

وفيه عن الصدوق، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: مسطور بخط جليل حول العرش: لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه، علي أميرالمؤمنين.

وفيه عن الصدوق، عنه عليه السلام: أنه مكتوب على أبواب السماء وحجب النور وأركان العرش: لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه، علي بن أبي طالب أميرالمومنين، نقلت هذا الحديث بالمعنى.

أقول: ومثل هذه كثيرة في متفرقات أبواب الولاية، ثم إنه يقع الكلام في هذه

الأحاديث في أمور:

الأول: أنه يستفاد منها أن هذه الشهادة مقرونة بالشهادتين، وهـو يـعطي أن ولايته وإمرته في عدل وحدانيته تعالى ورسالته ﷺ وأنه لابدّ من الإقرار بها بـعد الإقرار بالشهادتين كما في الحديث الأول.

ولعمري إنه لاشكّ في هذا بإجماع من المسلمين من أنهم عليهم السلام هم الذين يقتدى بهم في كل شيء؛ لاتفاق الألسن والقلوب على أنهم عليهم السلام لا يساويهم من سواهم في العلم والعمل والكرم والشجاعة والتـقوى والزهـد، والتـجافي عـن دار الغـرور، والإقبال على اللّه سبحانه، والقيام بأوامره، والانتهاء عن نـواهـيه، والإخـلاص والصدق، وما تقدم من شؤون الولاية التي أثبتتها لهم الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة النبوية ﷺ.

هذا مع أنهم عليهم السلام منزهون عن النقائض وذمائم الأفعال، لما سيأتي قريباً من أن عصمتهم نقيض ذلك أي كونهم منزهين عنها.

هذا وقد ثبت بالوجدان لكل أحد أنهم عليهم السلام في الرتبة الحسنة المحمودة من كل أمر حسن محمود عند اللّه تعالى وعند جميع الخلق، بحيث لا يدانيهم أحد، ولا تحوم حومهم حائمة الأفكار، ولا تدرك أدنى مقامهم النظائر والأبصار، فحينئذ لا محالة يجب على كل أحد بالفطرة الذاتية والعقلية، والوجدان المنزه عن شوائب العصبية، وبما جبله اللّه عليه من التوحيد أن يرضى بهم عليهم السلام أئمة، بل نرى نحن بالوجدان أنه لا يرد هذا أحد من الخلق، إلا عدوهم حسداً وعناداً.

وحينئذ نقول: الذي يحكم العقل السليم، وما أمر به النبي الكريم، ومانطق بـه القرآن العظيم ممّا لا يستقصي بأنحاء البيان من التصريح والتبيين، والتلويح والتعيين، والإشارة والعبارة كما لا يخفى على ذوي الفكر والدين السليم، بالتسليم لهم والردّ إليهم والاقتداء بهم، والقبول منهم والأخذ عنهم فيما علم وفيما لا يعلم، هـذا وقـد تقدم من قول الصادق عليه السلام: إنما امروا بمعرفتنا والتسليم لنا والردّ إلينا فيما اخـتلفوا،

وهذا أمر لا سترة عليه، وهو ثابت في الدنـيا وفي المـلإ الأعـلى كـما عـلمت مـن الأحاديث السابقة.

نعم: يقع الكلام في أنه ما معنى كتابة هذه الشهادة على تلك الأُمور من العرش والكرسي والجنة وأوراقها وغيرها من المذكورات؟ فنقول: لا ريب في أنه لا يكون في عالم الوجود إلا ذاته المقدسة جلّت عـظمته وصـفاته وأفـعاله ولا ريب في أن الموجودات إنما هي مظاهر صفاته وأفعاله، فجميع المظاهر من الصفات والأفعال تدل على ذاته المقدسة، وتدل على أنها من آثارها في الوجود وعالم الخلق، وتـدل على أن المؤثر فيها (اي الصفات والأفعال) هو الواحد الاحد. وهذا هو المراد من قولهﷺ كما تقدم من أنه تعالى أجرى توحيده في الخلق، وهذا التوحيد هو التوحيد الصفاتي والأفعالي المذكور في كلماتهم، ودركه هو الوصول إليـه (أي إلى التـوحيد الصفاتي والأفعالي).

وبعبارة أُخرى: أن جميع الموجودات مظاهر صفاته وأسمائـه تـعالى، والاسم والصفة تدلّ على المسمى دلالة اللفظ على المعنى، هذا وقد علمت أن حقيقة ذواتهم المقدسة هي أسماؤه الحسنى وصفاته العليا جلت آلاؤه.

وبعبارة ثالثة: أن جميع الموجودات له جهتان:

الجهة الخلقية: وهي الحدود التي يعبر عنها بالماهية ويفسر بالجنس والفصل بلحاظ الآثار الخاصة والعامة كما لا يخفى.

والجهة الخالقية: التي يليها الربّ، والتي هي قائمة به تعالى وإليه يشير قولهﷺ: يا مَن كلّ شيء موجود به، يا من كلّ شيء قائم به، فكل شيء قائم ومـوجود بـه تعالى، فالجهة التي بها قوامها منه تعالى هو الجهة الخالقي، قال اللّه تعالى ﴿لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم﴾[1] فقوله تعالى: ﴿القيوم﴾ يشير إلى هذه الأمور.

إذا علمت هذا فقد ظهر لك: أن جميع الموجودات من العرش والكرسي، والمياه

---

١ ـ البقرة: ٢٥٥.

والجبال، والملائكة، والشمس والقمر بل وكل شيء ممّا ذكر في تلك الأحاديث، وما لم يذكر بالتفصيل بل أشير إليه بالإجمال فهو مظاهر أسمائه وأفعاله، وكلها تدل عليه، وحيث إن ذواتهم المقدسة هي حقيقة الأسماء كما علمت مراراً، فلا محالة تكون تلك الموجودات مظاهر تلك الذوات المقدسة، فباعتبار دلالتها على التوحيد دلالة تكوينية يقال: انه كتب عليها لا إله إلّا اللّه، ضرورة أن الكتابة هو الثبت والثبت في كلّ شيء بحسبه، فإذا كان التوحيد جارياً فيها بأن خلقها اللّه تعالى هكذا (أي دالة على التوحيد) فهي تدل عليه، كما يدل اللفظ على المعنى، بل هذه الدلالة آكد من دلالة اللفظ لطرو احتمال الخلاف والاشتباه والاحتمال فيه، وهذا بخلاف الدلالة التكوينية الإلهية كما لا يخفى.

وحيث إن حقيقة النبي صلى الله عليه وآله هو حقيقة النبوة والرسالة، وهو حقيقة تجلي الاسم الأعظم، كما أشير إليه في الأدعية، وهو التجلي الجامع المتضمن لجميع التجليات الإلهية، بحيث يندرج فيها جميع مظاهر الولاية الإلهية التي ثبتت لأميرالمومنين عليه السلام ولذا كانت الشهادة بالولاية عقب الشهادة بالرسالة؛ لأنها فرعها وتلك أصلها وهذا تفصيلها وتلك إجمالها.

ومن المعلوم أن جميع الموجودات تكون متفرعة من هذا التجلي الأعظم، فلا محالة كلّ موجود بما هو فرع عن هذا الأصل يدل على أصله، وعلى أنه إنما ألبس خلع الوجود بماله من الآثار من هذا الأصل الشريف والعنصر العفيف (أعني الحقيقة المحمدية) التي هو التجلي الأعظم بنحو ما ذكر من الداله في سابقه، فلا محالة كل موجود ثبت فيه وكتب عليه محمد رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

وحيث إن باطن النبوة كما علمت مراراً هو الولاية، التي هي أولا وبالذات للنبي الأعظم، ثم هي للولي أميرالمؤمنين والأئمة عليهم السلام وعلمت أن الولاية التي هي مقام تفصيل النبوة والرساله تشريعاً وتكويناً هو مقام ومنصب إلهي واقع في حدّ الوجوب والإمكان، بمعنى أن كل ممكن يتقبل بلسان استعداده الفيوضات من المبدإ

الأعلى بواسطة حقيقة الولاية التي مجملها فيه ﷺ وتفصيلها بهم عليهم السلام فحينئذ لا محالة كلّ موجود بما هو أيضاً فرع من هذا الأصل الواسطي الحقيقي (أعني الولاية التي هي حقيقة الأئمة عليهم السلام يدل على هذا الأصل الأصيل بنحو تقدم في سابقه، وإنما ذكر أميرالمومنين عليه السلام لأنه عليه السلام رمز للكلّ، ولدليل الاشتراك لهم في هذا المعنى كما تقدم: أن ما يجري لأولهم يجري لآخرهم، فراجع.

وإليه يشير أيضا قوله عليه السلام: الحسن والحسين صفوة اللّه، فإن الصفوة، بمالها من المعنى المتقدم ذكره، هو عنوان لمن له تلك المقامات المولوية كما لا يخفى.

-وامّا ما في بعض الأحاديث من قوله: فاطمة عليها السلام أمة اللّه، فحاصله: أن الأمة في النسوة كالعبد الحقيقي في الرجال، فكما أن العبودية الكاملة، التي هي حقيقة العبد الحقيقي هي أعلى مقام، وأعلى من صفة الرسالة؛ لذا قدمت عليها كما تقدم، فكذلك صفة الأمتية هي حقيقة العبودية، وبما أنها (صلوات اللّه عليها) مظهر وحيد للعصمة، ومظهر الاسم الخفي الإلهي الذي تسري منه الألطاف الخفوية الإلهية فهي عليها السلام في جميع شؤونها مخفية ولذا قيل في حقّها: المجهولة قدرها، وذلك لخفائها عن الأفهام والبصائر.

ولهذه الجهة عبر عنها عليها السلام بالأمة مضافة إلى اللّه تعالى، وصفة الأمة للّه تعالى عنوان لمقامها الذي هو تلو مقام الولاية، غاية الأمر عبر عنها بالأمة للّه تعالى، رزقنا اللّه تعالى معرفتها.

فمعنى كتابتها عليها هو أن حقيقتها عليها السلام بما هي أمة للّه تعالى ظاهرة في الجنة لأهلها، وأنها متصفة بحقيقة العبودية التي هي منشأ جميع المقامات كما تقدم، إلّا أنه لعصمتها عبر عنها بالأمة كما لا يخفى، واللّه العالم بحقائق الأُمور.

المقام الثاني (أعني معنى كونهم الراشدين) فنقول: الرشد هو الهدى، وعن القاموس: الرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه.

وفي تفسير نور الثقلين، عن مجمع البيان: روي عن أبي عبداللّه عليه السلام أنه قال:

«وليؤمنوا بي، أي وليتحققوا أني قادر على إعطائهم ما سألوا لعلّهم يـرشدون (أي لعلهم يصيبون الحق ويهتدون إليه).

في هذا الحديث فسّر الرشد بإصابة الحق والاهتداء إليه، ولا ريب في أنهم عليهم السلام هم المصيبون للحق، والمهتدون إليه، والمتصلبون فيه كما هو المشاهد مـنهم عليهم السلام في أفعالهم وأقوالهم عليهم السلام، وحينئذ فالرشد هو كمال روحي (اي كشف للواقع لديه) أثره درك الحق وتمييزه عن الباطل والمشي عليه بنحو الجزم.

هذا وقد روى العامة عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، فإن صح الحديث فالمراد به هم عليهم السلام كما رووا، فيكون هذا الحديث مفاده مفاد ما صح عنه صلى الله عليه وآله عند الفريقين من قوله صلى الله عليه وآله: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، ومفاد قوله صلى الله عليه وآله: مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنه هوى.

ولعل قوله عليه السلام: الأئمة الراشدون، يشير إلى أن المروي عنه صلى الله عليه وآله عـند العـامة لا يراد منهم إلّا هم عليهم السلام كما لا يخفى.

هذا وإن كونهم راشدين أي مهتدين، وأيضاً هم مهديون كما ذكر بـعيد هـذا، فكونهم مهتدين فباعتبار استقامة ذواتهم المقدسة وقوابلهم المطهرة كما أُشير إليه في حقه صلى الله عليه وآله وفي حقهم عليهم السلام (بدليل الاشتراك) في قوله تـعالى: ﴿إنك لعـلى خـلق عظيم﴾[1] ولوّح إليه في قوله تعالى: ﴿اللّه أعلم حيث يجعل رسالته﴾[2] كما لا يخفى على ذوي البصائر.

وأيضاً بالنسبة إلى أولياء اللّه أُشير إلى هذه القابلية في قول الصادق عليه السلام كما في توحيد الصدوق: ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم عليه.

والحاصل: أنه بعدما جاءت من اللّه تعالى الهداية لكل بحسبه ومـنزلته، فمـن

---

١ ـ القلم: ٤.

٢ ـ الأنعام: ١٢٤.

اهتدى بها فهو المهتدي، والناس في ذلك متفاوتون في قبول الهداية؛ لتفاوت ذواتهم في الطهارة الروحية كماً وكيفاً إلّا الأئمة عليهم السلام فإنهم عليهم السلام بقول مطلق هم الراشدون أي المهتدون والمصيبون للحق والمهتدون إليه بحيث قبلوا بقوابلهم جميع مراتب الاهتداء كما لا يخفى على أحد.

وأما كونهم مهديين، أي الذين هداهم اللّه تعالى باعتبار عظيم فضله وجزيل نعمه عليهم، حتى وفّقهم لكل ما يحب ويرضى بما أمدهم من نوره، فالاهتداء من اقتضاء طهارة قوابلهم عليهم السلام والهداية من مدد النور منه تعالى لهم كما أُشير إليه في أوائل الشرح في تفسير قوله تعالى: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾.

فهم عليهم السلام مهديون بذلك النور وتوضيحه: أنه قد تقدم أن حقيقتهم عليهم السلام النور المنزل عليه صلى الله عليه وآله، وعلمت سابقاً أن ولايتهم وشؤونها إنما هي لأرواحهم النورانية فحينئذ نقول: إنهم عليهم السلام بذلك النور الذي اخترعه اللّه تعالى من نور عظمته كانوا موجودين، وهذا النور ليس غيرهم كما أنهم عليهم السلام ليسوا غيره، وهذاالنور لعلّه هو الحقيقة التي أُشير بها إلى جميع الأسماء الحسنى الإلهية، فهم عليهم السلام متّقون بذلك النور، وهم مشاهدون به جلاله وجماله تعالى الظاهرين لهم عليهم السلام في مقام القرب ساعة بعد ساعة جلالاً وجمالاً جديداً.

فهم عليهم السلام بهذا النور المفسر بهذا المعنى قد علموا طريق محبته تعالى ومحبته، وقد وضع عنهم عليهم السلام ثقل العمل واعطوا عليهم السلام قوة العمل كل ذلك بحقيقة أنهم ليسوا إلّا ذلك النور؛ ولذا أُطلق عليهم النور في القرآن كما علمت، وهذا النور حيث علمت سابقاً أن طرفه متصل بذاته المقدسة جلّ وعلا وطرفه الآخر متصل بقلب الإمام، وهذا النور يظهر به دائماً جماله وجلاله الذين هما ملاك كونه تعالى محبوباً لهم عليهم السلام بنحو الأتم الأكمل، فبهذا الظهور النوراني أحبوه بتمام المحبة وأطاعوه، بحيث وضع عنهم ثقل العمل، وعرفوا منه تعالى ما عرفوا ممّا ليس لأحد غيرهم فيه شركة ولا نصيب كما لا يخفى.

ولما كان هذا النور من نور عظمته تعالى ومتصلاً به تعالى كما ورد: أن نور المؤمن لأشد اتصالاً بنور اللّه من شعاع الشمس بها، ومنفصلاً عنه تعالى كانفصال شعاع الشمس منها كما صرح به في الأخبار، فلا محالة يكون ذلك النور الذي هو حقيقتهم عليهم السلام ممكناً قائماً به تعالى، فهو تعالى حافظ لذلك النور، فهو تعالى حافظ لهم عليهم السلام ولطاعتهم، فهم عليهم السلام اطاعوه بقوته تعالى (أي بحفظه تعالى) بنحو ما علمت، ولذلك وضع عنهم ثقل العمل فهم ليسوا إلّا حقيقة قبوهلم عليهم السلام ذلك النور، وإنما قبلوه لفضله وتفضله وعنايته لهم عليهم السلام.

والحاصل: أنهم بكينونيته كائنين فهم حينئذ مهتدون مهديون، فتدبر فيما ذكرنا تهتدى إلى معرفتهم راشداً إن شاء اللّه تعالى.

قوله عليه السلام: المعصومون

في المجمع: ويسمى النكاح عصمة لأنها (أي العصمة) لغةً: المنع.. الى أن قال: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ أي يمنعك منهم فلا يقدرون عليك، وعصمة اللّه للعبد: منعه من المعصية وعصمه اللّه من المكروه من باب ضرب: حفظه ووقاه.

وفي البحار عن معاني الأخبار، بإسناده عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها فلذلك لا يكون إلّا منصوصاً، فقيل له: يابن رسول اللّه فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل اللّه، وحبل اللّه هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيمة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام؛ وذلك قول اللّه عزوجل: ﴿**إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**﴾.

وفيه، عنه، عن الحسين الاشقر قال: قلت لهشام بن الحكم: ما معنى قولكم: إن الإمام لا يكون إلّا معصوماً؟ قال؛ سألت أبا عبداللّه عليه السلام عن ذلك، فقال المعصوم هو الممتنع باللّه من جميع محارم اللّه، وقد قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿**ومن يعتصم بالله**

فقد هدِىَ إلى صراط مستقيم﴾.

وفيه، عن إكمال الدين، عن ابن عباس قال: سمعت رسول اللّهﷺ يقول: انا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون.

وفيه، عن العلل، ورواه أيضاً الصدوق في الخصال بإسناده عن سليم بن قيس قال: سمعت أميرالمؤمنينعليه السلام يقول: إنما الطاعة للّه عزوجل ولرسوله ولولاة الأمر، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر؛ لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعصيته.

وفيه، عن الاختصاص، عن جابر، عن أبي جعفرعليه السلام قال: سمعته يقول: إن اللّه اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، واتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، واتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وإن اللّه اتخذ إبراهيم خليلا قبل أن يتخذه إماماً، فلما جمع له الأشياء وقبض يده قال له: **﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾** فمن عظمها في عين إبراهيم: **﴿قال ومن ذريتي قال لا ينالُ عهدي الظالمين﴾.**

قال المجلسيرحمه الله: قوله: وقبض يده، من كلام الراوي، والضميران المستتر والبارز راجعان إلى الباقرعليه السلام أي قالعليه السلام: فلما جمع له هذه الأشياء قبض يده، أي ضمّ أصابعه إلى كفّه؛ لبيان اجتماع تلك الخمسة له (اي العبودية والنبوة والرسالة والخلة والإمامة) وهذا شايع في أمثال هذه المقامات.

وفيه، عن الخصال: قوله عزوجل: **﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾** عني به أن الإمامة لا تصلح لمن قد عبد صنماً أو وثناً، أو أشرك باللّه طرفة عين، وإن اسلم بعد ذلك.. الخ.

وفيه عن الاختصاص، عنهمعليهم السلام.. إلى أن قال: فقال اللّه تبارك وتعالى: **﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾** . من عبد صنماً أو وثناً أو مثالاً لا يكون إماماً.

وعن بصائر الدرجات بإسناده عن المفضل، عن أبي عبداللّهعليه السلام قال: يا مفضل إن اللّه تبارك وتعالى جعل للنبيﷺ خمسة أرواح: روح الحياة فبه دبّ، ودرج، وروح القوة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من

حلال. وروح الإيمان فبه أمر وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوة، فإذا قبض النبي انتقل روح القدس فصار في الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو، والأربعة الأرواح تنام وتلهو وتغفل وتسهو، وروح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض وغربها وبرّها وبحرها، قلت: جعلت فداك يتناول الإمام ما ببغداد بيده؟ قال: نعم وما دون العرش.

ومثل هذا الخبر كثير.

وفيه عن الكافي ومَن لا يحضره الفقيه (واللفظ للثاني) بإسناده عن سعيد الأعرج قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى أنام رسول الله صلى الله عليه وآله عن صلوة الفجر حتى طلعت الشمس، ثم قام فبدأ فصلى الركعتين اللتين قبل الفجر، ثم صلى الفجر، وأسهاه في صلاته فسلم في الركعتين، ثم وصف ما قال ذو الشمالين، وإنما فعل ذلك به رحمة لهذه الأمة؛ لئلا يعير الرجل المسلم إذا هو نام عن صلاته أو سها فيها فقال: قد أصاب ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله.

أقول: قوله: ثم وصف ما قاله: ذو الشمالين، الظاهر أنه من كلام سعيد الأعرج أي وصف الصادق عليه السلام ما قاله: ذو الشمالين، من سؤاله عنه صلى الله عليه وآله: أقصرت أم نسيت كما في كثير من الأخبار، والاخبار في هذا الباب كثيرة جداً.

وأما معنى العصمة فقد عرفت أنها لغةُ المنع.

قيل: وفي اصطلاح أهل العدل لطف يمنع المكلف من ترك شيء من الواجبات، وفعل شيء من المحرمات، يفعله الله تعالى به غير مانع بسبب القدرة على ترك الواجبات وفعل المحرمات، وإلّا لم يستحق مدحاً ولا ثواباً، بل لم يكن مكلفاً كما سيأتي بيانه.

هذا وقد تقدم قوله عليه السلام: هو المعتصم بحبل الله، وقوله عليه السلام: هو الممتنع بالله من جميع المحارم، في تفسير العصمة فيكون حاصلها: أن الإمام عليه السلام يكون في حصنه تعالى الذي هو حقيقة القرآن، وهو عليه السلام بهذه الحقيقة معتصم بحبل الله، ولا يكون

حصنه تعالى غير النور الذي أُشير إليه في قوله تعالى: **﴿إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس﴾**.

في البحار[١]، عن كنز الفوائد في تفسير الثعلبي قال: قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: قوله عزوجل: **﴿طه﴾** أي طهارة أهل البيت (صلوات اللّه عليهم) من الرجس، ثم قرأ: **﴿إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**.

فهم عليهم السلام دائماً مطهرون من موجبات النقص والمعاصي بتطهير اللّه تعالى إياهم، وبمصاحبة الروح المفسر بالنور الذي هو أعظم من جبرئيل وميكائيل كما تقدم معهم.

والحاصل: أن نفوسهم المطهرة البشرية وإن كانت كسائر النفوس البشرية لها اقتضاء الخلاف (العياذ باللّه) إلاّ أنها لما كانت مشاهدة لأنوار جماله تعالىٰ ولصحبتهم للنور الإلهي الذي هو حقيقة ارواحهم النورية، التي هي عند ربّها دائماً كما علمت، فلا محالة تكون نفوسهم معتصمة باللّه تعالى وممتنعة به، فهم معصومون به تعالى وبتطهيره تعالى إياهم، فلا تصدر عنهم معصية بما لها من المعاني الآتية.

كيف واللّه تعالى عاصمهم لموتهم عليهم السلام في قبضته تعالى، وهو تعالى قد أيدهم بروح منه (اي الذي علمته آنفاً) واصطفاهم لسرّه ولنفسه وهم عليهم السلام أيضاً لم يفعلوا ولن يفعلوا شيئاً إلّا بأمر اللّه كما حكى اللّه تعالى عنهم بقوله: **﴿عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾**[٢] وتقدم أن قلوبهم أوعية لمشية اللّه، وأنهم لا يشاؤون إلّا ما شاء اللّه، كلّ ذلك يدل على عصمتهم، وعلى أنهم معتصمون به تعالى كما لا يخفى.

فظهر أن العصمة عبارة عن قوة الفعل، واستمداده من ذلك النور الإلهي من

---

١ ـ البحار ج ٣٥ ص ٢٠٥.

٢ ـ الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧.

حيث لا يغلب مع كونهم عليهم السلام قادرين على المعاصي حسب نفوسهم البشرية، وليس معنى العصمة أن اللّه تعالى يجبره على ترك المعصية، بل يفعل به ألطافاً يترك المعصية باختياره مع قدرته عليها، وتلك الألطاف تكون قوة العقل وكمال الذكاء والفطنة، وصفاء النفس وكمال الاعتناء لطاعة اللّه تعالى كلّ ذلك لمصاحبة ذلك النور وما دلّت عليه آية التطهير.

وإلى هذه الألطاف أشار الصادق عليه السلام فيما رواه في البحار[1]، عن محمد بن نعمان قال: سمعت أبا عبداللّه عليه السلام يقول: إن اللّه عزوجل لم يكلنا إلى أنفسنا، ولو وكلنا إلى أنفسنا لكنا كبعض الناس، ولكن نحن الذين قال اللّه عزوجل لنا: ﴿ادعوني استجب لكم﴾.

فهم عليهم السلام في حفظه تعالى وكنفه وعصمته مع كونهم عليهم السلام قادرين على المعاصي، ولو لم يكونوا قادرين على المعاصي؛ لكانوا غير مكلفين واللازم باطل فالملزوم مثله، والنبي أولى من كلف حيث قال تعالى: ﴿فاعبد ربّك حتى يأتيك اليقين﴾ بل قيل: إنهم لو لم يكونوا قادرين على المعصية؛ لكانوا أدنى مرتبة من صلحاء المؤمنين القادرين على المعاصي التاركين لها.

هذا بحسب الادلة النقلية من الآيات والأحاديث، مضافاً إلى أن البراهين العقلية تدل عليه وهي على وجوه:

منها: أنه لو لم يكن النبي أو الإمام معصوماً لانتفى الوثوق بقوله ووعده ووعيده، فلا يطاع فيكون تنصيبه عبثاً.

ومنها: أنه لو كان يخطئ لاحتاج إلى من يسدّده ويمنعه عن خطئه فإما أن يكون من يسدّده معصوماً فثبت المطلوب وهو لزوم العصمة فيه، أو غير معصوم فتسلسل وهو باطل.

---

١ ـ البحار ج ٢ ص ٢٠٩.

ومنها: أنه يقبح من الحكيم أن يكلف الناس باتباع من يجوز عليه الخطا.

ومنها: أنه يجب صدقه لأنه لو كذب والحال أن اللّه تعالى أمرنا بطاعته؛ لوجب علينا أن نطيعه في الكذب وهو محال.

ومنها: أنه لو عصى لأُقيمت عليه الحدود، ووجب إنكار الرعية عليه فيسقط محله عن القلوب.

ومنها: أن القلوب تشمئز ممن تصدر عنه المعصية في الأمور العرفية، فكيف في الأُمورالدينية، فلا محالة تعرض عنه النفوس فتعطل أحكام الشريعة وهو كما ترى.

فهذه جملة من الأدلة العقلية المركبة من القضايا العقلية أو النـقلية، بـقي شيء وهو أن عصمة الإمام هل تكون عن المعاصي الكبيرة، أو الأعم منها ومن الصغيرة، أو الأعم منها ومن ترك الأولى، أو الأعم منها ومن سائر الأُمور المرجـوحة مـن الزلّات القلبية ونحوها؟ فنقول:

قال المجلسي (رضوان اللّه عليه): تبيين، وحاصله ملخصاً: أن الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة (صلوات اللّه عليهم) من الذنوب الصغيرة والكـبيرة عمداً أو خطأً أو نسياناً قبل النبوة والإمامة وبعدهما، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا اللّه سبحانه، ولم يخالف فـيه إلّا الصـدوق محـمد بـن بـابويه وشـيخه ابـن الوليد(قدس اللّه روحيهما) فجوزا الاسهاء من اللّه تعالى، لا السهو الذي يكـون من الشيطان وخلافهما لا يضر بالإجماع لكونهما معلومي النسب.

وأمّا السهو في غير ما يتعلق بالواجبات والمحرمات كالمباحات والمكروهات فظاهر أكثر أصحابنا أيضاً الإجماع على عدم صدوره عنهم، يدل عليه مضافاً إلى انه سبب لتنفير الخلق منهم، قوله تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى * إن هو إلّا وحي يوحى**﴾[١] وقوله: ﴿**إن اتّبع إلّا ما يوحى إليّ**﴾[٢] ولما ورد بنحوالعموم من التأسي

١ ـ النجم: ٣ ـ ٤.

٢ ـ الأنعام: ٥٠.

بأفعالهم وأقوالهم. وما ورد عن الرضا عليه السلام في وصف الإمام عليه السلام: فهو معصوم مؤيد موفق مسدد. قد أمن من الخطإ والزلل والعثار، وغيره من الأحاديث الدالة على هذا. وقد تقدم بعضها، ومن أراد الاطلاع كاملاً فليراجع البحار[1] فحاصله: أنه قد يقال: إن معنى إسهائه تعالى إياه صلى الله عليه وآله في قضية خارجية لمصلحة، وهي ما ذكرها الصادق عليه السلام من أنه رحمة لهذه الأمة، كما تقدم في حديث سعيد الأعرج لا ينافي عصمته صلى الله عليه وآله بعدما كان الإسهاء لبيان أحد الأحكام والتكاليف الإلهية، وكذا نومه صلى الله عليه وآله عن الصلاة، وإليه أشير ما في رسالة المفيد رحمه الله والسيد النقيب المرتضى رحمه الله من قوله: فصل: ولسنا ننكر أن يغلب النوم على الأنبياء عليهم السلام في أوقات الصلاة، حتّى تخرج فيقضوها بعد ذلك، وليس عليهم في ذلك عيب ولا نقص؛ لأنّه ليس ينفك بشر من غلبة النوم، ولأنّ النائم لا عيب عليه، وليس كذلك السهو؛ لأنّه نقص عن الكمال في الإنسان، وهو عيب يختصّ به من اعتراه، إلى آخر كلامه رحمه الله.

وهذه العبارة كما ترى قد فصّل بين النوم والسهو فحينئذٍ نقول ما به التخلّص عن أصل الشبهة في نومه وسهوه صلى الله عليه وآله وحاصله: أنّ المستفاد من حديث المفضل عن الصادق عليه السلام المتقدم عن البصائر من: أن النبي والإمام لهما روح القدس، وهو كما وصفه عليه السلام: وروح القدس لاينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو والأربعة الأرواح تنام وتلهو وتغفل وتسهو، الحديث.

إن النبي والإمام لهما حالتان:

الحالة الأولى: الحالة التي بها تتم أُمور معاشهم البشرية المترتبة على تلك الأرواح الأربعة غير روح القدس، وتلك الأرواح تعرضها ما ذكر من النوم واللهو والغفلة والسهو.

الحالة الثانية: الحالة التي بها يتم أمر الرسالة والإمامة والولاية، ثم إنهم عليهم السلام

---

[1] ـ البحار ج ٧١ باب سهو ونومه صلى الله عليه وآله.

إذا كانوا في مقام التصدي لأمور الرسالة والإمامة، وبيان أمر التبليغ من الأحكام والمعارف والإخبار الإلهي فلا ريب في أنهم عليهم السلام في تلك الحالة لا يعرض لهم النوم واللهو والغفلة والسهو لقوله عليه السلام: وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو، ولان ما ذكر من الأدلة العقلية المتقدمة والشرعية من أنهم عليهم السلام يعتصمون بحبل اللّه تعالى كما تقدم انما تجرى في هذه الحالة.

فلو سها النبي أو الوصي في حالة بيان الأحكام وغيرها، يتنفر الإنسان منه ويسقط كلامه عن الحجية إلى آخر ما ذكرنا من الوجوه العقلية، وهذا بخلاف الحالة الأُولى.

ومن المعلوم أن لهم إعمال هذه الحالة، والمشي فيها كسائر البشر وبما تعرض لهم حينئذ تلك الأُمور فيها ولا تضر هذه بالحالة الثانية، إلّا أنه ربما يقال من أن هذا ينافي ما ورد من عموم ما دلّ على التأسي بأفعالهم وأقوالهم، وهي كما ترى عام يشمل الحالة الأُولى فكيف التوفيق بينهما؟

ولكن فيه أن هذا صحيح لولا ظهور جهة الصدور لأفعالهم، وإلّا فلو علم أن فعلهم هذا الفعل الخاص مثلا مبني على إعمال السهو أو غلبة النوم فحينئذ يكون كالمستثنى من ذلك العموم فلا يقتدى بهم حينئذ كما لا يخفى.

والحاصل: أن عموم ما دلّ على لزوم التأسي بأفعالهم يكون متبعاً، إلّا إذا علم من فعل خاص صادر منهم عليهم السلام أنه خارج عن ذلك العموم، فلا يتبع حينئذ إلّا في قضية مثله، فتدبر تعرف.

والحاصل: أنهم عليهم السلام في الحالة الأولى إنما يتبع حالهم فيما لا يعلم أنه منبي على إعمال تلك العوارض وإلّا فلا، واللّه العالم بحقائق الأُمور.

هذا وقد علمت قبلاً أنهم عليهم السلام بلحاظ كون قلوبهم أوعية لمشيته تعالى، فلا محالة لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، فضلاً عن صدور المعصية منهم عليهم السلام كيف وهم عليهم السلام بلحاظ عصمة اللّه تعالى إياهم ميتون في قبضة قدرته تعالى. فأين

من هذه الأرواح المقدسة والمتعبدة بهذه الكيفية من العصمة، وإليه يشير قوله عليه السلام فيما تقدم: إن الله عزوجل لم يكلنا إلى أنفسنا، الحديث.

بقي هنا شيء، في البحار[1]، تذنيب: اِعلم أن الإمامية (رضي الله عنهم) اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا لخطإٍ في التأويل ولا للإسهاء من الله سبحانه، ولم يخالف فيه (أي في الإسهاء) إلّا الصدوق محمد بن بابويه وشيخه ابن الوليد (وقد تقدم قولهما) إلى أن قال: فأما ما يوهم خلاف ذلك من الأخبار والأدعية فهي مأولة بوجوه .

أقول: المراد من الأخبار ما تقدم من سهو النبي صلى الله عليه وآله ونومه عن الصلوٰة وقد تقدم بيانه وجوابه.

وفيه[2]، عن كتابي الحسين بن سعيد الجوهري عن حبيب الخثعمي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنا لنذنب ونسيء ثم نتوب إلى الله متاباً، قال الحسين ابن سعيد: لا خلاف بين علمائنا في أنهم عليهم السلام معصومون عن كل قبيح مطلقاً وأنهم عليهم السلام يسمون ترك المندوب ذنباً وسيئة بالنسبة إلى كمالهم عليهم السلام. انتهى.

أقول: وأما الوجوه التي ذكرها المجلسي فحاصلها ملخصاً: أنهم عليهم السلام يسمون ترك المستحب وفعل المكروه بل المباح ذنباً بالنسبة إلى رفعة شأنهم وجلالهم، وذلك لانحطاط ذلك عن سائر أحوالهم المتعالية كما لا يخفى، وهو كما ترى إذ لا يمكن المصير إلى أنهم عليهم السلام يفعلون المكروه أو يتركون المستحب، فتدبر، أو أنهم لما أمروا بنزولهم إلى مقام التبليغ إلى الخلق فلا محالة ينصرفون عن مقام القرب، فإذا رجعوا إليه تعالى وجدوا لأنفسهم الطاهرة تقصيراً بالنسبة لعظمته تعالى يتضرعون بذلك، ويعبرون عن حال التبليغ المستلزم للانصراف عن مقام القرب بالذنب والمعصية.

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٢٠٩.

٢ ـ البحار ج ٢٥ ص ٢٠٧.

ولكن فيه أنه قد تقدم أنهم عليهم السلام لا يفارقون حالاتهم الربوبي وان كانوا في مقام التبليغ، كيف وقد كانوا مأمورين بذلك، وأن ظهور عبوديتهم عن هذه الحالات التبليغية، أو أن كمالاتهم ومقاماتهم لا ريب في أنها تفضل منه تعالى إياهم، فإذا نظروا إلى أنفسهم فرأوها أنها لولا توفيقه تعالى لها لكانت مذنبة، ولولا هدايته تعالى لكانت مخطئة، فبلحاظ عجز أنفسهم لولا توفيقه يعبرون عنها أنها مسيئة ومخطئة، فتدبر، أو أنهم لما كانوا دائماً في الترقي كما تقدم فلا محالة يرون الحالة السابقة قصوراً أو تقصيراً فتابوا منها، ولعلّه إليه يشير قوله صلى الله عليه وآله: «وإني لأستغفر الله في كلّ يوم سبعين مرة».

أو أنهم عليهم السلام لما كانوا في غاية المعرفة لمعبودهم كما تقدم، فلا محالة يرون أن ما أتوا به من العبادات وإن كانت عن جدّ وجهد تام يكون عن قصور وتقصير عن أن يليق بجناب ربّهم؛ ولذا عدوا طاعاتهم لقصورها هكذا معصية، ومن ذاق من كأس المحبة جرعة شائقة لا يأبى عن قبول هذا الوجه، بل الوجوه السابقة كما لا يخفى.

أقول: وفي البحار[1]، في باب عصمتهم عليهم السلام ولزوم عصمة الإمام عليه السلام عن كشف الغمة ما حاصله: أنه رحمه الله بعدما نقل الدعاء عن أبي الحسن موسى عليه السلام من قوله عليه السلام في سجدة الشكر: «ربّ عصيتك بلساني، ولو شئت وعزتك لأخرستني، وعصيتك ببصري ولو شئت وعزتك لأكمهتني، وعصيتك بسمعي ولو شئت وعزتك لأصممتني، وعصيتك بيدي ولو شئت وعزتك لكنعتني، وعصيتك بفرجي ولو شئت وعزتك لاعقمتني، وعصيتك برجلي ولو شئت وعزتك لجذمتني، وعصيتك بجميع جوارحي التي أنعمت بها عليّ ولم يكن هذا جزاءك مني، الدعاء.

إنه اجتمع مع السيد النقيب رضي الدين أبي الحسن علي بن موسى بن طاووس فسأله ذلك، فأجاب: بانه عليه السلام كان ليعلم الناس، إنه رحمه الله لم يرضه لأنه كان عليه السلام

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٢٠٣.

يقوله . في السحر، وليس عنده من يعلمه، ثم إنه‌ﷺ حسب أن من كرامات موسى بن جعفر عليه السلام أن ألهم بالجواب بما حاصله: أن النبي والأئمة عليهم السلام تكون أوقاتهم مشغولة بالله تعالى، وقلوبهم مملوة به، وخواطرهم متعلقة بالملإ الأعلى، وهم أبداً بالمراقبة، ومتوجهون إليه ومقبلون بكلهم إليه، فمتى انحطوا عن تلك المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرغ إلى النكاح، وغيره من المباحات عدّوه ذنباً واعتقدوه خطيئة واستغفروا منه.

ثم ذكره‌ﷺ ما يوضح ذلك وما يقربه إلى الأذهان من الأمثلة.

أقول: هذا صحيح إلا أنه لايلايم ما ورد من التعبيرات الصعبة، والعبارات الصريحة في صدور أنواع المعاصي التي يستحق صاحبها أشدّ العذاب، كما في دعاء ابي حمزة وغيره كما لايخفى، هذا مضافاً إلى أنه قد تقدم: أن الأئمة عليهم السلام لهم مقام العندية لدى الله تعالى، فهم عليهم السلام دائماً مواجهون لذلك المقام، ولا يغفلون عنه حين نزولهم إلى الرخص والتبليغ والإرشاد.

ثم إنهم كيف يعدّون الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرغ إلى النكاح ذنباً وخطيئة عظيمة، مع أنها كانت عن تكليف منه تعالى، وكانت وظيفة لهم لابدّ لهم من العمل بها؟ كيف وقد كان ظهور عبوديتهم لربّهم في وهذه الحالات، التي كانت بينهم وبين الخلق ففيها ظهر صبرهم ورضاهم بقضائه وقدره، والتسليم لأمره، هذه الحالات منهم مستمرة حتى في حال المأكل والمشرب والمنكح كما لا يخفى؟ فتدبر.

هذا والذى ينبغي أن يقال في الجواب عن هذا الإشكال وجوه:

الاول: في تفسير نور الثقلين[1]، عن عمر بن يزيد بياع السابرى قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام قول الله في كتابه: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ قال: ما كان له ذنب ولا همّ بذلك، ولكن الله حمّله ذنوب شيعته، ثم غفر لها ﴿**ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً * وينصرك الله نصراً عزيزاً**﴾.

---

١ ـ نور الثقلين ج ٥ ص ٥٤.

وفيه، عن مجمع البيان روى المفضل بن عمرعن الصادق قال: سأله رجل عن هذه الآية، فقال: «والله ما كان له ذنب، ولكن الله سبحانه ضمن أن يغفر ذنوب شيعة عليعليه السلام ما تقدم من ذنبهم وما تأخّر.

وفي تفسير البرهان عن ابن بابويه عن جعفر بن محمدعليه السلام في حديث طويل أنه قال: وقد قال النبيصلى الله عليه وآله لعليعليه السلام «ياعلي ان الله تبارك وتعالى حمّلني ذنوب شيعتك، ثم غفرها لي وذلك قوله عزوجل: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾.

وفيه مرفوعاً عن أبي الحسن موسىعليه السلام إلى أن قال: وإنما حمّله الله ذنوب شيعته على من مضى منهم ومن بقي منهم ثم غفرها له.

أقول: هذه الأحاديث وظاهرالآية في مقام الامتنان منه تعالى عليهصلى الله عليه وآله في غفران ذنب شيعته، فهو والأئمةعليهم السلام تصدّوا لتلك الضراعات والإقرار بالمعاصي شكراً له تعالى وأداء لهذا الامتنان كما يظهر من حديث موسى من جعفرعليه السلام، كما في تفسير نور الثقلين[١]، على ما رواه في الاحتجاج للطبرسي.. إلىٰ أن قال: وقالعليه السلام: ولقد كانصلى الله عليه وآله يبكي حتى يغشى عليه، فقيل له: يارسول الله أليس الله قد غفرلك ماتقدم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: بلى، أفلا أكون عبداً شكوراً؟ الحديث.

ومن المعلوم أنّ بكاءهصلى الله عليه وآله إلى أن يغشى عليه لعلّه كان لأجل ذنوب شيعته، فكانصلى الله عليه وآله وكذا الأئمةعليهم السلام يرون ذنوب شيعتهم ذنوبهم فينسبونها إلى أنفسهم الشريفة، فكأنهمعليهم السلام تحمّلوها مع تقصيراتهم على أنفسهم الشريفة، فكانوا لهذه الجهة يخافون منها فيتضرعون لديه، ويعبّرون عن انفسهم بتلك المعاصي الصادرة من شيعتهم تنزيلاً وطلباً للمغفرة، وأداء للشكر على ما امتن الله به عليهم من المغفرة لذنوبهم.

ولعله إليه يشير، ما في الوافي عن الكافي، عن علي بن محمد بن عيسى، عن

---

١ ـ نور الثقلين ج ٥ ص ٥٥.

بعض أصحابنا، عن أبي الحسن موسىعليه السلام قال: «إن الله تعالى غضب على الشيعة، فخيرني نفسي أو هم، فوقيتهم والله بنفسي.

أقول: أي فاخترت هلاكي، وتحمّلت تلك المصائب دونهم، فقولهعليه السلام فوقيتهم والله بنفسي ظاهر في أنهعليه السلام قد عرّض نفسه الزكية المقدسة في إتيان ما يوجب العفو والمغفرة للشيعة.

وبعبارة أخرى: أن الشيعة لما عملوا المعاصي الموجبة لغضبه تعالى، فكان عليهم أن يعملوا من التضرّعات والعبادات، والإقرار بالمعاصي، وطلب المغفرة ما يكون سبباً لعفوه تعالى عنهم، ولكن لم يفعلوا ذلك، فأراد الله تعالى إهلاكهم، فخيّره تعالى بين أن يهلكهم، أو يهلك موسى بن جعفرعليه السلام فوقاهمعليه السلام بنفسه، أي فعل عوضاً عنهم تلك الأمور من التضرعات، وتحمّل تلك المصائب.

والحاصل: أن الأئمةعليهم السلام لما غفرالله تعالى ذنوب شيعتهم منّةً عليهم، تصدوا عن شيعتهم لإتيان تلك التضرعات أداءً لحقّه تعالى في قبال تلك المعاصي وأداءً لشكرهم له تعالى في قبال ذلك الامتنان، فتأمل تعرف راشداً، ولعل ما قلناه هو المستفاد من قولهصلى الله عليه وآله : «أنا وعلي أبوا هذه الأمّة».

بيانه: أن الأبوين بنظر الشرع والعرف كضامن الجريرة، فكما أن الأبوين يتحملان ما جناه الولد من الضمان مثلاً، فكذلك يتحملان إظهار العذر لمن جنى عليه الولد.

فحينئذ نقول: إنّ النبي والأئمةعليهم السلام يتحملان عذر ما جنت الشيعة من المعاصي من طلب المغفرة، والبكاء والتضرع، والتألّم من تلك المعاصي بنحو كأنّها صدرت منهم، ويوضح لك هذا أنه لو جنى الولد على أحد، ولم يعتذر الأب إلى المجنى عليه عّد هذا خلاف الأدب من الأب، وهذا بخلاف مالو اعتذر إليه فإنه حسن منه، والأئمةعليهم السلام تحمّلوا هذا الاعتذار لطفاً منهم على الشيعة، وهنا وجه آخر وهو أنه تقدم أن جميع الفيوضات حتى موادّ المعصية إنما هى تصل اليهم منه تعالى بواسطة

الأئمةعليهم السلام فالائمة لما كانوا واسطة لمواد المعاصي فهم بهذا اللحاظ يعتذرون منه تعالى عن معاصيهم، التى عملوها بالقوى التي وصلت إليهم منه تعالى بواسطتهم. وهذا نظير ما لو اعطى الأب سكيناً إلى الابن ليعمل به خيراً فعمل به شرّاً بأن جرح به أحداً. فالأب وإن لم يكن عاملاً مستقلاً في الجرح إلا أنه لمكان السببية البعيدة ينسب الجرح إلى نفسه أيضاً. فيعتذر من المجروح، وهذا شايع بحيث لو لم يعتذر لوبخّه العقلاء، بل يرون الاعتذار منه حسناً. فتأمل تعرف إذا امكن تطبيق المثل على الممثّل، والله العالم بحقائق الأمور.

وقد يقال: إنه قد تقدم أن الشيعة خلقوا من فاضل طينتهم، وأنها خلقت من أسفل طينة، وخلقت انوارهمعليهم السلام من أعلاها. فكلما صدرت من الشيعة ذنوبٌ فكأنها صدرت منهمعليهم السلام بذلك الاعتبار، ولذا يستغفرون الله تعالى منها، ولعلّ هذا هو السّرُّ في أنه تعالى حمّل ذنوب الشيعة عليهم ثم غفر لها.

الثاني: لابدّ من ذكر ما هو كالمقدمة لبيانه فيقول:

في النهج: قالعليه السلام: ألا وأن الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب.

فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله، قال تعالى **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾**.

وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات.

وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً. القصاص هناك شديد ليس هو جرحاً بالمدي ولا ضرباً بالسوط، ولكنه ما يستصغر ذلك معه، فإياكم و التلّون في دين الله، فإن جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل، وإن الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيراً ممن مضى ولا ممن بقي. انتهى.

وفي دعاء أبي حمزه في السحر عن السجادعليه السلام: إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد، ولا بأمرك مستخف، ولا لعقوبتك متعرّض، ولا لوعيدك متهاون، لكن خطيئة عرضت، وسولت لي نفسي، وغلبني هواي، وأعانني عليها

شقوتي. الدعاء.

وفي الكافي[١]، في باب تنقل أحوال القلب عن أبي جعفرعليه السلام.. إلى أن قال: «ولولا أنكم تذنبون فتستغفرون الله؛ لخلق الله خلقاً حتى يذنبوا ثم يستغفروا الله فيغفر الله لهم. إنّ المؤمن مفتّن توّاب، أَما سمعت قول الله عزوجل: ﴿إنّ الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين﴾ وقال: ﴿وأن استغفروا ربّكم ثم توبوا إليه﴾.

وفيه[٢]، بإسناده، يرفعه إلىٰ أبي عبداللهعليه السلام قال: «إن الله علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب، ولولا ذلك ما ابتلي مؤمن بذنب أبداً».

وفيه[٣]، بإسناده عن عبدالأعلى عن أبي عبداللهعليه السلام قال: قلت له: ما الكبر؟ فقال: أعظم الكبر أن تسفه الحقّ وتغمص الناس، قلت: وما سفه الحق؟ قال: يجهل الحق ويطعن على أهله.

إذا علمت هذا فاعلم أن المعصية على قسمين: قسمٌ يكون من الشرك الذي لايغفر، أو من القسم الذي لايترك وهو ظلم العباد بعضهم لبعض، فهذا القسم لم يُر في كلماتهمعليهم السلام وفي أدعيتهم أو أحاديثهم أنهم أقروا به أبداً، بل ينفونه عنهمعليهم السلام كما علمته من قول السجادعليه السلام: «ما عصيتك إذ عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد» الدعاء.

فهذاينفي المعصية التي هو الشرك به تعالى عنهم، كما أنهم ينفون ظلمهمعليهم السلام للعبد قال أميرالمؤمنين في النهج: والله لئن أبيتُ على حسك السّعدان مسهّداً، أو أجرّ في الأغلال مصفّداً، أحبّ اليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيّ من الحطام، الحديث.

فكلّ معصية تكون من الشرك، أو من الهوان له تعالى، أو من الظلم على العباد كانت من المناواة لله تعالى فلا يعملونها ـ والعياذ بالله ـ ولا يعبّرون بها في مقام

---

١ ـ الكافي ج ٢ ص ٤٢٤.

٢ ـ الكافي ج ٢ ص٣١٣.

٣ ـ الكافي ج ٢ ص ٣١١.

التضّرع و المناجاة كما لا يخفى على أحد.

وقسم من الظلم على النفس من المعاصي، التي تكون بين العبد وبينه تعالى، وهذه المعصية قد علمت أنها مغفورة، ولا يطلب بها بعد الاستغفار.

بل في الكافي[١]، بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «سمعته يقول: من أذنب ذنباً فعلم أن الله مطلع عليه إن شاء عذّبه، وإن شاء غفر له، غفر له وإن لم يستغفر.

فيستفاد منه أن هذا الذنب مغفور من أول صدوره، فلا يحسب ذنباً مؤاخذاً، فحينئذ لو فرض ـ والعياذ بالله ـ أنه صدر منهم ذنب من هذا القسم الذي هو ظلم على النفس، فلا ريب في أنه لا يحسب ذنباً من الأول؛ لأنه لا ريب في أنه صادر عن إقرار منهم عليهم السلام بالنسبة إليه تعالى في أنه مطلع عليهم، وأنه إن شاء عذّبهم، وإن شاء غفرلهم كما لا يخفى، فليس هذا الذنب لو فرض صدوره ذنباً ينافي العصمة؛ لأنه مضافاً إلى أنه ظلم على النفس، لا في الشريعة وبيان الأحكام أنه ليس ذنباً مؤاخذاً، ومعنى أنه غير مؤاخذ، أنه غير مؤثر في القلب من ايجاد الرين والبعد عنه تعالى، بل المستفاد من أسرار كلماتهم أنه تعالى لما كان غفاراً، وكانت المغفرة من صفاته الجمالية كما حقق في محلّه، وهذه الصفة تقتضي مذنباً ليكون مظهراً لتحقيق المغفرة فيه كما لا يخفى، وحينئذ تكون هذه الحكمة هي الموجبة لتسلط الذنب على العباد دون العجب، فان هذا الذنب خير للمؤمن كما علمت من حديث الصادق عليه السلام المتقدم وإلا لما ابتلي مؤمن بالذنب أبداً، ولعل سرّه ما ورد في بعض الأحاديث القدسية من قوله في الحديث القدسي: أنين المذنبين أحبّ إليّ من تسبيح المسبّحين.

وذلك لأن الأنين والبكاء خال عن العجب الذي هو مهلك كما علمت، ولذا ورد في الحديث القدسي كما في الجواهر السنية للشيخ الاجل العاملي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال الله تعالى لداود: يا داود بشّر المذنبين وأنذر الصديقين، قال كيف أبشّر المذنبين وأنذر الصديقين ؟ قال: بشّر المذنبين أني أقبل التوبة، وأعفو عن

---

١ ـ الكافي ج ٢ ص ٤٢٧.

الذنب، وأنذر الصديقين أن لا يعجبوا بأعمالهم فإنه ليس من عبد أنصبته للحساب إلا هلك».

ومنه يعلم أن تسلط الذنب يكون خيراً له؛ لأنه ينجرّ إلى أنينه وتضرّعه تعالى.

واليه يشير ما في الكافي[1]، بإسناده عن عمرو بن جميع قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره فدعوه، ومن جاءنا يبدي عورة قد سترها الله فنحوه»، فقال له رجل من القوم: جعلت فداك، والله إنني لمقيم على ذنب منذ دهر أريد أن أتحول عنه إلى غيره فما أقدر عليه، فقال له: «إن كنت صادقاً فإن الله يحبك، وما يمنعه ان ينقلك منه إلى غيره إلا لكي تخافه».

والحاصل: أن الحكمة في تسلط الذنب على المؤمن دون العجب والكبر، هو أنه ربما يوجب الذنب أن يتضرع إليه تعالى بالأنين والبكاء والتمرغ في التراب، وفي هذا رضا الرب وسروره كما أوحي إلى موسى عليه السلام «ياموسى سروري في أن تبصبص إليّ».

اذا علمت هذا كله فنقول: إن المعصية وأعني بها ظلم العبد لنفسه لها جهتان:

الأولى: العمل الخارجي المحرّم كالنظر إلى الأجنبية مثلاً.

والثانية: جهة تأثيره في قلب المؤمن من الانقلاب والتضرع والخوف و الابتهال ونحوها، التي هي من لوازم إيمانه القلبي، فقلب المؤمن إذا عصى الله بهذه المعصية، فينقدح فيه هذا الانقلاب بمقتضى إيمانه وعصيانه، فتؤثر فيه هذه الحالات من التضرعات كما لا تخفى.

ومن المعلوم العمل الخارجي قد اضمحل وذهب فناء فهو ليس بشيء، وانما العذاب أو المغفرة على ما بقي منه في القلب فإن بقى رينه فلا محالة يكون صاحبه معذباً وإن أثر إيمانه واضطرب منه وتضرع فيكون مغفوراً.

---

١ ـ الكافي ج ٢ ص ٤٤٢.

وبعبارة أخرى: أن الآثار المترتبة على العبد مغفرة وعقاباً إنما هي على الحالات الكائنة في القلب بعد المعصية، ثم إن تلك الحالات قد تكون عن منشإ خارجي كالنظر إلى الأجنبية مثلاً الذي هو معصيته عملاً، وقد تكون عن تصوّر تلك الحالة وايجادها في القلب، وإن لم يكن لها منشأ من الخارج، فإذا تصوّرها أحد بحيث أثر في قلبه، فيكون باكياً متضرعاً كمن عمل تلك المعصية عملاً خارجياً، و هذه الحالة هي المطلوبة في مقام المناجاة والتضرع والبكاء، فلابدّ من تحصيلها بعلاج.

ولعله إليه يشير ما في الكافي[1]، بإسناده عن إسحاق بن عمار، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أكون أدعو فاشتهي البكاء ولا يجيئني، وربما ذكرت بعض من مات من أهلي فارقّ وأبكي، فهل يجوز ذلك؟ فقال: نعم فتذكرهم فإذا رققت فابك وادع ربّك تبارك وتعالى.

وفيه عن عنبسة العابد قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إن لم يكن بك بكاء فتباك».

والتباكي حمل النفس على البكاء، والسعي في تحصيله ولو بعلاج، وإن لم يكن له منشأ خارجي منه، بل لا يبعد أن بكاء أغلب أولياء الله يكون هكذا، وحينئذ نقول فبكاء الأئمة عليهم السلام وإقرارهم بالمعاصي يحكى عن ايجاد هذه الحالة في قلوبهم الشريفة، وإن لم يكن منشأها من العمل الخارجي صادراً منهم؛ لكي يتضرعوا لديه تعالى، فبهذا الانين الذي هو أحبّ عنده تعالى من التسبيح فهم عليهم السلام ينزّلون أنفسهم منزلة العاملين بتلك المعاصي، فيتصوّرون تلك الحالات التي تكون لهم، والتي أشرنا إليها فيبكون ويتضرعون.

ومن المعلوم أنّهم عالمون بتلك الحالات من العصاة غيرهم؛ لأنهم أعطوا العلم بحقائق الأشياء كلها، فهم عليهم السلام بمجرد تصوّر تلك الحالات يتضرّعون، فيرون

---

١ ـ الكافي ج ٢ ص ٤٨٣.

نفوسهم كأنها هي العاملة خارجاً لتلك المعاصي، فيقرون بها ويتضرعون عنها؛ لما تقدم من أن الشيعة خلقت من فاضل طينتهم، فينسبون معاصيهم إلى أنفسهم الشريفة، وإما لأنهم عليهم السلام لما كانوا عالمين بحقائق الأمور بكلّياتها و جزئياتها، ويعلمون أنه تعالى عالم بجميع الأمور، فهم عليهم السلام دائماً يرون أنفسهم بحضرة المولى تعالى وتقدس، ويرون أن المعاصي التي تصدر من العباد أنها بحضرة منه تعالى، ويرون أيضا عظمته تعالى دائماً، فحينئذ يستحيون من المولى سبحانه، ويعتذرون منه، ويخجلون منه بأشد الخجالة ويتمنّون أن الأرض تخسف بهم، ولا يرون صدور المعاصي من العباد بحضرتهم لديه تعالى، فبهذه الاعتبارات ينسبون معاصي العباد إلى أنفسهم الشريفة، وكأنها صدرت منهم لما يرونه بحضرة المولى سبحانه.

فإن قلت: أليس هذا الإقرار ظاهراً في نسبة المعصية إليهم نسبة خارجية، والتنزيل المذكور ظاهر في خلافه.

وبعبارة أخرى: ظاهر قوله: «وعصيتك بلساني» أنه صدر منه معصية اللسان خارجاً لا تنزيلاً.

قلت: بعدما اقتضت الأدلة الخارجية من الآيات والأحاديث الدالة على أنهم لم يعملوا المعاصي كما قال عليه السلام: «والله ما كان له ذنب» إنهم عليهم السلام لم يعملوا بالمعاصي خارجاً قطعاً فلا محالة تكون النسبة نسبة مجازيّة بلحاظ التنزيل المذكور.

وبعبارة أخرى: لابد من التنزيل المذكور أولاً ثم استناد المعصية اليهم عليهم السلام كما لا يخفى، مضافاً إلى أنه قد علمت أنه على بعض الوجوه صحت نسبة المعصية إليهم عليهم السلام لما علمت من أن الشيعة خلقت من فاضل طينتهم عليهم السلام، والله العالم بحقائق الأمور.

الثالث: في توحيد الصدوق[1]، باسناده عن زرارة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن الله تبارك وتعالى خلو من خلقه، وخلقه خلو منه، وكلّ ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله عزوجل فهو مخلوق، والله خالق كلّ شيء تبارك الذي ليس كمثله

---

١ ـ توحيد الصدوق ص ١٠٥.

شيء.

أقول: معنى كونه تعالى خلواً من الخلق أنه تعالى مباين ذاتاً وأنيّاً بينه وبين الخلق فلا حلول حينئذ ولا اتحاد، نعم بينونة صفة لا بينونة عزلة كما تقدم شرحه في بيان قول الأمير عليه السلام: وتوحيده تميزه عن خلقه وحكم التميز بينونة صفة لا بينونة عزلة.

وفيه[1]، بإسناده عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال للزنديق حين سأله ماهو؟ قال: هو شيء بخلاف الأشياء ـ ارجع بقولي ـ شيء ـ اثبات معنى ـ وأنه شيء بحقيقة الشيئية غير أنه لا جسم ولا صورة.

وفي الكافي[2]، بإسناده عن زيد الشحام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوب إلى الله عزوجل في كل يوم سبعين مرة»، فقلت: أكان يقول استغفر الله وأتوب اليه؟ قال: لا، ولكن كان يقول: أتوب إلى الله، قلت: إن رسول الله كان يتوب ولا يعود ونحن نتوب ونعود، فقال: الله المستعان.

أقول: المستفاد من هذه الاحاديث أنه تعالى بحقيقته وصفاته الذاتية شيء بحقيقة الشيئية، وأن ما سواه ـ وإن اطلق عليه شيء ـ فهو مخلوق أي ليس بحقيقة الشيئية، فالشيئية الحقيقية هو الموجود الذي يكون خالقاً غير مخلوق، وما كان مخلوقاً فهو ليس شيء حقيقة ولذا قال عليه السلام في الحديث السابق: وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله عزوجل فهو مخلوق، والله خالق كل شيء ـ فيظهر منها أن الخلق ـ بأجمعه ليس بشيء حقيقة بل هو ظلّ الشيء أو هو ظهور الشيء الحقيقي على ما مرّ بيانه سابقاً.

وحينئذ نقول: قد علمت سابقاً أنهم عليهم السلام بحقيقتهم النورية القائمة به تعالى متوجهون إليه تعالى، وهم دائماً عند الرب، وفي تلك المقامات يظهر لهم ويتجلى من

---

١ ـ توحيد الصدوق ص ١٠٤.

٢ ـ الكافي ج ٢ ص ٤٣٨.

ذاته المقدسة آثار الجمال والجلال بلا تكرار في التجلّي، فهمعليهم السلام مشاهدون تلك الحقيقة التي هي شيء بحقيقة الشيئية ويشاهدون آثارها، وهذه المشاهدة تؤثر في حقيقتهمعليهم السلام أثراً لا يدركه إلا من ذاق محبة المؤانسة، ومَن شاهد جماله تعالى، فهمعليهم السلام مشتعلون بنار المحبّة والعشق الإلهي، ويشاهدون حقيقته و عظمته تعالى، فمشاهدة هذين الأمرين أعني جماله وعظمته التي هي عبارة عن جلاله ينفي عن حقيقتهم كلّ ما سواه حتى أنفسهم الشريفة المقدسة، وهم يبرزون ويعبرون في تلك الحالات عن حقيقة وجودهم بالذنب، لما يرون من كونه حدّاً بالنسبة إليه تعالى ذنباً، وان كانوا بالنسبة إلى غيرهم من الخلق في كمال التقرب والسعة، ومشاهدة هذا الحدّ يكون عليهمعليهم السلام ثقيلاً، بحيث تؤثر فيهم أثر البكاء والأنين أكثر من تأثير المعصية في قلب العاصين إذا ندموا ورأوا أنينها على قلوبهم، فهمعليهم السلام في تلك الحالة يضجّون إليه تعالى شوقاً إلى جماله، وخوفاً من مشاهدة عظمته وجلاله، وفي تلك الحالة يرون وجودهم وجميع أعضائهم من المعصية حيث إنها تقلّبت وعملت في الحدّ، الذي هو وجودهم ومانعهم عن المراتب الغائبة عنهم من ذاته المقدسة تبارك وتعالى التي لانهاية لها ولا نفاد.

وبعبارة أخرى: أن الخلق مهما كان لابد له من العمل، إذ الطريق له إلى خالقه بالعمل، وهذا موقوف على وجود العامل أعني الوجود الخلقي، وقد علمت فيما تقدم من قول أمير المؤمنينعليه السلام في خطبة له: «وخلقه الخلق حجاب بينه وبينهم» فالخلق وإن كان أشرف المخلوقات فهو حجاب، ولذا عبر عنهمعليهم السلام بالحجب وعبر عنهصلى الله عليه وآله بالحجاب الأكبر كما في الأحاديث.

والحاصل: أن وجود الكامل حجاب بينه وبين ربّه، وهذا لا ينفك من المخلوق حال وجوده، فالمخلوق محجوب بوجوده، وهذا الوجود في قبال مشاهدة الحق تعالى يعدّ عندهمعليهم السلام وعند الواصلين تقصيراً، والمقصر مذنب والمذنب خائف من ذنبه.

قال الشاعر عن لسان حالهم:

أقــول ومــا أذنـبت قــالت مجـيبة وجــودك ذنب لا يـقاس بــه ذنب

فهمﷺ وان لم يلحظوا أنفسهم في وجدانهم بين يدي ربّهم لفنائهم حين ذاك عن أنفسهم، ولكنهم موجودون في نفس الأمر فهم: يـثقل عـليهم ذلك الوجـود الواقعي المغفول عنه لهم أيضا.

وهنا بيان يوضح كيفية فنائهم عن أنفسهمﷺ ومحوهم في ربّهم، وحاصله: أن من جرد نفسه عن كل اعتبار عرف ربّه حين فقد نفسه وفقدان وجدانه، فـحينئذ يظهر له ربّه بوجوده أي بوجود نفسه قال الشاعر:

حــين تـغيبت بـدا حــين بــدا غـيبني

وتوضيحه: أن وجوده الذي ظهر ربّه به حينئذ، أي حين فنائه عن نفسه، هو آية ربّه و دليل ربّه على نفسه وصفة ربّه التي عرفه بها، أي صفة ربّه التي عرف الله تعالى نفسه لعبده بهذه الصفة، كما تقدم بيانه ســابقاً، وعـلمت أن حـقيقة الـنفس الانساني الناطقة هو الموجود الذي إذا عرفها الإنسان فقد عرف ربّه، بهذا البيان وبالبيان المتقدم سابقاً فالواصل الفاني عن النظر إلى نفسه لا يدرك إلا الحقيقة، التي هي وصف ربّه تعالى لنفسه تعالى، وقد ظهر ذلك الوصف بهذا الوجـود، فـالفاني حينئذ نفسه مفقود من الوجدان، ومن ان يجده أو يتوجه إليـه بمـعنى أن الواصـل الفاني لا يجد نفسه، بل يجد وصف ربّه، و هذا الوصف الإلهي وإن كان في الحقيقة هو نفسه أي نفس الواصل، إلا أن المعرفة والمشاهدة الحاصلة للفاني حينئذ لا تكون بلحاظ نفسه الخلقي الحجابي المتوجه إليه من حيث هي هـي، بـل هـذه المـعرفة والمشاهدة تكون له من حيث هي صفة له تعالى قد ظهرت في هذا العبد.

وبعبارة أخرى: وإن كان للعبد الفاني وجوده إلا أنه مـلحوظ بـلحاظ، وأنـه صفته تعالى لا بلحاظ أنه موجود مستقل، ويشير إلى هذا ما في كلام الصادقﷺ في

وصف المعراج.

قال ﷺ: «فكان بينهما حجاب يتلألأ بخفق ولا أعلمه الاّ وقد قال زبرجد».

بيانه: أن قوله يتلألأ يراد منه شفّافيته حتى كـاد أن يـضمحل، وهـو إشارة إلى الوجود الخلقي الذي كان له ﷺ وقد صار من كمال القرب، ومن كمال الفـناء عـن التوجه إلى النفس بمرحلة نهاية الفناء، بحيث كاد أن يفنى بالمرة، ويشـير إلى هـذا قوله ﷺ بخفق فخفقانه أى اضطرابه إنما هو عبارة عن أنه كاد أن يفنىٰ من أثر لحاظ وصفه تعالى، وكذلك كل نفس له هذه المرتبة، فتحصل أنّ لهم عليهم السلام في هذه الحـالة وجوداً، ولكن مع تلألئه وشفافيته واضطرابه حـجاب بـنسبته، ويكـون حـينئذ بنظرهم ذلك الوجـود ذنـباً بـالبيان المـتقدم؛ فـلأجل ذلك يـبكون ويخـافون و يستغفرون، وهذا الوجود في الحـقيقة تـقصير في الخـليقة إذا لوحـظت إلى ذاتـه المقدسة الجميلة الجلية الغنية، التي لها السلطنة والغلبة والكبرياء الذاتي، إلا أن هذا الوجود الشفّافي لابد منه في فرض بقاء الخلق؛ لأنه موضع مظاهره تعالى الجميلة والجليلة، وهو أي هذا الوجود متصف ومتوسم بالعجزالذي وسم الله الخـلق بـه، ولولا كذلك أي أنه موسوم بالعجز لما وجد لأنه يلازم كونه شريكاً له تعالى إذا لم يكن عاجزاً، فالخروج عن حقيقة الشرك والتحقق بحقيقة العبودية، وتسليم جميع شؤون الربوبية له تعالى إنما هو بهذا العجز و بالإقرار به ووجدانه، فإذا كان العـبد كذلك صار مظهراً للصفات الربوبية فلايظهر فيه حينئذ إلاصفاته تعالى وإليه يشير قوله عليه السلام: «إذا تم الفقر فهو الله»[1] وقوله عليه السلام كما في مصباح الشريعة: «العبودية جوهرة كنهـها الربوبية» فافهم تعرف إن شـاء الله تـعالى، فـظهر وجـه أنهـم عليهم السلام في ذلك الاشتعال بتلك النار ـ نار المحبة ـ يتضرّعون ويعبرون عنهم وعن أعضائهم بتلك التعابير، فهم عليهم السلام بلحاظ وجودهم وحدودهم كأنهم في البعد عنه تعالى؛ وذلك لأنه تعالى دائماً يكون في التجلي بلا تكرار لحقيقتهم عليهم السلام فهم يرون حقيقتهـم بعيداً عنه تعالى بلحاظ تلك التجليات المتكررة بالنسبة اليهم؛ ولذا يتوبون إليه تعالى متاباً.

---

(١) أقول لم يثبت هذا الحديث من الطريق المعتبر بل هو مذكور في كتاب الغوث لمحي الدين العربي وقد نقله هو عن الله بلا واسطة وهو كما ترىٰ.

وبعبارة أخرى: إن قيام العبد بوظائف العبودية إنما يكون بمقدار معرفته لجلاله وجماله وكبريائه وعظمته تعالى، وحيث إنه لايمكن لأحد معرفة كنهه تعالى جلالاً وجمالاً وعظمة؛ ولذا قال صلى الله عليه وآله: «ما عرفناك حقّ معرفتك، وما عبدناك حقّ عبادتك» فهم عليهم السلام يرون أنفسهم بالنسبة إلى ما خفي عنهم من العظمة والجلال والجمال مقصرين عن القيام بما يجب له تعالى لذاته، فبهذه الجهة دائمًا يستحيون ويعتذرون منه تعالى، ويخافون على أنفسهم من أن وظائف شأنه تعالى لعلّها كانت متروكة منهم عليهم السلام وإليه يشير قوله تعالى: ﴿والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة إنهم إلىٰ ربهم راجعون﴾[1]. ومن المعلوم أنهم عليهم السلام أحسن مصاديق هذه الآية المباركة.

وبعبارة أخرى: أنهم عرفوا الله فإذا نظروا إلى مقامه تعالى، صغر عندهم كلّ شيء في حقه تعالى، قال عليه السلام في وصف المتقين: « عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم.

وحينئذ عرفوا عليهم السلام أن كل عامل لايقوم بحقه تعالى؛ لان توفيقه عبده بخدمته نعمة توجب شكراً، وهكذا واليه يشير قوله عليه السلام: «إنه كان يقول صلى الله عليه وآله: «أتوب إلى الله» بعدما نفى عليه السلام أنه صلى الله عليه وآله يقول: «استغفر الله».

وبعبارة أخرى: أنه صلى الله عليه وآله ما كان يقول: «استغفر الله»، بل كان يقول: «أتوب إلى الله»، والوجه فيه أنه قيل كما تقدم: إن الاستغفار والتوبة كالجار والمجرور إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، أي إذا ذكرا معاً كان لكل منهما معنى يخصه، وإذا ذكر أحدهما منفرداً استعمل في معنى الآخر أيضا، وذلك أن الاستغفار حقيقته طلب المغفرة منه تعالى، وذلك يستدعي صدور الذنب عن المستغفر.

وأما التوبة فحقيقتها الرجوع إليه تعالى، ولو لم يصدر منه ذنب، وإن كان الاستغفار بوحدته، ربما يطلق على التوبة وبالعكس، وحينئذ نقول قوله عليه السلام: لا ولكن كان يقول: «اتوب إلى الله»، معناه أنه صلى الله عليه وآله لما يكن مرتكباً للمعصية لعصمته

---

١ ـ المؤمنون: ٦٠.

فلا يستغفر الله بماله من معنى طلب المغفرة المستلزمة لارتكاب الذنب، بل كان يقول: «اتوب إلى الله»الذي معناه أنه لما كان دائماً مشاهداً لجماله وعظمته تعالى فهو عليه السلام وكذا الأئمة عليهم السلام فكان يتوب إليه تعالى، أي يرجع إليه تعالى من الحالة السابقة على مشاهدة ذلك الجمال والجلال الجديد.

وهذا الحديث الشريف يعطي أن الأئمة كالنبي عليه السلام في توبتهم واستغفارهم، الذي هو أيضا بمعنى التوبة في حقهم كما لا يخفى، وإن عَّبروا عن أنفسهم بتلك التعابير المتقدمة، فإنما هو بلحاظ مشاهدتهم جماله وعظمته، ورجوعهم عن حالتهم السابقة عن هذه المشاهدة إلى التجلي الجمالي والجلالي الجديد، وحيث إن هذا أي التجلي دائمي لهم فلا محالة يكون خوفهم وبكاؤهم وتضرعاتهم بهذه الدواعي أيضا دائمة كما لايخفى، وهذه التوبة هي المراد من قوله تعالى: ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾[1]، فدلّت هذه الآية على أنه من تاب فقط سقط عنه اسم الظلم دون من لم يتب فإنه ظالم فبناء على أن المراد من التوبة هو الرجوع إليه تعالى، فلابد حينئذ للذي يرى في نفسه منه تعالى آثاراً من الجمال والجلال من أن يتوب إليه تعالى، أي يرجع ويعود إليه تعالى من الحالة التي كان فيها قبلاً، وإلّا لكان ظالماً لنفسه؛ ولذا كان النبيّ وكذا الأئمة عليهم السلام يتوبون إليه تعالى في كلّ يوم سبعين مرة، إذ من المعلوم أنه لم يكن يصدر منه عليه السلام ذنب في كلّ يوم سبعين مرة ولو على القول بصدور المعصية منه عليه السلام، بل كان هذا التكرار إلى السبعين بل قيل كان أزيد، وإنما يعدّ إلى السبعين للمثال و التكثير لتكرار التجلي له عليه السلام فهو عليه السلام بعدد التجلي كان يتوب إليه تعالى وكذا الأئمة عليهم السلام.

وبعبارة أخرى: أن النبي والأوصياء عليهم السلام كانوا في تلك المقامات التي شرحناها، وكانت حالتهم بلحاظ تلك المشاهدات تقتضي تلك المناجاة والضراعات، وتلك التعبيرات عن أنفسهم الشريفة، فأين هذا من صدور المعصية منهم عليهم السلام بعدما

---

١ ـ الحجرات : ١١.

علمت من الآيات والأحاديث الدالة على طهارتهم وعصمتهم كيف وأدل الدليل عليه الوجدان، فإنه لم يَرَ أحدٌ صدور مكروه منهم عليهم السلام فضلاً عن المعصية، وسيأتي قريباً عن أمير المؤمنين ما هو صريح في عدم ارتكابه عليه السلام مكروهاً، بل قد تقدم أنه لم يُر مثلهم عابد له تعالى، فتدبر فيما ذكرناه يظهر لك الحال، والله العالم بحقائق الأحوال.

ثم اعلم: أن الجواب عن الإشكال المذكور على أقسام:

منها: ما يكون عمّا توهم من صدور المعصية منهم عليهم السلام.

ومنها: ماهو جواب عنه بالنسبة إلى آدم عليه السلام خاصة.

ومنها: ما هو جواب بالنسبة إلى ساير الأنبياء، وتفصيله موكول إلى محله.

هذا وينبغي أن يقال خاتمة للمقال: إن المعصية روحها من الانيّة والتكبر والتمرّد، وهو يقضي أن يأتي العبد الفعل بعنوان الاستقلال والمعنى الأسمي، فكل فعل كان هكذا فهو معصية عند أهل المعرفة، ولو كان مباحاً بظاهر الشرع، ضرورة أن ادعاء الاستقلال في العمل يلازم نفي الربوبية في التأثير، وهذا شرك عظيم، وأما الطاعة التي روحها الانقياد والتسليم ومشاهدة العبد سرّاً بأن شراشر وجوده ملك له تعالى، وأن الأفعال كلها منه تعالى، فلا محالة تكون العبادة الصادرة منه صادرة بعنوان الاليّة الحرفية، وهي أي العبادة المقررة شرعاً نسب شريف توجب ارتباط العبد إلى مولاه حال كونه مقرّاً بالعجز و المسكنة، وأنه لاحول ولا قوّة إلّا به تعالى، وعلى ما ذكر فلو كان العبد ناسياً أو مخطئاً أو جاهلاً بل أو مكرهاً أو مضطراً، وعمل عملاً لا يكون ذلك العمل طاعة و لا معصية لخلوه عن عنوان الاستقلال الموجب للمعصية، وعن عنوان الانقياد له تعالى الموجب للطاعة، كل ذلك لفرض النسيان وأخواته مثلاً، الموجب لسلب هذين العنوانين منه، وعلمت مراراً أن الطاعة والمعصية إنما هي للعبد وعليه.

وبعبارة أخرى: تقع الطاعة له والضرر عليه قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً

فلنفسه ومن أساء فعليها﴾[١] وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لأنه لا تضرّه معصية من عصاه، و لا تنفعه طاعة من أطاعه» فالطاعة والمعصية كل منهما يتحقق في دائرة الخلق، وأما الخالق فهو كما كان لا يتغير بهذه الأمور كما لا يخفى، فحينئذ يظهر أن عبادة العارفين لا تزيد في سلطانه تعالى، كما أن كفر الكافرين ومعصية العاصين لا تنقص منه مثقال ذرة، فلا محالة تكون الأوامر و النواهي منه بهذا اللحاظ إرشاداً لخلقه إلى منافعهم ومضارّهم ولا يرجع إليه تعالى منهما نفع ولا ضرّ، فحينئذ إذا علم العبد هذا المعنى فلا محالة إذا عمل بالمعاصي فقد ظلم نفسه وعصى ربّه، أي انحرف عن طاعته بما يرجع الى ضرر نفسه لا إلى ضرر ربّه فلا تكون معصيته وهنا لسلطانه تعالى .إذا لم تكنْ عن جحودٍ. لربوبيته، أو تكون استخفافاً بأمره أو تهاوناً بنهيه، بل يكون العبد ظالماً لنفسه ولذا قال سيد العابدين في دعاء كميل: «ظلمت نفسي»، وقال السيد السجاد عليه السلام: «ما عصيتك إذ عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد»، الدعاء.

فحينئذ تكون تلك المعاصي على تقدير صدورها من أحد غير موجبة للقطع عن العبودية للرب المتعال أو الإنكار والجحود، فلا توجب هذه المخالفة تهاوناً وجسارة على مقام المولى سبحانه؛ ولذا نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إنّ ذنوبي وإن كانت قطيعة ولكني ما أردت بها قطيعة».

أقول: أي يريد عليه السلام ماعصيته حين عصيته وأنا منقطع عنه تعالى بالإنكار لربوبيته أو بالتهاون لأمره، ونتيجة هذه المعصية هو الحرمان عن النصيب منه تعالى؛ ولذا قال تعالى ﴿**ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم**﴾[٢]، يعني: إن آمنتم وصرفتم نعماءَكم فيما خلقتكم لأجلها فلا يعذبكم الله بمعاصيكم؛ لان هذه المعصية إنما صارت ضرراً على مصالحكم لا على مصالح ربّكم، وهذه المحرومية قابلة الجبران بالعفو والغفران،

---

١ ـ فصلت: ٤٦.
٢ ـ النساء: ١٤٧.

والله الموفق للسداد، وهذا بخلاف الشرك والجحود كما لا يخفى.

قال تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[١].

قوله عليه السلام: المكرمون

أقول: لابد من ذكر أحاديث تكون كالمقدمة لشرح هذه الكلمة الشريفة فنقول: في تفسير نور الثقلين[٢]، عن أمالي شيخ الطائفة قدس سره بإسناده إلى زيد بن علي عليه السلام عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: **﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾** يقول: فضلنا بني آدم على سائر الخلق، وحملناهم في البر والبحر، يقول: على الرطب واليابس ورزقناهم من الطيبات، يقول: من طيبات الثمار كلها، وفضلناهم، يقول: ليس من دابة ولا طائر لا تأكل وتشرب بفيها، ولا ترفع بيدها إلى فيها طعاماً وشراباً، غير ابن آدم فإنه يرفع إلى فيه بيده طعامه فهذا من التفضيل.

وفيه عن تفسير علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي حمزه الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله لا يكرم روح الكافر، ولكن كرم أرواح المؤمنين، وإنما كرامة النفس والدم بالروح والرزق الطيب هو العلم».

وفيه بإسناده عن اصبغ بن نباتة: أن علياً عليه السلام سئل عن قول الله تبارك و تعالى: **﴿وسع كرسيه السموات والارض﴾** قال: السموات والأرض وما بينهما من مخلوق في جوف الكرسي، وله أربعة أملاك يحملونه بإذن الله، فأمّا ملك منهم في صورة الآدميين وهي أكرم الصور على الله..

وفي البحار[٣]، عن التوحيد بإسناده إلى الحسين بن خالد، قال: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله إنّ الناس يروون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله خلق آدم

---

١ ـ النساء: ٤٨.

٢ ـ نور الثقلين ج ٣ ص ١٨٧.

٣ ـ البحار ج ٤ ص ١١.

على صورته، فقال: قاتلهم الله لقد حذفوا أول الحديث، إن رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ برجلين يتسابّان فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك، فقال صلى الله عليه وآله: يا عبدالله لا تقل هذا لأخيك، فإن الله عزوجل خلق آدم على صورته.

وفيه بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عما يروون أن الله عزوجل خلق آدم على صورته فقال: هي صورة محدثة مخلوقة، اصطفاها الله و اختارها على سائر الصور المختلفة فأضافها إلى نفسه، كما أضاف الكعبة إلى نفسه فقال بيتي، وقال ونفخت فيه من روحي.

وفي تفسير نور الثقلين[1]، عن الخصال فيما علّم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه: إذا نظر أحدكم في المرآة فليقل: «الحمد لله الذي خلقني فأحسن خلقي، وصوّرني فأحسن صورتي، وزان مني ما شان من غيري، وأكرمني بالإسلام.

وفيه عن عيون الأخبار بإسناده إلى الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ المؤمن يعرف بالسماء كما يعرف الرجل أهله وولده، وأنه لأكرم على الله من ملك مقرب.

وبإسناده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ياعلي كرامة المؤمن على الله أنه لم يجعل لأجله وقتاً حتى يهمّ ببائقة، فإذا همّ ببائقةً قبضه الله اليه».

وفيه عن تفسير العياشي، عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ قال: خلق كلّ شيء منكباً غير الإنسان خلق منتصباً.

وفيهٔ بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ماخلق الله عزوجل خلقا أكرم على الله عزوجل من مؤمن؛ لأن الملائكة خدام المؤمنين، وأن جوار الله للمؤمنين، وأن الجنة للمؤمنين، وأن الحور العين للمؤمنين، الحديث.

وفيه عن علل الشرايع بإسناده عن عبدالله بن سنان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام: الملائكة أفضل أم بنوآدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي

---

١ ـ نور الثقلين ج ٣ ص ١٨٨.

طالبعليه السلام: «إن الله عزوجل ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم.

وبإسناده إلى عبدالسلام بن صالح الهروي، عن علي بن موسى الرضا، عن آبائه، عن علي بن أبي طالبعليه السلام عن النبيصلى الله عليه وآله حديث طويل يقول فيهصلى الله عليه وآله «فإن الملائكة لخدّامنا وخدّام محبينا، ياعلي الذين يحملون العرش ومَن حوله يسبّحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، ياعلي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء، ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، وكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه؟ إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود تعظيماً لنا واكراماً، وكان سجودهم لله عزوجل عبودية، ولآدم إكراماً وطاعة؛ لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون؟».

وفيه عن الاحتجاج الطبرسيرحمه الله عن النبيصلى الله عليه وآله حديث طويل وفيه: «يا رسول الله اخبرنا عن عليّ، هو أفضل أم ملائكة الله المقربون؟ فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «وهل شرفت الملائكة إلا بحبها لمحمد وعلي وقبول ولايتها أنه لا أحد من محبي عليّعليه السلام نظّف قلبه من الغش والدغل والعلل ونجاسة الذنوب، إلا كان أطهر وأفضل من الملائكة».

وذكر بعضهم في تفسير قوله تعالى: **﴿الرّحمن * علّم القرآن * خلق الإنسان * علّمه البيان﴾**[1].

عن مجمع البيان ، قال الصادقعليه السلام: البيان، الاسم الاعظم الذي به علم كلّ شيء والقمي، عن الرضاعليه السلام: **﴿الرحمن * علّم القرآن﴾** قال: «الله علم القرآن»، قيل: **﴿خلق الإنسان﴾** قال: ذاك أميرالمؤمنين، قيل: **﴿علّمه البيان﴾**، قال: «علّمه

---

١ ـ الرحمن: ١ ـ ٤.

بيان» كلّ شيء يحتاج إليه الناس، وقال تبارك اسمه: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾.

وفي كتاب قرة العيون[١] للمحقق الكاشاني (رضوان الله عليه) في حديث الاعرابي الذي سأل أميرالمؤمنينعليه السلام عن النفس.. إلى أن قال، فقال: يامولاي وما النفس اللاهوتية الملكوتية الكلية؟ فقال: «قوة لاهوتية، جوهرة بسيطة حيّة بالذات، أصلها العقل، منه بدت، وعنه دعت، وإليه دلّت وإشارت، وعودتها إليه إذا اكملت وشابهته، ومنها بدت الموجودات، وإليها تعود بالكمال فهو ذات الله - الإضافة لامية كما لا يخفى - العليا، وشجرة طوبى، وسدرة المنتهى، وجنة المأوى، مَن عرفها لم يشق، ومَن جهلها ضل سعيه وغوى.

فقال السائل: يامولاي ما العقل؟ قال: «جوهر درّاك، محيط بالأشياء من جميع جهاتها، عارف بالشيء قبل كونه، فهو علة الموجودات، ونهاية المطالب.

أقول: إذا علمت هذه للأحاديث فاعلم أن التكريمات التي كرم الله بها - وإن كان بحسب الظاهر لمطلق الإنسان ـ إلا انها في الحقيقة لمحمد و آله الطاهرين وأهل بيته المنتجبين بمحل من الإمكان، وفي مكانة بحيث لا يحوم حول حماها إنسان، بل كلّ ما سواهم من سائر الخلق والموجودات والملائكة والأنبياء والبشر، فالتكرمة التي تكون لها فبالتبعية والمعلولية كلّ واحد منها بنسبته.

فالمصداق لتلك التكريمات بالنحو الأتم الأكمل هو محمد وأهل بيتهعليهم السلام لما تقدم من قول أميرالمؤمنينعليه السلام ما مضمونه: «انزلوهم أي آل محمدعليهم السلام أحسن منازل القرآن وهي على قسمين:

ظاهرية.

وباطنية.

ونحن نذكر القسمين بالنسبة إلى محمد وآله الطاهرين، ومنه يظهر حال الباقين، ولعلّنا نشير إليه في طيّ المباحث، فنقول وعلى الله التوكل.

---

١ ـ قرة العيون ص٣٦٧.

إن الله تعالى أكرم الإنسان أي محمداً وآله الطاهرين، ذاتاً وصورة، معنوية وظاهرية وصفات أيضاً معنوية وظاهرية، وأفعالاً، وهناك كرامات أخرى صورية ومعنوية، فهو متصف بحسب الصورة والمزاج الأعدل بما يأتي بيانه، واعتدال القامة، والتميز بالعقل، والأفهام بالنطق تارة، وبالإشارة أخرى، وبالخطّ ثالثة، وبالهداية إلىٰ أسباب المعاش والمعاد، والتسليط على ما في الأرض، والتمكن من الصناعات، وانسياق الاسباب وتهيئتها، والمسببات العلوية والسفلية بنحو تعود منافعها إليهم إلى غير ذلك، فنقول:

أما تكريمه ذاتاً فقد خلق الله تعالى ذواتهم بالفعل، وذات كلّ إنسان بالقوة من نور كينونيته ونور عظمته ونور مشيته، كما تقدمت الأخبار الناطقة بذلك في شأنهم عليهم السلام ثم ألبسها الله صورة ربوبيته تعالى، وهيكل توحيده، كما تقدم عن موسى ابن جعفر عليه السلام بل أضاف الله تعالى ذات هذا الإنسان الكامل، الذي عرفت هو محمد وآله عليهم السلام إلى نفسه المقدسة، فيما تقدم قول أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الاعرابي حيث قال عليه السلام: «فهي ذات الله العليا»، أي ذات الله التي اصطفاها وكرمها ونسبها، وجعلها صفته الدّالة عليه، وآيته المبيّنة على أنه الحقّ تعالى، وكتابه المبين وصراطه المستقيم، وقد تقدم بيانها فراجع فهي أقرب الذوات إليه تعالى وأكرمها عليه تعالى.

وأما تكريمه صفاتاً فإنه تعالى قد أنزل القرآن، وأدب فيه الإنسان بما لا مزيد عليه من آدابه الكريمة بنحو الكمال الأتم، وبيّن فيه الصفات الجميلة، التي هي حلل الألبسة الروحية للإنسان من العقل والحياء والعلم والفقه، والتقوى، والرأفة والرحمة، والجود والكرم، والحلم والحكمة، والبيان والتبيين، والقدرة والصبر، و الشجاعة والمروة، والعفة وساير الصفات الحميدة التي ذكرت في الأحاديث، وكل هذه الصفات تكون من صفاته تعالى، التي أظهرها في الخلق بربوبيته حيث إنه تعالى ربّ العالمين بهذه ونحوها، وقد أكرم الله تعالى الإنسان بهذه الصفات المعنوية والظاهرية.

وأما تكريمه أفعالاً، فقد انزل في كتابه على لسان نبيه ﷺ ما به معرفة الأفعال الكريمة والحسنة بنحو لا يشذّ عنها من الأفعال المحمودة شاذّ، وبين فيه له ما به صرف جميع أفعاله في خدمته تعالى وطاعته، وقد بيّنها الأئمة عليهم السلام كلّ ذلك في كلماتهم وأدعيتهم، وعلّموا أنه كيف ينبغي أن يفعل العبد في مقام العبودية والمناجاة والضراعات، وصرف الآمال إليه تعالى بما لا مزيد عليه.

ولعمري إنها نعمة ليست فوقها نعمة، سبحان الذي جعل لنا أئمة وقادة وسادة بحيث لولا هم ما عبدالله تعالى، ولولاهم ما عرف الله تعالى.

وأما تكريمه تعالى بالصورة الحسنة، فهي على قسمين:

ظاهرية.

ومعنوية.

وأما الصورة الظاهرية فقد أكرمه تعالى بحسن الصورة جسماً

قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[2]، فقد صوره الله تعالى في انتصاب القامة، وصفاء لونه، وبضاضة جلده بأن جعله رقيقاً يؤثر فيه أدنى شيء، وحسن تركيبه، بحيث بلغ في بعضهم حسن التركيب والملاحة التي يدرك ولا يوصف، واعتدال أعضائه كلّ منها حسب ما تقتضيه الصورة المعتدلة الحسنة، وكثرة الانتفاع بها، وصلاحها لأكثر الأعمال، فإنك ترى بعض الأعضاء من ساير الحيوانات لا يصدر منه إلا قليل من العمل، وأما أعضاء الإنسان فمن كل واحد منها تصدر أعمال كثيرة، ومع الانضمام إلى الآخر منها بعضاً أو كلا تصدر أفعال كثيرة أخرىٰ، بحيث يظهر منها آثار الربوبية، ـوصفاته منه تعالى فانّه أظهر فيها آثار قدرته، وجعلها مظهراً لربوبيته، ويظهر منها التدبير العجيب، والقيام بأمور عجيبة غريبة، لا يكاد يظهر

---

١ ـ التين : ٤.

٢ ـ المؤمنون : ١٤.

من ساير أعضاء الحيوانات، هذا مضافاً إلى أنه تظهر من بعض هيئات هذه الأعضاء في بعض التراكيب مثل الركوع والسجود، والقنوت والتشهد، والرفع والوضع لليدين والرأس هيئات العبودية، التي تحكي عن معاني باطنية تناسب حال العبد في مقام عبوديته لخالقه بإظهار تلك الهيئات الدالة على أنحاء عبوديته ظاهراً و باطناً بما يناسب مقام عظمته تعالى، كما ذكر ذلك كله في أسرار الصلوة، فراجعها في كتبها المعدّة لبيانها، فيظهر للمتأمل فيها أن الإنسان يحتاج في مقام العبودية إلى تلك الأعضاء بما لها من الهيئات، والصورة الحاصلة من هيئاتها المختلفة، ويرى أنه بها يكون توجهه إليه تعالى، وهي تكون وجيهة له تعالى، و بها قيامه لديه تعالى وبها قيّوميته به تعالى.

وبعبارة أخرى: هذه الأسرار إنما هي ظاهرة لأدنى المعرفة والدقة بأسرار الخلقة، التي أهمها وأعظمها الخلقة الإنسانية، التي منها انتصاب وجهه بحيث يقابل بأجمعه إلى مَن يقابله كذلك، وهذا حسن في نفسه يظهر فيما إذا لم يقابل أحد بتمام وجهه إلى من يدانيه، فإنك تراه قبيحاً كما لا يخفى.

وكيف كان فالإنسان منتصب الوجه إلى من يقابله، وهذا بخلاف الحيوانات، فإنه إنما يقابل ببعضه، أو ببعض بعد بعض بحيث لا يكون في مواجهة بعضهم لبعض الحسن الذي يكون في مواجهة الإنسان، ويلحق بهذه التكرمة أنه تعالى جعل الإنسان بحيث يرفع بيده طعامه لئلا يطأطئ رأسه للطعام، ذلك إجلاله له لما ألبسه الله تعالى من صورته كما تقدم حديثة، هذا كلّه بالنسبة إلى نوع الانسان.

وأما حسن الصورة الذي تكون لمحمد وآله الطاهرين، فلهم صور حسنة لا يكون في الممكنات شيء يدانيهم، بحيث لو ظهروا للناس ببعضها لما رآهم أحد إلا مات على الفور شوقاً إليهم.

في مدينة المعاجز[1]، عن البرسي روي جعفر الهاشمي، قال: كنت عند أبي

---

١ ـ مدينة المعاجز ص ٥٣٥.

جعفر الثاني (أي الجوادﷺ) ببغداد فدخل عليه ياسر الخادم يوماً، وقال: ياسيدنا، إن شينا أم جعفر تستأذنك أن تصير إلىٰ شينا أم الفضل.. إلى أن قال: فدخل والستور تشال بين يديه، فما لبث أن خرج راجعاً وهو يقول: فلما رأينه أكبرنه، الحديث.

أقول: فظهرﷺ بنحو فوق ما ظهر يوسف للنسوة، وحدث بهن ما حدث بالنسوة من رؤيتهن ليوسف؛ ولذا ذكر في آخر الحديث.

قلت له: ياسيدي وما كان إكبار النسوة؟ قال: هو ما حصل لأم الفضل فعلمت أنه الحيض.

أقول: فإنها قالت: والله يا عمّه إنه لما اطلع حاله، حدث ما يحدث بالنساء، فضربت يدي إلى اثوابي فضممتها، الحديث.

أقول: المستفاد من هذا الحديث أنهﷺ أظهر لهن صورته الجميلة، التي جعلها الله تعالى لهم، فعرض لهن من حيث بهجتها ما عرض لنسوة يوسفﷺ فيعلم أنه تعالى جعلهم في أحسن صورة في الظاهر، وإن كانواﷺ لا يظهرون للناس بصورتهم الحقيقية.

ففي البحار عن مناقب آل أبي طالبﷺ: قال عسكر مولى أبي جعفرﷺ: دخلت عليه فقلت في نفسي: ياسبحان الله ما اشدّ سمرة مولاي واضوء جسده! قال: فوالله ما استتممت الكلام في نفسي حتى تطاول، وعرض جسده وامتلأ به الايوان الى سقفه ومع جوانب حيطانه، ثم رأيت لونه وقد اظلم حتى صار كالليل المظلم، ثم ابيض حتى صار كأبيض ما يكون من الثلج، ثم احمر حتى صار كالعلق المحمّر، ثم اخضر حتى صار كأخضر ما يكون من الاغصان الخضرة، ثم تناقص جسمه حتى صار في صورته الأولى وعاد لونه الأول، وسقطت لوجهي مما رأيت.

فصاح بي: ياعسكر تشكون فننبئكم، وتضعفون ونقويكم، والله لا يوصل إلى معرفتنا إلا من منَّ الله عليه بنا وارتضاه لنا وليّاً.

أقول: منه يعلم أيضاً أنهم عليهم السلام مظاهر قدرته تعالى، فيعملون بها حتى في أنفسهم كيفما شاءوا، ونحن نسأل الله تعالى أن يمنّ علينا بمعرفتهم عليهم السلام وأن يجعلنا من أوليائهم بمحمد وآله الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

أقول: هذا وقد تقدم أنهم عليهم السلام حقيقة الأسماء الحسنى، التي منها أنه تعالى أجمل من كل جميل، كما في دعاء الجوشن فهمَ عليهم السلام مظهر لجماله تعالى هذا.

وقد ذكر المجلسي في أواخر حقّ اليقين حديثاً حاصله: أن الحسين عليه السلام يظهر نوره لأهل الجنة حين يرومون زيارته تعالى، فيغشى عليهم أربعين سنة، فيظنون أنه نور الربّ جلّ وعلا، ثم يظهر لهم أنه نور الحسين عليه السلام فمن جماله الظاهر من نوره يغشى عليهم، فهناك تظهر حقيقة جمالهم عليهم السلام كل هذا مما أنعم الله عليهم وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين والحمد لله وحده.

بل نقول: إن الصور الحسنة التي تكون لغيرهم من الملائكة والناس أجمعين، هي من تفضلاتهم لهم، هذا وقد ألبسوا من شعاع صورهم الحسنة الملائكة المسيحين بالرضوان في الجنة، فإنهم على أجمل صورة وكلها من عطاياهم، كما روي: أن الجنة قد خلقت من نور الحسين عليه السلام، فإنه يشمل ملائكتها أيضاً، فتأمل.

وأما تكريمه بالمزاج الأعدل فإجماله: أنه تعالى ركب فيه من الأخلاط الأربعة بنحو الاعتدال في كلّ منها، بحيث لو غلب واحد منها على الآخر لاضطرب نظام وجوده، وهذا الاعتدل مقرون بأعراض أخرى من كثافات الطعام والشراب، والهواء، والمكان والزمان، وامتزجت تلك بهذه بنحو يستوجب البقاء في الدنيا إلى مدة تحكم المصالح الالٰهية بحسنها، وبلزوم بقائها بهذا المقدار حسب نظام العالم البشري، فلم يجعل عمره اقل القليل، ولا أكثر مما ينافي صحته واحترامه، وما يمكن له التمتع من الدنيا، نعم هذا بحسب النوع كما لايخفى.

ثم جعل ذلك الامتزاج بنحو يعرض له الفناء؛ ليقع له فراق الروح للبدن الذي يدفن في الأرض، فتأكل الأرض ما فيه، فإذا تخلص من جميع الغرائب والآفات،

التي كانت فيه من طيلة بقائه في الدنيا، ثم يبعثه صافياً خالصاً، ويركبه تركيباً جسمانياً في الآخرة بنحو يصلح للبقاء أبداً؛ وذلك أنه تعالى جعل اعتدال طبايعه في الآخرة بميزان مستقيم غير ما كان عليه في الدنيا.

وبعبارة أخرى: جعل تلك الطبايع في الآخرة على أكمل اعتدال، بحيث يلزم منه أن يكون الإنسان هناك واحداً بسيطاً، لا يعرض له التضاد ولا الكثرة الموجبتان للفناء كما كان في الدنيا كذلك.

والحاصل: أن لطفه تعالى اقتضى تركيبه في الدنيا بنحو يبقى بقدر اللزوم الصحيح، ثم يعرض له الموت، ضرورة أن البقاء السرمدي في دار الدنيا ينافي رحمته تعالى ورأفته ولطفه بالانسان، فجعله بنحو ينتقل إلى دار الآخرة؛ لكي يتنعم من لذائذها الأبدية بدون مشقة، ثم إن هذا المزاج الأعدل قد لاحظ بالنسبة إلى الأبدان، والى ما به قوة البقاء والعمل والنظام اللازم في عالم الوجود الدنيوي بنحو الأتم الأكمل الأحسن، وقد يلاحظ بالنسبة إلى طبايعه المعنوية، وهي أيضا قد جعلها الله تعالى بنحو يوجب توجهه إلى التوحيد الذي هو المقصود من خلقة الإنسان.

فنقول: قد أكرمه الله تعالى بأن جعل له الصراط المستقيم، وهو صراط الله تعالى، وهو صراط معارفه من العلم والحلم و العقل و الحياء وساير الصفات الحميدة التي ذكروها من الجنود العقل، التي قيل هي ظل التوحيد وما يقتضيه التوحيد.

وبعبارة أخرى: قد جعل الله تعالى في باطنه وسره ما هو آثار التوحيد الإلهي، بحيث لو مشى تحت ظلالها، وجرّد نفسه عن خلاف مقتضاها الذي هو التجريد عمّا سواه تعالى فلا محالة يصل إلى التوحيد.

ومن المعلوم أن هذه الأمور تكون فيهم عليهم السلام بنحو الأتم الأكمل، بحيث تتعدى تلك الأمور منهم عليهم السلام إلى شيعتهم، حيث علمت أن قلوب شيعتهم خلقت من شعاع

نورهم، ومن فاضل طينتهم، فنور قلوب شيعتهم من شعاع أجسامهم المثاليّة كشعاع الشمس من الشمس ولكنْ بين النورين فرق كبير.

فهذه الاوصاف العظيمة لا تكون بكمالها إلا فيهم‌ عليهم السلام ولا تقع على حقيقتها ولا على حقيقة تكرمة الله سبحانه لها إلا فيهم‌ عليهم السلام ثم تنتقل منهم‌ عليهم السلام إلىٰ قلوب شيعتهم كما علمت سابقاً من قوله‌ عليه السلام: «يا أبا خالد والله إن الأئمة هم الذين ينورون قلوب شيعتهم».

واما تكريمه تعالى إياه باعتدال القامة، فإنها إذا لم تكن معتدلة مستقيمة، لكانت إما مائلة أو منكبة، وتكون بغير ما شأن سيره إلى الكمال كما لا يخفى، فإنه في هذه الهيئة يتمكن من الاعمال الكثيرة الموجبة لترقيه إلى الكمال من العبادات و هذا بخلاف ما إذا كانت قامته على غير هذه الصورة، فإنها حينئذ تكون عاجزة عن ذلك السير العملي كما لا يخفى.

وربما يقال: إن اعتدال قامة الإنسان في الظاهر ـ بلحاظ تمكينه من أعمال العبادات بأقسامها المتقدم ذكرها ـ عنوان لسيره الباطن.

بيانه: أن غير الإنسان وإن كان له سير في السلسلة الطولية، وذلك كالمعادن فإنها تتنقل من الجمادات إلى المعادن، ثم لا تتجاوزهنّ، وكالنباتات فإن أصلها من الجمادات ثم تنتقل منها إلى المعادن، ثم منها غالباً إلى النباتات، ثم لا تتجاوزهنّ، وكالحيوانات أيضاً فإن أصلها من الجمادات، ثم منها إلى المعادن، ثم منها إلى النباتات، ثم منها إلى الحيوانات، ثم لا تتجاوزهنّ، إلاّ أن هذا السير في هذه الأمور سير محدود لمحدودية المقتضيات فيها من حيث المادة والهيئة والصورة، فالعوامل الإلهية لا يؤثر فيها السير من الأدنى إلى الأعلى إلا بنحو تقتضيه موادها مادةً وصورةً، وهذا بخلاف الإنسان فإنه مضافاً إلى ذلك السير المشار إليه، أعني سيره الأصلي من الجمادات إلى المعادن، ثم منها إلى النباتات، ثم منها إلى الحيوانات، ثم تتنقل منها بالعوامل الإلهية والتربية الشرعية إلى رتبة الملائكة، ثم منها إلى رتبة

الإنسان الكامل، ثم منها إلى الحضرة الإلهية، وأعني بها أنه يصل إلى مقام الفناء في الله، والمراد منه شهوده كلّ وجود وكل كمال وجود في وجود الحق، والمراد من الشهود هو العلم والمعرفة الحقيقية الوجدانية بالروح الكلي الإلهي.

وبعبارة أخرى: في بيان هذا السير للإنسان، أن أول مقام الإنسان كونه مقدّراً في علم الله تعالى، ثم سار إلى صلب آدم ومقام مسجوديته للملائكة، بعدما صار روحاً موجوداً في جنة الأرواح وعالم القدس، وعالم صور الأسماء الإلهية كلّها، ثم سار إلى أن تعلق بالبدن بواسطة لطيفة حيوانية متوسطة بين الروح العقلائي، وهذا البدن الكثيف الظلماني المركب من الأضداد، المنشأ للعداوة والعناد والحسد والفساد، المحجوب عن عالم المعاد، وهذا غاية النزول عن الفطرة الإلهية، والكون في حدود السفالة والنقصان؛ لكونه حينئذ مركباً ومتقلباً من طبايع العناصر كساير أنواع الحيوانات، وهي في مراتب التسفّل بالنسبة إلى ساير الجواهر والأعيان، إلا أنه تعالى أكرمه بأن جعل في ذاته قوة الترقي إلى حدّ الكمال، والارتقاء إلى أنوار المبدإ المتعال، سائراً إلى حدّ سكّان عالم النور، متنعّماً بنعم الآخرة والسرور، فلم يجز في العناية الإلهية والألطاف الأولية أن يهمله في مراتع الشهوات كالديدان والحشرات من غير هدى، وتعطيله عما خلق لأجله، وأن يترك سدىً، وحيث انه تعالى قد خصّه بكمال خلق لأجله، وبفعل يتممه إذا وفق له، فلا محالة أكرمه حينئذ بالشرع المبيّن له هذا الفعل الذي يؤديه إلى كماله.

وبعبارة أخرى: قد يسّر الله تعالى له الرجوع إلى الفطرة الإلهية، والعود إلى المبدإ بالسير الرجوعي على عكس السير النزولي، قال تعالى: ﴿ثم السبيل يسّره﴾[1] وقال تعالى: ﴿ارجعي إلى ربّك راضية مرضية﴾[2] فبالخلاص عن تلك القيود التي أشير اليها من الأضداد، والصفات الرذيلة، والتبري عن هذا الوجود،

---

١ ـ عبس: ٢٠.

٢ ـ الفجر: ٢٨.

وردّ الامانات إلىٰ أهلها، والخروج عن كلّ حول وقوة إلى حول الله وقوته يحصل له الكمال الأتم، أعني الوصول إلى التوحيد.

والحاصل: أنه لا يزال يسير من مقام أعلى منه حتى يصل إلى مقام الرضوان والمحبة الإلهية، ويبقى يسير بهما صاعداً إلى ما لا نهاية له ولا غاية، ثم إن من المسلم به أن هذا المقام ميسور لهمعليهم السلام بل هم سائرون فيه بكماله وتمامه، فهم إلى الآن وإلى الأبد في سير مشاهدة جلاله وجماله تعالى،اللذين لا نهاية لهما، كما تقدمت الإشارة إليه، وهذه المقامات في الحقيقة من آثار حكومته تعالى إياهم لروحهم وبالعلم، الذي هو الرزق الطيب للروح الإنساني، وذلك عند طاعتهم لله، واتقائهم معاصي الله؛ لما تقدم مراراً من أن من اتقى الله علّمه ما لم يعلم قال الله تعالى: ﴿**واتقوا الله ويعلّمكم الله**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**ولما بلغ أشدّه و استوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين**﴾[2] وعن علي أمير المؤمنينعليه السلام ماهو من قولهعليه السلام: «ليس العلم في السماء فينزل إليكم، ولا في الارض فيصعد إليكم، ولكن العلم مجبول في قلوبكم تخلقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم».

ومن المعلوم أن غير المتقي بحكم الأموات، كما أن الكافر يكون ميتاً لا فوز له من الإيمان والعمل الصالح، فلا محالة يكون محروماً عن العلم الذي هو رزق الروح للإنسان، ثم إن من المعلوم أيضاً أنه تعالى جعل لمحمد وآله (عليه و عليهم السلام) من هذه التكرمة ماجعل لهم به خزائن غيبة علمه بحقيقة ما هم أهله، وقد تقدم مراراً ما يوضح لك هذا.

إذا علمت هذا فنقول: استقامة الإنسان، واعتدال قامته حاكيّة عن تحقيق إمكان سيره المعنوي في تلك المقامات المشار إليها، التي يكون الإنسان إلى ما لا نهاية له، فمن خلق صورته مستقيماً معتدلاً بنحو يتمكن من الأعمال والعبادات

---

١ ـ البقرة : ٢٨٢.

٢ ـ القصص : ١٤.

بلحاظ تمكنه منها، ومن اعمال الصفات الحميدة بحيث لا نهاية لأنواع أفعاله الممكنة له، يعلم أن في باطنه استعداداً وقوة قويّة قابلة للترقي إلى ما لا نهاية له؛ ولذا قد يسّر الله له السبيل بأن أقعده في مكان هذا الإمكان المكين، الذي هو منشأ لتلك الأعمال الكثيرة، التي لا نهاية لها كما لا يخفى، فإن هذا الإمكان الروحي والإمكان الجسمي الحاصلين له هما الذان جعلا الإنسان في مرتبة قابلة للسير إلى الله تعالى دون سائر الموجودات حتى الملائكة، وأن يقبله الله تعالى له، و هو أيضاً لهذا متمكن من الإقبال إليه تعالى حين دعاه بتلك الدعوات من قوله تعالى: ﴿ففروا إلى الله.. وسارعوا.. وسابقوا.. وأنيبوا..﴾ الى غير ذلك، إذ من المعلوم أنه تعالى كيف يصح منه إذ يدعوهم إليه بقوله: ففرّوا إلى الله مع عدم إمكان أن يسيروا إليه، بل لابدّ أولاً من أن يجعلهم متمكّنين بجميع أنواع التمكّن، ثم يدعوهم إليه تعالى، وإلا ما للتراب ومشاهدة جمال أنوار ربّ الأرباب بلطفه وتفضله له بهذه التفضلات كما لا يخفى، ومن هذا كله يعلم أن انكباب ماعدا الإنسان وانعطافه إلى الارض غالباً يحكي عن صورة سيره إلى الله تعالى.

وبعبارة أخرى: إنّ نظر ما سوى الإنسان إلى الأرض يعطي أن حقيقته لا تتجاوز سيرها عما في الأرض، وسيره إليه تعالى لا يكون إلا إلى ما ظهر منه تعالى من القدرة والعلم في الأرض دون ما ظهر في السماء، وهذا بخلاف الإنسان واستقامته واعتدال صورته، مع ماله من تلك الامكانات يعطي أن حقيقته قابلة للسير إلى ما لا نهاية له بنحو تقدم بيانه، فسير الإنسان معنوية طولية إلى ما لا نهاية له، وأما غيره فسيره محدود منقطع لا يصل إلى درجة الإنسان، ثم إن في الملائكة ما هو بصورة الإنسان، فهو ملحق حكماً بالإنسان رتبة، وما كان بصورة الحيَوانات فهو أقل رتبة مما هو بصورة الإنسان، وإن كان هذا أيضاً لا يغفل عن خدمة الله تعالى طرفة عين، إلا أنه يخدمه تعالى في الجهة السفلى من مراكز ظهوره تعالى.

فإن قلت: فعلى ما ذكرت لا بدّ من تخصيص الكمالات والكرامات بالإنسان مع أنه ورد أنه يدخل الجنة حمار النبي ﷺ اليعفور وناقته الغضباء وحمار عزير وحمارة بلعم بن باعورا، وكلب أهل الكهف وما أشبه ذلك، بل ورد أن كلّ صنف من أصناف الحيوانات يدخل بعضها في الجنة إلا الثلاثة، المسوخ والسباع والنواصب. ففي تفسير نور الثقلين، عن تفسير علي بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى: **﴿إذ أوىٰ الفتية إلى الكهف فقالوا ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً﴾**، الحديث. . إلىٰ أن قال: فقال الصادق عليه السلام: لا يدخل الجنة من البهائم إلا ثلاث حمار بلعم بن باعور وذئب يوسف عليه السلام وكلب أصحاب الكهف. وفي سفينة البحار عن الصادق عليه السلام في حديث إلى أن قال: فإن رسول الله ﷺ قال: ما من بعير يوقف عليه موقف عرفة سبع حجج، إلا جعله الله من نعم الجنة وبارك في نسله، الحديث. وفي تفسير نور الثقلين من تفسير علي بن إبراهيم في حديث عن الرضا عليه السلام إلى أن قال: فقال الرضا عليه السلام فلا يدخل الجنة من البهائم إلاّ ثلاث حمارة بلعم وكلب أصحاب الكهف والذئب وكان سبب الذئب انه بعث ملك ظالم شرطيّاً ليحشر قوماً من المؤمنين ويعذّبهم وكان للشرطي ابن يُحبّه فجاء ذئب فأكل ابنه فحزن الشرطي عليه فأدخل الله ذلك الذئب الجنّة لما أحزن الشرطي قلت المستفاد من تلك الأخبار ان لتلك الحيوانات التي تدخل الجنّة نفساً برزخيّاً مركّبة من الحقيقة الحيوانيّة والحقيقة الإنسانيّة ولذا يدرك بعض المعقولات الكلّية ويفهم بعض المعاني الحسية الثابتة لأولياء الله تعالى. ففي البحار ج٢٢ ص٤٥٦ عن علل الشرائع في حديث الصادق عليه السلام في بيان وصيّته ﷺ بالنسبة إلى متروكاته إلى أن قال ثم قال أبو عبد الله عليه السلام أن يعفوُر كلّم رسول الله فقال بأبي أنت وأُمّي ان أبي حدّثني عن أبيه عن جدّه أنه كان مع نوح في السفينة فنظر إليه يوماً نوح عليه السلام ومسح يده على وجهه. ثم قال: يخرج من صلب هذا الحمار حمار يركبه سيّد النبيّين وخاتمهم والحمد لله الذي جعلني ذلك الحمار - فترى من هذا الحديث أن هذا الحمار كيف أدرك مقام سيد المرسلين وحمد الله على أن جعله من ذلك الحمار وكيف كان فمن هذا وإن صدور الإيمان والإقرار بالحق من الحيوانات كما يصدر من سائر المؤمنين يعلم أن لهذه الحيوانات حظّاً ونصيباً من الإنسانية كلّ على حسبها، فمن حيث اكتسابها هذه الروحية الإنسانية صارت ملحقة حكماً بالإنسان، فتدخل الجنة على أن الجنة مراتب يبعد بعضها عن

البعض بعد السماء عن الأرض، فالحيوانات بعضها يدخل الجنة، إلا أنها لا تكون في درجة الآدميين، بل تكون في الدرجة السافلة من الجنة، على أنها في الجنة تكون في محضر من أهل الجنة، يستفيدون منها كما كانوا يستفيدون منها في الدنيا مع أنها حيوانات وهم أناسيّ. والحاصل: أنها تدخل الجنة حيواناً لا إنساناً، نعم يكون ذا شعور لتلك الروحية البرزخية، وهناك فرق آخر بينها وبين الإنسان، وهو أن الإنسان له الترقي في السلسلة الطولية بلا نهاية، وهذا بخلاف الحيوانات فإنها وإن فرض إمكان ترقيها لبعض المراتب الإنسانية إلا أنها محدودة جداً، بل معدودة فرداً كماً وكيفاً، كيف والحيوانات وإن بلغت ما بلغت لم تخلع الصورة الحيوانية، وما لبست الصورة الإنسانية، بل غاية مالها الاشتمال ببعض مراتب النفس البرزخية المشار إليها كما لا يخفى. ثم إن الحيوانات كما تكون في الدنيا في خدة الإنسان كما ترى، ففي الجنة إن دخلت تكون كذلك فهي مملوكة للإنسان لا مالكة، كذلك في الجنة تكون في خدمة أهل الجنة لا مالكة، فحينئذٍ أين الحيوانات الداخلة في الجنة والإنسان الذي قال الله تعالى في حقّ الداخلين منهم في الجنة ﴿وإذا رأيتَ ثم رأيتَ نعيماً وملكاً كبيراً﴾[1] فدلّ على أن الإنسان إذا دخل الجنة يكون ملكاً ومالكاً ملكاً كبيراً، وهذا بخلاف الحيوانات فإنها تكون مملوكة فيها لا مالكة لقصورها الذاتي، وإنما دخلت الجنة لتلك النفس البرزخية كما لا يخفى. وأما تكريمه تعالى إياه بالعقل المميز به بين الحق والباطل فنقول في البحار[2]، عن المحاسن عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خلق الله العقل فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل». ثم قال: «ما خلقت خلقاً أحبّ إلي منك، فأعطى الله محمداً صلى الله عليه وآله تسعة وتسعين جزءاً، ثم قسم بين العباد جزءاً واحداً». وفيه[3]، عن الاحتجاج في خبر ابن السكيت قال: فما الحجة على الخلق اليوم؟ فقال الرضا عليه السلام: «العقل تعرف به الصادق على الله فتصدقه، والكاذب على الله فتكذبه» فقال ابن السكيت: هذا هو والله الجواب. وفيه[4]، عن تفسير الإمام عليه السلام عن أبي محمد عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: «من لم يكن عقله أكمل ما فيه، كان هلاكه من أيسر ما فيه». وفيه عن أمير المؤمنين عليه السلام «من لم يكن أكثر ما فيه عقله، كان بأكثر ما فيه قتله».

---

١ - الإنسان: ٢٠.
٢ - البحار ج١ ص٩٧.
٣ - البحار ج١ ص١٠٥.
٤ - البحار ج١ ص٩٤.

وفيه عن أمالي الشيخ عن الرضا عليه السلام يقول: «ما استودع الله عبداً عقلاً إلّا استنفذه به يوماً».

وفيه، في حديث هشام عن موسى بن جعفر عليه السلام: ياهشام إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول.

وفي الكافي[1]، إلى أن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما قسّم للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل. ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته، وما يضمر النبي صلى الله عليه وآله في نفسه أفضل من اجتهاد المجتدين، وما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، والعقلاء هم أولو الألباب، الذين قال الله تعالى﴿وما يذكر إلّا أولوا الألباب﴾[2].

وفيه[3]، عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: «حجة الله على العباد النبيّ، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل».

وفيه.. عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد مرسلاً قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: دعامة الإنسان العقل، والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم، وبالعقل يكمل، وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره، فإذا كان تأييد عقله من النور، كان عالماً حافظاً ذاكراً فطناً فهماً، فعلم بذلك كيف ولِمَ وحيث، وعرف مَن نصحه ومَن غشّه، فإذا عرف ذلك عرف مجراه وموصوله ومفصوله، وأخلص الوحدانية لله، والإقرار بالطاعة، فإذا فعل ذلك كان مستدركاً لما فات وواردا على ماهو آت، يعرف ما هو

---

١ ـ الكافي ج ١ ص ١٢.
٢ ـ آل عمران: ٧.
٣ ـ الكافي ج ١ ص ١٢.

فيه ولأيّ شيء هو هاهنا ومن أين يأتيه، والى ماهو صائر، وذلك كله من تأييد العقل.

أقول: قد تقدم بعض الكلام في شرح هذا الحديث، ولعمرى هذا الحديث بيّن بما لا مزيد عليه في فضل العقل، فعلم من هذه الأحاديث فضل تكريمه تعالى إياه بالعقل، وأنه سبب محبة الله لعبده، كيف لا وهو المميز الفارق بين الحق والباطل، والخير والشرّ، ومبين لطريق النجاة من طريق الهلاك، وهو حجة الله تعالى الباطنة والنعمة الباطنة والنور والحياة الأبدية؟ والأحاديث في فضل العقل كثيرة جدّاً كيف لا وهو المايز الوحيد بين الإنسان وغيره من الحيوانات، وبه ترقّيه وتعاليه إلى أشرف المنازل وأعلى الدرجات المعنوية والظاهرية؟ فأكرم به من نعمة أنعم الله به على العباد!

وأما تكريمه تعالى إياه بالافهام بالنطق والإشارة الظاهرية والمعنوية والخطّ والكتابة.

فنقول: إن الله تعالى لما خلق الإنسان جامعاً، فاقتضت هذه البنية الجامعة أن يكون مالكاً ومملكاً، وأن تكون شؤونه كثيرة لا تكاد تحصى، ولا ريب في أن من هذا شأنه يحتاج في مآربه ومطالبه في مقام إمضائها وإيجادها إلى وسائل كثيرة بحسب شؤونه، فاسبغ الله تعالى عليه نعمه الكثيرة المترادفة، فعلّمه النطق ليؤدي به مطالبه الى مآربه، ووسّع عليه في ذلك بأن أضاف إليه التمكن من الإشارة؛ والخطّ أيضاً؛ ليوسع في التأدية في شؤونه، كل ذلك تعطفاً عليه ورحمة ورأفة، ولم يفعل الله تعالى بمثل هذا في غيره من سائر الخلق ثم أنه تعالى أكرم الإنسان بهذه عامة ، وأكرم أولياءَه وأصفياءَه من النبي والأئمة عليهم السلام خاصة بالمزيد من ذلك، وهو أنه تعالى منحهم ما أفهموا الجماد، وأنطقوا به الصم الصلاد، وأنقاد إلى إجابة كتابتهم وإشارتهم جميع من في البلاد فهم عليهم السلام الذين فهموا عن الله ما أراد، وفهّموا بفاضل فهمهم كلّ من فهم واستفاد، فلا يفهم شيء من جميع الخلق شيئاً إلا فهمه الله بفاضل

ما فهموا، وأنطقهم الله ونطق ما سواهم من فاضل نطقهم، فكلّ لسان حالي أو مقاليّ ينطق بالثناء عليهم ثناء أشير إليه بقوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾[1].

وقوله في الزيارة: «يسبح الله بأسمائه جميع خلقه» وهم عليهم السلام الناطقون على كلّ لسان بكلّ لغة كما في الأخبار من أنها سبعون الف لغة، ويشير إلى ما ذكرنا الأحاديث الكثيرة، فمنها:

في البحار[2]، عن بصائر الدرجات ص ١٥١، عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إني لا عرف من لو قام على الشاطي البحر؛ لندب بدواب البحر وبأمهاتها وعماتها وخالاتها .

وفي البحار[3]، عن مناقب آل أبي طالب عليه السلام: اصاب الناس زلزلة علىٰ عهد أبي بكر، ففزع إلى عليّ عليه السلام أصحابه، فقعد علي عليه السلام على تلعة، وقال: كأنكم قد هالكم، وحرّك شفتيه وضرب الأرض بيده، ثم قال: مالك ؟ اسكني فسكنت، ثم قال: أنا الرجل الذي قال الله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض﴾ الآيات، فأنا الإنسان الذي أقول لها: مالك ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ إياي تحدث.

وفيه[4]، عن البصائر بإسناده عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لابن عباس: «إن الله علّمنا منطق الطير، كما علّمه سليمان بن داود، ومنطق كلّ دابة في برّ أو بحر.

وفيه عن الاختصاص ص٢٩٨ بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: بينا أبو عبدالله البلخي مع أبي عبدالله عليه السلام ونحن معه إذ هو بظبيّ يثغو ويحرك ذنبه، فقال أبو

---

١ ـ الإسراء : ٤٤.
٢ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٧٢.
٣ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٧٩.
٤ ـ البحار ج ٢٧ ص ٢٦٤.

عبدالله عليه السلام: «أفعل إن شاء الله، قال: ثم أقبل علينا فقال: علمتم ما قال الظبيّ؟ قلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال: «إنه اتاني فأخبرني أن بعض أهل المدينة نصب شبكة لأنثاه فاخذها ولها خشفان لم ينهضا ولم يقويا للرعي، فسألني أن أسألهم أن يطلقوها، وضمن لي أنّها إذا أرضعت خشفيها حتى يقويا على النهوض والرعي أن يردها عليهم، فاستحلفته فقال: برئتُ من ولايتكم أهل البيت إن لم أف. وأنا فاعل ذلك إن شاء الله.

فقال له البلخي: سنّة فيكم كسنّة سليمان عليه السلام.

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام[1]، بإسناده عن أبي الصلت الهروي قال: كان الرضا عليه السلام يكلّم الناس بلغتهم وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكلّ لسان ولغة! فقلت له يوماً: يابن رسول الله إني لأعَجَب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها؟ فقال: «ياأبا الصلت أنا حجة الله على خلقه، وماكان الله ليتخذ حجة على قوم، وهو لا يعرف لغاتهم، أَو ما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام أوتينا فصل الخطاب؟» فهل فصل الخطاب إلا معرفة اللغات؟

وفيه[2]، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، قال: كتب أبو الحسن الرضا عليه السلام وأقرأنيه رسالة إلى بعض أصحابنا: إنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وبحقيقة النفاق.

وفي مناقب آل أبي طالب عليه السلام[3]، سليمان الجعفري قال: كنت عند أبي الحسن الرضا عليه السلام والبيت مملو من الناس يسألونه وهو يجيبهم، فقلت في نفسي: ينبغي أن يكونوا أنبياء، فترك الناس ثم التفت اليّ فقال: ياسليمان إن الأئمة حلماء علماء يحسبهم الجاهل أنبياء وليسوا انبياء.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا ص ٢٢٨.

٢ ـ عيون اخبار الرضا ص ٢٢٧.

٣ ـ مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٣٤.

وفي البصائر[١]، عن جعفر بن محمد الصوفي قال: سألت أباجعفر عليه السلام محمد بن علي الرضا عليه السلام وقلت له: يابن سول الله لم سمّي النبي الأمّي؟ قال: ما يقول الناس؟ قلت له: جعلت فداك يزعمون انما سمي النبيّ الأمّي؛ لأنه لم يكتب، فقال: «كذبوا عليهم لعنة الله أنى يكون ذلك والله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه: **﴿هو الّذي بعث في الأمّيّين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة﴾** فكيف كان يعلمهم مالا يحسن؟ والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ ويكتب باثنين وسبعين أو بثلاثة وسبعين لساناً، وإنما سمّي الأمّي؛ لأنه كان من أهل مكّة ومكّة من أمّهات القرى، وذلك قول الله تعالى في كتابه: **﴿لتنذر أمّ القرى ومَن حولها﴾** .

وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل عن قول الله تبارك وتعالى: **﴿وأوحِي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾** قال بكلّ لسان.

وفي المحكي عن الشيخ رجب البرسي (رضوان الله تعالى عليه) عن أمير المؤمنين عليه السلام.. إلى أن قال عليه السلام: أنا المتكلم بكل لسان.

وفي مدينة المعاجز للسيد البحراني (رضوان الله تعالى عليه) عن كتاب الإقبال بالإسناده المتصل عن أسماء بنت وائلة بن الاسقع، قال: سمعت «أقول الظاهر قالت ولكنه في النسخة هكذا» أسماء بنت عميس الخثعميّة تقول: سمعت سيدتي فاطمة عليها السلام تقول: ليلة دخل بي علي بن أبي طالب عليه السلام افزعني في فراشي، قلت: فيم أفزعت ياسيدة النساء؟ قال: سمعت الأرض تحدّثة ويحدثها فأصبحت أنا فزعة، فأخبرت والدي صلى الله عليه وآله فسجد سجدة طويلة، ثم رفع رأسه وقال: يافاطمة البشرى بطيب النسل، فإن الله فضل بعلك على سائر خلقه، وأمر الارض تحدثه بأخبارها، وما يجري على وجهها من شرقها إلى غربها.

---

١ ـ البصائر ص ٢٢٥.

وفي البحار[١]، في حديث نقله عن أبي ذر وسلمان عن أمير المؤمنين عليه السلام.. إلى أن قال: وأنا المنادي من مكان قريب، قد سمعه الثقلان الجن والانس، وفهمه قوم، إني لأسمع كلّ قومٍ الجبارين والمنافقين بلغاتهم، وأنا الخضر عالم موسى، وأنا معلم سليمان بن داود، وأنا ذو القرنين، وأنا قدرة الله عزوجل، الحديث.

فهذه بعض الأحاديث التي دلّت على أنهم عليهم السلام يفهمون اللغات، ويكلمون كلّ موجود بلسانه القالي والحاليّ، ويخبرون عما في ضمير الناس لما يقرأون حقائقهم. جعل الله سبحانه وتعالى لهم في الإشارة والكتابة و النطق والفهم ما لم يجعل لغيرهم، كيف لا يكونونكذلك وهم حجج الله على جميع أصناف الخلق؟ ومَن أراد المزيد في هذا فليراجع الأبواب من الأحاديث في هذا الموضوع، والله العالم.

وأما تكريمه تعالى بالهداية إلى أسباب المعاش، فقد دلّ الإنسان على أنوعها من الغرس والزرع بأقسامه، والتجارة واستخراج المعادن البرّية و البحرية وآلاتهما، وبالهداية إلى أسباب العشرة من تهيئة أنواع الحلي والزينة، وأنواع النسائج، وانواع المطاعم والمشارب، وتميز جيّدها من رديها ونافعها من ضارها، والمسكن بأنواعها الصيفية والشتوية، وتربية المواشي بما فيه صلاحها وصلاحهم في هذا الزمان من الاختراعات الجديدة من المراكب السريعة البرية والجويّة والبحرية كما لا يخفى.

ومن المعلوم أن ما يعمله الإنسان من هذه الأمور المذكورة، التي يتيقّن العارف أنها ليست في قوة البشر للاهداء إليها إلا بهداية الله تعالى، هن من تكريمه تعالى إياه، وكم لله تعالى من مثل هذه التكريمات للخلق خصوصاً للإنسان من أول يوم ولدته أمه. ألاترى إلى المولود من الإنسان بل ومن الحيوان كيف هداه الله تعالى إلى إلتقام

---

١ ـ البحار ج ٢٦ ص ٥.

الثدي وامتصامه، الذي فيه رزقه على وضع لا يكاد الكبير العاقل يتمكن من فعله إلا بعد المعالجة العسيرة؟ ثم إن هذه الكرامة كما ترى لها جهتان: جهة العلم وجهة العمل، وقد منحها الله تعالى للإنسان هذا، ولكن خصّ الله تعالى نبيّه والأئمة عليهم السلام بالجهة الأولى بأحسن ماهدى الخلق عامة إليه، فهم عليهم السلام أعلم الناس في هذه الجهة، كما ظهر من بياناتهم عليهم السلام في مقام التعليم.

واليه يشير ما ذكره في كتاب بيان الأئمة[1]، ونحن نذكره تأييداً لما ذكرنا، قال: روي في أخبار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالمغيبات هو أنه ذهب في سرية من الجيش إلى بعض بلاد الحجاز المسمى بالظهران، فوقف في مكان فيه الرمل، فجعل يجّر الرمل وينحيه، وينظر في الأرض ما تحت الرمل فقال له بعض أصحابه: لماذا تفعل ذلك يا أمير المؤمنين؟، قال: إن في هذا المكان عيناً من النفط، قيل: وما هو النفط؟ قال: عين تشبه الزيت لو أخرجتها من هذا المكان لأغنيتُ جميع العرب.

منها: وقد جاء في الحديث عن الامام عليه السلام ذكر الكبريت والنفط والقير وأنها من المعادن التي أودعها الله تعالى في الأرض، وروي أنه لما رجع الإمام أمير المؤمنين من قتال أهل صفين أخبر بأمور غائبة.

منها: أنه وقف على صدر نهر في شمال العراق، ونظر إلى الماء ينزل من الأعلى إلى الأسفل.

فقال: وإنه ليمكن أن يستضاء العراق من هذا الماء، وفي رواية قال عليه السلام: لو شئت لجعلت من هذا الماء نوراً، فهذه الأحاديث وما شابهها تدل على أنهم عليهم السلام كانوا عالمين بهذه الأمور المترعة من عيون النفط، واستخراجها من معادنها، وكذا البرق والكهرباء كما لا يخفى.

وأما الجهة الثانية أعني جهة العمل فهم عليهم السلام وإن كانوا ربما يعملون لمعاشهم أنه

---

١ ـ بيان الأئمة ص ٣٢١.

تعالى أغناهم عن ذلك بقوله: ﴿وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾[1] فإنه سبحانه لما بين له ﷺ وظيفة التبليغ، ومن المعلوم أنه من أصعب الأمور؛ ولذا قال: ﴿واصطبر عليها﴾ الدال على الأمر بالصبر الأكيد المستفاد من اصطبر الذي هو من باب الافتعال الدال على زيادة التحمل في الصبر كما لا يخفى فقال ﴿لا نسألك رزقاً نحن نرزقك﴾، فقد وعده ﷺ بذلك وكفاه مؤنته، وقد كفى الله مؤنة الرزق لكثير من عباده المؤمنين خصوصاً من مثل أهل العلم كما دلّت عليه الأخبار المذكورة في محلّه، ثم إنا نرى أن القيام بأعباء الرسالة أمر عظيم صعب جدّاً، لا يكاد يجتمع مع الاشتغال بالعمل بمذاهب التجارة مثلاً لا لعدم القدرة له ﷺ عليها، بل لعدم إمكان اجتماع الأمرين في زمان واحد.

نعم لما كان قبل الرسالة متمكناً من التجارة، فكان ﷺ يتجر مع بعض أقربائه، وهذا بخلاف زمان الرسالة، لعدم إمكان الجميع كما لا يخفى كما أنه لا يجتمع هذا العمل مع الاشتغال بالدرس والاجتهاد لأغلب العلماء كما لا يخفى لمنافاته مع استفراغ الوسع للاستنباط، فبهذه الجهة قد كفاهم الله تعالى مؤنة الطلب تسهيلاً لما قاموا به من أمر الرسالة والتبليغ، أو أمر الاجتهاد والاستنباط، فمن هذه الجهة قد كفاهم الله مؤنة الكسب، وله جهة أخرى وهو: أنه ﷺ وكذا الأئمة عليهم السلام لما كانوا عليهم السلام مستغرقين في خدمة خالقهم والعمل بوظائفهم، فلا محالة لا يبقى لهم فراغ للعمل بأسباب المعاش، ويدل على ذلك ماورد من بيان أحوالهم من العبادات الكثيرة والأعمال الشاقة في أمر الدين، والالتزام الجدي بالوظائف كما لا يخفى، ونحن نذكر حديثاً يدل على هذا خصوصاً على التزامهم بأعمال جميع الأمور الراجحة في الشرع فعن جابر الأنصاري عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث أنه قال:والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما قطعت غنماً، ولا لبست سراويلي قائماً، ولا قعدت على عتبة،

١ ـ سورة طه : ١٣٢.

ولا بلت على حافة نهر، ولا بين بابين ولا قائماً، ولا قلمت اظفاري بفمي، ولا انثرت في يوم الأربعاء (أقول: ولا ادهنت) ولا أكلت قبّزاً ولا سمكاً مارياً، ولا قطعت رحماً، ولا رددت سائلاً، ولا قلت كذباً، ولا شهدت زوراً، ولا نمت على وجهي، ولا على يدي اليسرى، ولا تختمت بخاتمين، ولا جلست على زبالة، ولا بيتها في منزلي، ولا رأيت براً مطروحاً فتجاوزته، ولا لبست نعل يساري قبل يميني، ولا نمت في خراب، ولا اطلعت في فرج، ولا مسحت وجهي بذيلي، وما من شيء من هذه يفعله احد منكم إلا أورثه غماً لا أصل له فتجنبوه، الحديث.

فانظر إلى أنه عليه السلام كيف كان ملتزماً بالعمل بمثل هذه الوظائف التي قلّما تمكن له العمل بها. كيف وهذه الأمور كما صرحت بها الأخبار الكثيرة من النوافل التي توجب كون فاعلها محبوباً له تعالى، ففي الحديث: لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، الحديث.

هذا مضافاً إلى أن هذه الأمور تكون متممة ومكملة للقابليات والقلوب الطاهرة الموصلة إلى أعلى الدرجات، ثم إن هذه الأمور والالتزام بالعمل بها الموجب للمحبة قد جعلها الله تعالى في خزائنه، وهي قلوب الأولياء خصوصاً النبي والأئمة عليهم السلام ولذا قلّ من عمل بها هكذا إلّا هم عليهم السلام.

ضرورة أنها من أنفس الأمور لهم إذ بها تكون فعلية محبوبيتهم له تعالى، وبها يظهرون عبوديتهم له تعالى في الدنيا. وبها يتحفظون عن مزالّ الأمور والتلوّن بلوث المعاصي الموجبة للبعد عنه تعالى.

وكيف كان فالأئمة عليهم السلام أولاً عملوا بها حقّ العمل، ثم إنهم عليهم السلام نشروها للعباد ليفوز بها إلى أعلى الدرجات من سبقت له من الله الحسنى، هذا وقد أرشد الله تعالى عباده كلهم إلى هذه الأمور، التي بها كمالهم ببركة بيانهم عليهم السلام إياها لهم، فنالوا بذلك محبته تعالى المستلزم لكفايته تعالى أولا مؤنة الكسب، ثم لينالوا أعلى مراتب القرب. فسبقَ السابقون على حسب إجابتهم للدعوة الإلهية إلى سبيل الرشاد.

ومن المعلوم أن أسبق السابقين هم محمد وآله (صلى الله تعالى عليه وعليهم) ثم تبعهم في ذلك العباد الأمثل فالأمثل، وليس لهم الفوز بها علماً وعملاً إلّا بهم عليهم السلام وسيأتي توضيحه في قوله عليه السلام: «من أراد الله بدأ بكم، ومَن وحده قبل منكم، ومن قصده توجه بكم» إن شاء الله تعالى.

وأما تكريمه تعالى بالتسليط على ما في الأرض، فتستخرج منها المعادن والنفط، وما يتولد منهما إلى مالا نهاية من انواع المصنوعات كما هو المتراءى اليوم من الاختراعات العجيبة جدّاً، كل ذلك بما منحه الله تعالى من العقل و الفهم والفطنة، والاطلاع على دقائق أسرار الموجودات، فترى الإنسان لهذه المادة التي رزقها الله تعالى له، قد قهر وغلب، واستولى على ما في الارض إلى أن انقادت له الحيوانات بما علّمه الله تعالى من التربية لها، بل والنباتات من حيث تركيب بعضها مع البعض، والتغرس إلى غرس مالم يكن سابقاً، وكذا حصل له السلطة على الجمادات البرية والبحرية والتعمل فيها، واستخراج أنواع المصنوعات من معادنها، وما جعل الله تعالى فيها من الآثار العجيبة، كل ذلك بالعقل و الفهم هذا كله بالنسبة إلى العموم، ولكن قد جعل الله تعالى لمحمد وآله (عليه وعليهم السلام) جميع الأشياء منقادة لهم بالطبع أى بالطوع والرغبة بمقتضى ذاتها.

وبعبارة أخرى: جعلها الله تعالى منقادة وتابعة لإرادتهم عليهم السلام كتبعية الظل والأشعة للمنير.

والحاصل: أنه تعالى جعل أمور الإنسان منقادة له، لكن بالتعمل وإعمال الفكر والعقل والفهم مع توسط الآلات والأسباب كما هو المشاهد، ولكن جعلها لمحمد وآله عليهم السلام تابعة لإرادتهم بدون إعمال الوسطاء، وأنه تعالى لما اكرمهم عليهم السلام باصطناعهم عليهم السلام له تعالى واختصّهم لنفسه، فأغناهم الله تعالى بالتسليط على جميع الأشياء بلا وساطة شيء فيستنقذون منها كذلك كلّ ذلك بسبب إقبالهم عليهم السلام بكليتهم إليه تعالى، بحيث لا يلتفتون إلى غيره فملكهم الله تعالى ملكوت كلّ شيء

«فيتصرّفون فيها ما شاءوا وهذا بخلاف سائر البشر ويشير إلى ما ذكرنا عدّة من الأحاديث نذكر بعضها تيمّناً وتبركاً.

ففي بصائر الدرجات[1]، بإسناده عن سمعة بن مهران، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إن الدنيا تمثل للإمام في فلقة الجوز، فما تعرض لشيء منها وإنه ليتناولها من أطرافها، كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء، فلا يعزب عنه منها شيء.

وفيه[2]، بإسناده عن عبدالرحيم أنه قال: ابتدأني أبو جعفر عليه السلام فقال: إن ذا القرنين قد خيّر السحابين فاختار الذلول، وذخر لصاحبكم الصعب، قلت: وما الصعب؟ قال: ماكان من سحاب فيه رعد وبرق وصاعقة، فصاحبكم يركبه، أما أنه سيركب السحاب، ويرقى في الأسباب أسباب السموات السبع خمس عوامر واثنتان خراب.

وفيه[3]، بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما صعد رسول الله صلى الله عليه وآله الغار، طلبه علي بن أبي طالب عليه السلام وخشي أن يغتاله المشركون، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله على حرّا وعلي عليه السلام على ثبير، فبصربه النبي صلى الله عليه وآله فقال مالك ياعلي؟ قال: بأبي أنت وأمّي خشيت أن يغتالك المشركون فطلبتك، فقال النبي صلى الله عليه وآله ناولني يدك ياعلي فجرف الجبل حتى خطا برجله إلى الجبل الآخر، ثم رجع الجبل إلى قراره.

وفيه بإسناده عن صالح بن سعيد قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقلت له:جعلت فداك في كل الأمور أرادوا اطفاء نورك والتقصير بك حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصغاليك، فقال: هاهنا أنت يابن سعيد، ثم أَومَأ بيده فقال: اُنظر فإذا أنا بروضات ناضرات فيهن خيرات عطرات وولدان كأنّهم اللؤلؤ، واطباق رطبات، فحار بصري! فقال: حيث كنا فهذا لنا عتيد، ولسنا في خان الصعاليك.

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٤٠٨.

٢ ـ بصائر الدرجات ص ٤٠٩.

٣ ـ بصائر الدرجات ص٤٠٧.

أقول: يستفاد من هذه الأحاديث تسلطهم عليهم السلام على الدنيا بما فيها من أنواع الموجودات، فيصرفون فيها ما شاءوا، ويستفيدون منها بما شاءوا بلا وساطة شيء، ويدل على هذا أيضاً الأحاديث الواردة في بيان معجزاتهم عليهم السلام فإنها شاهدة على ما ذكرناه، راجع مدينة المعاجز للسيد البحراني رحمه الله.

ثم إن هذه التكرمة بل غيرها في الحقيقة من آثار العقل والفطنة، الذي أكرمه الله تعالى به كما لا يخفى، وله آثار أخر من التكرمات.

منها: أنه تعالى لما اقدر الإنسان على تدبير معاشه، فكان من تمام قدرته عليه أن أكرمه الله تعالى بأن ألهمه التمييز في التدبير لمعاشه بالتمكين من الصناعات، والتمكن من إعمال القدرة على ما يحتاج إليه، بحيث لا يحتاج في شؤونه شيئاً إلا هو متمكن من صنعه كماهو المتراءى اليوم من إيجاد أنواع الصناعات في المآكل والمشارب، وبالتمكن من ايجاد أسبابها من المكائن والتسلّط على أنواع المزروعات والنباتات، فمن امتزاجها بعضها مع بعض، والتعمل فيها بسبب تلك المكائن توجد أنواع المأكولات والمشروبات البهية واللذيذة كما لا يخفى.

هذا بالنسبة إلى نوع البشر ثم ان البشر لمّا لم يكن عقلهم كاملاً بحيث لا يأكلون إلا ما كان لهم نافعاً ولا يتركون إلاّ ما كان لهم، مع أن بقاءهم متوقف على هذا، أي أكل النافع وترك الضار، فلا محالة يتسببون في ذلك بالأسباب من إعمال العقل في ايجاد المآكل النافعة وترك الضار، وهم في ذلك مختلفون فربما اعتقد بعضهم أن هذا نافع له دون غيره بل هو ضار، وربما اعتقد غيره عكس ذلك، كما يتراءىٰ ذلك في تشخيص الاطباء منهم، فهم مع ما أنعم الله تعالى عليهم بالعقل متفاوتون في ذلك، وهذا بخلاف محمد وآله الطاهرين فإنهم عليهم السلام لما اعتدلت أمزجة نفوسهم غاية الاعتدال في الاستعداد وفاقت الأضداد فلا يوجد في أنفسهم الشريفة ما هو خلاف اعتدال الطبع، فلا محالة لا يأكلون ولا يشربون إلا ما وافق اعتدال مزاجهم، كلّ ذلك لكمال عقلهم ودركهم وعلمهم بالأشياء النافعة، وأنهم يأكلون في وقته، فإنه ربما كان الشيء نافعاً

إلا أنه إذا أكل في غير وقته، وعند فقدان شرائط كماله كان مضراً وهذا النحو من الأكل لا يصدر منهم عليهم السلام.

هذا مضافاً إلى خلو طبائعهم عليهم السلام من الأضداد المضرة في النفس فلا محالة لاتكون مواد الضرر موجودةً في ذواتهم، فهم لا محالة يستفيدون من الأطعمة والأشربة حقّ الاستفادة وإن كانت أقل القليل، هذا بالنسبة إلى أنفسهم الشريفة بل نقول: إنهم عليهم السلام لما كانوا مستغرقين في الإقبال إلى ربّ العباد شاركوا بأنفسهم الشريفة السبع الشداد لما علمت من اعتدالها ومفارقة أضدادها، فكان مقتضى نفوسهم وطبيعتها إنشاء الأسباب، والأشياء التي منها الأكل والشرب على مقتضى الحكمة الكائنة في أسرار الخليقة كما لايخفى.

بل نقول إن أسرار الخليقة في الحقيقة إنما كانت أسراراً محكمة مطابقة لمقتضى الحكمة، بحيث لايكون ماعمل على هيئتها وملاحظة نظمها إلا على أكمل وجه في الصنعة، وهذه كلها لاتكون إلا هيئات نفوسهم وأمثال صورهم، التي انعكست اظلتها في الخلائق، فكلّ عمل متقن حصل في الوجود، وكان منشأً للكمال والآثار الحسنة فهو منهم عليهم السلام ومن أشعة نفوسهم المكرمة بالتكريمات الإلهية، فسبحانَ من جعلهم خزائن غيبه، ومصادر فيضه وسيبه، ورزقنا الله متابعتهم، والاقتباس من أنوار معارفهم وما رزقهم الله تعالى في الدنيا والآخرة بمحمد وآله الطاهرين.

ومنها تكرمته تعالى إياهم بالعقل بأن دلّهم على علم الصنع في الأشياء على حسب قابليتهم وقد تقدّم بيان بعضها إلا أنه نشير هنا إلى بعض ماتركناه، وهو أنه تعالى قد هيّأ لهم الأسباب العلوية والسفلية، فعلّمهم كيفية إعمالها؛ لاستخراج مقتضياتها، فهم بقدر رسوخهم في ذلك العلم يزرعون بأنواع الزراعات، ويصنعون ويأكلون ويلبسون، ويبيعون على حسب المنافع ويشترون، ويعملون الأعمال من سائر الصناعات التي أشير اليها سابقاً، إلا أن المقصود هنا بيان أنه تعالى أطلعهم على ما غاب عنهم وما سيكون بعد اطلاعهم من علم الجفر والنحو والرمل وزجر

الطير والاوضاع الكونية من العلوم، قيل: ومن أعجبها العلوم الخمسة المكتوبة من الكيمياء والليمياء والريمياء والهيمياء والسيمياء التي أخفاها الحكماء أشد الخفاء، ولذا استعملوا في ذكرها الإشارات والرموز باللوازم البعيدة.

قيل: فعلم الكيمياء زراعة الذهب والفضة والجواهر النفيسة من الالماس والياقوت والزمرد والفيروزج واللؤلؤ وغير ذلك على وجه أعلى من المعدن وأصح. وعلم الليمياء على الطلسمات، ومنه ما يعمل بطبايع العقاقير، وعلم الريمياء علم الشعبذات، وعلم الهيمياء علم التسخيرات، وعلم السيمياء علم التخيلات وهو من التسخيرات، أو من الطلسمات والعقاقير، فيعملون بها الأمور العجيبة الخارقة للعادة، فمنها ما هو محرم، ومنها ماهو مباح، فهو تعالى أوقف عباده عليها لمصالحهم، فالجائزة منها لنفع المتقين، والحرام منها لانعدام أعداء الدين، فإنه ربما يقال بان المحرم منها وإن كان الواجب الاجتناب عنها إلا انه ربما يعمل لهلاك العدو المعادي للمؤمنين والأئمة عليهم السلام فإنه بعدما كانوا مهدوري الدم فلا إشكال في إفنائهم بهذا الأمر الخارق للعادة المحرم إعماله بالنسبة إلى المؤمنين، نعم تشخيص موارد المحرم من الجائز منها مشكل جدّاً، فتدبر.

ومنها: ماتقدم من اختراعهم بالعقل المراكب البرية والبحرية والجوية، كما هو المتراءى اليوم فإنها قد بلغت في الترقي إلى ما يبهر منه العقل كما لايخفى وقد تقدمت الإشارة إليه آنفاً.

وأما تكرمته تعالى إياه بالاسلام، فنقول: قد ثبت في علم الكلام أن الأحكام الإلهية والشرعية وإن عبر عنها بالتكليف إلا أنها في الواقع ألطاف منه تعالى لعباده؛ ليتوصلوا بها إلى الدرجات العالية والسعادة الأبدية، وحيث إن الإنسان كان قد خلقه الله تعالى مستعداً للترقي والكمال لما أودع فيه من فطرة التوحيد، قال تعالى: **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾**[1].

---

١ ـ الروم: ٣٠.

قال الصادقعليه السلام في بيانها بعدما سئل عن الفطرة، قال: «فطرهم على التوحيد»، كما في توحيد الصدوق.

وفي الكافي عن الصادقعليه السلام: أن الله خلق قلوب المؤمنين مطويّة على الإيمان، فإذا أراد استنارة ذلك نضحها بالحكمة وزرعها بالعلم، والزارع لها والقيّم عليها ربّ العالمين، إلا أنه لما كان الإنسان جاهلاً بكيفية العمل في مقام الاستفادة مما منحه الله تعالى من العقل والإمكانات الذاتية والإيمان الإجمالي والتوحيد الفطري، وأكرمه الله تعالى بالإسلام أي بالتكاليف الإلهية حيث إنها هي الطريق إلى الامدادات الربوبية، التي يلتزم بها العبد في مقام العبودية و الاتصاف بالمعارف الالهية.

وكيف كان فالله تعالى أكرمه بالتكليف على حسب ما اقتضته الحكمة الإلهية بحسب الأزمنة والأمكنة والقوابل، وما تقتضيه الظروف في العباد، ولذا قد يجعل له الحكم واقعياً، وقد يجعل له تقية حسب ما تقتضيه الحكمة الشرعية كما حقق في محله، وقد تقدم في أول الكتاب أن التكاليف تختلف على حسب اختلاف المكلفين، فما كان اقتضاء المحل منهم أعلى كان وصف التكليف أشرف وأدقّ، والعمل به أفضل كل ذلك تفضيلاً لما تقضيه الحكمة الإلهية في الشريعة الإسلامية، حيث إن الدين هو الإسلام المتضمن لبيان هذه الأحكام عن تلك الأحكام والعلل الشرعية الإلهية، وإنما سمي هذا الدين بالإسلام مع أن كل دين لله هو الإسلام؛ لشرفه على الأديان عنده تعالى فاشتق اسما له من التسليم والانقياد له تعالى ولأهل الحق، ومن السلامة عن كل ما يؤذي أولياءه وعن كل ما يوجب البعد عنه تعالى من المعاصي قال تعالى: ﴿ادخلوا في السلم كافّة﴾[1].

ثم إن هذه التكرمة بالإسلام مستلزمة لتكرمته تعالى إياهم بإيداع تلك

---

١ ـ البقرة: ٢٠٨.

الاستعدادات فيهم من العقل والإيمان والتوحيد الفطري، ولذا لا دليل على أنهم ما منحوا تلك الإمكانات الا بإخباره تعالى بلسان أنبيائه، فعليه فلا يقال: إن هذه الأمة استحقوا الإسلام لاستعداداتهم الذاتية فلا تكرمة له تعالى إياهم، بل إنما استحقوا بذاتهم وغيرهم من سائر الأمم لما كانوا ناقصين فاقدين لهذا الاستعداد، فلا محالة لم يستحقوا هذا الدين، وذلك لأن هذا الذاتي أيضاً مما منحه الله تعالى لهم، هذا مضافاً الى أنه تعالى له أن يمنعهم الإسلام وان كانوا مستحقين لذلك، لأن الخير بيده ومن ملكه فهو جواد إن أعطى وجواد إن منع، فإنه إن أعطى أعطى ماليس لهم، وإن منعهم منعهم ما لم يكن لهم، فليس للحق عليه تعالى تحكّم في الاستعطاء لأجل مقتضى ذاتهم، إذ لم يكونوا بذلك الذاتي مالكين لما عند الله حتى يستحقوا منه بالحتم، نعم لما كان من تكرمته سبحانه لمحمد وآله بأن جعل لهم عليهم السلام الإسلام الذي هو دينه وجعله فرعاً لهم عليهم السلام وغصناً من شجرة ولايتهم، وثمرة لشجرة دعوتهم، فكان الذي قبل هذه الدعوة هو شيعتهم، وذلك لما في ذاتهم من الميل إليهم، والى دعوتهم عليهم السلام لما خلقوا من فاضل طينتهم عليهم السلام.

ففي الحقيقة الإسلام الحقيقي انما هو الشيعة؛ لتلك المناسبة الذاتية الطينية، وأما غيرهم وإن كان في ذاتهم الاستعداد الإلهي للقبول، إلا أنهم لعدم قبول الولاية في مظانها الدنيوية وما قبلها عالم الارواح صاروامحرومين عن قبول الإسلام الحقيقي، كما لا يخفى وسيجئ شرحه إن شاء الله تعالى.

ثم إنه يستفاد مما تقدم من حديث عبدالسلام بن صالح الهروي من قوله عليه السلام فيما قال: وأمر الملائكة بالسجود تعظيماً لنا وإكراماً، الحديث.

إنه من أفضل تكرمة كرم بها الغنى المالك الجبار عباده الضعفاء حيث أسجد لهم الملائكة المقربين المستغرقين بخدمته، ومعلوم أن السجود أعظم مراتب الخضوع والذلة؛ ولذا ورد: أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا كان ساجداً وفي بعض الروايات: إذا كان ساجداً جائعاً.

ويستفاد منه أيضاً أن هذه التكرمة لآدم عليه السلام الجارية لأولاده أيضاً، إنما كان الباعث لها كون أشباحهم عليهم السلام في صلب آدم؛ ولذا قال صلى الله عليه وآله: وكان سجودهم لله عزوجل عبودية، ولآدم اكراماً وطاعة لكوننا في صلبه.

ففي الحقيقة يكون السجود إظهاراً لآثار ماكرم الله محمداً وآله الطاهرين.

أقول: ولعمري إن هذه تكرمة لمحمد وآله صلى الله عليه وآله ويالها من تكرمة لهم حيث جعلهم الله تعالى موصولين به تعالى، وممزوجين بما نسبه إليه تعالى من المسجودية، التي هي مختصة له تعالى وإن الداعي مختلف، حيث إن السجود لهم عليهم السلام اكرام وطاعة كما علمت، إلا أنه يستفاد منه أن طاعتهم طاعته تعالى، ضرورة أن السجود لهم سجود له تعالى في الحقيقة قصداً كما علمت، وأيضاً تكون معصيتهم معصيته، ورضاهم رضاه، وسخطهم سخطه.

وإليه يشير ما وري في التوحيد والكافي عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿فلما ءاسفونا انتقمنا منهم﴾[1]، قال: إن الله تبارك وتعالى لا يأسف كأسفنا، ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون، وهم مخلوقون مدبّرون، فجعل رضاهم لنفسه رضاً، وسخطهم لنفسه سخطاً، وذلك لانه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه، فلذلك صاروا كذلك وليس أن يصل إلى الله كما يصل إلى خلقه، الحديث.

أقول: هذا بعض المعاني المذكورة للمكرمين أى الممدوحين منه تعالى بالتكرمات الظاهرية، ولعلها كلها تشير إلى التكرمة الباطنية لهم خاصة عليهم السلام و هي أنهم عليهم السلام المكرّمون أى المطهّرون بآية التطهير والمنزهون عما تقع عليه عبارات الناس.

كما روى عن علي عليه السلام في خطبة قوله عليه السلام: ظاهري امامة وباطني غيب لا يدرك وفي خطبته أيضاً: «إنا الذي، لا يقع عليه اسم ولا صفة».

---

١ ـ الزخرف: ٥٥.

أي من المخلوقين لعدم دركهم حقيقته عليه السلام فكيف لهم التسمية أو التوصيف؟! وقصارى الكلام أن الثناء على الله تعالى إنما هو بأسمائه وهم عليهم السلام أسماؤه وكلّ شيء يسبح الله بأسماء كما في زيارتهم في يوم الجمعة وهم عليهم السلام أسماؤه، وإنما يسبح الله تعالى الخلق كل على قدر معرفته بالأسماء وبقدر إحاطته بها.

ومن المعلوم أنهم مختلفون في ذلك، ولا يسبح الله في الحقيقة إلاّ هم عليهم السلام ولذا قال تعالى: **﴿سبحان الله عما يصفون * إلا عباد الله المخلصين﴾**[1].

المفسر بهم عليهم السلام وأنهم أكمل المخلصين كما لا يخفى، فهم عليهم السلام العارفون به تعالى، وهم معارفه ومحال معارفه، ولا يعرف الله إلاّ بسبيل معرفتهم كما علمته سابقاً، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين الأطيبين.

قوله عليه السلام: المقرّبون

إِعلم: أن القرب إما منه تعالى للعبد، وإما قرب العبد إلى الله تعالى.

أمّا الأوّل: وإليه أشير في قوله عليه السلام في تفسير قوله تعالى: **﴿الرحمن على العرش استوى﴾**[2].

ففي توحيد الصدوق عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: سألتُ أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل: **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** قال: استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب من شيء لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب، استوى من كلّ شيء.

فقوله عليه السلام: فليس شيء أقرب إليه من شيء، يفسر قوله عليه السلام: لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب، أي ما يتصور كونه بعيداً ليس بالنسبة إليه تعالى بعيداً، وإن فرض كونه قريباً إليه، ليس هو أقرب إليه تعالى من قريب آخر، بل الكلّ متساوون

---

١ ـ الصافات: ١٠٩.

٢ ـ سورة طه: ٥.

في أنه تعالى استوى منه؛ ولذا قال عليه السلام بعد هذا التفصيل استوى من كلّ شيء، أي الكلّ متساوون في هذا الاستواء، والمراد من استوائه تعالى على الكلّ المساواة في النسبة، أي أنه تعالى قيّوم لكلّ شيء بالمساواة، ومستو عليه بالعلم والقدرة والغلبة، والأخذ بالناصية بنسبة هذا بحسب الظاهر، والله العالم.

ويمكن أن يراد من الاستواء الاستيلاء عليه، أو الاستقامة عليه كما قيل، فهذا الاستيلاء والاستواء منه تعالى لكل شيء استلزم قرب المستولي عليه إليه تعالى بالملازمة العقلية، إلا أن هذا القرب ليس قرباً يطلبه اولياء الله تعالى، فليس هذا فضلاً، ولا فضيلة لأحد؛ لأن أنقص خلق الله وشرهم له هذا القرب من شؤون عظمته تعالى وقاهريته بالنسبة إلى الخلق، فهو من أوصافه الجلالية كما لا يخفى.

وإليه يشير ما في دعاء الجوشن الكبير من قوله عليه السلام: «يامن هو في علّوه قريب» قال المحقق العارف السبزواري رحمه الله: يعني أنه في عين كونه في مقام غيب غيبوبة قريب إلى أدنى الأداني، وعرشه محيط بالفرش لا كالعالي الجسماني حيث يخلو منه الداني.

نعم هو قريب لا بالمقارنة كمقارنة الشيء مع الشيء بل قربه قرب الشيء مع الفيْ،، والسرّ في هذا القرب أنه لما كانت الموجودات فقراء في ذواتها إليه تعالى، ومتقوّمات في وجوداتها بقيوميته تعالى، ومنطويات بظهوراتها في ظهوره، بل هي نفس الفقر والظهور، كان قربه تعالى أعلى القربات غير مشوب بشيء من أنحاء البعد، فليس له مكان وزمان حتى يتقرب من شيء بحسبها فهو قريب إلى كل شيء بلا كيفية ثابتة في المتقاربين في المخلوقين.

ولعله إليه يشير قوله تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[1].

فإن الوريد عرق متفرق في البدن، فيه مجاري الدم، والمعنى والله العالم أن حيوة الانسان بذلك الوريد، بل هي هو من شدة القرب والاتحاد، فهو تعالى أقرب إلىٰ

---

١ ـ سورة ق: ١٦.

حياته التي هي وجوده من حبل الوريد، وإضافة الحبل إليه بيانيّة. وهذا تقريب منه تعالى للمقصود، أعني قربه به بجملة ساذجة يسهل تلقيها لعامة الأفهام، وإلا فأمر قربه تعالى إلى الإنسان أعظم من ذلك، ومن أن يوصف ولكونه دقيقاً يشقّ تصويره على أكثر الأفهام، بيّنه سبحانه في كلامه بنحو آخر وهو قوله تعالى ﴿**أن الله يحول بين المرء وقلبه**﴾[1]، فهذا كمال قربه من جميع الجهات، بلا كيفية مكانية زمانية.

واما الثاني: أعني قرب العبد إليه تعالى، فهو على **قسمين**:

القسم الأول: الاعتباري، بمعنى أن العبد المتقرب إليه تعالى يكون مورد نظره تعالى؛ بأن يرحمه، ويستجيب دعاءه ويرزقه الرزق الحسن، ويدخله الجنة وينعمه بنعمها وهكذا.

وبعبارة أخرى: يكون محترماً عنده تعالى، وهذا التقرب يحصل بإتيان الأعمال الصالحة من الوظائف الشرعية مطلقاً، إذا كانت صادرة عن إخلاص، وقد دلّت عليه كثير من الأدلة على ثواب الاعمال كما لا يخفى.

وهذا القرب يكون للمؤمن ولأولياء الله تعالى أيضاً، إلا أنه ليس المراد من قوله عليه السلام: والمقرّبون، بل المراد منه هو القسم الثاني من القرب بماله من المعنى الأعلى.

القسم الثاني: وحاصله: أن المستفاد من الأحاديث من مثل قوله عليه السلام: «وخلقه الخلق حجاب بينه وبينهم»، أن نفس الخلق هو الحجاب، وحقيقة الخلق هو الحدّ الموجب لخفاء الحق، وذلك الحدّ إما بالجهل بالمرّة أو ببعض مراتبه الكثيرة، أو بالعجز بالمرة أو ببعض مراتبه الكثيرة، أو بالظلمة بالمرة أو ببعض مراتبها الكثيرة، أو بالشك بتمامه أو ببعض مراتبه الكثيرة، أو بالغفلة بتمامها أو ببعض مراتبها الكثيرة فإنها من أعظم الحجب، بل هي الحجاب غالباً للكل، ولذا قيل إن الغفلة عنه تعالى هو المانع لمشاهدته تعالى بالقلب، وإلا فلو ذهل الإنسان عن الحدود الخلقية وانغمس في التوجه إليه تعالى بالإعراض عن حدوده وهوى نفسه، فربما يتجلى لقلبه شطر

---

١ ـ الأنفال: ٢٤.

الحق، فكلما كان التوجه أدوم وأشدّ كان التجلي أزيد كما لا يخفى.

فالخلق هو الحجاب المنقسم بهذه الأنواع المنقسمة إلى افراد كثيرة في كل نوع منها، فالوجود الحقيقي لاحدّ له أصلاً ولا رسم ولا نعت، فإذا وجد شيء بـايجاده تعالى وجد بالحدّ المفسر بما ذكر، وهذه الحدود كثيرة جدّاً.

ففي الحديث: «إن بين الله تعالى وبين خلقه سبعين ألف حجاب من نور وظلمة» فكلّ موجود مساوق للحدّ الذي هو الحجاب، فـإذا تخلق الإنسان بأخلاق الله، ووصل إلى مرتبة الفناء في الله تعالى، الذي علمت أنه عبارة عن مشاهدة كلّ كمال في وجوده تعالى، وهـذا الوصل له مراتب حسب السالكين، فالواصل الكامل هو المتقرب إليه بالقرب المعنوي، ثم لا يخفى أنه ليس المراد منه القرب إلى ذاته تعالى بالتماس والحلول والآحاد كما توهمه بعض المتصوفة (لعنهم الله) بل المراد هو ظهور حقائق أسمائه الجلالية والجمالية لدى العارف به تعالى بحسب تجرّده عن الحدود الخلقية، والتخلق بالأخلاق الإلهية، ثم إن هاهنا أمثلة للقوم في بيان تقريب هذا القرب المعنوي إلى الذهن، فنحن نذكرها، ثم نعقبها الأحاديث الوارده الدالة على أنهم عليهم السلام أحسن مصاديق المقربين إليه تعالى، فنقول عليه التوكل.

قالوا: مثال القرب «ولله المثل الأعلى» المرآة في استضاءتها من الشمس، فإنها اقرب إلى الشمس من الأرض معنىً وقابليةً، فإن الشمس تشرق عليها وعلى الأرض بنسق واحد ونسبة واحدة، إلا أن المرآة لشدّة قابليتها لأجل صفائها الذاتي المفارق بها عن الأرض يكون استشراقها من الشمس واتصافها من نور الشمس أشدّ من غيره من الأرض، أو من ساير ما طلعت عليه الشمس كالأجسام الرقيقة، فلهذه القابلية الشديدة إذا نظرت إليها حينئذ تراها كالشمس لافرق بين المرآة وبين الشمس في الإضاءة، إلا أن إضاءة المرآة من الشمس، والمرآة كالأرض في أن الشمس لم تشرق عليها أكثر من إشراقها على الأرض، ولكن لشدّة قربها المعنوي

إلى الشمس كانت كالشمس، وإن كانت على الأرض وإلى هذا القرب يشير ما في دعاء الحجة عجل الله فرجه الوارد في شهر رجب من قوله عليه السلام: ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك.

فقوله عليه السلام: لافرق بينك وبينها، نظير قولك: إن المرآة لافرق بينها وبين نور الشمس إلا أنها مستضاءة من الشمس أى لا وجود لها بنفسها مستقلاً من حيث الاستشراق، بل هي فقر مثل ما ذكر في الدعاء من قوله: إلا أنهم عبادك.

وإليه أيضاً يشير ما روي عن الصادق عليه السلام على ما ذكره كثير من العلماء في كتبهم العرفانية من قوله عليه السلام: «لنا مع الله حالات، نحن فيها هو، وهو نحن، ونحن نحن، وهوهو».

فنقول: إنه يمكن درك ما قاله عليه السلام من المثال المذكور، فإن المرآة حين أشرقت عليها الشمس، لها أن تقول بلسان حالها، لي مع الشمس حالات، أى حينما أشرقت عليها، فإنها حين لم تشرق عليها تكون كسائر الفلزات، إلا أنها حين الإشراق لها أن تقول: أنا الشمس، والشمس أنا، كل ذلك بلحاظ الإشراق فقوله: أنا، حين الإشراق يراد منه المرآة المشرقة لاغيرها، فهي حينئذ الشمس والشمس هي، ولها حينئذ أن تقول أنا أنا، أى بلحاظ ذاتي مع قطع النظر عن الإشراق أنا أنا أي أنا الفلز المظلم، ولها حينئذ أن تقول: هي هي أي الشمس هي الشمس، أي حين الإشراق الشمس شمس لا أن الشمس حينئذ مرآة، بل هي هي أي مع قطع النظر عن المرآة هي هي، فليس هناك حلول ولا اتحاد بل ظهور في مظاهر المرآة، وقد علمت أن الموجودات كلّ بحسبه لها نحومن الاستضاءة من أنوار جماله وجلاله، وعلمه وقدرته، إلا أن كل واحد بحسبه وحدّه إلا محمد وآله الطاهرون فإنهم لكمال قربهم المعنوي يصحّ لهم هذا القول دون غيرهم.

ومثال آخر: الحديدة المحماة من النار فانها حينئذ كالنار في فعلها، ولا فرق بينها وبينها في الإحراق، إلا أن النار تحرق بفعلها، والحديدة تحرق بفعل النار الظاهرة

على الحديدة. وذلك لمجاورتها وقربها من النار بحيث إذا نظرت إلى الحديدة لم تر إلا حمرة النار. فالعارف الواصل إذا كان قربه إليه تعالى كقرب الحديدة إلى النار، وكان لذاته قابلية كقابلية الحديدة في قبولها لحرارة النار، فلا محالة تؤثر فيه الآثار الربوبية من العلم والقدرة والنورانية و الفعل، فيكون فعله تعالى فعله، وبالعكس مع حفظ مقام ربوبيته تعالى ومقام عبودية العبد فالعبد حينئذٍ إذا أعمل قدرة في الموجودات كقدرة الله تعالى يكون عمله بفعله تعالى، نظير ما علمت من أن فعل الحديدة من الإحراق بفعل النار الظاهر عليها وكذلك هذا العبد، إذا علمت هذا فنقول: إن الأئمة عليهم السلام هم المقربون بهذا النحومن القرب.

بيانه: أنهم عليهم السلام لصفاء روحهم عليهم السلام حيث إنهم خلقوا من نور عظمته كما علمت مراراً وأنّهم المطهرون من كل شك وحجاب ورذيلة، كما دلّت عليها آية التطهير النازلة فيهم عليهم السلام وستأتي أيضاً الأخبار الدالة على هذا أيضاً، فلا محالة يكون قربهم الى ربهم بمثابة من الشدة بحيث صاروا مخلصين (بالفتح) ومنزهين عن غيره تعالى فعلاً وصفةً، وليس لهم إلتفات إلى غيره أبداً، فقد خلصت طاعتهم له تعالى وانقطاعهم اليه تعالى بحيث غابوا في حضوره عن أنفسهم، وهذا الحال هو حقيقة العبودية التي كنهها الربوبية، فهم حينئذ كالحديدة المحماة التي ليس فيها إلا أثر النار فقط، فلا محالة حينئذ قد ظهر عليهم عليهم السلام فعله تعالى، كما ظهر على الحديدة فعل النار، فكان فعلهم فعل الله، وإلى هذا القرب بهذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[1]، فحينئذ إذا كان فعلهم فعل الله تعالى، وفعل الله تعالى ظاهر منهم فيكون الإقبال إليهم عليهم السلام إقبالاً إليه تعالى واطاعةً له قال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[2]، ومعصيتهم معصية له تعالى ورضاهم رضا الله وسخطهم سخطه تعالى، والأخذ عنهم هو الأخذ عن الله تعالى، والرّد عليهم ردّ

---

١ ـ الأنفال: ١٧.

٢ ـ النساء: ٨٠.

عليه تعالى وهكذا كما دلّت عليه الأخبار، وسيأتي في الشرح لقوله عليه السلام: «من أحبكم فقد أحب» الخ ما يزيد ذلك وضوحاً.

ثم إنه قد تقدم أن الأئمة عليهم السلام هم مقام العندية لله تعالى المشار إليه في قوله تعالى: **﴿إن الذين عند ربّك لا يستكبرون عن عبادته..﴾**[1] **﴿.. ومَن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾**[2]، وقد تقدم حديث مفضل بن عمر في بيان قربهم عليهم السلام عنده تعالى المشار إليه بقوله **﴿عند ربّك﴾** أو **﴿عنده﴾** في الآية الثانية، فظهر ان هذا القرب يختصّ بهم عليهم السلام ولا يشاركهم أحد حتى الأنبياء والملائكة المقربون، وإن كان لكلّ منهم قرب إليه تعالى يخصّه إلا أنه دون القرب الذي يكون لهم عليهم السلام وإلى هذا القرب المعنوي المختصّ بهم عليهم السلام يشير ماورد من الأحاديث في شأنهم، منها:

ما في المحكي عن كنز الفوائد عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: **﴿فأمّا إن كان من المقرَّبين﴾** قال: هذا في أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام.

وفي غاية المرام[3] للسيد البحراني رحمه الله بإسناده عن الباقر عليه السلام.. إلى أن قال: قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: «كان الله ولا شيء غيره، ولا معلوم ولا مجهول، فأوّل ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمداً وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلّة خضراء بين يديه لاسماء ولا أرض ولامكان، ولا ليل و لانهار، ولا شمس ولا قمر ففصل نورنا من نور ربّنا كشعاع الشمس من الشمس نسبّح الله ونقدّسه.. إلى أن قال عليه السلام عنه تعالى: وكل شيء هالك إلا وجهي وأنتم وجهي، لا تبيدون ولا تهلكون، ولا يهلك ولا يبيد من تولّاكم، ومن استقبلني بغيركم فقد ضلّ وهوى..

إلى أن قال أبو جعفر عليه السلام: فنحن أول خلق ابتدأ الله، وأول خلق عبد الله

---

١ ـ الأعراف: ٢٠٦.

٢ ـ الأنبياء: ١٩.

٣ ـ غاية المرام ص١٠٢.

وسبحه، ونحن سبب خلق الخلق، وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميين، فبنا عرف الله، وبنا وحّد الله، وبنا عبد الله، وبنا أكرم الله من أكرم من جميع خلقه، الحديث بطوله في ص ١٠٢ فراجعه.

فقولهعليه السلام: ففصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس، وقولهعليه السلام: «إنهم تعالى خلقهم من نور عظمته» يشير ويدل على هذا القرب المعنوي الذي ذكرناه كما لا يخفى.

وفي تفسير نور الثقلين[1]، عن أمالي شيخ الطائفةرحمه الله بإسناده إلىٰ ابن عباس قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «لما عرج بي إلى السماء ودنوت من ربي عزوجل حتى كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى، قال لي: يامحمد من تحب من الخلق؟ قلت: يارب علياً قال: التفت يا محمد، فالتفت عن يساري فإذا علي بن أبي طالبعليه السلام».

قولهصلى الله عليه وآله: «حتى كان بيني وبينه.. الخ يشير إلى ذلك القرب، الذي لم يكن لأحد حتى للملائكة المقربين كما صرحت به الأحاديث».

ثم إن هذا القرب وماله من رؤية الفؤاد ما رأى المشار إليه بقوله تعالى: **﴿ما كذَب الفؤاد ما رأى﴾**[2] يراد منه المشاهدة العينية للفؤاد، وهي نوع من الإدراك الشهودي للإنسان وراء الإدراك بأحد الحواس الظاهرة، أو بالحواس الباطنة من التخيّل والتفكير، وذلك كما أننا نشاهد من أنفسنا أننا نرى مع أنه ليست هذه المشاهدة العيانية إبصاراً بالبصر ولا معلوماً بالفكر، وكذا نرى من أنفسنا أننا نسمع ونشمّ ونذوق ونلمس، أننا نتخيل ونتفكر، وليست هذه الرؤية ببصر، أو من الحواس الظاهرة أو الباطنة فإنا كما نشاهد مدركات كلّ واحدة من هذه القوى بنفس تلك القوة، كذلك نشاهد إدراك كلّ منها لمدركها، وليست هذه المشاهدة بنفس تلك القوة، بل بأنفسنا المعبّرة عنها بالفؤاد.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ١٥٨.

٢ ـ النجم : ١١.

وإنما ذكرنا هذا البيان دفعاً لما توهم من تحقيق الرؤية منه عليه تعالى بالبصر، بل المراد هو درك الفؤاد بنحو ما ذكرنا المعبر عنه برؤية الفؤاد، وهذه الرؤية قد علمت أنها تكون لنا أيضاً، ولم تكن رؤية البصر قطعاً كما لا يخفى.

وهناك أحاديث كثيرة واردة في بيان معراجه صلى الله عليه وآله وكيفيته وحقيقته، تدل على قربه صلى الله عليه وآله وقربهم منه تعالى بحيث لا يشاركهم فيه أحد، فراجع.

ويشير إلى ما ذكرنا ما رواه بعضهم عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إن لله تعالى شراباً لأوليائه إذا شربوا سكروا، وإذا سكروا طابوا، وإذا طابوا ذابوا، وإذا ذابوا أخلصوا، وإذا أخلصوا طلبوا، وإذا طلبوا وجدوا، وإذا وجدوا وصلوا، وإذا وصلوا اتصلوا، وإذا اتصلوا لافرق بينهم وبين حبيبهم.

قيل: قوله عليه السلام: «إن لله تعالى شراباً» يشير إلى قوله تعالى: **﴿وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً﴾**[1].

وقوله عليه السلام: «وإذا اتصلوا لافرق بينهم وبين حبيبهم» يشير إلى ما قلناه من القرب المعنوي، الذي يكون فعل المحبوب ظاهراً في المحب بحيث ينفي المحبّ عن نفسه.

قيل: وهذا شراب المحبّة بكأس الشوق والإرادة في عالم الأرواح قبل الأجساد، حتى لا يبقى بينهم وبينه مغايرة، ولا من انّيتهم بقيّة، ويكون المحّبة والمحب والمحبوب شيئاً واحداً كما قيل: «إذا تمّ الفقر فهو الله» والمراد بهذا الوحدة ما أشرنا إليه في الحديدة المحماة التي ليس فيها شيء إلا أثر النار.

قيل: وليس هذا هو السكر المذموم أعني الموجب للمحبّ والسالك الهتكَ والشطحَ، بل هو السكر المحمود المخصوص بالكمال المكمّل الموجب للمشاهدة والذوق، والتحيّر في جمال المعشوق المعبّر عنه بالسير في الله دون السير لله وبالله

---

١ ـ الإنسان: ٢١.

فإنهما منقطعان غير باقيين، وهذا بخلاف الأول فإنه باق ومصداق هؤلاء هم المحبوبون من الأنبياء والأولياء والتابعين من شيعتهم الخلّص المكمّل على قدم الصدق والإخلاص التام، فإنهم وصلوا إلى الله تعالى من غير عمل سابق وسبب لاحق، بل بمحض العناية وكمال المحبة كما تقدم من قول الرضاعليه السلام: «كل ذلك بلا طلب ولا اكتساب بل لطف من المفضل الوهاب»، فراجع.

وهؤلاء هم الأبرار المقربون، الذين شربوا من شراب المحّبة والشوق بكأس العشق والعناية والإرادة الذاتية قبل أن يخلق العالم وما فيه، وتقدم أنه إلى هذا الشراب أشير في قوله تعالى: ﴿**وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً**﴾[1].

قوله عليه السلام: المتّقون

أقول: الكلام في شرح هذه الكلمة يقع في أمور:

في تعريف التقوى.

في مراتب التقوى.

في آثارها.

في مصاديق المتّقين.

الأول: في تعريف التقوىٰ.

قال في المجمع: والتقوى فَعلى كنجوى، والأصل فيه وقوى من وقيته منعته،قلبت الواو تاء.

قال: والتقوى في الكتاب العزيز جاءت لمعان: الخشية والهيبة، والطاعة والعبادة، وتنزيه القلوب عن الذنوب، وهذه ـ كما قيل ـ هي الحقيقة في التقوى دون الأولين، هذا في أصل التقوى.

---

١ ـ الإنسان: ٢١.

وأما التقوى المشار إليها في قوله تعالى: **﴿اتّقوا الله حقَّ تقاته﴾**[1] وأصل تقاة وقاة، فهو ما رواه الصدوق في معاني الأخبار عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى **﴿اتقوا الله حقّ تقاته﴾** قال: يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

وقيل: حقّ التقوى اتقاء جميع المعاصي.

وقيل: إنه المجاهدة في الله وأن لا تأخذه في الله لومة لائم، وأن يقام له بالقسط في الخوف والامن.

أقول: قد يقال: إن حقّ التقوى منسوخ بقوله تعالى: **﴿واتقوا الله ما استطعتم﴾** وردّ بوجوه وبيانه موكول في التفسير فراجعه.

وفي السفينة: قال المجلسي: التقوى من الوقاية، وهي في اللغة فرط الصيانة، وفي العرف صيانة النفس عما يضرها في الآخرة، وقصرها على ما ينفعها فيها ولها ثلاث مراتب:

الأولى: وقاية النفس عن العذاب المخلّد بتصحيح العقائد الإيمانية.

والثانية: التجنّب عن كلّ ما يؤثم من فعل أو ترك، وهو المعروف عند أهل الشرع.

والثالثة: التوقي عن كلّ ما يشغل القلب عن الحقّ، وهذه درجة الخواص، بل خاص الخاص.

وحكي عن بعض الناسكين أنه قال له رجل: صف لنا التقوى، فقال: إذا دخلت أرضاً فيها شوك ماكنت تعمل؟ فقال: أتوقى واتحرّز، قال: فافعل في الدنيا كذلك فهي التقوى.

وفيه سئل الصادق عليه السلام عن تفسير التقوى، فقال: أن لا يفقدك حيث أمرك، ولا

---

١ ـ آل عمران: ١٠٢.

يراك حيث نهاك.

وأحسن حديث في تعريف التقوى وبيان أقسامها ما في مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام: التقوى على **ثلاثة أوجه:**

ـ تقوى بالله في الله وهو: ترك الحلال فضلاً عن الشبهة، وهو تقوى خاص الخاص.

ـ وتقوى من الله وهو: ترك الشبهات فضلاً عن الحرام، وهو تقوى الخاص.

ـ وتقوى من خوف النار والعقاب وهو: ترك الحرام وهو تقوى العام.

ومثل التقوى كماء يجري في نهر، ومثل هذه الطبقات الثلاث في معنى التقوى كأشجار مغروسة على النهر من كلّ لون وجنس، وكل شجرة منها تمتصّ الماء من ذلك النهر على قدر جوهره وطعمه ولطافته وكثافته، ثم منافع الخلق من تلك الاشجار والثمار على قدرها وقيمتها.

قال تعالى: **﴿صنوان وغيرُ صنوان يُسقى بماء واحد ونُفضِّلُ بعضَها على بعض في الأكل﴾**[1].

فالتقوى للطاعات كالماء للأشجار، ومثل الاشجار والاثمار في لونها وطعمها مثل مقادير الايمان، فمن كان اعلى درجة في ايمان واصفى جواهراً بالروح كان أتقى، ومن كان أتقى كانت عبادته أخلص وأطهر، ومن كان كذلك كان من الله أقرب، وكلّ عبادة غير موسسة على التقوى فهي هباء منثور.

قال الله تعالى: **﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم﴾**[2].

وتفسير التقوى ترك ماليس بأخذه بأس حذراً عما به بأس، وهو في الحقيقة طاعة وذكر بلا نسيان، وعلم بلا جهل، مقبول غير مردود.

---

١ ـ الرعد : ٤.

٢ ـ التوبة : ١٠٩.

وقال بعضهم: تقوى المقربين من غفلة لمحة عن القرب مع الله تعالى، وتقدم في شرح قوله عليه السلام: «وأعلام التقى»، معنى التقوى التي هم عليهم السلام أهلها و يأمرون بها، فراجعه.

هذا بعض الكلام في تعريف التقوى، وتفسيره بحسب اللغة والأحاديث وكلمات القوم.

الثاني: في مراتب التقوىٰ.

فعلم من قول الصادق عليه السلام في تفسير حق التقوى: أن التقوى إما في القلب وهو أن يذكر الله ولا ينسى، وإما في الجوارح فهو أن يطاع ولا يعصى واما في اللسان وهو أن يشكر على نعمائه ولا يكفر ولا يبعد أن يقال: إن مراتب التقوى تدور مدار مراتب الايمان، ويدل على ذلك:

ما في البحار عن مشكاة الأنوار نقلاً عن المحاسن، قال أمير المؤمنين عليه السلام :التقوى سنخ الايمان، إلى ان قال: وقال أبو عبدالله عليه السلام: «لا يغرنك بكاؤهم انما التقوى في القلب».

أقول: كما أن الايمان في القلب لقوله عليه السلام: «الإيمان ما وقّر به القلب»، و قد تقدم في شرح قوله عليه السلام: «وأبواب الايمان، بيان الايمان وأصله ومراتبه»، فراجعه.

نعم، التقوى الكامل انما هو فوق الإيمان.

ففي الوافي عن الكافي عن الوشا عن أبي الحسن عليه السلام قال سمعته يقول: «الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الايمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وما قسّم في الناس شيء أقل من اليقين».

هذا وقد علمت من قوله عليه السلام في مصباح الشريعة: مراتب التقوى الثلاث حسب اختلاف المتقين، فلكلّ طائفة مرتبة من التقوى تخصّها، والله العالم.

الثالث: في آثارها.

فقد دلت أحاديث كثيرة على آثار التقوى وعلاماتها، بل جميع علامات الايمان

علائم التقوى أيضاً؛ لأن التقوى سنخ الإيمان وفرعه كما لا يخفى، ونحن نذكر نبذاً منها للتبرك بها، فنقول:

في البحار عن تفسير العياشي وروضة الواعظين عن أبي بصير عن جعفر عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وقلة الفخر والبخل، وصلة الأرحام، ورحمة الضعفاء، وقلة المواتاة للنساء، وبذل المعروف، وحسن الخلق، وسعة الحلم، واتباع العلم فيما يقرّب إلى الله، طوبى لهم وحسن مآب، وطوبىٰ شجرة في الجنة أصلها في دار رسول الله، فليس من مؤمن إلا وفي داره غصن من أغصانها لا ينوي في قلبه شيئاً إلاّ أتاه ذلك الغصن به، ولو أن راكباً مجداً سار في ظلّها مائة عام لم يخرج منها، ولو أن غراباً طار من أصلها ما بلغ اعلاها حتّى يبيض هرماً ألا ففي هذا فارغبوا إن للمؤمن ـ في نفسه شغلاً ، والناس منه في راحة إذا جنّ عليه الليل فرش وجهه وسجد لله تعالىٰ ذكره بمكارم بدنه، ويناجي الذي خلقه في فكاك رقبته ألا فهكذا فكونوا.

الرابع: في بيان مصاديق المتقين.

مما تقدم ظهرت طبقات المتقين ومراتبهم من الخلق، فالمحسنون منهم هم الذين جمعوا المراتب الثلاث التي أشير اليها في حديث مصباح الشريعة، وقاموا بكل ما يراد فيها، وهم أهل محبة الله، وهم على مراتب يتفاضلون فيها على قدر معرفتهم وعلمهم وأخلاقهم و صدقهم إلى أن تنتهي بهم المراتب إلى مقام؛ **الولاية** المطلقة في الإمكان وعالم الخلق فيفردون حينئذ عن الخلق أجمعين، وهذه الطبقة أعلاهم وأكملهم محمد وآله الطاهرون وينحطّ ما سواه عنهم فهم المتقون على الحقيقة، وما سواهم فهم في التقى اتباعهم، وهم عليهم السلام احسن مصداق لقوله تعالى: ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طَعِموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا**

الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾[1] وربما يقال: إنّ التقوى المذكورة في الآية المباركة ثلاث مرات تشير كل واحدة منها إلى واحدة من المراتب المذكورة في حديث مصباح الشريعة على الترتيب، والله العالم.

ويعجبني أن أذكر نبذاً من الأحاديث الواردة في تقواهم عليهم السلام خصوصاً في أمير المؤمنين عليه السلام.

في البحار نقلاً عن المحاسن باسناده عن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أقول: أي لعلي بن أبي طالب عليه السلام إن الله زيّنك بزينة لم تزيّن العباد بشئ أحبّ إلى الله منها ولا أبلغ عنده منها الزهد في الدنيا، وإن الله قد أعطاك ذلك، جعل الدنيا لا تنال منك شيئاً، وجعل لك من ذلك سيماء تعرف بها.

وفي كتابه لعثمان بن حنيف، وهو عامله على البصرة ما يشعر بزهده عليه السلام وتقواه: ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطِمريه، ومن طعمه بقرصيه ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد..

وفي البحار أيضاً، وروى أبو عبدالله بن حمومة البصري بإسناده عن سالم الحجدري قال: شهدت علي بن أبي طالب عليه السلام أتى بمال عند المساء، فقال: اقتسموا هذا المال. فقالوا: قد أمسينا يا أمير المؤمنين، فأخّره إلى غد، فقال لهم: تقبلون لي أن أعيش إلى غد؟ قالوا: ماذا بأيدينا، فقال:« لا تؤخروه حتى تقسموا

وفيه: الباقر عليه السلام في خبر: «ولقد ولي خمس سنين وما وضع آجرة ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع ولا أورث بيضاء ولا حمراء».

وفيه، عن المحاسن عن زيد بن الحسن، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «كان أمير المؤمنين عليه السلام أشبه الناس طعمة برسول الله صلى الله عليه وآله يأكل الخبز والخلّ والزيت ويطعم الناس الخبز واللحم».

---

١ ـ المائدة: ٩٣.

وفيه، عن مناقب ابن شهر آشوب، الباقرعليه السلام: «أنه ورد عليه أمران كلاهما لله رضاً، أخذ بأشد هما على بدنه».

وقال معاوية لضرار بن ضمرة: صف لي عليّاً، قال: «كان والله صوامّاً بالنهار، قوامّاً بالليل، يحب من اللباس أخشنه، ومن الطعام أجشبه، وكان يجلس فينا، ويبتدِئ إذا سكتنا، ويجيب إذا سألنا، يقسم بالسوية، ويعدل في الرعية، لا يخاف الضعيف من جوره، ولا يطمع القوي في ميله والله لقد رأيته ليلة من الليالي، وقد أسبل الظلام سدوله، وغارت نجومه، وهو يتململ في المحراب تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ولقد رأيته مسيلاً للدموع على خده، قابضاً على لحيته، يخاطب دنياه فيقول: «يا دنيا أبي تشوقت، ولي تعرضت لا حان حينك، فقد ابنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعيشك قصير، وخطرك يسير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق».

أقول: فإن شئت أكثر من هذا فراجع باب زهده وتقواه وورعه عليه السلام في البحار، ولعمري إن الكتب حتى من المخالفين مشحونة من ذلك.

قوله عليه السلام: الصّادقون

قيل: إن الصدق عبارة عن حدّ الشيء، وواقعه وتقرّره ووجوده في صقعه بحدوده وقيوده المعرّفة له، وحينئذ فالمراد بالصادقين في قوله تعالى: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾[1] الذين هم الحاملون والواجدون لحقائق الأسماء الحسنى الإلهية وحقيقة العبودية، التي كنهها الربوبية بالجدّ والواقع والحقيقة، ويلزمه الصدق في القول بان يطابق ما في الواقع.

وبعبارة أخرى: الصدق اسم لحقيقة الشيء بعينه حصولاً ووجوداً، يقال: رح

---

١ ـ التوبة: ١١٩.

صدوق أي صلب قوي حصل له كل ما امكن لها حتى تكون رمحاً بالحقيقة فكل حقيقة وجد بالفعل كل ما أمكن لها حتى تكون تلك الحقيقة تامة كاملة فهو الصدق، فإذا تحقق هذا المعنى من الصدق في أحد يلزمه صدق القصد في قيامه بالدين وتحصيل المعارف، فيتلافى كل تفريط، ويتدارك كلّ فائت، ويعمر كل خراب في نفسه من العقائد والصفات والأفعال، وحينئذٍ لا تتمّ الحياة في الدنيا إلاّ للحق، وحيث إنه حينئذٍ متصف بالصدق وطلب له، فلا محالة يرى من نفسه أثر النقصان، ولا يلتفت حينئذٍ إلاّ إلى ترقية نفسه، فلا يشغل عن الخدمة له تعالى، ولا عن الجد في العمل لما ذاق من اللذة في طاعة معبوده تعالى.

وكيف كان فإذا رسخ الصدق في النية والعزم والأفعال والأقوال والصفات والعقائد، ومن المعلوم أن كل واحد من هذه له مراتب، ومن كان في جميعها متصفاً بالصدق فهو صديق، وأحسن كلام في بيان حقيقة الصدق وآثاره ما في مصباح الشريعة: قال الصادقعليه السلام: الصدق نور متشعشع في عالمه، كالشمس يستضيء بها كلّ شيء تغشاها من غير نقصان يقع على معناها، والصادق حقّاً هو الذي يصدق كل كاذب بحقيقة صدق مالديه، وهو المعنى الذي لا يسع معه سواه أو ضد مثل آدم على نبينا وآله وعليه السلام صدق إبليس في كذبه حين أقسم له كاذباً؛ لعدم ما به من الكذب في آدمعليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿ولم نجد له عزماً﴾[1]، لأن إبليس أبدع شيئاً وكان أول من أبدعه، وهو غير معهود ظاهراً وباطناً فخسر هو بكذبه على معنى لم ينتفع به من صدق آدمعليه السلام على بقاء الأبد، وأفاد آدمعليه السلام بتصديقه كذبه بشهادة الله عزّوجل له بنفي عزمه عما يضاد عهده في الحقيقة على معنى لم ينقص من اصطفائه بكذبه شيئاً.

فالصدق صفة الصادق، وحقيقة الصدق تقتضي تزكية الله تعالى لعبده، كما ذكر عن صدق عيسىعليه السلام في القيمة بسبب ما أشار إليه من صدقه وهو براءة الصادقين

---

١ ـ سورة طه: ١١٥.

من رجال أمّة محمدﷺ فقال الله تعالى: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾[١].

وقال أمير المؤمنينؑ: «الصدق سيف الله في أرضه وسمائه أينما هوى به يقده، فإذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب فانظر في صدق معناك و عقد دعواك وعيّرهما بقسطاس من الله تعالى كأنك في القيامة، قال الله تعالى: ﴿والوزن يومئذ الحق﴾ فإذا اعتدل بغور دعواك ثبت لك الصدق، وأدنى حدّ الصدق أن لا يخالف اللسان القلب ولا القلب اللسان، ومثل الصدق الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع لروحه إن لم ينزع، فماذا يصنع؟».

أقول: يشير أواخر كلامهؑ إلى أن الصدق له مراتب متعددة يطلق عليها بنحو التشكيك، فأدناه أن لا يخلف اللسان القلب ولا القلب اللسان، وأعلاه كمثل من هو في النزع قد تجمّعت جميع شؤونه في شأن واحد، فلم يبق له إلتفات إلى غير النزع لعظم الخطب النازل وهو المراد من قولهؑ: «إن لم ينزع، فماذا يصنع»، أي يرى نفسه منحصرة في النزع الذي لابد منه، فلا محالة ليس له عمل إلّا به فكذلك اعلى مراتب الصدق فإن صاحبه محترق في نار المحبة، التي أوجبت له حال الصدق في عبوديته لمولاه، وقد اشغلته حرارة نارها بالطلب عن كل شأن حتى عن نفسه، فهو في فناء محبوبه غائب عن نفسه وشؤونها كمثل النازع روحه، فصفة الصدق الحقيقي الحاصل من نار المحبة توجب إعراضه عمّا سواه تعالى وعن نفسه وبدنه بحيث يذهل عنها ويشتغل بالنظر إلى محبوبه والى مرضاته، كما أن النازع يذهل عن بدنه ويشتغل بالنزع.

والصادق أيضاً يفرّ عن نفسه إلى محبوبه كل ذلك لمشاهدة الحق تعالى، ومشاهدة أن ما سواه حتى نفسه هو الباطل المضمحل الذي لا ينبغي الالتفات أبداً إليه. وهذه المراتب بما لها من الكمال الأتم لا ينالها إلا محمد وأهل بيته (عليهم الصلاة والسلام) لأن من سواهم على **قسمين:**

---

١ ـ المائدة: ١١٩.

الجاهلون.

والعالمون من الأنبياء والمرسلين وأولياء الله تعالى.

أما الجاهلون: فهم الذين إذا حصل لهم أدنى توجّه وإقبال، بحيث قلّ اشتغالهم بالدنيا بالنسبة إلى غيرهم توهّموا أن لا مقام إلا مقامهم، وليس ماوراء مقامهم مقام، وهؤلاء كالكاذبين في دعواهم أو كالجاهلين في دعواهم وكالمتوهمين للكمال لأنفسهم، وذلك كأغلب المتصوّفة خصوصاً من العامة ومن المغترين من غيرهم وقد مرَّ بعض الكلام في المتصوّفة (لعنهم الله) في صدر الشرح.

وأما العالمون: من أولياء الله تعالى وحتى من الأنبياء والمرسلين، فأنوار قلوبهم وأضواء أفئدتهم، وصفاء أجسامهم، واعتدال أمزجتهم ومعارفهم وعلومهم وإن كانت بالنسبة إلى من دونهم في غاية الرجحان والأهمية إلا أنها بالنسبة إلى نهاية المراتب الثابته لأهلها وهم محمد وآل محمد(صلى الله عليه وعليهم أجمعين) ناقصة بل متسافلة، وهم مع قربهم فهم في نقص بالنسبة إلى محمد و آله عَلَيْهِمُ‌السَّلَامُ حيث إنهم قريبون من محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ‌السَّلَامُ كيف لا مع ان ماهم من الانوار فإنما هي من شعاع شمس حقيقتهم عليهم‌السلام فكما أن الشعاع مع قربه من الشمس المنيرة يرى نقصه بالنسبة إليها فكذلك هؤلاء يرون نقصهم بالنسبة إلى محمد وآله عَلَيْهِمُ‌السَّلَامُ وكيف كان فهم يدركون قصور مشاعرهم وقلوبهم عن الإحاطة بنهاية المراتب التي تكون لمحمد وآله عَلَيْهِمُ‌السَّلَامُ. فظهر والحمد لله تعالى أن تلك المراتب النهائية بكمالها مختصة بالذات اولاً منه ـ تعالى لمحمد وآله السادات الغر الميامين (صلى الله عليه وعليهم أجمعين).

ويشير إلى ماذكرنا عدة من الأحاديث نذكر بعضها تيمّناً، فنقول:

ففي البحار[1]، عن السرائر عن بريد العجلي قال: سألت أبا جعفر عليه‌السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾، قال: إيّانا عني.

وفيه عن المناقب، جابر الأنصاري عن الباقر عليه‌السلام في قوله: «وكونوا مع

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ٣١.

الصادقين» أي آل محمد عليهم السلام.

وفيه، عن السرائر عن أحمد بن محمد قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[1]، قال: الصادقون الصديقون بطاعتهم.

أقول: قوله عليه السلام: «الصديقون بطاعتهم»، أي بسبب طاعتهم يعلم أنهم صديقون، فإن الصدق يقتضي الطاعة وأيضاً يشير إلى أنهم متصفون بجميع جهات الصدق؛ ولذا كانوا صدّيقين بالطاعة له تعالى من جميع الجهات.

وفيه[2]، عن الكنز، رفعه الى أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الصديقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب صاحب ياسين، وعلي بن أبي طالب، وهو افضل الثلاثة.

وفيه عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: «هبط على النبي صلى الله عليه وآله ملك له عشرون الف رأس فوثب النبي صلى الله عليه وآله ليقبل يده، فقال له الملك: مهلاً يامحمد، فأنت والله أفضل من أهل السموات وأهل الارضين أجمعين، والملك يقال له محمود، فإذا بين منكبيه مكتوب لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، علي الصديق الأكبر، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: حبيبي محمود منذ كم هذا مكتوب بين منكبيك؟ قال: من قبل أن يخلق الله آدم أباك باثني عشر الف عام.

وفي البحار[3]، علماء أهل البيت: الباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام وزيد بن علي في قوله تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتّقون﴾[4]، قالوا: هو علي عليه السلام.

---

١ ـ التوبة : ١٩.

٢ ـ البحار ج ٢٤ ص ٣٨.

٣ ـ البحار ج ٣٥ ص ٤٠٧.

٤ ـ الزمر : ٣٣.

وفيه عن تفسير القمي، في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه (ولا يغيّروا ابداً) فمنهم من قضى نحبه﴾** أى أجله، وهو حمزة وجعفر بن أبي طالب، **﴿ومنهم من ينتظر﴾** أجله، يعني علياً عليه السلام يقول: **﴿وما بدّلوا تبديلاً * ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾** الآية.

وفيه[1]، عنه عن علي عليه السلام قال: **﴿رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه﴾**، فأنا والله المنتظر وما بدّلت تبديلاً.

أقول: والأخبار في هذا كثيرة جدّاً، ثم إن الآيات تفسر الصدق بحقيقته وآثاره وقد وصف الله الصادقين بقوله: **﴿ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكنّ البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل و السائلين وفي الرقاب وأقام الصلوة واتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضّراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتّقون﴾**[2].

فقوله: **﴿وكونوا مع الصادقين﴾** أى مع الذين هذه صفاتهم، وهم قد علمت آل محمد صلى الله عليه وآله فيعلم أنهم الموصوفون بهذه الصفات ويدل على هذا ما فى البحار[3]، أقول: قال السيد ابن طاووس (قدس الله روحه): رأيت في تفسير منسوب إلى الباقر عليه السلام في قوله تعالى: **﴿وكونوا مع الصادقين﴾**، يقول: كونوا مع علي بن أبي طالب وآل محمد (صلوات الله عليهم).

قال الله تعالى: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه﴾**، وهو حمزة بن عبد المطلب عليه السلام **﴿ومنهم من ينتظر﴾** وهو علي ابن طالب عليه السلام يقول الله: **﴿وما بدّلوا تبديلاً﴾**.

---

١ ـ البحار ج ٣٥ ص ٤٠٨.
٢ ـ البقرة: ١٧٧.
٣ ـ البحار ج ٢٢ ص ٣٣.

وقال الله: ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾، وهم هنا آل محمد (صلى الله عليه وعليهم أجمعين).

بقي شيء وهو أن ذكر الصادقين في الزيارة للإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾، أي هم عليهم السلام الذين أمر الله تعالى بالكون معهم.

فعن المحقق الطوسي في لزوم الكون معهم، وكيفية الكون معهم قال رحمه الله: ووجه الاستبدلال بها أن الله تعالى أمر كافة المؤمنين بالكون مع الصـادقين، وظـاهر أن ليس المراد به الكون معهم بـأجسامهم بـل المـعنى لزوم طـريقتهم و مـتابعتهم في عقائدهم وأقوالهم وأفعالهم.

أقول: هذا في بيان كيفية الكون معهم عليهم السلام.

واما الوجه في لزوم ذلك، فقال رحمه الله: ومعلوم أن الله تعالى لا يأمر عموماً بمتابعة من يعلم صدور الفسق والمعاصي عنه مع نهيه عنها، فلابد من أن يكونوا معصومين لا يخطئون في شيء حتى يجب متابعتهم في جميع الامور. انتهى مانحتاج إليـه مـن كلامه.

أقول: فمن الأمر بالكون معهم تعلم عصمتهم لما كانت ثابته بـالآيات والأدلة المسلمة، فأمر الله تعالى بالكون معهم بالنحو المفسر كما لا يخفى.

ولنختم الكلام بذكر بعض الأحاديث في فضيلة الصدق في الكلام.

ففي سفينة البحار عن الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام «إن الله عزوجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانه إلى البرّ والفاجر».

وفيه عنه عن أبي كهمش قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: عبدالله بن يعفور يقرئك السلام. قال: عليك وعليه السلام إذا أتيت عبدالله فاقرئه منّي السلام و قل له: إن جعفر بن محمد يقول لك اُنظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فـألزمه فـإنما علي عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الأمانة.

وفيه عنه قال أبو عبدالله عليه السلام: لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده ذلك

شيء قد اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك، ولكن أُنظروا إلى صدق حديثه وأداء امانته. والحمد لله ربّ العالمين.

قوله عليه السلام: المصطفون

في المجمع: صفيّته من الكدر، تصفية أزلته عنه، وصفو الشيء وخالصة وخياره. إلى أن قال: محمد صلى الله عليه وآله صفوة الله من خلقه أي مصطفاه، وسيأتي أن المراد من المصطفين في الآية المباركة هم الأئمة عليهم السلام والاصطفاء هو الاختيار، فمعنى اصطفاه الله ومعنى الاصطفاء هو أخذ الصفو من الشيء يعني جيّده والمأخوذ مصطفى فقوله عليه السلام: المصطفون، أي الذين اختارهم الله تعالى من جميع خلقه صفوة أي جعلهم صفوة الخلق فهم عليهم السلام في الخلق الأول و هو عالم الأنوار والأرواح، وفي ساير مراتب الخلق إلى خلق عالم الأجسام والكون في الأرحام الطاهرة والأصلاب المطهرة مصطفون، أي في جميع تلك المراتب صفوة الله، وقد تقدم الكلام فيه في شرح قوله عليه السلام وصفوة المرسلين فهم عليهم السلام المصطفون أي لم يصطف الله أحداً كما اصطفاهم، بل ولم يصطف أحداً من خلقه حتى من الأنبياء السابقين إلا لأجل متابعهم والإئتام بهم، والوفاء لهم بما عاهد عليه الله من ولايتهم، وتقدّم قول العسكري عليه السلام «والكليم ألبس حلّة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء.

وكيف كان فالله تعالى اصطفاهم بالذات لنفسه، واصطفى بهم غيرهم من الخلق حتى الأنبياء والملائكة المقربين والى هذا الاصطفاء تشير الآيات والأحاديث الكثيرة ونحن نذكر نبذاً منها.

في البحار[1]، عن الكنز، عن سورة بن الكليب قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: مامعنى قوله عزوجل: **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾**[2]؟ قال: الظالم

---

١ ـ البحار ج ٢٣ ص ٢١٩.

٢ ـ فاطر : ٣٢.

لنفسه الذي لا يعرف الإمام، قلت فمَن المقتصد؟ قال: الذي يعرف الإمام، قلت: فمن السابق بالخيرات؟ قال: الامام، قلت: فما لشيعتكم؟ قال: تغفر ذنوبهم، وتقضى ديونهم، ونحن باب حطّتهم وبنا يغفر لهم.

وفي حديث آخر في ذيله: يا أبا اسحق بنا يقبل الله عثراتكم، وبنا يغفر الله ذنوبكم، وبنا يقضي الله ديونكم، وبنا يفكّ وثاق الذّلّ من أعناقكم، وبنا يختم ويفتح لا بكم.

أقول: ومثل هذا الخبر كثير، وهذا محمول على المصداق الحقيق السابق هو الإمامعليه السلام وقد يفسر بنحو العموم، وإن كان حينئذ أحسن مصداقه أيضاً هو الإمام.

ففيه، عن معاني الأخبار بإسناد متصل إلى الصادق جعفر بن محمدعليه السلام أنه سئل عن قول الله عزوجل: ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله**﴾ فقال: الظالم يحوم حوم نفسه، والمقتصد يحوم حوم قلبه، والسابق يحوم حوم ربّه عزوجل.

وأحسن حديث في المقام ما فيه عن الكنز عن ابن عباس قال: دخلت على أمير المؤمنينعليه السلام فقلت: يا أبا الحسن أخبرني بما أوصى إليك رسول اللهصلى الله عليه وآله؟ قال: «سأخبركم، إن الله اصطفى لكم الدين وارتضاه، وأتم نعمته عليكم، وكنتم أحقّ بها وأهلها، وإن الله أوحى إلى نبيّه أن يوصي إليّ، فقال النبيصلى الله عليه وآله: «يا علي احفظ وصيتي، وارع زمامي، وأوف بعهدي، وأنجز عداتي، واقض ديني، وأحي سنتي، وارع ملّتي؛ لأن الله تعالى اصطفاني واختارني، فذكرت دعوة أخي موسى فقلت: اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي كما جعلت هارون من موسى، فأوحى الله عزوجل إليّ: أن علياً وزيرك وناصرك والخليفة من بعدك، ثم يا علي أنت من أئمة الهدى، وأولادك منك، فأنتم قادة الهدى والتقى، والشجرة التي أنا أصلها وأنتم فرعها، فمن تمسك بها فقد نجا، ومن تخلّف عنها فقد هلك وهوى، وأنتم الذين أوجب الله تعالى مودّتكم وولايتكم، والذين ذكرهم الله في كتابه ووصفهم لعباده، فقال عزوجل من

قائل: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾ فأنتم صفوة الله من آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران، وأنتم الأسرة من إسماعيل والعترة الهادية من محمد صلى الله عليه وآله.

وفيه[١]، عن أمالي ابن الشيخ، بإسناده عن إبراهيم بن عبد الصمد، قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقرأ: ﴿إن الله اصطفى آدم وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين﴾ قال: هكذا نزلت.

أقول: ومثله، عن تفسير العياشي، وكذا عن العامة، عن أبي وائل قال: قرأت مصحف عبد الله بن مسعود: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين﴾، والحديث في العمدة لابن بطريق.

وفيه، عن تفسير القمي، قال علي بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ قال: هم آل محمد صلى الله عليه وآله.

أقول: فعلى المؤمن أن يتبعهم حتى يفوز بسعادة الدارين.

ففي البحار[٢]، عن تفسير العياشي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الروح والراحة، والرحمة والنصر، واليسر واليسار، والرضا والرضوان، والمخرج والفلج[٣]، والقرب والمحبة من الله ومن رسوله لمن أحبّ علياً، وائتمّ بالأوصياء من بعده، حقّاً عليّ أن أدخلهم شفاعتي، وحقّ على ربّي أن يستجيب لي فيهم، لأنهم أتباعي، ومن تبعني فإنه منّي، مثل إبراهيم جرى فيّ لأنه منّي وأنا منه، ودينه ديني وديني دينه وسنّته سنّتي، وسنّتي سنّته، وفضلي فضله، وأنا أفضل منه، وفضلي له فضل، وذلك تصديق قول ربّي: ﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾.

---

١ ـ البحار ج ٢٣ ص ٢٢٢.

٢ ـ البحار ج ٢٣ ص ٢٢٧.

٣ ـ أي الفوز والغلبة.

قوله عليه السلام: المطيعون لله

أقول: الطاعة لله تعالى فرع الانقياد القلبي له تعالى، كما أن المعصية فرع التمّرد القلبي، فمن كان منقاد القلب لا محالة يكون قلبه خاضعاً خاشعاً له تعالى ويكون مطيعاً له، وكذلك التمّرد يكون سبباً للمعصية، فمن كان تمرده أكثر كانت معصيته أكثر.

ثم إن كمال الطاعة يكون فرع كمال الانقياد، وعليه فاختلاف مراتب الطاعة فرع اختلاف مراتب الانقياد القلبي، وهي فرع المعرفة بالله تعالى، وهي فرع رفع الحجب والشكّ بالنسبة إليه تعالى والنسبة إلى صفاته، ومن هذا يعلم أن درجات الأولياء فرع عن هذه الأمور، فمن كانت معرفته أكثر كانت طاعته أحسن، ومن كان الشكّ والحجب عنه مرفوعاً بنحو الأتم كان فناؤه عن نفسه وبقاؤه بربه وانقياده له تعالى أتم وأكمل.

إذا علمت هذا، فنقول: قد علمت فيما سبق ماورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وله مَن في السموات والأرض ومَن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾[1] من قول الصادق عليه السلام للمفضل، قال عليه السلام: «ويحك يامفضل ألستم تعلمون أن من في السموات هم الملائكة، ومن في الأرض هم الجن والبشر وكلّ ذي حركة فمن الذين قال: ﴿ومن عنده﴾ قد خرجوا من جملة الملائكة والبشر وكلّ ذي حركة.

فنحن الذين كنا عنده ولا كون قبلنا ولا حدوث سماء ولا أرض ولا ملك ولا نبّي» الحديث.

وتقدم شرح الحديث ودلالته على أنهم أقرب الموجودات قبلاً وفعلاً وبعداً بالنسبة إليه تعالى، فهم متصفون الآن بمقام العبديّة لديه تعالى، وهذا يدل على حصول كمال المعرفة لهم عليهم السلام له تعالى، وعلى انتفاء كلّ شكّ عنهم كما دلّ عليه قوله

١ـ الأنبياء: ١٩.

تعالى: ﴿ليذهب عنكم الرجس﴾[١] وقد فسر الرجس بالشك، فالمنفي حينئذ هو الشك عنهم عليهم السلام بتمام معانيه ومصاديقه فهم عليهم السلام في مقام قد شاهدوا جماله تعالى وجلاله، فهم مبتهجون به تعالى ومتلذّذون به تعالى وبجماله، فلا محالة لا تؤثر فيهم الجهات البشريه الكائنة فيهم عليهم السلام بنحويوجب صدور المعصية عنهم عليهم السلام والعياذ بالله، وذلك لأن المعاصي من الصفات النفسانية بلحاظ الالتذاذ، وتحصيل المقامات المادية الفانية، وحيث إنهم عليهم السلام قد التذّوا بمعارفه التي لا تدركه العقول الكاملة حيث إنهم عليهم السلام فوق مقام العقل، بل هم في مقام العشق والفناء عن النفس في قبال ظهور المحض للحق تعالى، فلا اعتناء لهم بالذات إلى هذه اللذات الفانية النفسانية، فلا محالة لا يعصون الله تعالى، بل هم من خشيته مشفقون، على أن جهات البشريه الكائنة فيهم ليس كسائرها الكائنة في غيرهم، وذلك لأنها فيهم تكون بنحو الكمال في عالمها ، ولاريب في أن الكمال في كلّ أمر ولو كان مادياً هو عبارة عن صرفه فيما خلقه الله تعالى له، وهذا يلازم الطاعة له تعالى مع الاستفادة من كلّ منها والالتذاذ بها بنحو المترتب منها.

والحاصل: أن المؤمن أيضاً يلتذّ من الجهات النفسانية البشرية، إلا أنه يكون بنحو المرضي لله تعالى لا مطلقاً، أو بنحو المرضي للنفس الأمّارة بالسوء، فافهم تعرف إن شاء الله تعالى.

فظهر أنهم عليهم السلام هم المطيعون لله تعالى بالقول المطلق، وبحيث لا يدانيهم في الطاعة غيرهم حتى الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين، وهم عليهم السلام لا يحبّون إلا طاعة تعالى، ولا يريدون إلا مَن والاهم وإلا المطيعين لله تعالى.

ففي البحار[٢]، عن المناقب لابن شهر آشوب، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿والذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا وذريّاتنا قرّة أعين ..﴾ قال: هذه

---

١ ـ الأحزاب : ٣٣.

٢ ـ البحار ج ٢٤ ص ١٣٢.

والله خاصة في أمير المؤمنين علي عليه السلام كان دعاؤه يقول: «ربّنا هب لنا من أزواجنا»، يعني فاطمة وذرّياتنا، يعني الحسن والحسين، قرة أعين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما سألت ربّي ولداً نضير الوجه، ولا ولداً حسن القامة. ولكن سألت ربّي ولداً مطيعاً لله خائفاً وجلاً منه حتى إذا نظرت إليه وهو مطيع لله قرّت به عيني.

وهنا بيان آخر لكونهم مطيعين لله تعالى بنحو لا يدانيهم أحد.

وحاصله: أن الروح الإنساني، والنفس الناطقة، والكلية الإلهية بلحاظ حقيقتها الأولية تختلف لما في القرب إليه تعالى، فمن كان منه أقرب كانت قابليته لظهور الأسماء الحسنى الإلهية فيه أكثر، ولازمه حينئذ أنه لله أطوع لانتفاء موارد خلاف الطاعة له تعالى عنه بحقيقة القرب.

وبعبارة أخرى: أن الروح الكذائي كملت القابلية فيه، وقلّت المتممات فيه، والشروط لحصول حقيقة العبادة، بل بالقرب الكامل حصلت الإطاعة التامة، هذا كّله بخلاف من ليس له هذا القرب، فلا بدّ له في الطاعة له تعالى من تتميم القابليات والشروط، وإلا فهو المرتبة الناقصة من الطاعة.

وقد علمت أن أرواح محمد وآله الأئمة الطاهرين (عليه وعليهم صلوات الله) في مقام القرب النهائي له تعالى، فليسوا محتاجين إلىٰ تتميم القابليات؛ لعدم نقص فيهم عليهم السلام كما لا يخفى. فطاعتهم لله تعالى تكون قبل كلّ شيء وأعلى من كلّ شيء، ولا تتوقّف على شرط، لا تكون لعلة من الفرار عن النار، أو الدخول في الجنة؛ لفراغهم عن ذلك، بل تكون لكونه تعالى أهلاً للعبادة والطاعة.

قال علي عليه السلام: ماعبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك.

ولذا بمجرد أن دعاهم إلى الطاعة أجابوه طوعاً لأمره، كما دلّت عليه الأحاديث الواردة في قوله تعالى: **﴿والسابقون السابقون * أولئك المقربون﴾**.

في تفسير البرهان[١]، عن الحسن بن علي عليه السلام في قوله عزوجل: **﴿والسابقون السابقون * أولئك المقرّبون﴾** قال: أبي أسبق السابقين إلى الله عزوجل وإلى رسوله، أقرب الأقربين إلى الله وإلى رسوله.

وفيه، عن ابن عباس: السبّاق ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون إلى موسى، حبيب صاحب يس إلى عيسى، وعلى بن أبي طالب إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو أفضلهم (صلوات الله عليهم).

وفيه، عن داود بن كثير الرقي، قلت لأبي عبد الله جعفربن محمد عليه السلام: جعلت فداك أخبرني عن قول الله عزوجل: **﴿والسابقون السابقون * أولئك المقربون﴾**، قال: نطق الله بهذا يوم ذرأ الخلق في الميثاق قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة، فقلت: فسّر لي ذلك، فقال: إن الله عزوجل لما أراد أن يخلق الخلق من طين رفع لهم ناراً وقال لهم: ادخلوها، فكان أول من دخلها محمد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والحسن والحسين وتسعة من الأئمة اماماً بعد إمام، ثم اتبعهم شيعتهم فهم والله السابقون.

وفي تفسير نور الثقلين[٢]، عن كتاب كمال الدين وتمام النعمة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في جمع من المهاجرين والأنصار في المسجد أيام خلافة عثمان: فانشدكم بالله، أتعلمون حيث نزلت: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار﴾ ﴿والسابقون السابقون * أولئك المقربون﴾** سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أنزلها الله تعالى في الأنبياء وأوصيائهم، فأنا أفضل أنبياء الله ورسله وعلي بن أبي طالب وصيّي، أفضل الأوصياء، قالوا: اللهم، نعم.

• فدلت هذه الآيات والأحاديث وامثالها على أنهم عليهم السلام من أول وجودهم، وفي جميع مراتب وجودهم لا يخرجون عن طاعته تعالى؛ لما علمت من فعلية مقتضى الطاعة فيهم عليهم السلام وهو رؤية جماله وجلاله تعالى، واضمحلال الطبايع البشرية

---

١ ـ تفسير البرهان ج ٤ ص ٢٧٦.
٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٢٧.

الموجبة للمعصية في قباله تعالى، مع عدم سلب الاختيار عنهم، كما تقدم سابقاً مفصلاً، فوجودهم عليهم السلام مطلقاً خير محض، فهم المطيعون لله على الحقيقة، بمعنى سبقهم إلى الطاعة وعدم التأخر عنها في حال كما علمت، بل طاعتهم عليهم السلام تكون عن صدق وإخلاص وخلوص واستخلاص في نهاية الطاعة بحيث لايشغلهم عنها أيّ شاغل كما أخبر عنهم الله تبارك وتعالى في قوله: **﴿رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلوٰة وإيتاء الزكوٰة﴾**[١] وقوله تعالى: **﴿عباد مكرمون * لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾**[٢] كيف لايكونون كذلك، وقد أدّبهم الله تعالى، وكذلك حيث يقول: **﴿وأمر أهلك بالصلوٰة واصطبر عليها﴾**[٣] وقوله تعالى: **﴿واذكر ربّك في نفسك تضرّعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدوّ والآصال ولا تكن من الغافلين﴾**[٤].

وتقدم أنه تعالى منحهم مقام العندية لديه تعالى بنحو لا يفترون عن عبادته.

قال تعالى: **﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته﴾**[٥] وقال: **﴿ومَن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليلَ والنهارَ لا يفترون﴾**[٦] الآيات وقد تقدم مراراً شرحها.

والحاصل: أنهم عليهم السلام في جميع العوالم: عالم الذر وعالم النور، وعالم الحجب، وعالم الدهر و الزمان كما نطقت بها الاحاديث سابقون على أهل كل عالم إلى طاعة الملك العلّام، بحيث لا يلحقهم لاحق ولا يسبقهم سابق، ولا يطمع في إدراكهم طامع من جميع الخلايق، فهم في الحقيقة متفردون عن كل الخلق بمقام لا يدانيهم أحدكما

---

١ ـ النور : ٣٧.
٢ ـ الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٧.
٣ ـ طه : ١٣٢.
٤ ـ الأعراف : ٢٠٥.
٥ ـ الأعراف : ٢٠٦.
٦ ـ الأنبياء : ٢٠.

سيأتي بيانه في شرح قوله عليه السلام: آتاكم الله مالم يؤت احداً من العالمين.فلا يكون احد في مرتبتهم.

وأما ما تراءى عنهم مما يدل بظاهره على مساواة غيرهم لهم، أو مشاركتهم إياهم فهو جارعلى مانعرفه عامة الناس، وجار في مقام بيان الاحوال والامور بنحو يعرفها العامة من الناس، لا بنحو يكون مبيّناً لحالهم بحيث يشاركون الناس؛ ولذا ورد عنهم عليهم السلام كما تقدم: «لا يقاس بنا الناس» رزقنا الله تعالى معرفتهم، وحشرنا في زمرتهم بمحمد وآله الطاهرين.

ثم إنه تقدم في بيان كونهم عباد الرحمن مايبين لك عبادتهم عليهم السلام وأنهم أعبد الخلق واطوعهم لله تعالى، وذكرنا بعض ما ورد في زهدهم خصوصاً في زهد أمير المؤمنين عليه السلام.

والحاصل: أن كونهم مطيعين لله تعالى له مظاهر في ذواتهم عليهم السلام، من حيث العقيدة له تعالى، ومن حيث محبتهم له تعالى ومشاهدتهم قلباً لجماله وجلاله تعالى، ويقينهم به تعالى، فهم قلباً مطيعون ومنقادون له تعالى، ومن حيث اتصافهم بالصفات الحميدة التي توجب حقيقة العبودية له تعالى، ومن حيث أفعالهم وأقوالهم العبادية التي يعملونها بالليل والنهار، فهم عليهم السلام في جميع ذلك مطيعون لله تعالى حقّ الطاعة بحيث لا يساويهم أحد، وقد دلّت الأحاديث في الأبواب المتفرقة على تحقق طاعتهم له تعالى في جميع تلك المظاهر، حتى بذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيله وقاتلوا وجاهدوا لإعلاء كلمة الله ودينه كما لا يخفى على أحد، وذكرها يوجب الخروج عن حدّ الكتاب ففي الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين. قوله عليه السلام: «لا يسبقكم ثناء الملائكة في الإخلاص والخشوع، ولا يضادّكم ذو ابتهال وخضوع، أنّى ولكم القلوب التي تولّى الله رياضتها بالخوف والرجاء، وجعلها أوعية للشكر والثناء، وآمنها من عوارض الغفلة، وصفّاها من سوء الفترة، بل يتقرب أهل السماء بحبكم وبالبراءة من أعدائكم، وتواتر البكاء على مصابكم والاستغفار لشيعتكم

ومحبّيكم» الزيارة.

والحمد لله الأول والآخر والظاهر والباطن.

قوله عليه السلام: *القوامون بامره*

الكلام في هذه الجملة في مقامين:

الأول: في كونهم قوّامين.

والثاني: في معنى بأمره.

أما الأول: فنقول: القوّام مبالغة في قائم، وهذه المبالغة إما بلحاظ الكم والكثرة العدديّة، أي أنهم عليهم السلام كثيروا القيام بأمره الله، وإما بلحاظ الكيف والشدة أي أنهم عليهم السلام شديدوا القيام بأمر الله، أي أنهم قائمون به بحقّ القيام، ولا يزلّهم عن القيام صعوبته مهما بلغت في الصعوبة، وأنهم بالنحو الأتم الأكمل، وكيف كان فهما معاً مرادان:

◘ فلا ريب في أنهم عليهم السلام لم يتجاوزوا أمر الله في قليل أو كثير في واجب أو مندوب فهم عليهم السلام عاملون وقائمون به، كيف لا، وهم عليهم السلام المشرعون لتلك الاحكام بأمر الله تعالى، وهم العاملون بها بما لها من المصالح التي دعت إلى تلك التشريعات؟! وقد علمت أنه ليس فيهم مقتضيات المعصية بالفعل بل هي اضمحلّت في قبال مشاهدة جماله وجلاله، فلا يؤثر فيهم في ترك القيام بالأمر، فهم عليهم السلام قائمون بكل أمر على أكمل ما ينبغي، وما ورد عنهم عليهم السلام من أنهم عليهم السلام كانوا يفعلون بعض المكروهات، أو يتركون بعض المندوبات فهو مما كان واجباً عليهم ذلك: بيانه: أنهم عليهم السلام لما كانوا متصدّين لأمر الامامة والهداية للحق، فالله تعالى قد يأمرهم بالحتم لإتيان المكروه أو ترك المندوب ليبيّنوا الجواز في ذلك للناس، وحينئذ لايجوز لهم ترك المحتوم أي ترك المكروه أو إتيان المندوب، بل يجب عليهم إتيان الأول وترك الثاني؛ لأن هذا يكون واجباً عليهم.

وبعبارة أخرى: إن إتيان المكروه أو ترك المندوب قد يكون لراحة النفس، وقد يكون للتهاون بها وهما بالنسبة إلى غيرهم ممكنان، وأما بالنسبة إليهم عليهم السلام منفيان لما ذكرنا من كونهم قوامين بأمره بالبيان المتقدم.

وأما إتيان المكروه أو ترك المندوب إذا كان لبيان الرخصة؛ لكي يقتدى بهم في مقام الضرورة فهو واجب حينئذ، ولعلّه يشير قوله صلى الله عليه وآله: «إن الله يحب أن يؤخذ برخصه، كما يحب أن يؤخذ بفرائضه، فخذوا برخص الله ولا تشددوا على أنفسكم. إنّ بني إسرائيل لما شددوا على أنفسهم شدّد الله عليهم» ثم إن الظاهر من هذه الجملة، والله العالم، سواء كانت المبالغة بلحاظ الكم أو الكيف، هو أنهم عليهم السلام قوّامون بأمر الإمامة والهداية مهما كان صعباً، فهم عليهم السلام ممتثلون لأمره تعالى في قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾[1] وقوله تعالى: ﴿واستقم كما أمرت﴾[2]، فلا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يركنون إلى أهواء غيرهم في القيام بالأمر، ولا يعرض لهم الوهن في القيام بالأمر فهذا هو المراد منها.

ولا يراد منه أنهم قوامون بالعمل بالواجبات، والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات بل المباحات فإن هذه الجهة تلحق بجهات عبوديتهم، وأنهم المطيعون لله تعالى كما تقدم.

▣ أعني كونهم قوامين بالأمر مع الشدّة، وحقّ القيام التام، فلا ريب في أنهم يفوزون بأمر الله على أكمل وجه يمكن وقوعه في عالم الإمكان والوجود وهم عليهم السلام في هذه الرتبة سواء بمعنى أن كل واحد منهم عليهم السلام يقوم بأمر الله على أكمل وجه وأتمّه، بل يسبقون بالعمل قبل أمرهم للعباد بالعمل.

في النهج قال عليه السلام: والله ما امرتكم بشيء إلا وقد سبقتكم إليه، وما نهيتكم عن شيء إلا وقد انتهيت عنه قبلكم، لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والناهين

---

١ ـ الحجر: ٩٤.

٢ ـ الشورى: ١٥.

عن المنكر العاملين به.

فإن قلت: نرى اختلاف قيامهم عليهم السلام في الشدة والسهولة، بل ربما يكون لواحد منهم عليهم السلام اختلاف في حال قيامهم، فهو في حال يكون قيامه في الشدة، وفي حال في السهولة فقيام أمير المؤمنين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن كقيامه في زمن خلافته الظاهرية، أو قيام الحسن عليه السلام لم يكن كقيام الحسين عليه السلام وهكذا بالنسبة لسائر الأئمة إذا قيس قيام بعضهم مع بعض فإنه نرى فيه تفاوتاً بيّناً، فحينئذ كيف يصح اطلاق القول بأنهم بأجمعهم قوّامون بأمر الله بأشدّ مايكون؟

قلت: لا ريب في أن قوله عليه السلام: «القوّامون عام استغراقي لا مجموعي، فينحلّ حينئذ إلى قضايا متعددة حسب عددهم عليهم السلام فيرجع الأمر إلى أن كل واحد منهم عليهم السلام يكون قواماً بأمر الله تعالى بأشد مايكون بالنسبة اليه.

وبعبارة أخرى: أنه قد ثبت في محله أن لكل واحد منهم عليهم السلام وظيفة تخصه عليه السلام ليست لغيره من الأئمة، فكلّ واحد منهم مأمور بأمر هو عليه السلام منصدع به، ولا يلاحظ القيام بالأمر بنحو الشدة بالنسبة إلى الواقع ونفس الأمر فإنه لا تحصل له بل بنسبة ما يتعلق بهذا المقام من الوظيفة، ولا ريب في أن كل واحد منهم عليهم السلام قوّام بأمر الله، الأمر الذي يتوجه إليه، ويخصّه من أمر الإمامة والهداية والوظيفة من القعود أو القيام أو السكوت أو الكلام حسب ما اقتضته الحكمة الإلهية، على أنه لم يعلم أن قيام أمير المؤمنين في أوائل وفات النبي صلى الله عليه وآله كان أسهل من قيامه حين خلافته الظاهرية.

-أوان قيام الحسن عليه السلام بالصلح كان أسهل من قيام الحسين عليه السلام بالجهاد، بل إن قعود أمير المؤمنين عليه السلام في أول الأمر كان في غاية الشدّة، وفي غاية حق العمل بالوظيفة التي عينها الله تعالى له، كما يشير -إلى صعوبته عليه السلام ما قاله عليه السلام في الخطبة الشقشقية خصوصاً من قوله عليه السلام: صبرت وفي العين قذًى وفي الحلق شجًا.

وفي زيارة أئمة المؤمنين عليهم السلام في وصف صبره عليه السلام: «هائج القلب كاظم الغيظ» فقعوده حينئذ عليه السلام كان في غاية الشدة عليه عليه السلام مع ماله من الامكان من الحروب،

وفي غاية القيام بأمر الله حيث إنه حينئذ عليه السلام قد سلم نفسه لمرضاة الله وعمل بحق ما أراده الله تعالى فهو عليه السلام في جميع حالاته قائم بالأمر الإلهي بأشده وبحق ما يمكن له من القيام، كما أشار إليه في الخطبة الشقشقية: « فصبرت وفي العين قذًى وفي الحلق شجًا» الخ.

وهكذا الكلام في قيام الحسن عليه السلام بالصلح بالنسبة إلى قيام الحسين عليه السلام بالشهادة ولعلّه بالنسبة إلى تسويتهما أشار النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في قوله في حقهما: «الحسن والحسين عليهما السلام إمامان قاما أو قعدا، أي أنهما قائمان بأمر الإمامة حق القيام سواء قام الحسين أو قعد الحسن عليهما السلام كما لا يخفى.

ومن هنا يعلم خطأ ما ربما يتوهم من اختلاف قيامهم عليهم السلام في العبادات شدة وضعفاً، فلا يقال: إن بعضهم أشد عبادة من بعض لأنه يقال: كل واحد منهم قد قام بحقّ العبادة بالنسبة إلى نفسه الشريفة، كما علمت أن العام في قوله: «القوّامون، عام استغراقي لا مجموعي، فهو منحل إلى كل واحد منهم عليهم السلام فكل واحد منهم عليهم السلام، قوّام بأمر الله من العبادة وآت بها بنحو الأتم الأشد الأكمل كما لا يخفى.

ويدل على هذا ماروي عنهم عليهم السلام ما معناه، أن في الصراط عقبات كؤود لا يطأها بسهولة إلا محمد وآله، وهذا دليل على أنهم عليهم السلام لا يقع منهم تقصير في شيء من الأمور العبادية أو الأمور المتعلقة بأمر الإمامه والهداية، فكلّ واحد منهم قوّام بأمره تعالى حقّ القيام وأتمّه وأكمله.

وأما ما يتراءى منهم من الإقرار بالتقصير أو المعاصي فقد علمت الجواب عنه مفصلاً سابقاً فلا نعيد، فحينئذ ظهر وثبت أنهم لم يكن لهم عليهم السلام تخلف عن كمال ما ينبغي من القيام بأمر الله تعالى في حال من الأحوال، فيصدق عليهم أجمعين عليهم السلام بأن كل واحد منهم قوّام بأمر الله تعالى على أكمل وجه يمكن وقوعه في الإمكان والوجود بالنسبة إليه، ولا يكون ذلك، وهذا المعنى من أحدٍ غيرهم كما علمت وكما هو المشاهد من غيرهم فإنهم بعيدون عن مراتبهم عليهم السلام ببون بعيد كما لا يخفى على أحد.

وأما الكلام في **المقام الثاني**: أعني أمر الله الذي هم عليهم السلام قوّامون به.

فنقول: يمكن أن يراد منه هو أمره تعالى من الاحكام الشرعية التي طلبها الشارع من المكلّفين بما لها من الأقسام الخمسة، إلا أنه قد علمت أن ظاهراً من الجملة الشريفة هو القيام بأمر الإمامة والهداية بما لها من الصعوبة، ولذا كانت المبالغة بلحاظ الشدة وحق القيام، وعليه فالظاهر إن المراد من الأمر هو الإمامة، والأمر المشار إليه في قوله تعالى: ﴿تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كل أمر﴾[1]، ولعله إليه يشير أيضاً عموم قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾، فالأمر بتحمل المشقة بما يؤمر إنما يكون في الامامة والولاية والثبات فيه كما لا يخفى.

وتقدم: أن الأئمة عليهم السلام قائمون مقام النبي صلى الله عليه وآله في جميع الأمور سوى النبوة.

وتقدم قول الصادق عليه السلام كما في بصائر الدرجات[2]، جرى من الفضل ما جرى لمحمد صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين، ولمحمد الفضل على جميع من خلق، إلى أن قال عليه السلام: «وكذلك جرى على أئمة الهدى واحداً بعد واحد، إلى أن قال عليه السلام عن قول أمير المؤمنين عليه السلام وهو قوله عليه السلام: ولقد حمّلت على مثل حمولته وهي حمولة الرب تبارك وتعالى»، الحديث.

قد تقدم بتمامه في شرح قوله عليه السلام: وموضع الرسالة، وكيف كان فهذا الأمر قد مرّ تفسيره في بيان أقسام نزول الملائكة عند قوله عليه السلام: «ومختلف الملائكة»، وعند شرح قوله عليه السلام: ومهبط الوحي، فراجعه فإنه يفيدك بهذا الأمر جدّا، إلا انا نذكر هنا بعض ما يلزم ذكره.

فنقول: إن هذا الامر يشمل ما ينزل عليهم عليهم السلام في ليالي القدر وليالي الجمعة، وفي كل يوم وساعة كما تقدم مفصلاً، ويشمل أمر ما تجدد في الوجود مما يظهر حكم القدر الإلهي من إثبات ما لم يكن ومحو ما كان، المعبّر عنه في الآيات والأحاديث

---

١ ـ القدر : ٤.

٢ ـ بصائر الدرجات ص ٢٠١.

كتاب المحو والإثبات.

فنقول: لابد من تفصيل القول في بيان معنى، أمّ الكتاب وكتاب المحو والإثبات، وما يلزمهما من البداء وبيان ساير معاني الكتاب الذي أطلق عليها.

فاعلم أن المستفاد من الآيات والأحاديث: أن العلم هو من صفات ذات الله تعالى المقدسة، وحيث إنه لانهاية لكنهه تعالى فلا نهاية لعلمه.

ففي توحيد الصدوق[1]، بإسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «إن الله نور لا ظلمة فيه، وعلم لاجهل فيه، وحياة لا موت فيه».

وفيه[2]، إلى أن قال: حدثني أبو علي القصّاب، قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فقلت: «الحمد لله منتهى علمه»، فقال: لاتقل ذلك، فإنه ليس لعلمه منتهى.

وفيه[3]، بإسناده عن ابن سنان، عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: إن لله تعالى علماً خاصاً وعلماً عاماً، فأما العلم الخاص فالعلم الذي لم يُطلع عليه ملائكته المقربين وأنبياءه المرسلين، وأما علمه العام فإنه علمه الذي أطلع عليه ملائكته المقربين وأنبياءه المرسلين، وقد وقع إلينا من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فعلم من هذه الأحاديث أنه لانهاية لعلمه تعالى كذاته المقدسة، حيث إن العلم ذاته المقدسة وهو قول الصادق عليه السلام.

كما فيه[4]، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم» الحديث.

وعلم أيضا منها أن علمه على قسمين:

الاول: العلم الخاص، وهو العلم الذاتي الذي لانهاية له، فيقتضي بطبعه أن يختصّ به تعالى وإلا لعلم مافي ذاته، ولازمه حينئذ العلم بكنهه ونهاية ذاته، وهما

---

١ ـ توحيد الصدوق ص ١٣٨.

٢ ـ توحيد الصدوق ص ١٣٤.

٣ ـ توحيد الصدوق ص ١٣٨.

٤ ـ توحيد الصدوق ص ١٣٩.

بالنسبة إليه تعالى منفيان.

والثاني: العلم العام، الذي علمه أنبياءَه وملائكته، ووصل منهم إلى العلماء وإلى الخلق.

إذا علمت هذا، فاعلم أن حقيقة أمّ الكتاب التي قد يعبّر عنها باللوح المحفوظ، وحقيقة كتاب المحو والإثبات بما لها من المعنى العام يطلقان على مصاديق مختلفة، ويكون لكل مصداق حكم يخصّه، فاللوح المحفوظ بالنسبة إلى النبيﷺ هو العلم الذاتي الذي يكون من صفاته الذاتية تبارك وتعالى، مصداقه هو العلم الخاص له تعالى وكونه محفوظاً يراد منه انه معلوم ومحفوظ لديه تعالى فقط، واليه الإشارة فيما رواه:

في التوحيد[1]، عن الحسين بن بشار، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضاعليه السلام قال: سألته أيعلم الله الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون أولا يعلم إلا ما يكون؟ فقال: إن الله تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء.. إلى أن قالعليه السلام: فلم يزل الله عزوجل علمه سابقاً للأشياء قبل أن يخلقها، فتبارك ربنا علّواً كبيراً خلق الأشياء وعلمه بها سابق لها كما شاء، وكذلك لم يزل ربّنا عليماً سميعاً بصيراً.

ومثله غيره من الأحاديث، فقولهعليه السلام: «وعلمه بها سابق لها كما شاء» يشير إلى العلم الذاتي الأزلي الأبدي الذي هو لانهاية له ولا يفسّر، ومعلومه جميع الأشياء بلا استثناء.

وأما كتاب المحو والإثبات بالنسبة اليهﷺ ما يبدو له من ذلك العلم الذاتي، الذي ماكان يعلمه ـ فبالنسبة   ، فظاهر، وهو ما يعلمه من تعليمه تعالى إياه، وأما بالنسبة إلى المحو فهو لامصداق لهﷺ إلا بمعنى البداء، أي أنهﷺ يقرّ له بالبداء بما ربما يظهر له منه تعالى في حقهﷺ مالم يعلمه من بعض الحوادث المختصة بهﷺ من رفع شيء أو وضع شيء في حقهﷺ ولذا كانوا يخافون منه تعالى من هذه

---

١ ـ التوحيد ص ١٢٧.

الجهة؛ لاحتمال أن يبدو من ذاته المقدسة ما يكون في أمر عليهم وكذا الأئمة، ولذا ورد في زيارة الكاظمين عليهما السلام: «السلام عليكما يامن بدا الله في شأنكما»، أي بدا الله في إمامتكما بعدما احتملنا رفع الامامة عنكما» فتدبر تعرف.

وكذا الكلام بعينه يجري في الأئمة عليهم السلام كما علمت آنفا، ـ من أنهم م بمنزلة الرسول صلى الله عليه وآله يجرى فيهم ما يجري فيه سوى النبوة، فظهر مما ذكر أن كتابي المحو والإثبات بالنسبة إلى النبي والأئمة (عليه وعليهم السلام) من العلوم الواضحة، وكونهما محواً أو إثباتاً فإنما هو بالنسبة إلى غيرهم عليهم السلام وإلا فهم يعلمون بلاشك، نعم لا يظهرون علمهم بها لمصلحة في ذلك، يشير إليها ويدل على هذا عدّة من الأحاديث:

ففي تفسير نور الثقلين عن التوحيد للصدوق باسناده إلى أصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل يقول فيه: ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان، وبما يكون، وبما هو كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الآية: **﴿يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب﴾**.

وفي حديث آخر فيه عن قرب الإسناد بهذا المضمون إلا أن فيه: والله لولا آية في كتاب الله لحدثتكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة.

فدلّ هذا الحديث على أنه عليه السلام عالم بالأمور كلها، وإنما هذه الآية تمنعه عن الإخبار بها، والحديث ـ لا عن العلم بها كما لايخفى.

وفي تفسير نور الثقلين، عن أصول الكافي ما هو صريح فيما قلناه ففيه[1]، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله عزوجل أخبر محمداً صلى الله عليه وآله بما كان منذ كانت الدنيا، وبما يكون إلى انقضاء الدنيا، وأخبره بالمحتوم من ذاك، واستثنى عليه فيما سواه، أي بيّن أن فيما سواه البداء وإمكان المحو.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٥١٧.

بل الظاهر من الأحاديث والأدعية أن قلوبهم المطهرة وحقيقتهم المقدسة هي قلم المحو والإثبات كما دلّ عليه:

ما عن الخصال عن علي عليه السلام في حديث طويل وفيه يقول عليه السلام: وبنا يمحو الله ما يشاء وبنا يثبت.

وفي الزيارة المطلقة للحسين عليه السلام كما في كامل الزيارات: وبكم يمحو الله ما يشاء ويثبت.

كيف لايكونون كذلك، وقد تقدمت مراراً الأحاديث التي دلّت على أن قلوبهم أوعية لمشيئة الله تعالى وإرادته. فعنهم عليهم السلام: قلوبنا أوعية لمشيئة الله، وورد في قوله تعالى: ﴿وما تشاءُون إلا أن يشاء الله﴾:

كما عن الخرائج والجرائح عن (القائم عجل الله فرجه) حديث طويل فيه يقول لكامل بن إبراهيم المدني وحيث تسأل من مقالة المفوضة: كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله عزوجل، فإذا شاء شئنا والله يقول: ﴿وما تشاءُون إلا أن يشاء الله﴾ والحديث أوردته عن تفسير نور الثقلين[1].

وفي تلك الزيارة المتقدمة: إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم، الزيارة.

ومن المعلوم أن جميع مقادير الامور من مثبتاتها ومحوها إنما يكون بالمشيئة والإرادة منه تعالى، وهما يهبطان في قلوبهم عليهم السلام فيصحّ قوله عليه السلام: بنا يمحو الله مايشاء وبنا يثبت.

ومن المعلوم أنهم عليهم السلام في مقام القرب إليه تعالى، وفي مقام من تلقّي العلم منه تعالى لاتحيط به الأوهام وهم مأمونون على أسرار الرب؛ ولذا لايحدثون إلا بما شاء الله ولولا ذلك العلم والقرب لما كان بهم المحو والإثبات، ثم إن هنا أموراً لابد من بيانها.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٤٨٦.

الأمر الاول: في بيان حقيقة المحو والإثبات.

والثاني: في بيان السرّ في ذلك، وبيان موضوع المحو والإثبات.

والثالث: في بيان حقيقة البداء وأنه ما عبد الله بشيء بمثل البداء.

فنقول: **أما الأمر الاول**: ففي تفسير نور الثقلين، عن الكافي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال في هذه الآية: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب**﴾ قال: فقال: وهل يمحي إلا ما كان ثابتاً وهل يثبت إلا مالم يكن؟

وفيه عن تفسير العياشي عن مسعدة بن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل عن قول الله: ﴿**ادخلوا الأرض المقدَسة التي كتب الله لكم**﴾ قال: كتبها لهم ثم محاها، ثم كتبها لأبنائهم فدخلوها والله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب.

وفيه[1]، عن مجمع البيان، روى عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله قال: هما كتابان كتاب سوى أمّ الكتاب يمحو الله منه مايشاء ويثبت، وأم الكتاب لا يغير منه.

وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: هما أمران، موقوف ومحتوم، فما كان من محتوم فأمضاه، وما كان من موقوف فله فيه المشيئه يقضي فيه مايشاء.

والمستفاد من هذه الأحاديث أن أمّ الكتاب هو الذي فيه ما علمه الله تعالى أزلا وأنه لا يغيّر أبداً وهو محفوظ عنده تعالى، وبهذا الاعتبار يسمّى باللوح المحفوظ. وأما كتابا المحو والإثبات ،فهما عبارتان عن جملة من المقادير بعضها محتوم وبعضها موقوف، والمراد من محتومها هو الذي لا يغيّر فهو بهذا الاعتبار مصداق لما في أمّ الكتاب، والإمام عليه السلام يعلمه بهذا الوصف، وأما الموقوف منها فهو معلق على شيء كالدعاء مثلاً.

ففي تفسير نور الثقلين، عن تفسير العياشي، عن عمار بن موسى عن عبدالله عليه السلام سئل عن قول الله: ﴿**يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب**﴾ قال: إن ذلك الكتاب يمحو الله فيه ما يشاء ويثبت، فمن ذلك الذي يرد الدعاء القضاء، وذلك

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ص٥١٧.

الدعاء مكتوب عليه الذي يرد به القضاء حتى إذا صار إلى أمّ الكتاب لم يغن الدعاء فيه شيئاً.

وفي المحكي، عن تفسير العياشي، عن الصادقعليه السلام عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن المرء ليصل رحمه، وما بقي من عمره الا ثلاث سنين فيمدّها الله ثلاثين سنة، وإن المرء ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فينقصها الله ثلاث سنين أو أدنى، قال: وكان الصادقعليه السلام يتلو هذه الآية (آية المحو والإثبات)ونحوه غيره.

فهذه الأحاديث دلّت على أن الدعاء يرد القضاء المبرم كما في بعض الأحاديث، ويدل على أن الدعاء الذي يوجب ردّ القضاء بنحو كان القضاء معلقاً على، مثلاً: بقاء العمر كان معلقاً على الدعاء، وبهذا الاعتبار كان موقوفاً هو أيضاً مكتوباً عليه، أي كتب في اللوح أن هذا الدعاءلهذاالشخصمما يوجب إثبات القدر عليه، وإخراجه عن كونه موقوفاً، وهذا العمل يعبر عنه بعالم المحو والإثبات، فإنه لم يدع الله تعالى به محاه حينئذ وإن دعا أثبته، والمراد من الإثبات إبقاؤه وإدامته بقاء، وإخراجه عن كونه موقوفاً على الدعاء، فكتاب المحو والاثبات يتعلقان بالأمرين: المحتوم والموقوف، والعمل لهذه الأمور بأمر الله تعالى هو الملائكة.

ففي تفسير نور الثقلين[1]، عن تفسير العياشي عن حمران قال: سألت أبا عبداللهعليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب**﴾ فقال: ياحمران، إذاكان ليلة القدر ونزلت الملائكة الكثرة إلى السماء الدنيا، فيكتبون ما يقضى في تلك السنة من أمر، فإذا أراد الله أن يقدم شيئاً أو يؤخره ينقص منه أو يزيد، أمر الملك فمحا مايشاء ثم أثبت الذي أراد، قال: فقلت له عند ذلك: فكلّ شيء يكون وهو عند الله في كتاب؟ قال: نعم، قلت: فيكون كذا واكذا ثم كذا وكذا حتى ينتهي إلى آخره؟ قال: نعم، قلت: فأيّ شيء يكون بعده؟قال: سبحان الله، ثم يحدث

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٥١٢.

الله أيضاً ما شاء تبارك وتعالى.

وكيف كان في كتاب المحو والإثبات تتحقق أمور لمصالح ستأتي الإشارة إليها، وهي أن هناك حكماً محتوماً قد أعلمه الله تعالى النبي والإمام بهذه الكيفية، ولا يخلفه أبداً وحكماً موقوفاً على الدعاء وهذا الحكم وكونه موقوفاً على الدعاء الخاصّ، فمعلوم له تعالى عن اللوح المحفوظ وللنبي والإمام عليه السلام أيضاً إلا أنهم لا يخبرون به، وهو تعالى والنبي والإمام بتعليم الله يعلمون أن هذا يدعو أو يترك الدعاء.

وقد يقال: إن اللوح المحفوظ له **ثلاث جهات**:

إحداها: الأمور المكتوبة بنحو المحتوم المستحيل تغيره.

وثانيها: الأمور المحتومة التي يمكن تغييرها، ولكنه لا يغيره تفضّلاً منه وعدلاً؛ لما في ذلك من اللطف في التكليف، ولعل سرّه أن لا يقنط المؤمن من رحمته تعالى بالنسبة الى ماحتمه لهم كذلك بالنسبة إلى بعض مكاره الأمور ولا يتهاون الكافرون بسننه، وأيضاً يستلزم من إمكان التغيير أن لا يتّكل العاملون بطاعتهم له تعالى على أعمالهم إذ لو علموا أنّ له تعالى أن يغيّر ما يشاء كما شاء وإن كان لم يغيره فعلاً وامضاه، ولا يقنط العاصون من رحمته لما علموا أيضاً من أن له تعالى أن يرحمهم إن شاء كما شاء حيث إنه تعالى لا يظلم أحداً.

وثالثها: الأمور الموقوفة في لوحة لوح المحو والإثبات فإمكان الأمرين لها ثابت إلى ان يستقر الشيء بتحقّق الموقوف عليه، فحينئذ يكتب هذا الأمر في الجهتين الاولين إما في المحتوم واللوح المحفوظ أو في المحتوم الممكن تغييره ولكن لا يغيّره.

ثم إن لوح المحو كما علمت تكون في هذه الجهة الثالثة، وأما لوح المحو والإثبات فهما في اللوح المحفوظ، أي أن هناك مكتوباً أن هذا الامر من الإثبات أو من المحو، أي معلوم فيه أن الشرط الموقوف عليه يتحقق أم لا، فلا يكون فيه بالنسبة إلى المحو والإثبات شكّ أو ترديد.

فالجهة الأولى، التي يستحيل تغييرها فلمّا عرفت أنّ فيها الأمور المحتومة التي يستحيل تغييرها والموقوفة أيضاً، أي يكون في اللوح المحفوظ ما هو موقوف بأن جعل هكذا، فلا يمكن حينئذ أن لا يكتب المحتوم محتوماً أو الموقوف موقوفاً، بل يكتب المحتوم محتوماً والموقوف موقوفاً.

نعم، إن كان الأمر من الأمور المحتومة التي يمكن تغييرها ولكن ما غيّره لماقلنا تكرّماً منه وصدقاً لما وعد به فهو من اقسام الجهة الثانية.

فيبقى في هذه الجهة الأولى:

المحتوم الذي لايمكن تغييره، ثم إن المحتوم الذي يمكن تغييره، فإن كان لم يغيّر فهو من الجهة الثانية، وإن غيّر كان من أقسام لوح المحو والإثبات، اعني الجهة الثالثة.

فإمكان التغيير في المحتومات من الجهة الثانية، ووقوعه أي التغيير من الجهة الثالثة.

وأما الجهة الثانية: أعني المحتومات التي يمكن تغييرها، ولكنه تعالى لم يغيّرها؛ لما قلنا فله تعالى أن يغيرها بعلمه وقدرته على مايشاء.

وأما الجهة الثالثة: اعني الأمور الموقوفة التي هي من لوح المحو والإثبات، وعلمت أنها أيضاً مكتوبة هكذا في اللوح المحفوظ.

فالأمور الموقوفة منها بما هي مجعولة موقوفة في الجهة الأولى.

وبقائها كذلك مع عدم التغيير في الجهة الثانية.

والمحو والإثبات باعتبار وقوعها وجعلها في الجهة الأولى، وبقاؤهما مع عدم التغيير في الجهة الثانية، وتحقّق التغيير أي المحو والإثبات في الجهة الثالثة.

وينتج مما ذكر، أن التغيير و التبديل في الثالثة وتحقيق ذلك أي جعلها في الأوليين:

فالجهة الأولى بما فيها يستحيل فيها البداء. وأما الجهة الثانية: ففيها البداء

بتغيير البقاء لها إن شاء تعالى، وإن كان الله تعالى يجري فضل في هذه الجهة على موارد الاستحقاق، وهنا لا يخلف الله الميعاد ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده﴾.

واما الجهة الثالثة: فهي محل الدعوى والموانع، أي محل الامتحان، وتضارب الإرادة التكوينية والتشريعية، ومحل ظهور الشبهات، وجهل عن واقع الأمر، وأنها كيف تكون.

ولكن هذا كلّه بحسب الظاهر، وأما في قعر هذه التقديرات شمس مضيئة لا يعلمه إلا الله، ومن أراد أن يعلمه بدون تعليمه تعالى فقد ضاد الله في حكمه، ونازعه في سلطانه، وكشف عن سّره الذي جعله الله تعالى، فباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير.

نعم، إلا ما أعلم الله تعالى عباده بذلك، وقد علّمه للنبي والأئمة (عليه وعليهم السلام) كما علمت، وستأتي الأخبار الدالة عليه، فتدبر تعرف إن شاء الله.

ثم إن هنا حديثاً يبين موضوع كتابي المحو والإثبات والبداء فهو أحسن حديث في هذا الموضوع:

ففي أصول الكافي، حسين بن محمد عن معلى بن محمد قال: سئل العالم كيف علم الله؟ قال: علم وشاء وأراد وقدر، وقضى وامضى، فأمضى ماقضى، وقضى ما قدر، وقدر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة، وبمشئته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، والعلم متقدم على المشيئة، والمشيئة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء[1] فللّه تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا أوقع القضاء بالإمضاء فلابداء، فالعلم في المعلوم قبل كونه، والمشيئة في المنشإ قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ووقتاً، والقضاء بالامضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام-المدركات بالحواس من ذوي

---

١ ـ قوله بالامضاء متعلق بواقع.

لون وريح ووزن وكيل ومادبّ ودرج من انس وجنّ وطير وسباع، وغير ذلك مما يدرك بالحواس، فللّه تبارك وتعالى فيه البداء مما لاعين له، فإذا وقع العين المفهوم المدرك، فلا بداء، والله يفعل مايشاء، فبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها، وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها، وبالتقدير قدرأقواتها وعرف أولها وآخرها، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلّهم عليها، وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها، وذلك تقدير العزيز العليم.

فهذا الحديث الشريف بين موارد المحو والإثبات والبداء، وهو من غرر الأحاديث، وشرح هذا الحديث الشريف بماله من الإشارات والنكات الدقيقة مما يطول به الكلام والله الموفق للصواب.

إلا أنه يستفاد منه، أن الأمور إذا نزلت من عالم العلم والمشيئة والإرادة إلى عالم القضاء بالإمضاء فلا بداء حينئذ، وعن هذا عبر عليه السلام في قوله: « فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء، أي وقع العين في الخارج بحيث يكون مدركاً بالحواس، مضافاً إلى كونه مفهوماً فلا بداء، فمن وقوعه ينتفي موضوع البداء، وأما ماكان من الامور قبل الوقوع فهو مما يحتمل فيه البداء، إلا إذا علم أنه من الجهة الأولى التي يستحيل فيه البداء.

ثم إن كتابي المحو والإثبات على ما عرفتهما، إنما جعلهما في الخلق لتحقيق العبودية، بمالها من المعاني في الخلق، إذ لولا هما لقلّت عبادتهم بعدما علموا أن الأمور محتومة فقط، وهذا بخلاف ما لو أنّ أمرهم كان مردداً بين السعادة والشقاوة، والخير والشر، والجنة والنار فلا محالة يسعون إلى العبادة ولنجاة أنفسهم، والالتزام بهذا الأمر هو الالتزام بالبداء الذي دلّت عليه أخبار كثيرة.

وبعبارة أخرى: أن الحكمة في جعل البداء في الأمور للعباد، حتى بالنسبة للأنبياء (على نبينا وآله وعليهم السلام) كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة الآتية أن البداء يوجد الخوف في العبد، بحيث لا يتكل على عمله العبادي فيغترّ به، ويأمن

من مكر الله تعالى، ولا ييأس منه تعالى إذا عمل بالمعاصي، بل في الأمرين حيث إنه يحتمل البداء في عواقب أموره، حتى بالنسبة إلى نفسه، فإن كان سعيداً احتمل البداء بأن يصير شقيّاً، أو كان شقيّاً احتمل البداء بأن يصير سعيداً، فبالقول بالبداء وعقيدته به يكون بين الخوف والرجاء في حال العبادة والمعصية معاً، كما لا يخفى.

وهذا الخوف هو حقيقة العبودية، قال ﷺ لأبي ذر: «ما عبد الله بمثل طول الحزن»، فراجع الحديث، وأما الأحاديث الواردة في البداء:

ففي اصول الكافي[1]، عن أبي عبدالله عليه السلام: « ماعظّم الله بمثل البداء.

وفيه[2]، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « مابعث الله نبيّاً حتى يأخذ ثلاث خصال: الإقرار له بالعبودية وخلع الأنداد، وأن الله يقدّم مايشاء ويؤخر مايشاء».

وفي تفسير نور الثقلين[3]، عن أصول الكافي بإسناده عن مرازم بن حكيم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «ما تنبّأ نبيّ قط حتى يقرّ للّه بخمس، بالبداء، والمشيئة، والسجود، والعبودية، والطاعة».

أقول: المراد من المشيئة هو ما فسّره عليه السلام في الحديث السابق من قوله: «وأن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء»، وهو إشارة إلى كتابي المحو والإثبات، فلا بد حينئذ من توضيح الكلام في مقامين:

● في مقام كتابي المحو والإثبات.

●● في مقام البداء وماله من المعاني المرادة منه، فنقول:

أما المقام الأول: فقد علمت قوله عليه السلام: «**فإذا وقع القضاء بالإمضاء**» فلا بداء وقوله عليه السلام: «فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء».

وفي الكافي أيضاً[4]، بإسناده عن علي بن إبراهيم الهاشمي، قال: سمعت أبا

---

١ ـ أصول الكافي ج ١ ص ١٤٦.

٢ ـ أصول الكافي ج ١ ص ١٤٧.

٣ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٥١٧.

٤ ـ الكافي ج ٤ ص ١٥٠.

الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: «لايكـون شيء الاما شـاء الله وأراد. وقـدر وقضى»، قلت: مامعنى قضى؟ قال: «إذا قضى أمضاه فذلك الذي لا ردّ له».

وفيه[1]، بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «لا يكون شيء في الارض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع: بمشيئة، وإرادة، وقدر، وقضاء واذن، كتاب، وأجل، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر».

وفيه[2]، باسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « إن للّه علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء، وعلم علّمه ملائكته ورسله وأنبياءَه فنحن نعلمه.

إذا علمت هذا، فنقول: المستفاد من هذه الأحاديث هو، أن أمّ الكتاب واللوح المحفوظ هو الذي علمه بالعلم المكنون، وسابق على الأشياء بلا استثناء، ففي ذلك العلم بماله من المعلومات لابداء له تعالى به، ولا يتغّير كما مرّت الإشارة إليه.

وأما كتابا المحو والإثبات، فقد علمت سابقاً أن المراد من الإثبات هو المـعلوم الأزلي الذي لم يشإ الله تعالى تغييره بل أراد بقاءَه، فالمراد من الإثبات هـو إدامـة ماعلمه وأخبر به فهو من مظاهر أمّ الكتاب ومن مصاديقه بدون عروض تغيّر له.

وأما كتاب المحو فهو أيضاً باعتبار اظهاره قبل المحو ومحوه بعد الإظـهار مـن مظاهر أمّ الكتاب، إلا أنه من مظاهره ومصاديقه بهذا الاعتبار من التـغيير، وهـو تعالى عالم بهذا التغيير كما ستجيء الإشارة إليه، إلا أنه تعالى لمصلحة أخبر عباده أن له تعالى أن يؤخّر أو يقدم أي يغيّر بعض ما أخبر به عباده لمصلحة، فهذا التـغيير أعني كتاب المحو هو المقوم لكتابي المحو والإثبات.

وبعبارة أخرى: إن كتاب المحو أعطي عنواناً واسماً لكتاب الإثبات وإلا فـهو عين أمّ الكتاب ومصداقه كما علمت.

---

١ ـ الكافي ج ٤ ص ١٤٩.

٢ ـ الكافي ج ٤ ص ١٤٧.

وأما بيان ما به تحقيق كتاب المحو، وإن شئت قلت، ما وجب أن يكون كتاب المحو والإثبات.

فحاصله: أنه لاريب في أن التقدير الذي هو عبارة عن أنه تعالى قدر أقواتها، وعرف أولها وآخرها كما في رواية العالم‌عليه السلام، أو هو عبارة عن تقدير الشيء من طوله وعرضه كما في رواية أبي الحسن موسى‌عليه السلام، فإنما يراد منه الشيء بحدوده من جميع الجهات، وهذا يتعيّن بالتقدير وهو أعم من أن يتعلق به الإيجاد الخارجي أم لا، وإن كان الموجود الخارجي يتوقف على التقدير كما علمت من حديث أبي الحسن موسى‌عليه السلام إلا أنه توقف الشيء على مقتضيه لا على علته التامة كما لا يخفى.

وأما المشيئة التي هو عبارة عما به تحقق الفعل، وهوالمراد من قوله‌عليه السلام قلت: مامعنى المشيئة؟ قال: ابتداء الفعل، فهي أيضاً كالتقدير من حيث إن الوجود الخارجي يتوقف عليه وجوداً، إلا أنه كتوقف المعلول على المقتضي لا على العلة التامة، فالمشيئة تشمل جميع الموجودات في أوقاتها التي شاء الله تعالى وجودها فيها، فهي بالنسبة إلى المشيء وجوده كالوجوب المشاء فعلاً للواجب المعلّق بمجيء زمانه، وإن كان متأخراً عن زمان إنشاء الوجوب كما لا يخفى.

فالشيء المشيء وجوده بالنسبة إلى المشية والتقدير وسابقها العلم بالنسبة إلينا يمكن في حقه المحو والبداء.

وأما مرحلة القضاء بالإمضاء، كما في حديث العالم أو مرحلة القضاء والإرادة كما في غيره فهو مرتبة إذا حصلت فقد تحقق ووقع العين المفهوم المدرك كما علمت فحينئذ فلا بداء.

توضيحه بنحو يظهر الامر في المقام الثاني، أعني بيان حقيقة البداء هو أن الحكم البتي بالنسبة الينا هو الذي تحقق بعد المشيئة والإرادة والتقدير والقضاء ويسمّى الفعل الصادر منا عن الحكم البتي فعلاً اختياريّاً، ثم إنه تعالى عدّ الموجودات وايجادها فعلاً لنفسه صادرة عن علمه وقدرته، فلا محالة تكون أفعاله

اختيارياً له فهي بما هي اختياريّ له تعالى لابد لها من المشيئة والإرادة والتقدير والقضاء، ثم إنّ المشيئة من حيث ارتباطها بالفاعل تسمى مشيّة، أي أنها صدرت من الفاعل صدوراً يناسبه، ومن حيث ارتباطها بالفعل وتعلقها بـه يسـمى إرادة، والتقدير الذي علمت معناه هو متأخر عن المشيّة بكلا معنييهـا فالمشيّة بالاعتبار الأول أعم من وجود المشيء وجوده بالفعل وعدمه.

نعم، لابد من المشيّة والإرادة والتقدير والقضاء، ومن تحققها في نفس الفاعل منا بعد العلم السابق بها أيضا، إلا أن بعضها يعبّر بعنوان المقتضي، وبعضها بعنوان العلة التامة.

وكيف كان لايتحقق الشيء بالحتم إلا بالقضاء بالإمضاء، وهـو عـبارة عـن الإرادة التكوينية التي تعلق بها الإمضاء، فاستتبعت المعلول والمراد وحينئذ ينتزع منه الحكم الذي هو الأمر، والعلة الأخيرة التي لاواسطة بينها وبين الفـعل، فـإذا تحققت هذه الأمور بأجمعها فلابدّ من وقوع الفعل، وإن نقض أحدها فيكشف عن وجود المانع، وهذا المانع قد يكون جليّا فلابّد من دفعه في إرادة الموجود.

وأما إذا كان خفيّا كما يكون كثيراً ما بالنسبة إلينا كذلك ينتزع حـينئذ مـنها البداء.

وبعبارة أخرى: أن البداء عبارة عن ظهور مانع في التأثير قد خفي علينا، وكان معلوماً عند الله تعالى، فمن عدم وجود المعلوم يكشف عن وجود المانع، والله تعالى قد أخفى هذا المانع لمصالح كانت في نظره.

ولعله ستجيء الإشارة إليها، ففي هذا الموضوع يتحقق البداء، أي كتاب المحو، ولذا قيل: إن البداء في حقّه تعالى عبارة عن الإبداء أي إظهار مـا خـفي لا بمـعناه الحقيقي أعني إبداء مالم يكن كما هو في حقنا.

وهنا مثال يوضح لك هذا الأمر بتمام الوضوح، فنقول: إذا قرّبنا ناراً من قطن، والنار مقتضية للإحراق، ينتزع من المورد مشية الإحراق، ثم بـزيادة قـربها إرادة

الإحراق، ثم من كيفية قربها وشكل القطن ووضعه منها، وسائر مايقارن المورد ينتزع تقدير الإحراق من حيث الكم و الكيف مثلا، فحينئذ إن احترق القطن يعلم أنه من الأمر المحتوم الذي لايردّ ولا يبدل، وإن لم يحترق وظهرت رطوبة في القطن مخفيّة علينا فمنعت عن أن تؤثر النار في القطن فهذا هوالبداء، إي ظهور ما خفي علينا كما هو المفروض وإن كان يابساً لامانع معه من الاحتراق، كان ذلك قضاء وإمضاء وهو الإحراق من الفاعل والاحتراق من المحل وهو محل الحكم البتّي.

وبعبارة أخرى: في تحقيق معنى البداء، وهو أنه لاريب في أنا لانريد شيئاً إلا لمصلحة علمناها فنريده لتلك المصلحة، ثم إنه ربما يتعلق العلم بمصلحة أخرى في مورد المصلحة السابقة توجب ردّ المصلحة الأولى، فحينئذ نريده بهذا الداعي الأخير الناشئ من المصلحة الثانية، فحينئذ نقول في الاعتذار عن رفع اليد عن الأولى إلى الثانية: قد بدا لنا، فالبداء في حقّنا هو ظهور ما كان خفياً من الفعل؛ لظهور ما كان خفياً من المصلحة والعلم، هذا أصل معنى البداء، ثم إنه توسعنا في الاستعمال فاستعملناه علىٰ ظهور كل فعل كان الظاهر أولاً خلافه، فيقال: بدا له. أن يفعل كذا، أي ظهر من فعله ماكان الظاهر منه خلافه.

ثم إنه قد علمت، أن الشيء انما يوجد بعد وجود مقتضياته وعلله التامة، التي يستحيل معها عدمه، بل يجب حينئذ وجوده ومن العلل عدم وجود المانع، كما علمت، فحينئذ نقول: إذا وجد الشيء يكشف عن وجود علله وعدم موانعه، وإذا لم يوجد مع وجود علله يكشف عن وجود المانع، فيتحقق حينئذ البداء.

ومن المعلوم أن علمه تعالى بالموجودات والحوادث مطابق لما في نفس الأمر من وجودها، فله تعالى علم بالأشياء من جهة عللها التامة، وهو العلم الذي لابداء فيه أصلاً، وله علم بالأشياء من جهة مقتضياتها التي تكون موقوفة التأثير على وجود الشرائط وفقد الموانع، وهذا العلم يمكن أن يظهر خلاف ما كان ظاهراً منه بفقد شرط أو وجود مانع وهو المراد بقوله: ﴿يمحو الله مايشاء ويثبت﴾.

وبعبارة أخرى: قد يكون الظاهر للخلق تمام ما هو في الواقع من وجود العلل وفقد الموانع، وقد يظهر لمصلحة بعضها ويخفى وجود المانع منها أو تعلقه على شيء كالدعاء، أو صلة الرحم مثلاً، وهذا الإخفاء يكون لمصلحة إلزام العباد بالدعاء، والعمل نظير ما ورد، أنه تعالى اخفى أولياءه في الخلق؛ لئلا يهان أحد، واخفى ليلة القدر في الليالي أو الليالي المخصصة؛ لئلا يقتصر على ليلة واحدة في العبادة كما لايخفى. على أن الالتزام بالبداء يوجب تعظيمه تعالى؛ لأن البداء يوجب خوفاً وقلقاً في العباد من حيث إنهم لا يعلمون ماذا يبدو لهم في عواقبهم بالنسبة إلى الخير والشر، وقبول الأعمال وعدمه وهكذا فلا محالة يخافون منه تعالى، ويقومون مقام التعظيم والعبودية له تعالى، وسيجيء بعض المصالح الأخرى له عن المجلسي.

ثم إنه نقل عن السيد الداماد كلاماً في البداء لابأس بذكره توضيحاً له، قال: «البداء منزلته في التكوين منزلة النسخ في التشريع، فما في الأمر التشريعي والأحكام التكليفيّة نسخ فهو في الأمر التكويني والمكوّنات الزمانية بداء، فالنسخ كأنه بداء تشريعي والبداء كأنه نسخ تكويني ولا بداء في القضاء.

أقول: كما مرّ بيانه، ولا بالنسبة إلى جانب القدس الحق، (أقول: وقد تقدم بيانه) والفارقات المحضة من الملائكة القدسية وفي متن الدهر الذي هو ظرف مطلق الحصول القارّ والثبات البات - ووعاء عالم الوجود كله، وإنما البداء في القدر وفي امتداد الزمان الذي هو افق التقضّي والتجدّد، وظرف التدريج والتعاقب وبالنسبة إلى الكائنات الزمانية ومن في عالم الزمان والمكان وأقليم المادة والطبيعة، وكما أن حقيقة النسخ عند التحقيق إنتهاء الحكم التشريعي وانقطاع استمراره لا رفعه وارتفاعه عن وعاء الواقع، فكذا حقيقة البداء عند الفحص البالغ انبتات استمرار لأمر التكويني وانتهاء اتصال الإفاضة ومرجعه إلى تحديد زمان الكون وتخصيص وقت الإفاضة، لا أنه ارتفاع المعلول الكائن عن وقت كونه وبطلانه في حدّ حصوله، انتهى.

أقول: هذا نعم البيان لتوضيح موضوع البداء، وتقدم ما هو شرح لهذا الكلام والله الهادي إلى الحق.

فإن قلت: ظاهر قوله عليه السلام: ما بعث الله نبياً حتى يأخذ عليه ثلاث خصال.. إلى أن قال: وإن الله يقدم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء. يشمل النبي الأكرم والأئمة عليهم السلام فلازمه أن لا يعلموا بواقع الأمور وهو كما ترى.

قلت:

أولاً: أنه لابدّ من التخصيص بعد تلك الأحاديث والأدلة المتقنة، التي علمت أن في بعضها القسم بـ ـ والله ـ بغيرهم.

وثانياً: قد علمت أنهم عليهم السلام وإن كانوا قد علموا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة كما هو في علمه تعالى بتعليمه تعالى، إلّا إنه بالنسبة إلى ما صدر منه تعالى ووجد كما لا يخفى.

وأما بالنسبة إلى علمه الذاتي الذي لم يُطلع عليه أحداً كما علمته سابقاً، فيمكن أن يكون لهم عليهم السلام البداء بالنسبة إلى ذلك العلم، أي أنهم عليهم السلام يخافون مما يمكن ظهوره من علمه المكنون الذاتي ما فيه خوفهم وابتلاؤهم عليهم السلام فتدبر تعرف.

ولعلّ إليه يشير ما في تفسير نور الثقلين، عن الكافي، عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن لله علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء، وعلم علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه، فنحن نعلمه.

فقوله: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو، يراد منه العلم الذاتي الذي لا نهاية له، فيعطي بإطلاقه تحقق البداء لهم عليهم السلام أيضاً والله العالم.

ولعلّ الصحيح في الجواب هو الأول، ثم إنه وإن ورد من أن الأمور قد تمت بما هي كائن إلى يوم القيامة.

ففي تفسير نور الثقلين[1]، عن من لا يحضره الفقيه، إلى أن قال: قال الفضل بن

عباس: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله عزوجل، قد مضى العلم بما هو كائن، فلو جهد الناس أن ينفعوك بأمر لم يكتبه الله لك، لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضرّوك بأمر لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه.

فدلّت هذه الرواية على أن العلم قد مضى بما هو كائن فلا يغير، إلا أنه لا يلزم هذا التكاسل في الدعاء والعبادة، وذلك لما علمت من أن في العلم الذي مضى بما هو كائن الى يوم القيامة ماهو موقوف وما فيه البداء، فلا بد من التضرع والدعاء.

ولعل هذا الحديث يشير إلى قطع النظر والتوجه إلى الخلق، وأنه لابد من الاعتماد والتوكل على الله والرضا بقضائه وقدره وأن يسأل منه تعالى ما يريد ويستعين به، فهو من الأحاديث الآمرة بالدعاء، نظير ما ورد:

في الكافي[1]، بإسناده عن ميسّر بن عبدالعزيز عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: قال لي يا ميسّر ادع ولا تقل، ان الامر قد فرغ منه، ان عند الله عزوجل منزلة لاتنال إلا بمسألة، ولو أن عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً، فسل تعط ياميسّر إنه ليس من باب يقرع إلا يوشك أن يفتح بصاحبه.

وكيف كان فالأحاديث الآمرة بالدعاء كثيرة جدّاً، كيف وهو دأب الأنبياء و النبي والأئمة عليهم السلام كما لا يخفى.

نعم ،لكل من العباد مع اختلاف طبقاتهم دعاء يخصه، والدعاء يعمّ اللفظي والنفسي.

اما الأول: فظاهر، **وأما الثاني**: فإذا صار العبد في مرحلة الفناء عن النفس، أعني أنه يرى كل كمال في الحق تعالى ويرى نفسه فقيرة محضة،فلا محالة يصير بشرا شر وجوده دعاء، تلفظ بالدعاء ام لا؛ ولذا ورد أن أمير المؤمنين عليه السلام «كان رجلا دعّاء» واليه يشير قول الصادق عليه السلام كما في مصباح الشريعة: الدعاء استجابة

---

١ ـ الكافي ج ٢ ص ٤٦٦.

الكلّ، ومن هذا يظهر، أن سكوت إبراهيم عليه السلام في الدعاء من جبرئيل بقوله: أما إليك فلا، ومن الله تعالى بقوله: علمه بحالي حسبي عن مقالي، كان من هذا القبيل فإنه عليه السلام كان حينذاك فانياً عن النفس، وقد اشتعلت نار المحبة في قلبه الشريف فلم يبق له شيء وكان شراشر وجوده محواً في محبوبه، والله الهادي.

ولعل البداء إنما جعل من الله تعالى والتزم كل نبيّ مبعوث به للدعاء أي لكي يدعو الله تعالى، ولا يقول: الأمر قد فرغ منه كما علمت والالتزام بالبداء هو عين العبادة بل أفضله كما دلّ عليه مارواه.

في الكافي[1]، بإسناد عن زرارة بن أعين عن أحدهما عليهما السلام قال: ما عبد الله بشيء بمثل البداء، فالالتزام به هو العبادة وموجب للعبادة كما لا يخفى.

قال المجلسي رحمه الله معنى هذا الحديث: أن الإيمان بالبداء من أعظم العبادات القلبية؛ لصعوبتة ومعارضته الوساوس الشيطانية فيه، ولكونه إقرار بأن له الخلق والأمر، وهذا كمال التوحيد أو المعنى أنه من أعظم الأسباب والدواعي لعبادة الربّ تعالى.

وروي عن الصادق عليه السلام في مرآة العقول[2]، من قوله عليه السلام: «لوعلم الناس ما في القول في البداء من الاجر ما فتروا عن الكلام فيه، الحديث».

وقال ما حاصله: وذلك لأن أكثر مصالح العباد موقوفة على القول به، إذ لو اعتقدوا أن كل ما قدر في الأزل فلا بد من وقوعه حتماً، لما دعوا الله في شيء من مطالبهم وما تضرعوا إليه، وما استكانوا لديه، ولا خافوا منه ولا رجوا إليه، انتهى ملخصاً.

وكيف كان، فالأئمة عليهم السلام قائمون وقوامون بأمر الله تعالى مما علّمهم الله تعالى من أمّ الكتاب وكتابي المحو والإثبات.

---

١ ـ الكافي ج ٢ ص ٥١٦.

٢ ـ العقول ج ٢ ص ١٣٢.

ولعمري إن القيام بكتابي المحو والإثبات صعب جداً خصوصاً للعالم بجميع الأمور. وهذا من شؤون ولا يتهم المطلقة الإلهية فإنهم عليهم السلام في مثابة من التسليم لأمر الله تعالى، بحيث يعاملون مع الناس بمقتضى البداء ومقتضى كتابي المحو والإثبات، ولا يخبرون الناس بواقع علمهم كما علمت من قول أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «لولا آية في كتاب الله»، الحديث.

أقول: وهنا كلام للمحقق السبزواري رحمه الله ولعلّه كلام جامع لبيان موضوع أمّ الكتاب وكتابي المحو والإثبات، مع الإشارة إلى انطباق هذه الكتب على الإنسان الكامل خصوصاً على محمد وآله عليهم السلام فلا بأس بذكره، ثم الإشارة إلى بعض ما هو لازم فنقول:

قال رحمه الله: عند قوله عليه السلام: «يامن هو عنده أمّ الكتاب» أم الكتاب هو العقل الممكن الأشرف سمي به لاحتوائه بكلّ الحقائق، لكونه بسيط الحقيقة، جامعاً لكمالات ما دونه باعتبار ماهيته وكتاب ماهيته، وكونه قلماً على ما في القرآن والأحاديث كقوله تعالى: ﴿ن * والقلم وما يسطرون﴾ وقوله صلى الله عليه وآله: «اول ما خلق الله القلم»، وقوله صلى الله عليه وآله: «جفّ القلم بما هو كائن»، وغير ذلك باعتبار فعاليته وإفاضته لصور ما دونه.

أقول: ولعلّه أشار إلى هذه المعاني ما في تفسير نور الثقلين عن كتاب علل الشرائع عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل يقول عليه السلام في آخره: وقد سئل عن قوله عزوجل: ﴿ن * والقلم وما يسطرون﴾ وأما (ن) فكان نهراً في الجنة أشدّ بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل، قال الله عزوجل: «كن مداداً فكان مداداً» ثم أخذ شجرة فغرسها بيده ثم قال: واليد القوة وليس حيث تذهب إليه المشبّهة، ثم قال لها: كوني قلماً، ثم قال له: اكتب فقال له: يارب وما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة، ففعل ذلك، ثم ختم عليه وقال: لا تنطقنّ إلى يوم الوقت المعلوم.

وفيه[1]، عن الخصال عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن قال صلى الله عليه وآله: «وأما النون فنون والقلم

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٣٨٧.

وما يسطرون، فالقلم قلم من نور وكتاب من نور في لوح محفوظ يشهده المقربون».

ومثله عن معاني الأخبار وتفسير العياشي، وهذا التفسير أي نور الثقلين في تفسير (ن) والقلم، ومجمع البيان بتفاوت غير مغيّر للمعنى.

قال في الشرح: أو أمّ الكتاب جملة عالم العقل، وهي مع تفاوت مراتبها لشدة اتصالها المعنوي وبساطتها الحقيقية، وكون كلها في كلها لعدم حجاب بينها كأنها موجود واحد والكتب الإلهية والصحف المكرمة المرفوعة المطهرة كثيرة.

الأول: أمّ الكتاب.

الثاني: الكتاب المبين وهو النفس الكلية ويسمى اللوح المحفوظ، وإليها الإشارة بقوله: ﴿**ن * والقلم وما يسطرون**﴾ إلى ما صدر عنها من الموجودات.

أقول: كما علمت التصريح به من قول النبي في حديث الخصال.

الثالث: كتاب المحو والإثبات وهو النفس المنطبعة وتسمى لوح القدر.

أقول: قد تقدم من الأحاديث مابين هٰذين الكتابين مع الشرح.

قال: والحق أن الكتاب المبين الذي لا رطب ولا يابس إلا فيه أعمّ، يشمل الأول والثالث أيضاً.

أقول: يعني أن الكتاب المبين يشمل أمّ الكتاب وكتابي المحو والإثبات.

قال: وإلى هذا الكتاب.

أقول: الكتاب المبين الذي يشتمل عليهما، أشار بقوله تعالى: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب**﴾[1] أي هذه الآية الشريفة لما أضاف إلى كتابي المحو والإثبات أمّ الكتاب بالعطف، فحينئذ يمكن أن يراد من المعطوف والمعطوف عليه الكتاب المبين الذي يشمل هذه الكتب الثلاثة: أعني أمّ الكتاب والكتاب المبين وكتاب المحو والإثبات.

---

١ ـ الرعد: ٣٩.

هذا وربما يقال بأنه خلاف الظاهر إلّا أنه ستأتي روايات في بيان مصداق القسم الخامس من الكتب، وأنه أمير المؤمنين عليه السلام ما يقرّب هذا المعنى ويصدقه.

قال رحمه الله: **والرابع**: الكتاب المسطور، وهو المنقوش على الرق المنشور أعني الهيولي ويسمى سجل الوجود وإليه الإشارة بقوله: ﴿**والطور * وكتاب مسطور * في رقّ منشور**﴾[1].

أقول: وفي تفسير البرهان[2]، بإسناده عن علي بن سليمان، عمّن أخبره عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزوجل: ﴿**وكتاب مسطور * في رقّ منشور**﴾ فالرقّ كتاب كتبه الله عزوجل في ورقة آس، ووضعه على عرشه قبل خلق الخلق بألفي عام، ياشيعة آل محمد إني أنا الله أجبتكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني.

أقول: ولعلّ المذكور هو بعض ما في الكتاب، والله العالم.

والخامس: الكتاب الجامع للكل وهو الإنسان، ولا سيما الكامل منه وهو الكتاب الصغير المستنسخ من الكتاب الكبير وإليه الإشارةبقوله تعالى: ﴿**وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين**﴾[3] فكل إنسان بل كل نفس من النفوس الحيوانية كتاب من كتب الله، فالإنسان من حيث روحه وعقله الإجمالي كتاب عقلي، ومن حيث قلبه وعقله التفصيلي كتاب نفسي، ومن حيث خياله كتاب المحو والإثبات.

أقول: ويدل عل أنّ الكتاب الجامع هو الإنسان الكامل، وأنه هو الأئمة عليهم السلام.

روايات كثيرة خصوصاً في حقّ أمير المؤمنين.

في تفسير نور الثقلين عن أصول الكافي بإسناده عن أبي ربيع الشامي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا**

---

١ ـ الطور : ١ ـ ٣.

٢ ـ تفسير البرهان ج ٤ ص ٢٠٤.

٣ ـ يس : ١٢.

حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين﴾ قال: فقال: الورقة السقط، والحبة الولد، وظلمات الارض الأرحام، والرطب ما يحيى من الناس، واليابس ما يغيض وكل ذلك في إمام مبين.

أقول: لعل التفسير منه عليه السلام كما ذكر بما ذكره بيان لبعض المصاديق وكيف لا فقوله عليه السلام: «وكل ذلك في إمام مبين» تفسير الكتاب المبين الذي فيه كلّ شيء وأنه هو الإمام المبين.

وفي مقدمة تفسير البرهان[1]، وفي رواية النصراني الذي سأل الكاظم عليه السلام عن تفسير ﴿حم * والكتاب المبين﴾ في الباطن يقال: أما حم فهو محمد صلى الله عليه وآله واما الكتاب المبين فهو علي عليه السلام.

وفي بعض الزيارات، أنهم الكتاب المسطور.

وفي تفسير البرهان[2]، وذكر ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أنا والله الإمام المبين، أبين الحقّ من الباطل، وورثته من رسول الله صلى الله عليه وآله».

وفي شرح نهج البلاغة للمحقق الخوئي[3]، عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة كان يخطبها للناس: «أنا نقطة باء بسم الله، وأنا جنب الله الذي فرطتم فيه، وانا القلم وانا اللوح المحفوظ، وأنا العرش وأنا الكرسي، وأنا السموات السبع والأرضين»، الخطبة.

وفي تفسير نور الثقلين[4]، عن معاني الأخبار بإسناده إلى الجارود، عن أبي جعفر محمد بن على الباقر، عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: «لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله» ﴿وكلّ شيء احصيناه في إمام مبين﴾ قام أبو بكر وعمر عن

---

١ ـ تفسير البرهان ص ٢٨٢.
٢ ـ تفسير البرهان ج ٤ ص ٥
٣ ـ شرح نهج البلاغة للمحقق الخوئي ج ١٩ ص ٣٢٤.
٤ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٣٧٩.

مجلسهما وقالا: «يا رسول الله هو التوراة؟ قال: لا، قالا: فهو الإنجيل؟ قال: لا، قالا: فهو القرآن؟ قال: لا، فاقبل أمير المؤمنينعليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو هذا إنه الإمام الذي أحصى الله فيه تبارك وتعالى علمَ كلّ شيء».

وفي مقدمة تفسير البرهان عن تفسير القمي عن الصادقعليه السلام في قوله: **﴿ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾** قال: عليعليه السلام ولا شك فيه هدًى للمتقين، قال: تبيان لشيعتنا.

فهذه الأحاديث وما مثلها تدل على أن الكتاب الجامع لجميع الأقسام المتقدمة هو الإنسان الكامل، ودلّت على أنه النبي وأمير المؤمنين والأئمةعليهم السلام وهذا يدلّ أيضاً على أن الأئمةعليهم السلام هم كتابا المحو والإثبات كما لا يخفى.

قالرحمه الله: وفي كيفية مقابلة الكتاب الصغير مع الكتاب الكبير تطويل عظيم عسى أن نذكر قليلاً منها.

أقول: ذكر في شرح قولهعليه السلام ص ١٥٠ «يامن في الآفاق آياته» أي في النواحي من عوالم الوجود علاماته، والاسم مأخوذ من الآية أعني قوله تعالى: **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾**[١] وفي التعبير بالآيات إشارة إلى أن عالم الآفاق كتاب تكويني له كالكتاب التدويني، إلى أن قالرحمه الله، وقيل بالفارسية:

بنزد آنکه جانش در تجلّي است
همه عالم کتاب حق تعالی است

عرض اعراب وجوهر چون حروف است
مراتب همچو آيات ووقوف است

از أو هر عالمی چون سورة خاص
يکی زان فاتحه وآن ديگر اخلاص

---

١ ـ فصلت: ٥٣.

وفي الاكتفاء بالآفاق في الاسم إشارة إلى تطابق الكتاب الآفاقي والكتاب الأنفسي، وأن كلاًّ منهما تام فيه جميع ما في الآخر، قال ابن جمهور: الكتب ثلاثة: الآفاقي والقرآني والأنفسي، فمن قرأ الكتاب القرآني الجمعي على الوجه الذي ينبغي فهو كمن قرأ الكتاب الآفاقي بأسره إجمالاً وتفصيلاً، ومن قرأ الكتاب الآفاقي على الوجه المذكور فهو كمن قرأ الكتاب الأنفسي إجمالاً وتفصيلاً؛ ولهذا اكتفى النبي ﷺ بواحد منهما في معرفته تعالى بقوله: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»، لأنه كان عارفاً بأن من يعرف نفسه على ما ينبغي، ويطالع كتابه على ما هو عليه في نفسه يعرف ربّه على ما ينبغي، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**﴾[1].

وكذلك من طالع الكتاب القرآني على وجه التطبيق تجلّى له الحق تعالى في صور ألفاضه وتركيبه وآياته وكلماته تجلّياً معنوياً لما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «لقد تجلّى لعباده في كلامه، ولكن لا يبصرون».

ومن طالع الكتاب الآفاقي على ما هو عليه تجلّى له الحق تعالى في صور مظاهره الأسمائية وملابسه الفعلية الكونية المسماة بالحروف والكلمات والآيات، المعبر عنها بالموجودات العلوية والسفلية، والمخلوقات الروحانية والجسمانية على الإطلاق والتعيين تجلّياً شهوديّاً عيانياً؛ لأنه ليس في الوجود سوى الله وصفاته وأسماؤه وأفعاله فالكل هو وبه ومنه وإليه.

ومن طالع الكتاب الأنفسي الصغير الإنساني وطبّقه على الكتاب الآفاقي تجلّى له الحق تعالى في الصورة الإنسانية الكاملة والنشأة الحقيقية الجامعة تجلّياً ذاتياً شهودياً عيانياً بحسب ما يشاهده في كل عين من حروفه وكلماته وآياته، المعبر عنها بالقوى والأعضاء والجوارح، فكلّ من طالع كتابه الخاص به، وشاهد نفسه المجردة وبساطتها وجوهريتها ووحدتها وبقاءها ودوامها وإحاطتها بعالمها عرف الحق

١ـ الاسراء، الآية ١٤.

وشاهده وعرف أنه محيط بالأشياء وصورها ومعانيها عاليها وسافلها، شريفها وخسيسها مع تجرده ووحدته وبقائه ودوامه في ذاته وحقيقته.

قالوا: وكذلك الحق إذا أراد أن يشاهد نفسه في المرآة الكاملة الذاتية الجامعة يشاهدها في الإنسان الكامل بالفعل وفي غير الكامل بالقوة؛ لأنه مظهر الذات الجامعة لاغير، وإلى هذا أشار نبينا ﷺ بقوله: «خلق آدم على صورته» مراده على صورة كمالاته الذاتية الجامعة للكمالات الأسمائية والصفاتية، وإذا أراد أن يشاهدها في المرآة الكمالية الأسمائية والصفاتية والأفعالية يشاهدها في العالم المسمّى بالآفاق؛ لأنه هو مظهر أسمائه وصفاته وأفعاله، ومن هذا قيل: أراد الله أن يظهر ذاته الجامعة في صورة جامعة فأظهرها في صورة الإنسان، وأراد أن يظهر الأسماء والصفات والافعال في صورة كاملة مفصلة فأظهرها في صورة العالم، فليس يشاهد الله تعالى نفسه وذاته المقدسة من حيث الكمالات الذاتية والأسمائية إلا في هذين المظهرين. انتهى.

أقول: وقد ذكر (رضوان الله عليه) في الهامش بعض ما يوضح كلام ابن جمهور فقال: قولنا: إن عالم الآفاق كتاب تكويني، قد مرّ أن الألفاظ موضوعة للمعاني العامة، فالكتاب موضوع لما ينتقش فيه سواء كان مادياً أو مجرداً وسواء كان نقشه معقولاً أو محسوساً أو متخيلاً أو موهوماً، فالنفس أيضاً كتاب سماويّة كان أو أرضية، وقواها كتب عقلاً كانت أو خيالاً أو حسّاً، وقال فيه أيضاً: قولنا الآفاقي، ثم الآفاقي كتاب المحو والإثبات وهو سجل الكون والنفس المنطبعة الفلكية، والكتاب المبين وهو النفس الكلية، وأمّ الكتاب وهو العقل الكلي من جهة مهيّته فهي صحف مكرمة مرفوعة مطهرة.

أقول: فجميع هذه من الآيات الآفاقية، ثم قال فيه: أيضاً قولنا وكذلك الحق إذا أراد.. الخ إنما كان الإنسان مرآةً ذاتية، وموجودات الآفاق مرايا صفاتية وأسمائية. لأن الإنسان الكامل مظهر اسم الجلالة، الذي هو اسم الذات الأقدس

بخلاف الموجودات الآفاقية، فإن الملك مظهر السبوح القدوس، والفلك مظهر الرب الرفيع الدائم، والحيوانات الأخرى مظاهر السميع البصير وقس عليه سائر الأسماء ومظاهرها كما يعرفه علماء الاسماء؛ ولذا فرقوا بين المرآتين الذاتية والصفاتية:

چــو آدم را فــرستاديم بــيرون جمال خويش بر صحراء نهاديم

أقول: ومما ذكرنا يعلم إجمالاً كيفية مقابلة الكتاب الصغير مع الكتاب الكبير، وقد ذكر أيضاً في الهامش في ص ١٥١، بيان المقابلة بينهما وتطبيق كلّ منهما مع الاخر تركناه حذراً من التطويل.

قوله ﷺ: العاملون بإرادته

قيل: بإرادته لله أو بالله وهو أظهر، فإنهم كانوا في أعلى مراتب القرب من جهة القيام بالنوافل الموجبة لحبّه تعالى إياهم الموجب لأن يسمعوا بالله، ويبصروا به، ويبطشوا به، ويمشوا به كما صرّح بها في الحديث القدسي: «ما زال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها.

وبعبارة أخرى: أنهم يعملون بإرادته تعالى لا بإرادتهم، كيف وقد علمت أنهم لا يريدون إلّا ما أراد الله نظير أنهم لا يشاءون إلا ماشاء الله، وتقدم قوله ﷺ في الزيارة: إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم.

ومن المعلوم أنها عامة تشمل أعمالهم ﷺ الفاضلة، وكيف لايعلمون بإرادته تعالى، وقلوبهم مهبط إرادته تعالى فهم ﷺ لا يفعلون شيئاً إلا بعهد من الله، ولا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

وبعبارة أخرى: أن قلوبهم محل مشيئته تعالى، وهم ألسنة ارادته تعالى، كما

علمت من الأخبار، فليس لهم مشيئة لأنفسهم ولا إرادة لأنهم عليهم السلام بالنسبة إليه تعالىٰ كالميت بين يدي الغسال.

وقد تقدم مانقل عن السيد بحر العلوم (رضي الله تعالى عنه) فيما نسب إليه أنه رويِ عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من أراد أن ينظر إلى ميت وهو يمشي، فلينظر إلى علي ابن أبي طالب عليه السلام» فهم عليهم السلام قد أماتوا أنفسهم وتركوا ملاحظتها واعتبارها بين يديه تعالىٰ، وصارت مشيئتهم مشيئة الله، وإرادتهم إرادة الله، فإن الله هو الفاعل بهم مايشاء، وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾** ففي الحقيقة ليس لهم عليهم السلام إرادة وإنما الإرادة إرادته تعالى، كما علمت من قوله: «إرادة الرب تهبط اليكم» أو أنهم يصدرون عن إرادته تعالى، وإرادتهم تابعة لإرادته تعالى، بل مضمحلة في إرادته. وقد ذكر في علم المعارف ما يوضح كيفية اضمحلال إرادة الله تعالى، فكيف بهم عليهم السلام وهم من القرب والمعرفة به تعالى بما لا يساويهم أحد كما لا يخفى؟

وعلم أيضاً معنى كونهم يعملون بإرادته أي يعملون لله، أي أنهم عاملون بما يطابق إرادته تعالى ومحبته تعالى، كما أن هذا هو المتفاهم عند العلماء والله العالم.

ثم إنه ذكر العلماء على مانقل عنهم عليهم السلام معاني مختلفة لكونه تعالى سمعهم وبصرهم.. الخ كما في الحديث.

منها: أنه كناية عن شدة القرب، واستيلاء سلطان المحبة على ظاهر العبد وباطنه، حتى غيّبه عن نفسه وعن كلّ الخلق.

قال الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة: حبّ الله إذا ضاء على سرّ عبده أخلاه عن كل شاغل وكل ذكر سوى الله.

فاذا وصل العبد إلى هذه الدرجة فلا محالة كان الله في سرعة الاجابة كسمعه في ادراك مسموعاته، وهكذا بالنسبة إلى بصره ويده ورجله.

فقوله تعالى: كنت سمعه.. الخ، معناه: كنت في سرعة الإجابة لما يريد كسرعة

السمع في درك المسموعات وهكذا فتأمل.

ومنها: أنه كناية عن أنه تعالى يشغله بامتثال أوامره ونواهيه، حتى يكون بمنزلة من لا يسمع إلا ما أمر بسماعه، ولا يرى إلا ما أمر برؤيته، فسماع العبد ورؤيته حينئذ كأنّه سماعه تعالى ورؤيته حيث لا يسمع إلا ما أمر به، ولا يرى إلا ما أمر به، والله العالم.

قوله عليه السلام: الفائزون بكرامته

أقول: الباء للسببية يعني أنهم بسبب كونهم مكرمين بالمعاني التي تقدم ذكرها في شرح قوله عليه السلام: المكرّمين، الذي أشار به إلى الآية الشريفة وهي قوله تعالى: **﴿عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾**[1] فازوا إلى غاية الفوز بحيث لم يدانِهم أحد.

والحاصل: أنه تعالى أكرمهم بما لم يكرم به أحداً من خلقه، لحقيقة ما هم عليه من القرب والمعرفة، ومن كونهم مظاهر جماله وجلاله إلى آخر ما تقدم، فلا محالة فازوا بما لم يفز به أحد من الخلق، وظفروا بما طلبوا من الكرامة لديه، ووصلوا إلى المقام الأعلى والمكان الرفيع.

قوله عليه السلام: اصطفاكم بعلمه

قد تقدم معنى كونهم مصطفين قريباً، وهنا أشار إلى أنّ هذا الاصطفاء يكون بعلمه، والباء للسببية بمعنى: أنه تعالى اصطفاهم بعلمه الذي هو من صفاته الذاتية المستجمعة لجميع الكمالات من القدرة الكاملة، والحكمة المتقنة، والمصالح الكاملة وهكذا.

١ـ الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧.

وبعبارة أخرى: أنه قد ثبت في محله أن كل كمال يرجع إلى العلم بلا استثناء، وجميع كمالاته تعالى آثار علمه تعالى.

فيكون حاصل المعنى أنه تعالى اصطفاهم بحقيقته، التي يكون جميع الحقائق منشعبة منها، فهم عليهم السلام مصطفون ومختارون بالفتح بما لايمكن ولا يتصور فوقه اصطفاء ولا اختيار، حيث إنه من الله وبعلمه فلا يحاذيهم أحد في هذا الاصطفاء، ولا يكون في صقع الوجود بمثلهم من حيث الاصطفاء والكمال.

فهذا المعنى يساوق معنى قولهم عليهم السلام: «نحن صنائع ربنا.. الخ» أي نحن مخلوقون بقدرة ربنا وعلمه اللذين ليس فوقهما علم ولا قدرة، فنحن فوق المخلوقين.

وبعبارة أخرى: أنه تعالى أعمل فيهم حين خلقهم علمه النافذ وقدرته الكاملة، فأوجدهم بأحسن وجه ما ينبغي، وأكمل ما يمكن، وأجمع للكمالات بما يمكن كما قال عليه السلام: إن الله خلقنا وأحسن خلقنا، وصوّرنا وأحسن صورنا.. الخ، ولذا ورد أنهم الآيات التى أراها الله تعالى لعباده حتى يتبيّن لهم أنه الحق وتقدم قوله عليه السلام: «**فأيّ أية لله أكبر منا آراه الله أهل الآفاق**» أو ما هو بمعناه قال النبي والوصي (صلى الله عليهما وآلهما): «مالله آية أكبر مني، ولا لله نبأ أعظم منى»، كلّ ذلك يشير إلى أنهم بكمال من الاصطفاء حيث إنهم مصطفون بعلمه بنحو ما ذكر.

وتقدم قول النبي صلى الله عليه وآله: «إن الله اصطفاني واختارني»، ومعنى الاصطفاء في شرح قوله عليه السلام: «المصطفون»، فما ذكره المجلسي رحمه الله في شرح الفقيه من قوله اصطفاكم بعلمه، أي عالما بأنكم أهل الاصطفاء، فإن هذا المعنى في نفسه وإن كان صحيحاً إلا أنه لايراد منه من هذه الجملة؛ لأنه خلاف ظاهرها كما لا يخفى.

وقد يقال: معنى كونهم اصطفاكم بعلمه أنه تعالى لما جعلهم خزان علمه، ومعلوم أنه عام يشمل جميع العلوم، فيلزمه إحاطتهم عليهم السلام بجميع الأشياء إحاطة علمية، وهذا لايمكن إلا بتجريدهم وتصفيتهم من جميع مراتب الوجود وتزكيتهم وتنزيهه عن تمام الحدود، وبلوغه تعالى بهم إلى مرتبة التجرد التام، التي يمكن

بلوغها للممكنات حتى يصيرهم مطلقين؛ ليمكن اجتماعهم وإحاطتهم علماً مع كل قيد، وإلا لما أمكنهم الوصول إلى عالم الحدود الخلقية لهدايتهم وترقّيهم إلى الكمال، بل ولعله لا يمكنهم عليهم السلام الترقي إلى ما فوقهم إلى الكمالات العالية، التي تكون بينهم وبين الذات الربوبي كما تقدمت الإشارة اليه.

وبعبارة أخرى: أنه تعالى اصطفاهم بعلمه، أي جعلهم مختارين له بالفتح بالعلم بإظهار علمه فيهم، وهو يقتضي تجردهم عن جميع الحدود الخلقية لما ذكرنا، فإذا اصطفاهم كذلك بنحو اللابشرط، فهم يجتمعون مع ألف شرط، أي أنهم صائرون وعالمون بجميع أنواع الخلق مع مالها من الحدود، وهذا المعنى أنسب للنسخة التي تكون مع اللام، وهو قوله: اصطفاكم لعلمه، أي اصطفاكم مجردين لتحمل علمه ولغاية علمه.

وبعبارة أخرى: اختاركم واصطفاكم حملة لعلمه؛ لتؤدوا عنه أحكامه إلى خلقه، أو حفظة لعلمه لأن غيركم لا يقدر على حفظ علمه، وهذا العلم لعلّه المراد منه عالم المشية الكلية الإلهية الذي هو مواد علمهم عليهم السلام وهو الاسم الأعظم الذي له ثلاثة وسبعون حرفاً استأثر الله بواحد منها في علم غيب الغيوب، بحيث لا يعلمه ملك مقرب ولا نبيّ مرسل، وعلّم محمداً وآله (صلى الله عليه وعليهم أجمعين) اثنين وسبعين حرفاً منها، وهو صلى الله عليه وآله ورّثها أهل بيته، وتقدم ذلك مفصلاً أنهم عليهم السلام كمحمد صلى الله عليه وآله في العلم إلا في النبوة وعقد لهذا باباً في الكافي فراجعه وهو باب أنّ عندهم الاسم الأعظم.

وقد يقال: على نسخة الباء للاستعانه.

وحاصلة: حينئذ أنه تعالى اطلع على جميع خلقه وهو بكلّ شيء عليم، فأحاط بكلّ شيء علماً فاختار منهم الصفوة بعلمه بعد تميزهم.

وكيف كان فقد اصطفى محمداً وآله صلى الله عليه وآله عن علم منه تعالى بهم بأنهم أهل الاصطفاء، حيث انفردوا عن التماثل والتشاكل بجميع ذلك كله، إلا أنه قد تقدم أن

كون الباء للاستعانة خلاف الظاهر،فتدبر.

قوله عليه السلام: وارتضاكم لغيبه

هذه الجملة إشارة إلى قوله: **﴿فلايظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول﴾**[1].

أقول: قد يقال إن الإرتضاء اختيار خاص يعني: الشيء قد يكون مختاراً لأميرٍ وأن يرتضي لذاته، بل ربما كان مكروهاً لذاته، ولكن لا يكون وإن لم يرتضي إلاً وهو مختار، فمعنى الارتضاء هو معنى الاصطفاء والإختيار.

وكيف كان قوله تعالى: **﴿من رسول﴾**، بيان لمن ارتضى وحاصله أنه تعالى يرتضي من رسله من يشاء؛ لبتحمل ما يشاء تعالى من غيبه، وذلك حيث يراه أهلاً بذلك. وأهليته كونه محبوباً له تعالى؛ لتحقيقه بحقائق العبودية والمحبة له تعالى والإطاعة. وهكذا إلى ساير أوصاف النبي التي ذكر في الأخبار.

ومن المعلوم بالقطع أن النبي صلى الله عليه وآله هو أول مصدق لهذه الحقائق و الصفات كما دلّت عليه الأخبار. وأيضاً دلت على أن كلّ ما علمه النبي صلى الله عليه وآله فقد علّمه عليّاً والطيبين من ذريته الأئمة عليهم السلام.

ففي تفسير نور الثقلين[2]، عن أصول الكافي عن سدير الصيرفي قال: سمعت عمران بن أعين يسأل أبا جعفر عليه السلام عن قوله جلّ ذكره: **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾** فقال أبو جعفر عليه السلام: «إلّا من ارتضى من رسول وكان والله محمد ممن ارتضاه».

وأما قوله: عالم الغيب فإن الله عز وجل عالم بما غاب عن خلقه فيما يقدر من شيء، ويقضيه في محله قبل أن يخلقه، وقبل أن يقضيه إلى الملائكة، فذلك يا حمران علم

---

١ ـ الجن: ٢٦ ـ ٢٧.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٤٤١.

موقوف عنده إليه فيه المشية، فيقضيه إذا أراد، ويبدو له فيه فلا يمضيه، فأما العلم الذي يقدره الله عزوجل ويقضيه ويمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله ﷺ ثم إلينا، الحديث.

وفيه[1]، عن احتجاج الطبرسي ﷺ عن أمير المؤمنين ﷺ حديث طويل وفيه: وألزمهم الحجة بأن خاطبهم خطاباً يدل على انفراده وتوحيده، وبان لهم أولياء تجري أفعالهم وأحكامهم مجرى فعله، وعرف الخلق اقتدارهم على علم الغيب بقوله: **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلامن ارتضى من رسول﴾**، قال السائل: من هؤلاء الحجج؟ قال رسول الله ﷺ: ومَن حلّ محلّه من اصفياء الله الذين قال: **﴿فأينما تولوا فثمّ وجه الله﴾** الذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله، وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه.

وفيه عن الخرائج والجرائح، روى محمد بن الفضل الهاشمي عن الرضا ﷺ: نظر الى بن هذاب فقال: إن أنا أخبرتك أنك ستبتلى في هذه الأيام بدم ذي رحم لك لكنتَ مصدقاً لي؟ قال: لا، فإن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، قال ﷺ: أوليس أنه يقول: **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول﴾**؟ فرسول الله ﷺ عند الله مرتضى، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي اطلعه الله على مايشاء من غيبه، فعلمنا ماكان وما يكون إلى يوم القيامة. الحديث.

فهذه الأحاديث ونحوها دلّت على أنه ﷺ والأئمة ﷺ ممن ارتضاهم الله تعالى لغيبه؛ لحقيقة ما هم أهله مما تقدم ذكره.

أقول: وفيه[2]، عن تفسير علي بن إبراهيم: **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول﴾** يعني: عليّاً المرتضى من الرسول ﷺ وهو منه، قال الله تعالى: «فإنه يسلك» الحديث يأتي بتمامه قريباً.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٤٤٤.

٢ ـ المصدر نفسه.

فدلّ هذا الحديث على أن المرتضى من الرسول هو علي عليه السلام فلا يكون من رسول بياناً لمن ارتضى بل للتعدية كما يقال: شربت من الماء. فمعناه حينئذ لا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضاه من رسوله فيكون مصداق من في من ارتضى أمير المؤمنين عليه السلام الذي ارتضاه من رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا بخلاف التفسير السابق، مصداق، من، في السابق هو رسول الله صلى الله عليه وآله وكان من رسول بياناً له، كما تقدم، فعلى التفسير السابق المستثنى من أحد الذي ثبت له علم الغيب هو الرسول، ويكون ثبوته للأئمة بتلك الأحاديث الدالة على المنزلة.

وأما على التفسير الثاني: يكون المستثنى هو أمير المؤمنين المرتضى من الرسول بالمنطوق لا بالمنزلة، ولعل هذا التفسير الثاني راجع إلى التأويل للآية؛ وذلك أنه لما ثبت أن علياً نفس الرسول صلى الله عليه وآله فإثبات الغيب لأحدهما إثبات للآخر أيضاً؛ فحينئذ قد يفسر من ارتضى بالرسول، وقد يفسر بلحاظ هذا التأويل بعلي عليه السلام كما لا يخفى.

وكيف كان فقد أثبتت هذه الآية والأحاديث أنهم عليهم السلام ممن علّمهم الله تعالى علم الغيب، وقد صرحت به الأحاديث الكثيرة، وهذا مما لاريب فيه، وهو مستفاد من الآيات كما لا يخفى.

وحاصله: أن الله تعالى يظهر رسله على مايشاء من الغيب المختص به، فالآية هذه إذا انضمّت إلى الآيات التي تخصّ علم الغيب به تعالى كقوله: **﴿وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو﴾**[1]، وقوله تعالى: **﴿ولله غيب السموات والأرض﴾**[2]، افاد ذلك المعنى الأصالة والتبعية، أما الأصالة فهو تعالى يعلم الغيب لذاته، وأما التبعية فهو أن النبي والأئمة عليهم السلام بدليل المنزلة يعلمون الغيب بتعليم من الله تعالى لهم، وقد دلّت أخبار كثيرة جداً على هذه التبعية كما لا يخفى على المتتبع لها.

---

١ ـ الأنعام: ٥٩.

٢ ـ النحل: ٧٧.

أقول: قد تقدم مفصلاً في شرح قوله عليه السلام «وعباده المكرمين» ما أوضح أنهم عليهم السلام عالمون بالغيب بتعليمه تعالى، إلا أنا نذكر هنا نبذاً في هذا الموضوع يتم به الكلام.

فنقول: لا ريب، أن من قال: إنهم عليهم السلام لا يعلمون الغيب لا ينكرون أنهم قد أخبروا بأشياء كثيرة من الغيب، فحينئذ لا محالة إما يقال في مقام الجميع بأن ذلك الإخبار بتعليم الله نبيه صلى الله عليه وآله وهو صلى الله عليه وآله علّمهم كما تقدم، أو هو وراثة منه صلى الله عليه وآله لهم عليهم السلام كما روي عنهم عليهم السلام أيضاً، وتقدم أنهم علموا ذلك من القرآن الذي فيه تبيان كلّ شيء، وتفصيل كل شيء وعلمه عندهم كما لا يخفى.

فهم عليهم السلام كما علمت لا يعلمون الغيب ذاتاً ويعلمونه تعليماً منه تعالى، أو تعليماً من الرسول أو لما عندهم من الاسم الأعظم كما تقدم.

وقد أقدرهم الله تعالى به على مايشاءُون من العلوم، أو لتعليم الملائكة إياهم حيث إنهم محدثين كما تقدم مفصلاً في شرح قوله: «ومهبط الملائكة»أو لماعندهم من مصحف فاطمة عليها السلام أو الجامعة أو الجفر، أو ساير الكتب السماوية التي عندهم كما وردت الأخبار بهذه كلّها، هذا مضافاً إلى أن الله تعالى يسلك من بين أيديهم، ومن خلفهم رصداً من الملائكة مؤيدات لهم، ومن إمدادته تعالى لهم كما دلّت عليه الأحاديث التي تقدمت في قوله عليه السلام: «ومهبط الوحي»، وفي ذيل خبر علي بن إبراهيم المتقدم آنفا فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً قال: في قلبه العلم، ومن خلفه يعلمه علمه ويزقّه العلم زقّاً، ويعلمه الله إلهاماً. والرصد التعليم من النبي صلى الله عليه وآله ليعلم النبي أن قد أبلغوا رسالات ربّه وأحاط علي عليه السلام بما لدى الرسول من العلم، وأحصى كل شيء عدد ما كان وما يكون منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة من فتنة أو زلزلة. الحديث

أقول: قد تقدم مفصلاً الكلام في أنهم عليهم السلام يعلمون الغيب ومعناه، وأنه ما المراد من الغيب في شرح قوله عليه السلام: عباد مكرمون، فراجعه فإنه ينفع في المقام، والله العالم بالأمور.

قوله ﷺ: واختاركم لسرّه

قد يقال: إن قوله ﷺ هذا بعد وارتضاكم لغيبه، إما للتأكيد، والتخصيص بعد التعميم لأن الغيب يعمّ السّرّ.

أقول: العلم بماله من العلوم والأقسام قد يتصف بكونه غيباً عند الجاهل بـه، وقد يكون مشهوراً عند العالم به، وقد يكون الأمر المعلوم مـن الأسرار، أي مما ينبغي أن يسرّبه ولا يفشى به إلا عند أهله، فهو بعدما أفشى لأهـله مـن الأسرار أيضا فلا بد من حفظه من الاغيار الذين ليسوا باهل، وهذا بخلاف علم الغيب فإنه بعد الإفشاء يخرج عن كونه علم الغيب كما لايخفى.

فعلى هذا لاتكون هذه الجملة لا تأكيداً ولا تخصيصاً، بـل هـي تـأسيس في نفسها كما لا يخفى.

ونقل عن بعضهم: أن سرّ آل محمد ﷺ صعب مستصعب، فمنه ما يعلمه الملائكة والنبيون وهو ما وصل إليهم بالوحي، ومنه ما يعلمه هم ولم يجر على لسان مخلوق غيرهم وهو ما وصل اليهم بغير واسطة.

أقول: كما علمت في شرح قوله ﷺ: ومهبط الوحي، أن من الوحي ما يكون من الله تعالى إليه ﷺ بلا وساطة جبرئيل، ويصل منه ﷺ حينئذ اليهم ﷺ وقد تـقدم شرحه. قال: وهو السرّ الذي ظهرت به آثار الربوبية عنهم فارتاب لذلك المبطلون وفاز العارفون، فكفر به من أنكر وفرط ومن غلا فيهم، وفاز من أبصر واتبع النمط الأوسط، انتهى.

أقول: ومن القسم الثاني معرفتهم ﷺ معرفة حقيقية على نحـو مـا عـرفته في شرح قوله ﷺ: «محال معرفة الله» بمقامات الله التي لا تـعطيل لهـا في كـل مكـان، وحقيقة معانيه التي علمته من قول السـجاد ﷺ: «وأمـا المـعاني فـنحن مـعانيه» وحقيقة ظاهره تعالى و وجهه وبابه وجنابه وحكمه الذي يـصير إليـه كـل شيء وأمره الذي قام به كل شيء وكلماته التامات التي علمت أنهم ﷺ هي تلك الكلمات

التي لا تستقصى ولا يدرك غورها، وعلمت فيما سبق أن هذا السرّ هو الذي أشار إليه الصادقعليه السلام في حديث ابن الصامت من قولهعليه السلام: -نحن نحتمله في جواب قوله: «فمن يحتمله» وأشار اليه أيضا في حديث أبي بصير المتقدم قال: قال أبو عبداللهعليه السلام: يا أبا محمد إن عندنا والله سرّاً من سرّ الله وعلماً من علم الله، والله مايحتمله ملك مقرب ولانبي مرسل ولامؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، والله ماكلف الله أحداً غيرنا، ولا استبعد بذلك أحداً غيرنا وإن عندنا سرّاً من سرّ الله وعلماً من علم الله، أمرنا الله بتبليغه، فبلغنا عن الله تعالى ما امرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولاحمالة يحتملونه حتى خلق لذلك أقواماً، خلقوا من طينة خلق منها محمد وآله وذريتهعليهم السلام ومن نوره خلق الله محمداً وذريته، وصنعهم بفضل صنع رحمته التي صنع منها محمداً وذريته، فبلغنا عن الله ما أمرنا بتبليغه فقبلوه واحتملوا ذلك، فبلغهم ذلك عنّا فقبلوه واحتملوه، وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا فلولا أنهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك لا، والله ما احتملوه.

أقول: قولهعليه السلام: إن عندنا والله سرّاً من سرّ الله، إلى قوله: ما كلّف الله أحداً غيرنا، يشير إلى ما ذكرنا من أمر الولاية، وما ظهرت به آثار الربوبية.. الخ وقولهعليه السلام: وعلماً من علم الله، إلى قولهعليه السلام: حتى خلق لذلك أقواماً، يشير إلى أن من العلم وما هو من أسرارهم ما لا يحتمله إلا الشيعة والملائكة المقربون والأنبياء والمرسلون وهو المشار إليه فيما رواه.

في البصائر عن الصادقعليه السلام من قوله: إن حديثنا صعب مستصعب، خشن مخشوش فانبذوا إلى الناس نبذاً، فمن عرف فزيدوه، ومن أنكر فأمسكوا، لايحتمله إلا ثلاثة، ملك مقرب، أو نبيّ مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، وفي حديث، أو مؤمن نجيب امتحن الله قلبه للإيمان.

أقول: وقد ذكر في الأخبار أن المسلمين هم النجباء، فيعلم أن الامتحان إنما هو بالتسليم لهم كما تقدم.

وكيف كان فهنا أسرار لهم عليهم السلام لا يحتمله إلا الشيعة، نحو كونهم حجج الله على جميع خلقه من الانس والجن والملائكة، والحيوانات والنباتات والمعادن، وقد تقدم أن الله تعالى قد احتج بهم عليهم السلام على خلقه، فجميع مراتب الخلق من الرزق والموت والحيوة يكون بيدهم بإذن الله تعالى.

وفي المحكي عن الاختصاص بإسناده إلى سماعة قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فارعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبدالله عليه السلام: أما أنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام.

فيعلم منه ما يريد الله من الخلق حتى من مثل الرعد والبرق، فهو يوجد بأمر الإمام، وقد كلّفه الله بذلك الأمر، وهم أبواب الخلق إليه تعالى، وأبواب الله إلى الخلق، وهذه الأسرار مما قد أخذ على الشيعة أن يكتموها إلا عن أهلها، وعليهم بيانها لأهلها على قدر معرفتهم واحتمالهم لها.

ولعمري إنه تعالى لايطلع أحداً من الشيعة على هذه الأسرار إلا إذا علم الله تعالى صدقه في ولايتهم عليهم السلام بل على قدر معرفته لولايتهم ومقاماتهم يعلّمه الله تعالى تلك الأسرار، نسأل الله تعالى ذلك.

وتقدم، عن الاختصاص[1]، بإسناده عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام أنه قال لمفضل بن عمر: إنّ الله تبارك وتعالى توحّد بملكه، فعرّف عباده نفسه، ثم فوّض إليهم أمره وأباح لهم جنّته، فمن أراد الله أن يطهر قلبه من الجنّ والانس عرّفه ولايتنا، ومَن أراد أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفتنا، ثم قال: يامفضل والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه إلا بولاية علي عليه السلام. الحديث. وقد تقدم بتمامه فعلم من هذا الخبر أن جميع الخلق إنما استأهل منه تعالى النظر إليه بأن يمنحه من ألطافه بسبب الولاية، فمن أنكرها لايستأهل لذلك اللطف، وقد تقدم شرحه مفصلاً.

---

١ ـ الاختصاص ص ٢٤٤.

وحاصل ماعلم من هذه الأخبار، أن أسرارهم منها ما علمه الملائكة والانبياء وخواصّ شيعتهم، وإنما يحتملونه بتعليم آل محمد عليهم السلام إياهم، وإنما احتمل الشيعة أسرارهم المشار إليها ولو بتعليمهم عليهم السلام لأن طينتهم من فاضل طينة محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله والعقل أيضا يساعد هذا اللطف منهم عليهم السلام لشيعتهم؛ وذلك لأنّ مشيتهم التي هي مشية الله تعالى مكمّلة لما نقص من قابلية من أرادوا تعليمه ومشيتهم عليهم السلام تتعلق بهم كذلك. إما بإقبالهم عليهم السلام عليهم فتستضيء بذلك قلوبهم كما ربما يستفاد من حديث خالد عن الصادق عليه السلام: «والله إن الأئمة هم الذين ينورون قلوب المؤمنين» الحديث. فحينئذ تنكشف لهم الأسرار.

وإما بعناية خاصة منهم عليهم السلام لهم كما ربما يظهر مما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿**وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً**﴾[1]، قال عليه السلام: أي لو استقاموا على حبّ آل محمد صلى الله عليه وآله لأفدناهم علم آل محمد.

ومما روي عن الباقر عليه السلام من قوله: ما أحبّنا عبد وأزاد في حبّنا، وعرضت عليه مسألة إلا ألقينا في روعه الجواب عنها، نقلته بالمعنى فراجعه. وذلك نحو العلم بحقيقة الأمر بين الأمرين وبحقيقة ولايتهم وشؤونها فإنها قل ما يصل إليها أفهام الخواص فضلاً عن عامة الناس من الشيعة، فهذه الأمور وأشباهها لا يعلمها إلا العالم عليه السلام أومن علّمه العلم عليه السلام إياه كما نصّ عليه في الأحاديث، وقد تقدم سابقاً ذكر أحاديث الباب وشرحها مفصلاً عند قوله عليه السلام: «وحفظة سرّ الله» وسيأتي أيضاً بعض الكلام في شرح قوله عليه السلام: «وحفظة لسرّه» ونذكر هناك الفرق بين هذه الجمل المتقاربة من حيث المعنى، ثم إن مااختصوا به من الأسرار الربوبية التي أشير إليها إجمالاً لا يجوز لغيرهم أن يطلبوه، ومَن طلبه فقد عصى، واستوجب عقوبة طلبه بما يناسب حاله، كما ذكر هذا الطلب في آدم وحوّاء عليهما السلام وكذلك أيوب فابتليا بما ذكر في

---

١ ـ الجن: ١٦.

الأخبار، ورغب عن الخضوع لها يونس عليه السلام فالتقمه الحوت، وكذلك فطرس كما تقدم، فعذب بالجزيرة، ثم لما تاب هؤلاء وسألوا الله بمحمد وآله (صلى الله عليهم أجمعين) قبل الله توبتهم، وقصصهم مذكورة في الكتب المفصلة فراجعها خصوصاً في تفسير البرهان، والحمد لله ربّ العالمين.

وقوله عليه السلام: واجتباكم بقدرته

أقول: لاريب في أن الاجتباء هو الاختيار والاصطفاء كما في اللغة، وهذا الاجتباء له مصاديق من حيث الشدة والضعف في الاختيار.

فحينئذ ربما يقال: إنما نسب الاجتباء إلى القدرة مبالغة في تعظيم مقام الاجتباء لهم عليهم السلام لأن اجتباءَهم عليهم السلام واقع على أكمل وجه، وهو يكون عن القدرة البالغة التي لا تعجز في شيء من الكمال وان عظم، وقد يقال: إن المشي وجوده بلحاظ تعلق الإرادة به مهما يكون مختاراً وباعتبار لحاظ الكمال، وكونه من صفوة الموجودات يكون مصطفىً، وباعتبار تحققه في الخارج على أحسن وجه وأكمل وأتم وجه ممكن يكون مجتبا؛ لأن الاجتباء عنوان الفعل في الخارج، أي يكون مصداقه ما هو موجود خارجاً، ولذا جعل الاجتباء بالقدرة التي هي السبب للفعل والعمل، بخلاف سائر الجمل المتقدمة على هذا والمتأخرة عليه فإنها عللت بالصفات المعنوية الثابته قبل الفعل. فتدبر تعرف.

وقد يقال: إنهم عليهم السلام لما كانوا مظهر قدرته كما دلّت عليه الأخبار، فحينئذ معنى الاجتباء بالقدرة هو أنهم مصدر آثارها وباب فيوضاتها لا غيرهم وهم عليهم السلام بمكان من هذه المظهرية لها بحيث ينحدر عنهم السيل، ولا يرقى إليهم الطير، فلا أحد في القدرة وآثارها مثلهم، فيكون الباء حينئذ بمعنى اللام الغائية، أي اجتباهم لغاية إظهار قدرته تعالى النافذة، التي ليست فوقها قدرة في الوجود.

وبعبارة أخرى: أن قدرته تعالى قد ظهرت في المقدورات وفي القادرين، إلا أن كلّاً منهم بحسب ظرفيته ولا ريب ـ انّ قدرته الكاملة، لم تكن ظاهرة في أولئك القادرين، فحينئذ وجب في الحكمة الإلهية حيث انه شاء ان يعرف خصوصاً في كمال قدرته أن يخلق خلقاً أقوى وأقرب إليه تعالى، وإلى قدرته الذاتية مما يتقوى به من سائر المخلوقات المحدودة، فاختارهم الله تعالى وخلقهم لقدرته الكاملة، وجعلهم أعضاداً للخلق كما تقدم، فحينئذ فالله تعالى أقدرهم على تحمل ماشاء من علمه، وعلى أداء ماحملهم من الولاية التكوينية والتشريعية المتقدم ذكرهما، فأقدرهم على تبليغ ماأمرهم على تبليغه في التشريع وعلى تقديرهم للأشياء بأن جعلهم مقدرين ـ بالكسر ـ للاشياء بإذن الله تعالى، كما تقدم في شرح قول الحجّة (عليه أفضل الصلاة والسلام، وعجل الله تعالى فرجه، وجعلني الله فداه) في دعاء رجب: «ومناة وأذواداً».

والحاصل: أنهم عليهم السلام مقدرون ـ بالفتح ـ له تعالى بما أقدرهم على ما ذكر وهو معنى اجتباهم بقدرته، فهم حينئذ مقدرون ـ بالكسر ـ لما ذكر فتأمل تعرف بعونه تعالى.

ويقرب من هذا ما قيل: إنه تعالى اجتباهم بقدرته إلى عالم القضاء الإلهي أعني عالم القدرة في الخلق، وهو عالم تنزيلهم عليهم السلام إلى عوالم الأسماء الحسنى، التي هي مراتب اسم الله تعالى، وذلك لأن الاجتباء افتعال من الجباية والجباوة والجبوة والجباة والجبا ايضاً بكسرهن، ماجمع في الحوض من ماء كما نقل ذلك كلّه عن القاموس فيصير المعنى: أن الله تعالى قد جمع فيكم تمام مقدوراته، وملأ بكم بها اعلاماً على قضائه لها، كما جمع الماء في الحوض وامتلأ به فالباء للتعدية حينئذ لتضمين معنى الجمع بالامتلاء كما لا يخفى، والحمد لله ربّ العالمين.

قوله ﷺ: وأعزّكم بهداه

أقول: لابدّ أولاً من شرح معاني العزّ والهداية، ثم بيان المراد من هذه الجملة.

فنقول: في المجمع ما حاصله: أن العزّ بمعنى الشدة والغلبة يقال عزّه يعزّه عزاً إذا غلبه وبمعنى التقوية والتشديد في الأمر كقوله تعالى: ﴿**فعزّزنا بثالث**﴾ أي قوينا وشددنا ظهورهما، والاسم العزة وهي القوة والغلبة والعزة: المغالبة و الممانعة وبمعنى الحمل كقوله تعالى: ﴿**أخذته العزّة بالأثم**﴾ أي حملته العزّة التي فيه من الغيرة وحمية الجاهلية على الإثم، وقوله تعالى: ﴿**ربّ العزة**﴾ أي الغلبة، وقوله تعالى: ﴿**أعزة على الكافرين**﴾ أي يعازّون الكافرين، أي يغالبونهم ويمانعونهم، من عزّه: إذا غلبه بمعنى الاستبداد والشق على النفس كما لا يقال: عزيز عليّ أن أراك كذا وبمعنى الأنفة يقال: عزّ عليّ أن كذا، أي اتنفر واتضجر منه واتجنّب عنه، والعزّ بالكسر خلاف الذل وعز الشيء عزّا وعزازة إذا قلّ ولا يكاد يوجد فهو عزيز، وعزّ فلان يعزّ عزّاً وعزازة صار عزيزاً أي قوي بعد ذلة والجمع اعزّة.

وفيه: معاني الهداية ما حاصله: أن الهداية: بمعنى الدلالة كقوله ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ فعن الصادق عليه السلام: أرشدنا للزوم الطريق المؤدّي إلى محبتك والمبلغ إلى جنتك، من أن نتّبع أهواءنا فنعطِب أو نأخذ بآرائنا فنهلك.

وبمعنى الكتاب والشريعة كقوله: ﴿**فمن اتبعَ هدايَ فلا يضلّ ولا يشقى**﴾ أي القرآن والشريعة.

وبمعنى البيان كقوله تعالى: ﴿**أوَ لَم يَهدِ لهم**﴾ أي أو لم يبيّن هم.

وبمعنى الإمضاء كقوله تعالى: ﴿**إن الله لا يهدي كيد الخائنين**﴾ أي لا يمضيه ولا ينفذه. وقد يقال: أي لا يصلحه فالهداية بمعنى الإصلاح.

وبمعنى الطريقة كقوله تعال: ﴿**فبهداهم اقتدِه**﴾ أي بطريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وعدله دون الشرايع الأخر. فالهدى والرشاد والدلالة والبيان يذكر ويؤنث.

والهدى منه تعالى التوفيق والتأكيد كما قال: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ أي يوفق ويؤيد من يشاء، وقيل الهدى الحفظ انتهى ما عن المجمع ملخصاً.

أقول: قد ذكر معنى الهداية في قوله عليه السلام: «الهداة» إلا أن البيان هنا يرجع إلى معنى أنه تعالى أعزّهم بهداه، فنقول: معنى هذه الجملة بلحاظ معاني العزّ والهداية هو أنه تعالى جعلكم أعزة بالهداية هادياً أو مهدياً، وشدّكم بهداه وإرشاده للزوم الطريق المؤدي إلى محبته والمبلغ إلى جنته،وقواكم بتعريفه وتنبيهه لكم وقوّاكم بالتقوى، وبما أمضى لكم من محتوم أمره وقضائه من سنته وطريقته وآرائه، وأصول شر يعه وفروعها وشدّكم وقوّاكم على حفظ ماجعله للمكّلفين من الايجادات وأسبابها، والتشريعات وآدابها على الخلق، وأيدكم بما به تكونون غالبين لما تريدون، ظاهرين على من تعادون.

وبعبارة أخرى: أعزّكم وغلبكم على عالم الإمضاء الإلهي الذي هو عالم القضاء في الخلق فهو تعالى أعزكم، أي أوصلكم إلى مايريد، وأوصل بكم عالم إمضائه وقصائه بالوجود بأن غلبكم وسلّطكم على كل شيء وعلى إمضائه في الخلق فأنتم الأعزّة، ومحلّ العزة التي هي لله تعالى وإليه يشير قوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾، والحمد لله ربّ العالمين.

قوله عليه السلام: وخصّكم ببرهانه

أقول: في المجمع: وخصّه بالشيء خصوصاً من باب قعد، وخصوصية بالفتح أفصح من الضم، وخص الشيء خلاف عمّ.

وفيه: البرهان بالضم فالسكون الحجّة والبيان.. إلى أن قال: وسميت الحجة برهاناً لبيانها ووضوحها، وعن ابن الاعرابي: البرهان الحجة من البرهونة وهي البيضاء من الجواري.

وحاصل المعنى حينئذ أنه تعالى جعلكم من بين عامة الخلق حتى الملائكة والأنبياء مخصوصين ببرهانه، أي بما هو الحجة والبيان على الخلق في إثبات التوحيد والمعارف والأحكام الإلهية ثم إن حقيقة البرهان التي هي الحجة و البيان للمبرهن عليه إنما يصح صدوره عمّن هو في وضوح وبيان من الله الملك العلّام.

وقد تقدم: أنهمعليهم السلام في مقام العندية لدى الرب المشار إليه في قوله تعالى: **﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته﴾**[1]، ومن المعلوم أن هذا المقام يستدعي وضوح المعارف عنده بالوجدان.

وتقدم: أن الرجس المنفي في آية التطهير هو الشك المستلزم لنفي الحجب الموجب لمشاهدة الحق والحقائق بالوجدان.

وتقدم أيضاً: عن الكافي عن أبي بصير قال: سألت أبا عبداللهعليه السلام عن قوله تبارك وتعالى: **﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ماالكتاب ولا الإيمان﴾** قال: خلق من خلق الله أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول اللهصلى الله عليه وآله يخبره ويسدّده وهو مع الأئمة من بعده.

وتقدم: عن البصائر عن إسحق الحريري قال: كنت عند أبي عبداللهعليه السلام فسمعته وهو يقول: إن لله عموداً من نور، حجبه الله عن جميع الخلائق طرفه عند الله وطرفه الآخر في اذن الإمام، فإذا أراد الله شيئاً أوحاه في اذن الإمام.

فالمستفاد من هذه الأحاديث ونظائرها التي هي أكثر من أن تحصى هو أن الإمامعليه السلام له هذا المنصب الإلهي الذي منه إقامة البرهان في الخلق كما لا يخفى.

ثم إن البرهان قد يقرر بوجوه:

منها: القرآن فإنه تعالى أنزله في حجراتهم، وعلّمهم مقاصده وإرادته فيه، وجعلهم حفظة أحكامه وقوّاماً بما أنزل فيه من أوامره ونواهيه ومعارفه.

ومن المعلوم أن القرآن مظهر مشية الله وبانضمام ما ورد: «أن قلوبنا أوعية لمشية

---

١ ـ الأنبياء: ١٩.

الله» ينتج أن قلوبهم محل مشيته تعالى الكائنة في القرآن، حيث إنه نزل في دروهم وإن صدورهم محل الآيات البينات القرآنية كما نطقت به الأحاديث الكثيرة، وقد تقدم بعضها، وحينئذ فلا محالة أن الأئمة عليهم السلام هم العالمون بما ينطق به القرآن، إذ لا يمكن لأحد من خلق الله أن يعمل بما ينطق به القرآن كالأئمة عليهم السلام فإنهم حيث خوطبوا به يعرفونه حقّ معرفته فلا محالة هم الناطقون بحقائقه.

وإليه يشير ما تقدم من قول أميرالمؤمنين عليه السلام ما معناه: أن القرآن صامت فلا بد من رجال يترجمونه، وهم هم عليهم السلام فالأئمة عليهم السلام هم المبلغون عنه والمبشرون ببشائره، كما قال تعالى: ﴿**لأنذركم به ومن بلغ**﴾[1] أي ومن بلغ ان يكون منذراً منهم ينذركم به كم فسّرت هكذا في الاحاديث.

ففي اصول الكافي باسناده عن مالك الجهني، قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام قوله عزو جل: ﴿**وأوحي إليّ هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلغ**﴾ قال: من بلغ أن يكون إماماً من آل محمد فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله صلى الله عليه وآله.

والحاصل: أن القرآن بألفاظه الواقعية ومعانيه، وحقائقه وبطونه، وتأويلاته ومعارفه التي انبأت عن جلاله وجماله تعالى كلها تكون متحققة في صدورهم الشريفة، ومتجلية بتجلي الله بها عندهم عليهم السلام ضرورة انه تعالى أظهر الحقائق القرآنية في القرآن بالقرآن لنفوسهم الطاهرة، فهم شاهدون لها كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله عرف نفسه لخلقه في كلامه من غير أن يروه، أي من غير ان يروه بالبصر، فراجع النهج.

فلا محالة هم عليهم السلام المؤدون عنه إلى الموجودين والمكلّفين في كل زمان ما أظهره الله لهم بالقرآن، وقد أنال الله حملته وهم الأئمة عليهم السلام ما بسببه يبلّغون حقائقه ومعارفه وأحكامه من المجد والشرف والعزّ الذي لا يُخلق جديده على تطاول الايام والدهور فهم عليهم السلام بواسطة القرآن حيث إنهم عليهم السلام حملته حقيقة قد نالوا أعلى المقامات في العلم

١ـ الأنعام: ١٩.

بحيث طأطأ كلّ شريف لشرفهم، وبخع كل متكبّر لطاعتهم، وسيأتي بيانه في شرح هذه الفقرة من الزيارة إن شاء الله تعالى.

وبعبارة أخرى: كون القرآن برهاناً من وجوه.

منها: من حيث اللفظ، فإن لفظ القرآن أيضاً برهان على حقانيته، فإنه معجز يعجز عنه الثقلان بإتيان مثله كما قال تعالى: ﴿**فأتوا بسورة من مثله**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**لا يأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيراً**﴾[2] فانه سبحانه أظهر بألفاظه المعجزات الخارقات للعبادات المقرونات بالتحدي.

ومنها: ما أظهر الله تعالى فيه من العلوم والأسرار والأخبار بالحادثات على مرّ الدهور.

ففي بصائر الدرجات[3]، باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا علياً في المرض الذي توفي فيه، فقال: ياعلي أدن مني أسرّ إليك ماأسرّ الله إليّ، وأئتمنك على ما ائتمنى الله عليه، ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام وفعله علي عليه السلام بالحسن عليه السلام وفعله الحسن عليه السلام بالحسين عليه السلام وفعله الحسين عليه السلام بأبي، وفعله أبي بي» (صلوات الله عليهم أجمعين).

ونرى الكتب مشحونة من علومهم عليهم السلام وما أسرّوه إلى حواريهم، وقد تقدم ذكر عدّة من خواص أصحاب الأئمة عليهم السلام الذين كانوا من أصحاب السرّ، وتقدمت أحاديث الباب مراراً فراجعها.

ومنها: أنه تعالى ذكر في القرآن أنحاء البراهين والحجج، التي بها يقوم الحق ويبطل الباطل، وقد ذكر العلماء في أحوالهم عليهم السلام في الأزمنة المتمادية ما صدر منهم للناس من ذكر تلك البراهين والحجج، وقد شرحها العلماء في كتبهم الكلامية

---

١ ـ البقرة : ٢٣.

٢ ـ الإسراء : ٨٨.

٣ ـ بصائر الدرجات ص ٣٧٧.

وغيرها من البحار ونحوه، وهذا بعض الكلام في كون القرآن برهاناً، ولعمري إن البسط فيه خارج عن قدرتنا، وكيف، وهو الكتاب المنزل من لدن حكيم عليم خبير؟ والحمد لله ربّ العالمين.

ومنها: أي ومن وجوه البرهان التي اختصهم الله بها، أنه تعالى اختصهم بالمعجزات الخارقة للعبادات، فإنها برهان الله وحجته وآياته المصدقة ـ بالكسر ـ لرسله وأوليائه وذلك مثل: إحياء الموتى، وإبراء الأبرص، والأخبار بما يدخرون في بيوتهم، وإنطاق الجمادات والحيوانات العجم، وإحياء الجمادات بإعطائها أرواحاً حيوانية وسلبها منها، وقد شاع بين الموالف والمخالف ما صدر منهم من تلك المعجزات بنحو أقرّ الجميع بعلو مقامهم عند الله تعالى، وبما منحهم من كرامته، وإن شئت تفصيل ذلك فراجع الكتب المدونة في معجزاتهم من بعض أبواب كتب البحار خصوصاً من كتاب مدينة المعاجز للسيد البحراني (رضوان الله تعالى عليه) ومن كتاب البصائر، فإن فيها أبواباً في ذكر معاجزهم بأنحاء مختلفة، ونحن نتركها مخافة التطويل، فعليك بالرجوع إليها.

ومنها: أنه أخصهم ببرهانه بأن أعطاهم الاسم الأعظم الأكبر الذي به يفعلون ما شاءوا ويعملون ما أرادوا.

ففي بصائر الدرجات[1]، بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض مابينه وبين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت اسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم الاعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله استأثر به في عالم الغيب عنده ولا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم.

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٢٠٨.

وفيه(١)، حديث طويل في ردّ الشمس لأمير المؤمنينعليه السلام حتى صلّى صلاة العصر، وفي آخره فإني سألت الله باسمه العظيم فرّد عليّ الشمس.

وفيه(٢)، بإسناده عن جابر عن أبي جعفرعليه السلام قال: سألته عن علم العالم، فقال: ياجابر إنّ في الأنبياء والاوصياء خمسة أرواح، روح القدس وروح الإيمان وروح الحيوة وروح القوة وروح الشهوة، فبروح القدس ياجابر علمنا ما تحت العرش إلى ماتحت الثرى، ثم قال: ياجابر، إن هذه الأرواح يصيبه الحدثان، إلاّ أنّ روح القدس لا يلهو ولا يلعب.

هذا والذي ينبغي أن يقال في بيان كونهمعليهم السلام ممن أخصّه الله ببرهانه هو أن حقيقة البرهان هو الوضوح والبيان، وما به وضوح الشيء مطلقاً، كما تقدم وهذا المعنى هو المنطبق على معنى النور الذي عرّف بأنه الظاهر بنفسه المظهر لغيره، ولا ريب في أن حقيقتهمعليهم السلام هو النور، وبلحاظ أنهمعليهم السلام أقرب الخلائق إليه تعالى بحيث لا حجاب بينهم وبين الله أبداً كما تقدم عن أبي حمزة عن السجادعليه السلام من قولهعليه السلام: ليس بين الله وبين حجته حجاب، فلا للّه دون حجته ستر، وعلمت أن الرجس المنفي عنهمعليهم السلام بآية التطهير هو الشك المستلزم لنفي الحجب عنهمعليهم السلام فيما بينهم وبين الله تعالى كما هو صريح حديث أبي حمزة الثمالي.

فلا محالة لاتكون حقيقتهمعليهم السلام إلاّ النور المقرب إليه تعالى، الظاهر بالله تعالى، والمظهر لغيره من حقائق الموجودات والمعارف الإلهية، وتدل على هذا عدة من الأحاديث.

منها: الروايات الكثيرة الدالة على أول خلق الله، وأنهم خلقوا نوراً هي كثيرة جداً، وقد ذكرنا بعضها في طي الشروح السابقة ونشير هنا اليها اجمالاً.

في البحار عن الكنز، روى الصدوق (رحمه الله) في كتاب المعراج عن رجاله

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٢١٧.

٢ ـ بصائر الدرجات ص ٤٤٧.

عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يخاطب علياً عليه السلام ويقول: ياعلي إن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء معه، فخلقني وخلقك روحين من نور جلاله فكنا عند ربّ العالمين نسبّح الله ونقدّسه ونحمده ونهلّله، الحديث.

وفيه[1]، عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تعالى خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام فهي أرواحنا، الحديث.

وفيه[2]، في باب معرفتهم بالنورانية عن أمير المؤمنين وفيه قال عليه السلام: معرفتي بالنورانية معرفة الله عزوجل، ومعرفة الله عزوجل معرفتي بالنورانية.. إلى أن قال: كنت أنا ومحمد صلى الله عليه وآله نوراً واحداً من نور الله عزوجل.. الخ.

وفي الكافي باب أن الأئمة نور الله عزوجل في حديث تحت رقم ٤، عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: **﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾** فقال: يا أبا خالد النور والله الأئمة عليهم السلام يا أبا خالد، لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم الذين ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم ويغشاهم بها.

وفيه تحت رقم ٦، حديث عن أبي الحسن عليه السلام، إلى أن قال عليه السلام: والإمامة هي النور ذلك قوله عزوجل: **﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾** قال: النور هو الإمام.

فعلم من هذه الأحاديث ونحوها أن حقيقة الإمام النور، وقد علمت أنه الظاهر بنفسه والمظهر لغيره، فلا محالة لا يخفى عليه شيء، فأرواحهم المقدسة من حيث إنها نور تكون بحيث لا جهل لها بأيّ شيء وهي عارفة بالشيء لتجرّدها ونورانيّتها، فهي نظير المرآة التي لا يواجهها شيء إلا وتنتقش فيها صورته، فبرهانه تعالى حيث إنه مضاف إليه تعالى فلا محالة يراد منه ما هو واضح في نفسه وموضح لغيره

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٤.

٢ ـ البحار ج ٢٦ ص ٣.

بالكلية، هذا الامر متحقق فيهم عليهم السلام وقد أخصهم الله تعالى به فكما أنه تعالى نور، أي ظاهر بنفسه ومظهر لغيره وهو برهان على كلّ شيء بهذا اللحاظ ولذا ورد في الدعاء: يابرهان، كذلك انهم عليهم السلام مظهر لهذا البرهان الإلهي بما اختصّهم الله تعالى به فهم نور، أي مظهر للنور ظاهربنفسه ومظهر لغيره.

والحاصل: أن حقيقتهم هو البرهان النوري ومظهر للبرهان النوري الإلهي، والى آثار هذا النور تشير عدة من الأحاديث في أبواب متفرقة نذكر بعضها.

ففي بصائر الدرجات بصائر الدرجات ص ٤٣٩، بإسناده عن إسحق الحريري، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسمعته وهو يقول: إن لله عمداً من نور حجبه عن جميع الخلائق طرفه عند الله وطرفه الآخر في اذن الإمام فإذا أراد شيئاً أوحاه في اذن الامام.

وفيه عن أبي بكر الحضرمي قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا بكر ما يخفى عليّ شيء من بلادكم.

وفيه عن أبي الحسن عليه السلام، إلى أن قال: فذكروا الإمام وفضله، قال: إنما منزلة الإمام في الارض بمنزلة في السماء وفي موضعه هو مطلع على جميع الأشياء كلها.

قوله عليه السلام: وفي موضعه، أي الإمام في موضعه أي مقامه الذي وضعه الله تعالى فيه، وهو مقام الإمامة ومقام النورانية مطلع على جميع الاشياء.

وفيه ص ٢٨٩، عن أبي عبدالله عليه السلام: أن الله أخذ الميثاق شيعتنا من صلب آدم، فنعرف خياركم من شراركم.

وفيه ص ٢٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الايمان وبحقيقة النفاق.

فدلّت هذه الأحاديث على أن بحقيقتهم النورانية الإلهية كانوا آية للعالمين، وحجج الله على الخلق أجمعين، فهم برهانه المبين الذي أخصهم به، ومن آثار هذا النور الالهي أنهم عليهم السلام مظاهر برهان ربوبيته، وآيات علمه وقدرته، وقد تقدم مراراً

ما يدل على هذا.

في البصائر ص ٩١، بإسناده عن أسود بن سعيد قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فأنشأ يقول ابتداء من غير أن يُسأل: نحن حجة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده.

وقد تقدم مثله مراراً، وتقدم مايدل على أنهم مظاهر القدرة لله تعالى.

والحاصل: أنهم عليهم السلام الآيات التي أراها تعالى الخلق لإثباته وإثبات دينه، وتقدم في قول الصادق عليه السلام ما معناه: فأيّ آية أكبر لله وأراها أهل الآفاق منا؟!

فظهر من جميع ما ذكر أنهم عليهم السلام هم برهانه تعالى، وأنه ظهر عليهم وهم أظهروه للخلق، بحيث لم يكن لاحد من غيرهم ماهم في هذا المقام، وهو معنى الاختصاص ببرهانه، والحمد لله ربّ العالمين.

قوله عليه السلام: *وانتجبكم بنوره*

أقول: الانتجاب هو الاختيار والاصطفاء والباء للسببية.

فالمعنى: أنه تعالى اختاركم واصطفاكم بسبب نوره، والمراد من النور هو العلم فالمعنى: بسب علمه، وبهذه العلة لابأمر آخر يمكن أن تكون علة للاصطفاء كما في ساير الخلق، ومعلوم أن علمه تعالى نافذ وشامل لايشوبه جهل في جهة من الجهات، فحينئذ يكون المختار والمصطفى بعلمه هو المتصف بجميع الكمالات، وبجميع ماينبغي أن يكون في المختار المطلق بحيث لايكون فوقه مختار آخر أحسن منه رإلا فيلزم أن يكون هو المختار كما لايخفى.

ثم إن المراد من هذا العلم هو الكتاب الأول، أو الحق الأول، أو العلم الذي يساوق معنى الربوبية.

والحاصل: أن المراد منه العلم المخلوق لا العلم الذاتي؛ لأن الانتخاب معنى فعلي، والذات لاتكون فعلاً لنفسها، ولاجل أن المراد منه العلم المخلوق بنفسه عبّر

عنها بالنور كذا قيل، كما قيل إنه يجوز أن يُراد من النور ذواتهم المقدسة، بمعنى أنه تعالى لم يختارهم لشيء غيرهم أي لما كانت حقيقتهم النور كما علمت سابقاً.

فالله تعالى اختارهم بحقيقتهم النورية ولحقيقتهم النورية لابشيء ولشيء آخر، فالمعنى أنه تعالى بسبب أنهم عليهم السلام حقيقة النور والمخلوق النوري اصطفاهم واختارهم؛ لكونهم كذلك لا لجهة أخرى، وإضافة النور إلى نفسه تعالى حينئذ لأنه مخلوقه تعالى كما لايخفى.

ويقرب إلى هذا المعنى جعل الباء بمعنى من، أي اجتباكم وخلقكم وأوجدكم من نوره، أو اجتباكم متلبسين بنوره، وقد دلّت كثير من الأخبار على أنهم خلقوا من نور عظمته، وتقدم بعضها ومنها ما:

في البحار[1]، عن إكمال الدين بإسناده عن أبي حمزة قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: إن الله عز وجل خلق محمداً وعلياً والأئمة الأحد عشر من نور عظمته أرواحاً في ضياء نوره، يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبّحون الله عزوجل، ويقدسونه، وهم الأئمة الهادية من آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين).

ويمكن أن يقال: إن كون المراد من النور العلم مع أنه لا وجه له؛ لتكراره إذ قد تقدم في شرح قوله عليه السلام: «واصطفاكم بعلمه» ما يقرب إلى هذا التفسير.

نعم لو أريد من النور ذواتهم المقدسة لايرد عليه هذا إلا أنه أيضاً خلاف الظاهر فحينئذ نقول: الانتجاب افتعال من نجب، وفي اللغة نجب بالضم نجابة إذا كان فاضلاً نفيساً في نوعه.

ومن المعلوم أن الانتجاب بما هو مزيد يراد منه المعنى المراد من مجرده، فيكون المعنى: اختاركم واصطفاكم بالفضل والنفاسة.

ومن المعلوم أنه يشار به إلى أنهم في غاية النفاسة من جميع الجهات خصوصاً

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ١٥.

من حيث الجمال، كيف لا وهم عليهم السلام مظاهر جماله؟ وقوله عليه السلام: بنوره يشار به إلى أنه إنما جعلكم في غاية النفاسة والفضل والجمال؛ لأنكم مصطفون من نوره، وبسبب نوره، فالنور بما هو منشأ لجميع الكمالات، والنفاسة والفضل إنما ذكر سبباً لنفاستهم وجمالهم وفضلهم، فالمعنى: أنكم في غاية الكمال لأنه تعالى خلقكم وانتجبكم بنوره، الذي هو أصل الجمال ومنشأ كل جمال، وقد ذكر في الأحاديث ما يدل على أنهم عليهم السلام أجمل من كل جميل، وقد تقدم بعض الكلام فيه سابقاً.

قوله عليه السلام: وأيّدكم بروحه

أقول: في المجمع قوله تعالى: **﴿وأيدناه بروح القدس﴾** أي قوّيناه، والأيد والأد القوة ـ وحينئذ نقول: قد علمت أن حقيقتهم عليهم السلام هو النور كما ذكر في أحاديث بدء خلقتهم، وتقدم كثير منها، فهم عليهم السلام بحقيقتهم النورانية التي هي منشأ جميع الكمالات من العلم والقدرة والعبودية قد نزلوا من عالم القدس والقرب الربوبي إلى عالم الدنيا والطبايع؛ للتبليغ ولتكميل النفوس الناقصة، بل لتكميل كل موجود إلى ما يراد منه من كماله، فبنزولهم إلى عالم الرخص قد واجهوا الجهّال والأمور الصعبة.

فالله تعالى إتماماً للنعمة عليهم قوّاهم وأيدهم بروحه، الذي قد علمت المراد منه. وأنه خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل.

ففي الكافي عن أبي بصير ليث المرادي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى: **﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾** قال: خلق من خلق الله تعالى أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدّده وهو مع الأئمة من بعده.

وفي الصحاح عن ليث قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى: **﴿ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربّي﴾** قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يسدّدهم وليس

كلما طلب وجد.

فعلم من هذه الأحاديث ونحوها أنهم مؤيدون، أي أن الله تعالى قوّاهم بهذا الروح. تقدم شيء منه مراراً فراجعه، فنفوسهم المطهرة دائما تكون متنورة بالانوار القدسية الإلهية، والحمد لله ربّ العالمين.

قوله عليه السلام: ورضيكم خلفاء في أرضه

أقول: الكلام في هذه الجملة يقع في **ثلاثة مواضع.**

الأول: في معنى الخليفة.

والثاني: في معنى رضاه تعالى بكونهم خلفاء.

والثالث: في معنى كونهم خلفاء في الأرض، وبيان وجه التخصيص بها.

الكلام في **الموضع الأول:** في المجمع: ﴿**جعلكم خلائف في الأرض**﴾ أي سكّان الأرض، يخلف بعضهم بعضاً، واحدهم خليفة.. إلى أن قال: قوله تعالى: ﴿**ياداود إنّا جعلناك خليفة في الأرض**﴾ الخليفة يُراد به في العرف لمعنيين:

إما كونه خِلْفَة (خلفاً) لمن كان قبله من الرسل.

أو كونه مدبراً للأمور من قبل غيره.

قوله: ﴿**إنّي جاعل في الارض خليفة**﴾ في حديث علي عليه السلام ما حاصله: إن الله تعالى خلق في الأرض من الجن والنسناس فعملوا بالمعاصي وسفك الدماء، فعظم ذلك على الملائكة فغضبوا لله، وقالوا: هذا خلقك الضعيف يعملون هكذا وأنت تمهلهم، فلما سمع ذلك من الملائكة، قال: ﴿**إنّي جاعل في الأرض خليفة**﴾ .. إلى أن قال: وخلف فلان فلاناً إذا كان خليفة يقال خلفه في قومه إلى أن قال: الخَلفُ بالتحريك والسكون من يجيء بعد من مضى إلا أنه بالتحريك في الخير وبالتسكين في الشر، يقال خلف صدق وخلف سوء بالتسكين، ومعناهما جميعاً القرن من الناس. وللخلف معان أخر.

أقول: المستفاد من موارد استعمال لفظ الخلف والخليفة هو النيابة عن الغير في أمر، ولو بمثل الكون في مكان المنوب عنه، وهذا المعنى العام قد تضاف إليه خصوصية بمناسبة مقام أو حال مثلاً كما قيل في المعنى الثاني في قوله تعالى: ﴿إنّا جعلناك في الأرض خليفة﴾ من أنه المدبر للأمور، ولعلّه يرجع إلى المعنى الأول ضرورة كونهم عليهم السلام خلفاء لمن كان قبلهم من الرسل، ليس المراد منه مطلق أن يحل محلهم بل الخلافة في شؤون الرسالة، وهو معنى كونه مدبراً وأما ما في حديث علي عليه السلام من قوله تعالى: ﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾[1] بعدما سمع الله تعالى من الملائكة ما سمع، فمعناه بلحاظ كونه جواباً للملائكة: إنّي أطهّر الأرض منهم وأخلف عليهم بالخليفة أي: المستخلفين عنهم، وهم البشر بحيث لا يكونون بمثل أولئك العصاة، والمراد أن يكونوا حينئذ خلف صدق وأهل طاعة، كما علمت أن الخلف بالتحريك في الخير، وقد يقال في معنى قوله تعالى: ﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾ ما حاصله: أن الخلافة مجعولة لأن يحكى الخليفة مستخلفة بالفتح، ففي المقام حيث إن المستخلف عنه هو الله تعالى، فلابد من حكايته بالتسبيح والتقديس والتحميد، وهذه حاصلة من الملائكة حيث قالوا: ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ لا من الموجودات الأرضية التي شأنها الفساد وسفك الدماء لأنها أجسام مادية مركبة من القوى الغضبية والشهوية مضافاً إلى أن دار الدنيا دار التزاحم والمحدودية؛ ولذا قالوا: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ مضافاً إلى كثير من الموجودات الأرضية التي كانت قبل خلق آدم عليه السلام وأنهم أفسدوا وسفكوا الدماء، وليس قولهم هذا اعتراضاً عليه تعالى، بل لأجل تعرّف ما جهلوه واستيضاح ما أشكل عليهم من أمر هذا الخليفة ولذا قالوا: ﴿إنك أنت العليم الحكيم﴾ حيث ان هذه الجملة مصدره بأنّ التعليلية المشعرة بتسلّم مدخولها وقبولهم له كما لا يخفى وكيف كان

---

١ ـ البقرة : ٣٠.

فأجابهم الله بقوله: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾[1] ﴿وعلَم آدم الأسماء كلها﴾[2].

وحاصله: أنه تعالى بين أن هذه الخلافة خلافة الله تعالى، لا خلافة نوع من موجودات الأرض حتى يجري فيهم ماجرى فيمن كانوا قبلهم، فليس الخلافة خلافة عن المخلوقين السابقين كما كان المراد منها فيما تقدم بل خلافة الله تعالى، والى هذه الخلافة الإلهيه يشير عدد كثير من الاخبار الدالة على أن ولايتهم عليهم السلام ولاية الله كما تقدم، حيث إن ولايتهم عليهم السلام بمالها من المعنى العام الشامل للتكويني منها والتشريعي هي من أخص آثار الخلافة الإلهية كما ستعرفه إن شاء الله تعالى.

والوجه في كون هذه الخلافة خلافة الله لا غير هو تعليم الله تعالى آدم الأسماء، التي سيجيء بيان المراد منها، ويكون معنى تعليم الأسماء إبداع هذا العلم الإلهي المشار إليه بقوله: ﴿وعلّم﴾ في الإنسان بحيث يظهر منه آثاره تدريجاً دائماً فلو كان من المهتدين أمكنه أن يخرجه أي العلم من القوة إلى الفعل فيصير كاملاً في الوجود، كما ستجيء الإشارة إليه وعلى هذا فلا تختص هذه الخلافة بآدم عليه السلام بل يشاركه فيها بنوه، ولعله يؤيد عموم الخلافة قوله تعالى: ﴿إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ثم جعلناكم خلائف الأرض﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾[5] فبين سبحانه أن هذه الخلافة بلحاظ إبداع هذا العلم فيه يكون خليفة الله، فحينئذ يحكي بأفعاله وصفاته وعلمه عن المستخلف عنه وهو الله تعالى، ولا محالة لا يكون ممن يفسد في الأرض أو يسفك الدماء، بل يكون مانعاً عنها، وموجباً لنشر العدل والعلم والمعارف، والكمالات المعنوية والظاهرية، كما يشاهد هذا بالنحو الأتم الأكمل في المعصومين عليهم السلام.

---

١ ـ البقرة: ٣٠.

٢ ـ البقرة: ٣١.

٣ ـ الأعراف: ٦٩.

٤ ـ يونس: ١٤.

٥ ـ النمل: ٦٢.

وبعبارة أخرى: أنه تعالى قرر الملائكة على ما ادعوا من تحقيق سفك الدماء والفساد من الموجود الأرضي، وقرر أنهم أهل التسبيح والتقديس، وإنما أراد سبحانه ابداء شيء آخر، وهو أنّ هناك أمراً لاتقدر الملائكة على حمله ولا تتحمله، وإنما يتحمله هذا الخليفة الإلهي المجعول في الارض، فإن هذا يحكي عن الله تعالى أمراً غامضاً، وسرّاً مستتراً ليس في وسع الملائكة، ولا محالة يتدارك بذلك أمر الفساد وسفك الدماء، وليس الملائكة تقدر على هذا التدارك لما ليس فيها من ذلك السرّ، ولذا لاتصلح للخلافة الإلهية، وهذا بخلاف الإنسان فإنه بهذا اللحاظ صالح لهذه الخلافة، فيعلم منه ضمناً جوابه تعالى عن أن الملائكة لاتصلح للخلافة الإلهية؛ لقصور حقيقتها المحدودة عن هذا بخلاف الإنسان الذي هو العالم الكبير والكتاب المبين الإلهي الجامع، كما سيجيء بيانه.

ثم إن المراد من تعليم آدم الأسماء هو كشف حقائق الموجودات وأعيانها له، لا مجرد ما يتكلفه الوضع اللغوي من اعطا المفهوم، فالمعلوم له حينئذ هو الحقائق الخارجية والوجودات العينية، مع أنها أيضا مستورة تحت ستر الغيب؛ غيب السموات والأرض، والعلم بها على ماهي عليه كان أولا ميسوراً ـ ممكناً لموجودٍ، أرضي لاللملك السماوي؛ لما علمت من محدودية خلق الملك بماله من السعة المختصة به، فإنه وإن كان مجرّداً إلا أنه مجرد في أمر دون أمر، وهذا بخلاف الإنسان فإن فيه بالقوة شأنية الوصول إلى أيّ أمر وأيّ كمال بالفعل والإحاطة بها، وهذه الجهة الكائنة في الإنسان هي دخيلة في الخلافة الإلهية، والملك حيث إنه فاقدها غير قابل لها كما لايخفى.

ومعنى كون المسميات هي الحقائق بما هي عليه أنها أعيان ومسمّيات وموجودات أحياء عقلاء ذوي شعور كامل، محجوبين تحت حجاب الغيب، وليس المراد من العلم بها نحو العلم الذي عندنا بأسماء الأشياء، فإن العلم هو المفهوم والتصور، وذلك هو الدرك والتحقق بها فبهذا التحقق والاشتمال صار الإنسان

أفضل من الملك، لا بالعلم المفهوم المستفاد من اللغة المستعمل بـالألفاظ في مـقام التفهم، فإنّ هذا أمر يعلمه الملائكة أحسن من آدم، حـيث إنهـم يـعلمونها بـدون اللفظ؛ لكونها مجردات بخلاف الإنسان فإنه يحتاج إلى التكلّم في هذا العالم.

وقد يقال: إن المراد من تعليم آدم الأسماء كلها هو خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة حـتى اسـتعد لإدراك أنـواع المـدركات مـن المـعقولات و المحسـوسات، والمتخيلات والموهومات، وإلهامه معرفة ذوات الأشياء وخواصها، وأصول العلم، وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها، والتمييز بين أولياء الله وأعدائه، فتأتي بمعرفة ذلك كلّه مظهريته لأسمائه تعالى.

وبعبارة أخرى: صار بهذه المعرفة مـظهراً للأسماء كـلها، ووصـل إلى مـرتبة جامعية جميع الكمالات الوجودية الإلهية به حتى صار منتخباً لكتاب الله الكبير، الذى هو العالم الأكبر كما قال أمير المؤمنين: «أتزعم أنك جرم صـغير..» وسـيأتي بتمامه، وهذا بخلاف الملائكة فإنهـا وحدانـية الصـفة ليس في جـبلتهم خـلط ولا تركيب، ولهذا لايفعل كل صنف منهم إلا فعلاً واحداً فاما هو راكع فقط أو ساجد فقط، أو قائم فقط، كما دلّت عليه الأخبار وأشار إليه قوله تعالى في حقهم: ﴿**و ما منا إلا وله مقام مـعلوم**﴾[1] فليس فيهم تزاحم وتباغض، فهم كالحواس كـل حـاسة تفعل فعلها ولا تزاحم الأخرى» ﴿**لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ فكل صنف منهم مظهر لاسم واحد من الأسماء الإلهية لا يتعداه، وهذا بخلاف الإنسان فإنه لجامعيته لها كما علمت قد فاق الملائكة، وذلك بمـعرفته الكـاملة ومـظهريته الشاملة، فمعنى قوله تعالى: ﴿**أنبئهم بأسمائهم**﴾[2] أخبرهم بالحقائق المكنونة عنهم، والمعارف المستورة عليهم؛ ليعرفوا جامعيتك لها ويعرفوا قدرة الله على الجمع بين الصفات المتباينة، والأسماء المتناقضة ومظاهرها بما فيها من التضاد في مخلوق واحد

---

١ ـ الصافات : ١٦٤.

٢ ـ البقرة : ٣٣.

كما قيل:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وإلى هذا يشير ما في المحكي عن الصادق عليه السلام: «أن الله عزوجل علّم آدم أسماء حججه كلّها، ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة» فقال: **﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾** بأنكم أحق بالخلافة في الأرض؛ لتسبيحكم وتقديسكم من آدم، فقالوا: **﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾** قال الله تبارك وتعالى: **﴿ياآدم أنبئهم بأسمائهم﴾** فلما أنبئهم بأسمائهم وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله عزّ ذكره، فعلموا أنهم أحق بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه على بريته، ثم غيّبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبتهم وقال لهم: **﴿ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون﴾**».

أقول: يستفاد من قوله عليه السلام: «واستعبدهم بولايتهم ومحبتهم، عموم الخلافة حيث إنه ظاهر في ولايتهم ومحبتهم عليهم السلام، كما لا يخفى.

وعن تفسير العياشي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله: **﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾** ماهي؟ قال: أسماء الأودية والنبات والشجر والجبال من الأرض، وفي رواية أسماء أنبياء الله واوليائه وعتاة أعدائه.

أقول: قد علمت المراد من قوله الأسماء، فحقيقة ما هذه الأمور عليها هي المعلومة بالوجدان والدرك له عليه السلام ولعلّ المراد منها الأسماء الحسنى، التي بها خلقت المخلوقات كلّها، وإنما أضيفت إلى المخلوقات في قوله عليه السلام أسماء الأودية.. الخ، لأن المخلوقات كلها مظاهر الاسماء التي فيها ظهرت، فإن صفات اللطف كلّها أو جلّها ظهرت في الأولياء، وصفات القهر كلّها أو جلّها ظهرت في الأعداء، ولعلّه إليه يشير ما في الدعاء من قوله عليه السلام: وبأسمائك التي ملأت أركان كل شيء.

ثم إن هناك أحاديث يستفاد منها عموم الخلافة لآدم وبنيه وخصوصاً

للمعصومين عليهم السلام ونحن نذكر بعضها، ثم نعقبه بما لابد له من الشرح، فنقول:

في تفسير نور الثقلين[١]، عن عيون الأخبار بإسناده عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال: «بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وآله في بعض طرقات المدينة إذ لقينا شيخاً طوّال كثّ اللحية بعيد ما بين المنكبين، فسلّم على النبي صلى الله عليه وآله ورحّب به، ثم التفت إليّ فقال: السلام عليك يا رابع الخلفاء ورحمة الله وبركاته، أليس كذلك هو يا رسول الله؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: بلى، ثم مضى، فقلت: يارسول الله ما هذا الذي قال لي هذا الشيخ وتصديقك له؟ قال: أنت كذلك والحمد لله، إن الله عز وجل قال في كتابه:﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾، والخليفة المجعول فيها آدم عليه السلام، قال عز وجل:﴿ياداود انّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق﴾ فهو الثاني، وقال عز وجل حكاية عن موسى حين قال لهارون عليه السلام: ﴿اخلفني في قومي وأصلح﴾ فهو هارون إذ استخلفه موسى عليه السلام في قومه، فهو الثالث.

وقال عزوجل: ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ وكنت أنت المبلغ عن الله عزوجل وعن رسوله، وأنت وصيي ووزيري وقاضي ديني والمؤدّي عنّي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبيّ بعدي، فأنت رابع الخلفاء كما سلم عليك الشيخ، أو لاتدري من هو؟ قلت: لا، قال: ذاك أخوك الخضر عليه السلام فاعلم».

وعن بصائر الدرجات بإسناد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله مثل لي أمتي في الطين، وعلمني أسماءهم كما علّم آدم الأسماء كلّها.

أقول: قد علمت أن ملاك الخلافة الإلهية هو هذا العلم، وقد علّمه الله تعالى للنبي. وتقدم ما يوضح لك أزيد من هذا.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٠.

وفي تفسير نور الثقلين[1]، محمدبن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أُهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله الجوح[2] فيه حبّ مختلط، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يلقي إلى عليّ عليه السلام حبة حبة ويسأله أيّ شيء هذا؟ وجعل علي يخبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما إن جبرئيل أخارني أن الله علمك اسم كل شيء كما علّم آدم الأسماء كلها.

وفي تفسير نور الثقلين[3]، عن الكافي وبإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: ولقد قال الله عزوجل في كتابه لولاة الأمر من بعد محمد صلى الله عليه وآله خاصة: **﴿وعدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم..﴾** إلى قوله: **﴿فأولئك هم الفاسقون﴾** يقول: استخلفكم لعلمي وديني وعبادتي بعد نبيكم كما استخلف وصاة آدم بعده حتى يبعث النبي الذي يليه **﴿يعبدونني لايشركون بي شيئاً﴾** يعبدون بايمان لانبي بعد محمد صلى الله عليه وآله فمن قال غير ذلك فأولئك هم الفاسقون، فقد مكن ولاة الأمر بعد محمد بالعلم ونحن هم، فاسألونا فإن صدّقناكم فاقّروا وما أنتم بغافلين.

وفيه عن تفسير علي بن إبراهيم: وقوله: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئا..﴾** نزلت في القائم من آل محمد (عليه وعلى آبائه السلام).

المستفاد من الآيات والأحاديث وكلمات الأعلام، أن لكل بشر ناقصاً كان أو كاملاً نصيباً من الخلافة بقدر حصته الإنسانية كما قال تعالى: **﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾**[4] أي أن كل واحد من افاضل البشر وأراذلهم خليفة من خلفائه

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٧.

٢ ـ أقول: لعله اسم لوعاء مصنوع من شيء مخصوص.

٣ ـ تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٦١٦.

٤ ـ لأنعام: ١٦٥.

في أرض الدنيا، فالأفاضل مظاهر جمال صفاته في مرآة أخلاقهم الربانية، فإنه سبحانه تجلى بذاته وجميع صفاته لمرآة قلوب الكاملين المتخلقين بأخلاقه؛ لتكون مرآة قلوبهم لجلال ذاته وجمال صفاته مظهراً بالضم ومظهراً بالفتح.

وأما الأراذل فهم مظاهر له تعالى بمعنى أنهم يظهرون جمال صنايعه وكمال بدايعه في مرآة حرفهم وصنايعهم، وهم أهل الغفلة عن الحقائق والمعارف، وهم الذين عمّرت بهم الدنيا بما فيها من انواع الصنايع المستحدثة والمستعذبة بأنواع التجملات، كما هم المتراءى في زماننا هذا؛ ولذا قيل: لو عقل الناس لخربت الدنيا. ـأي انّ عمارتها بهؤلاء الجاهلين عن الحقائق، وكذا يظهرون سائر الحرف والصنائع التي تحتاج اليها الناس من الحيازة والتجارة وساير الأعمال الصعبة.

وكيف كان فالخلافة العظمى إنما هي للإنسان الكامل المربّي لأفراد العالم كلها بجهته الروحانية الآخذة عن الله تعالى ما يطلبه الرعايا، وبجهة العبودية المبلّغة اليهم ذلك فإنه بهاتين الجهتين يتمّ أمر الخلافة.

قال بعض أهل المعرفة: إن الانسان الكامل هو بمنزلة روح العالم والعالم جسده، فكما أن الروح إنما يدبّر الجسد، ويتصرّف فيه بما يكون له من القوة الروحانية والجسمانية، كذلك الإنسان الكامل يدبّر العالم ويتصرف فيه بواسطة الأسماء الإلهية التي أودعها فيه، وعلمها أياه، وركبّها في فطرته، فإنها بمنزلة القوة من الروح، فإن كل حقيقة-من حقايق، ذات الإنسان الكامل ونشأته برزخ من حيث أحدية جمعها بين حقيقة ما من حقائق بحر الوجوب وبين حقيقة مظهرية لها من حقائق بحر الإمكان التي هي عرشها، وتلك الحقيقة الوجوبية مستوية عليها، فلما ورد التجلي الكمالي الجمعي على المظهر الكمالي الإنساني تلقاه بحقيقة الأحدية الجمعية الكمالية، وسرى سرّ هذا التجلي في كل حقيقة من حقائق ذات الإنسان الكامل، ثم فاض نورالتجلي منها على ماينابسها من العالم فما وصلت الآلاء والنعماء الواردة بالتجلي الرحماني على حقائق العالم الابعد تعيّنه في الإنسان الكامل بمزيد صنعة لم

يكن في التجلي قبل تعيّنه في مظهرية الإنسان الكامل: فحقائق العالم وأعيانها رعايا له وهو خليفته عليها، وعلى الخليفة رعاية رعاياه على الوجه الأنسب الأليق، وفيه تتفاضل الخلائق بعضهم على بعض، وأفضلهم في ذلك وأتمهم الأئمة المعصومون عليهم السلام، ولذا ورد عن الصادق عليه السلام وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته، وعن الحجة (عج) في التوقيع الصادر منه عليه السلام على ما قيل: «نحن صنائع الله والناس بعد صنائع لنا» أي نحن الذين علّمنا الله وأقدرنا على كل شيء بقدرته، فصرنا بذلك الانسان الكامل، ولذاكان الناس أي الخلق صنائع لنا، بواسطتنا أعطاه الله الوجود، وما به قوامه الظاهرية والباطنية، فهم يفعلون بفعل الله وبأقداره تعالى إياهم في ذلك.

ويدل على هذا ماتقدم عن كامل الزيارات في زيارة الحسين عليه السلام من قوله: إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم، تقدم شرحها.

قال بعض العارفين: فلما رأيتُ الحديدة الحامية تتشبه بالنار وتفعل فعلها، فلا تتعجب من نفس استشرقت واستضاءت واستنارت بنور الله، فأطاعتها الاكوان، ولأجل أن الإنسان الكامل هو الخليفة الإلهي، أي الوساطة الخلقية بالمعنى الاتم، فله الأولية في خلق والاخرية والظاهرية والباطنية والعبودية والربوبية، أي مظهريته لصفة الرب تعالى، والى الأول يشير قوله صلى الله عليه وآله: أول ما خلق الله نوري فإنه أول مخلوق بتمام معنى الأولية من الخلق الأول والرتبة العليا الأولى والأولية في الكمال الأتم؛ ولذا ورد: أن الحجة أول خلق الله وآخر من يموت أيضاً الحجة، وقد تقدّم حديثه ومنه يعلم اخريته، مضافاً إلى أنه آخر مراتب الوجود في سلسلة العود وآخر ما يظهر من الموجودات إذ مامن موجود إلا وهو به موجود فهو آخرها لامحالة.

وأما الظاهرية: فهو الظاهر بالجسم والخلق الأحسن والأعلى؛ ولذا قال علي عليه السلام: ظاهري الامامة وباطني غيب لا يدرك كما تقدم، أي أن أيّ شيء يظهر مني فهو إمام في مرتبة لا يدانيه من نوعه شيء.

وأما الباطنية: فهو باطن بالروح والأمر والكمالات المعنوية كما لا يخفى.

وأما العبودية: فبالحاجة إلى خالقه دائماً والحدوث والمربوبية حيث إنه تعالى ربّه ومربيه.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: نزلونا عن الربوبية ـ أي بالذات ـ ثم قولوا في فضلنا مااستطعتم، فإن البحر لاينزف، وسرّ الغيب لايعرف، وكلمة الله لاتوصف.

وعنه عليه السلام: نحن أسرار الله المودعة في هياكل البشرية.

وعن الصادق عليه السلام: اجعلوا لنا ربّاً نؤب إليه ثم قولوا في فضلنا ماشئتم.

وأما الربوبية: أي كونه مظهراً لصفة الرب تعالى؛ فلاجل أنه لما أكمله الله تعالى بالعلم، وجعله خليفته في الخلق فلا محالة له صفة تربية الخلق وأفراد العالم بأجمعها بالخلافة الالهية والنشأة الروحانية، فإنه متمكن في مرتبة بين الوجوب والإمكان يأخذ من الجهة الروحانية عن الله سبحانه ما يطلبه الرعايا، ويبلغه بجهة الجسمانية إليهم. وبهاتين الجهتين يتم أمر خلافته، وإليه يشير بالالتزام قوله تعالى: ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾[1] أي يجعل ذلك كذلك، ليجانسكم فيبلّغكم أمري بالنحو المذكور، فعلم أن الإنسان الكامل هو أكبر الأشياء بعد الله تعالى، وعليه فالعالم هو الإنسان الصغير، والإنسان الكامل هو العالم الكبير إذ للخليفة الاستيلاء على المستخلف عليه، فلا محالة هو أكبر وأعظم منه ولظهور كل شيء فيه بصورة الجمع ووصفه، ولأجل جامعيته بين إجمال الجمعية الإلهية وقوتها وبين تفصيل العالم وفعلية أحدهما فيه دفعة والاخر بالتدريج.

وبعبارة أخرى فيه تفصيل العالم بالعلم، وقد أعطاه الله دفعة وفعليته هذا التفصيل بالتدريج حسب ماتقتضيه الحكمة الإلهية، ففعلية الأمور أيضاً بواسطة ولي الله المطلق كما علمت، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

---

١ ـ الأنعام: ٩.

دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تبصر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر

ولنعم ما قيل بالفارسية:

هرچه در عالم كبير بود همه شرح كتاب اكبر تست

وكيف كان، الإنسان الكامل كتاب منتخب من أم الكتب، التي هي عبارة عن الحضرة الأحدية الجمعية الإلهية، مشتمل على حقائقها الفعلية الوجوبية، ومنطو على دقائق نسب صفاتها الربوبية بحيث لايشذ عنها شيء منها سوى الوجوب الذاتي فإنه لاقدم فيه للممكن الحادث وإلّا لزم قلب الحقائق والى هذه الأكملية اشار فيما تقدم من الأحاديث.

وما روى عن الصادق عليه السلام: أن الصورة الإنسانية أكبر حجة لله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمه وهي مجموع صور العالمين، وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ، وهي الشاهد على كل غائب، وهي الحجة على كل جاحد، وهي الطريق المستقيم إلى كل خير، وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار.

أقول: قد تضمن هذا الحديث الشريف من غرر معارفهم عليهم السلام ومن المعلوم أنه لامصداق حقيقي لهذه الامور المذكورة الاّ الأئمة عليهم السلام، وقد ذكر في أحاديثهم الواردة في بيان شؤون ولايتهم هذه الأمور وإثباتها لهم عليهم السلام وغيرها كما لايخفى على المراجع لها، وأيضاً في الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله كما تقدم: أن الله خلق آدم على صورته، وفي رواية: على صورة الرحمن.

قيل: يعني، خلقه على صفته حيّاً عالماً مريداً قادراً سميعاً بصيراً متكلّماً، ولما كانت الحقيقة تظهر في الخارج بالصورة، أطلق الصورة على الأسماء والصفات

مجازاً؛ لأن الحق سبحانه بها يظهر في الخارج، هذا باعتبار أهل الظاهر.

وأما عند المحققين: فالصورة عبارة عما لايعقل من الحقائق المجرّدة الغيبية ولاتظهر إلا بها، والصورة الإلهية هو الوجود المتعين بساير التعينات، التي بها يكون مصدراً لجميع الافعال الكمالية والآثار الفعلية، هذا بيان إجمالي للإنسان الكامل الذى هو خليفة الله.

وقد علمت أن أحسن مصداق لها هم المعصومون عليهم السلام ثم الأنبياء، كل على حسبه، والأولياء كل على قدر إنسانيته وكمالاته المعنوية.

بل علمت أن كل موجود من البشر له نصيب من الخلافة الإلهية، وأحسن كلام قيل في المقام فى بيان هذه المراتب ما عن المحدث الكاشاني رحمه الله.

قال رحمه الله: فصل، ثم الإنسان الذي هو خليفة الله في أرضه والمقصود من خلقه نبي أو ولي، والنبي إما رسول أو غيره، والولي إما إمام أو غيره، وإنما ينقسم بهذه الاقسام بسبب اختلاف طرق تحصيله للعلم، فإن حصول العلوم التي ليست بضرورية في باطن الإنسان إنما تكون بوجودها مختلفة، فتارة يكون بالاكتساب والتعليم ويسمى استبصاراً واعتباراً وهو طريق اهل النظر من العلماء والحكماء، وتارة يهجم عليه كأنه ألقي إليه من حيث لايدري سواء كان عقيب طلب أو شوق أولا، وسواء كان مع الاطلاع على السبب المفيد له أولا، فإنه قد يكون بمشاهدة الملك الملهم للحقائق من قبل الله وسماع حديثه، وقد يكون بمجرد السماع من غير رؤية، وقد يكون بنفثه في الروع من غير سماع ينكت في القلب نكتاً أو يلهم إلهاماً، وربما يكون الهجوم في النوم كما يكون في اليقظة، والمشاهدة يختص بها الانبياء والرسل (صلوات الله عليهم).

والحديث يكون لأوصيائهم أيضاً، والنبي يوحى إليه بالعمل، والرسول يوحى إليه بالعمل والتبليغ، والولي يحدثه الملك أو يلهم إلهاماً بالعمل، والإمام يحدثه الملك بالعمل والتبليغ، فكلّ رسول نبي ولا عكس، وكل رسول أو نبي أو إمام فهو

ولي محدث ولا عكس، وكل رسول إمام ولا عكس، ولا نبي إلا ولايته أقدم على نبوّته، ولا رسول إلا نبوته أقدم على رسالته، ولا إمام إلا وولايته أقدم على إمامته، والولاية باطن النبوة، والإمامة والنبوة باطن الرسالة، وباطن كل شيء أشرف وأعظم من ظاهره؛ لأن الظاهر محتاج إلى الباطن، والباطن مستغن عن الظاهر، ولأن الباطن أقرب إلى الحق، فكلّ مرتبة من المراتب المذكورة أعظم من لاحقتها وأشرف، وايضاً فإن كلاً من النبوة والولاية صادرة عن الله ومتعلقة بالله، وكلاً من الرسالة والإمامة صادرة عن الله ومتعلقة بعباد الله فيكون الأوليان أفضل، وأيضاً كل من الرسالة والإمامة متعلقة بمصلحة الوقت والنبوة والولاية لا تعلق لها بوقت دون وقت، ومع ذلك كله فلا يجب أن يكون الولي أعظم من النبي ولا من الرسول ولا من الإمام، ولا النبي أعظم من الرسول، بل الأمر في الكل بالعكس في وليّ يتبع نبياً أو رسولاً أو إماماً، أو نبي يتبع رسولاً لأن لكل من النبي والإمام مرتبتين وللرسول ثلاث مراتب وللولي واحدة، فمن قال: إن الولي فوق النبي، فإنما يعني بذلك في شخص واحد بمعنى أن النبي من حيث إنه ولي أشرف منه من حيث إنه نبي ورسول، وكذا الإمام من حيث إنه ولي أشرف منه من حيث إنه إمام، كيف يكون الولي أفضل مطلقاً ولا ولي إلا وهو تابع لنبي أو إمام والتابع لا يدرك المتبوع أبداً فيما هو تابع له فيه إذ لو أدرك لم يكن تابعاً.

نعم، قد يكون ولي أفضل من نبي إذا لم يكن تابعاً له كما كان أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من جميع الأنبياء والأولياء بعد نبينا صلى الله عليه وآله وكذ أولاده المعصومون عليهم السلام.

أقول: وعلم مما ذكر أن الغاية القصوى في إيجاد هذا العالم الكوني و مكّوناته الحسّية هي خلقة الإنسان وغاية خلقة الإنسان ماهية العقل المستفاد أي مشاهدة المعقولات والاتصال بالملإ الأعلى، والعبودية الذاتية التي هي الفناء في الحق والخلافة الإلهية.

كما قال سبحانه: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[١].

وفي الحديث القدسي: خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي.

وفي حديث آخر: لولاك لما خلقت الأفلاك.

وعن النبي ﷺ أنه قال: ياعلي، لولا نحن ماخلق الله آدم ولا حواء، ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، فلولا الخليفة لن توجد الخليقة، ولابد من أن يكون وجوده مستمراً في جميع الأعصار والدهور حتى يقوم به الأمر، ويدوم به النوع، وتحفظ به البلاد، ويهتدي به العباد، ويمسك به السموات والأرضون، وإلا فيكون الكل هباء وعبثاً، إذ لا يرجع إلى غاية ولا يؤل إلى عاقبة ففنيت إذن وخربت.

كما قال الرضا عليه السلام: لو خلت الارض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها.

وقال الصادق عليه السلام: لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت.

وقال الباقر عليه السلام: لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها، كما يموج البحر بأهله.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: اللهم بل لا تخلو من قائم لله بحجة إما ظاهر مشهور وإما خائف مغمور.

وقال النبي ﷺ: في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وفي الحديث المشهر والمتفق عليه بين الخاصة والعامة: من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية.

وروى الصدوق في كمال الدين وتمام النعمة[٢]، عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: الأئمة من بعدي اثنا عشر، أوّلهم علي بن

---

١ ـ الذاريات: ٥٦.

٢ ـ كمال الدين.. ج ١ ص ٢٥٩.

أبي طالب وآخرهم القائم، هم خلفائي وأوصيائي وأوليائي وحجج الله على أمتي بعدي المقرّ بهم مؤمن والمنكر لهم كافر.

وفي توحيد الصدوق بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن لله عزوجل خلقاً من رحمته خلقهم من نوره، ورحمته من رحمته لرحمته، فهم عين الله الناظرة، وأذنه السامعة، ولسانه الناطق في خلقه بإذنه، وأمناؤه على ماأنزل من عذر أو أنذر أو حجة فبهم يمحو السيّئات، وبهم يدفع الضيم، وبهم ينزل الرحمة وبهم يحيي ميتاً وبهم يميت حياً، وبهم يبتلي خلقه وبهم يقضي في خلقه قضيّته، قلت: جعلت فداك من هؤلاء؟ قال: الأوصياء.

فقوله عليه السلام: وبهم يقضي.. الخ، دليل على انهم عليهم السلام متصرفون في الخلق تصرفاً تكوينياً إذ المراد من قضيته هو إيجاد الخلق والأمر والشؤون الربوبية كما لا يخفى.

وكيف كان فالمقصود من خلقه الإنسان انما هو وجود خليفة الله المشار إليه بقوله عزوجل: **﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾**[1] وخلقه سائر الأكوان من الجماد والنبات والحيوان إنما هي لضرورات نفس الإنسان واستخدامه إياها وانتفاعه بها وكلّ هذه التكريمات للانسان خصوصاً للكامل منه لأجل أنه تعالى علمه الأسماء بنحو تقدم ذكره وأسجد الملائكة له؛ ولذ كان الملائكة بأجمعها مسخرين لأجله ومطيعين له موكلين به، ولعلّ المراد من الأمر بالسجود له هو هذا التسخير والإطاعة له والقيام بما يحتاج إليه كما لا يخفى.

إذا علمت هذا، فاعلم أن قوله عليه السلام: ورضيكم خلفاء في أرضه، إما يراد به الإشارة إلى أنهم أعلى مصداق لقوله تعالى: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم﴾**[2]، وقد علمت أنه وردت روايات أنها نزلت فيهم وأن كمال الاستخلاف في زمان القائم (عج) كما علمت.

---

١ ـ البقرة : ٣٠.

٢ ـ لنور : ٥٥.

أو أنه إشارة إلى أنهم الخلفاء، في قوله تعالى: ﴿انّي جاعل في الأرض خليفة﴾ وقد علمت وجهها مفصلاً فهمﷺ أحسن مصداق لخلافة الله، وهم المراد من الخليفة المذكورة في القرآن بالنحو الأتم لتمامية ملاكها فيهم كما علمت.

وأما كونهمﷺ خلفاء الرسول الأعظمﷺ فهو أمر أوضح من الشمس قد دلّت عليه الآيات والأحاديث الكثيرة من الفريقين، وقد تقدم بعضها في أوائل الشرح.

ثم إنه قد وقع التصريح في كلمات القوم لكلمات مختلفة دلّت على مقام خاص لمن اطلقت عليه فلا بأس بالإشارة إليها ليتم الكلام.

فنقول: إن للإنسان بحسب التدرج في مدارج الكمال والسعادة أصنافاً فإنه، ان صدق الأنبياء فيما جاءوا به من الله سبحانه فهو مسلم وقد مرّ تعريفه بأنه بالإقرار بالشهادتين يكون مسلماً، وإن قرن بهذا موالاة الأئمة الهداةﷺ كما دلّت عليه الأحاديث الخارجة عن الحصر، فهو مؤمن وان اشتغل مع هذا في أغلب أوقاته بالعبادة فهو عابد أي تحققت فيه العبودية وقد قسموها على ثلاثة أقسام:

العابد بالعبادة: وهي للعامة وهو التذلّل لله تعالى ويلزمه اتيان الاعمال الصالحة من الواجبات وغيرها.

والعبودية: وهي للخاصة الذين صححوا النسبة اليه تعالى بصدق القصد اليه في سلوك الطريقة، ويلزمه الاتصاف بالصفات الحميدة، والاجتناب عن الصفات الرذيلة بنحو ما ذكر في كتب الاخلاق.

والعبودة: وهي للخاصّة الخاصة الذين شهدوا نفوسهم قائمة بالحق في عبوديتهم، فهم يعبدونه في مقام أحدية الجمع والفرق، وفي الحقيقة هذه المرتبة من العبودة، هي الجامعة لتمام الكمالات، كيف وان الكاملين المتّصفين بالفقر والعبيد هم المتحققون بالعبودية، أي الموقنون بالاتصاف بالأسماء الالهية، ليس من مقتضيات ذواتهم بل بفنائهم في ذات الحق، فمقتضى ذواتهم ليس إلا العبودية بهذا المعنى؛ ولذا

قيل : إنه قيل للنبي ﷺ في ليلة المعراج : سل ما تبتغيه من السعادات، قال ﷺ: أضفني إليك بالعبودية يا ربّ، فنزل في حقّه، ﴿سبحان الذى أسرى بعبده..﴾.

وكيف كان فالعابد من اشتغل بالعبادة كلّ على حسب منزلته، وإن كان مع ذلك تاركاً للدنيا وشهواتها فهو زاهد تركاً يرجع إلى قطع العلاقة القلبية بها، بحيث لا يؤثر وجود الدنيا وشهواتها في قلبه وجوداً وعدماً، وإن عرف مع ذلك الأشياء على ما هي عليها بالتحقيق فهو عارف وقد قيل في تعريف العارف: من أشهده الله تعالى ذاته وصفاته وأفعاله والعالم إذا جعل مقابلاً له: من أطلعه الله على ذلك لا عن شهود، فهو في مقام علم اليقين، والعارف في مقام عين اليقين أو حق اليقين، وتقدم ما يوضح لك هذا فراجعه.

وكيف كان فالعارف إن أوصله الله تعالى مع هذا إلى مقام القرب وأيّده بالإلهام ونفث الروع فهو ولي، وقد تقدم في أوائل الشرح شرح حال الولي، وإن خصّه مع هذا بالكتاب فهو رسول، وإن خصّه مع هذا بنسخ الشريعة السابقة فهو من أُولي العزم، وإن اخصّه مع هذا بخاتمية النبوة فهو الخاتم فهذه عشرة كاملة.

وتقدّم أنّ الإنسان الكامل هو غاية خلق السموات وما فيهنّ وهو منطبق على الواحد الختمي وهو نبيّنا ﷺ فهو المقصود من الكلّ والغاية للكّل وتقدمت أحاديث الباب آنفاً من الحديث القدسي: «يابن آدم خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي» وما ورد في حقّ النبي الأكرم ﷺ: «لولاك لما خلقت الأفلاك».

وكيف كان فالنبي الأكرم ﷺ خاتم كلّ كمال إنساني، وجامع كلّ جمال وجلال في حكيم ربّاني فهو إذاً خليفة سبحاني وإن كلّ من بعده أظلّته لكلّيته، وقد يطلق على الخليفة الإلهي الذي هو أكمل الموجودات في زمانه، الغوث، ومن دون الغوث من سائر رجال الله من الأقطاب والأوتاد والأبدال والأفراد بمعنى المنفردين والنقباء والنجباء، وأمثالهم كلّهم مستمدّون من الغوث والغوث في زماننا، هذا هو قائم آل محمد ﷺ صاحب الأمر والزمان المهدي المنتظر (عجّل الله تعالى فرجه الشريف).

كما أنّه أي الغوث يسمّى عند الحكماء مدبّر العالم وإنسان المدينة، وهو المسمّى بالفارقليط كما قال عيسى عليه السلام: نحن نأتيكم بالتنزيل وأمّا التأويل فسيأتي الفارقليط في آخر الزمان والعالم يدور مدار هؤلاء.

قال المحقق السبزواري في شرح الأسماء، أقول: وأمّا عند أهل الله من الإمامية وأرباب الحقيقة من الاثني عشرية العالم يدور على سبعة من أقطاب واثني عشر من الأولياء.

أمّا سبعة من الأقطاب: فهم كبار الأنبياء والرسل وهؤلاء آدم ونوح وإبراهيم وداود وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله تطبيقاً على الكواكب السبعة السيّارة.

وأمّا الاثنا عشر من الأولياء: فهم أوصياء محمد صلى الله عليه وآله تطبيقاً على البروج الاثني عشر لكن اعلم أيّدنا الله وايّاك انّ جميع الأنبياء والرسل من آدم إلى عيسى عليه السلام مظهر من مظاهر خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وجميع الأوصياء والأولياء مظهر من مظاهر سيد الأوصياء علي عليه السلام لقوله صلى الله عليه وآله: بعث عليٌّ مع كلّ نبي سرّاً وبعث معي جهراً، وكما أنّ كلّ الأنبياء كالأقمار المقتبسين من شمس نبوة خاتم الأنبياء، أو كالفرع والأغصان والأوراق المتفرعة من أصل شجرة طوبى النبوة الختمية المحمدية، كذلك كلّ الأولياء كالأقمار المقتبسين من نور شمس ولاية سيّد الأولياء، أو كالفرع والأغصان والأوراق المتوزعة من أصل شجرة طوبى الولاية الختمية العلوي الخ.

أقول: فظهر ممّا تقدم أنّ جميع مراتب الكاملين بما لهم من الاسم المخصوص مأخوذة من النبي الأكرم والغوث الأعظم فكلّهم من رسول الله صلى الله عليه وآله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم، ولقد تقدم من الأحاديث ما يوضح لك هذا، ويشرحه لك والله الهادي إلى الحق المبين.

أمّا الكلام في **الموضع الثاني**: وهو معنى رضاه تعالى بخلافتهم عليهم السلام.

أقول: لابدّ أولا من معنى الرضا، فنقول: في المجمع: الرضوان من الله ضد السخط وقيل: هو المدح على الطاعة والثناء والرضى مثله فرضى الله ثوابه وسخطه

عقابه... إلى أن قال: ورضيت بالشيء رضىً اخترته وارتضيته مثله، ورضيت عن زيد، ورضيت عليه لغةً والاسم الرضاء بالمدّ.. إلى أن قال: والراضي الذي لا يسخط بما قدّر عليه، ولا يرضى لنفسه بالقليل من العمل.. الخ.

وفي المحكي عن القاموس: رضى عنه وعليه رضى ورضواناً بكسر الراء وضمّها ضد السخط.

وفي مصباح الشريعة: صفة الرضا أن يرضى المحبوب، والمكروه والرضا شعاع نور المعرفة والراضي فان عن جميع اختياره، والراضي حقيقة هو المرضي عنه، والرضا اسم تجتمع فيه معاني العبودية، وتفسير الرضا سرور القلب.

أقول: قوله عليه السلام: والراضي حقيقة هو المرضي عنه، لا يراد منه معنى الاتحاد مع الله تعالى فإنّه باطل وكفر، بل المراد منه أن الراضي لما لم يكن فيه كراهة على ما يفعله الله تعالى، فحينئذٍ في الحقيقة ليس في وجوده إلّا ما هو فعل الله وما هو رضاه فهو فانٍ عن كلّ شيء، فكأنّه ليس هناك إلّا الله تعالى ولذا قالوا: الرضا باب الله الأعظم، والسالك إذا وصل إلى مقام الرضا لم يكن له انكار على شيء من الأشياء فقد دخل الجنة، ولذا كان خازن الجنة مسمّى بالرضوان.

قال بعض العارفين في معنى: لم يكن له إنكار، أي كلّ ما يرد من المصائب عليك كن شاكراً، وإلّا فكن راضياً، وإلّا فكن صابرا، ودونه ليس إلّا الكفر، ويجمع هذه الصفات أنّه لم يكن له انكار.

بعبارة أخرى: إذا وردت عليك المصائب كن أوّلاً فرحاناً مرجّحاً،وروده على عدمه، وإلّا فكن متساوي النسبة إليهما وإلّا تطق فكن مسليّاً مسكّناً نفسك في كراهتها وإلّا كفرت في الطريقة.

أقول: وفي الشريعة وإنّما خصّ موضوع الكلام بالمصائب؛ لأنّ المواهب والمسرّات لم يكن لأحد إنكارها كما لا يخفى.

وقيل: الرضا هو الوقوف مع مراد الله تعالى بحيث لا يخالجه إرادة منه، ولا يعارضه داعية واختبار ولا يعتريه تردد، وهذا يستلزم فناء إرادة الراضي في إرادة

الله تعالى، وهذه الصفة أي الرضا لا تكون إلّا أن يكون الله أحبَّ الأشياء إليه، قال تعالى: ﴿والذين آمنوا أشدُّ حباً لله﴾[١] وأولى الأشياء بالتعظيم قال تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾[٢] وأحقّ الأشياء بالطاعة، قال الله تعالى: ﴿أطيعوا الله﴾ فمن كان كذلك كان راضياً ومن رضي عن الله بكل ما قضى وقدر فقد خرج عن حظوظه، وفنت إرادته في إرادة الله واستوت حالاته، فلا يفرح بحصول مرغوب ولا يحزن بفواته، ولا يساء ولا يغتم بوقوع مكروه، ولا يفرح بزواله، ويتساوى عنده النعمة والبلاء، والشدة والرخاء، والسرّاء والضرّاء؛ لأنّه مريد بإرادة الله تعالى لا بإرادة نفسه، ومَن هذه صفته يرى كلّ ما أصابه بإرادة الله تعالى، ولا يميل إلى شيء ليس في يده، فلا محالة لا يخاصم الخلق كيف وهو يراهم براء من أفعالهم، أسراء تحت حكم الله تعالى لأنّ الله تعالى يفعل بهم ما يفعل إمّا جزاء وأمّا عقوبة وكلّها لمصلحة يراها الله تعالى، ويرى أيضاً كلّ ما قسم له واصلاً إليه، وكلّ ما لم يقدر له ممتنع الحصول فلا يلح في المسألة إلّا من الله، ولا يسأل أحداً شيئاً إلّا إذا ظنّ أنّ المطلوب يمكن أن يكون موقوفاً عل السؤال شرعاً، ومع ذلك يجمل في السؤال والطلب، ولا سؤال له إلّا من الله تعالى، وإذا وصل العبد مقام الرضا عن الله فلا محالة تمحى صفاته وإرادته، وتقوم صفات الحق من الرضا والسخط والإرادة مقام إرادته وصفاته، فليس له حينئذٍ صفة ولا إرادة ولا رضاً ولا سخط إلّا وهو فرع إرادة الله وسخطه ورضاه تعالى، ويصير مصداقاً لقوله: ﴿وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله﴾[٣] فحينئذٍ لا محالة لا يتحكم في الأشياء بالتشهّي والهوى بترجيح شيء على شيء، وإيثار أمر دون أمر، بل يمضي في ذلك كلّه على ما يقتضيه رضاه تعالى، فلا يختار حالاً دون حال؛ لأنّه حينئذٍ مختار باختيار الله تعالى، ولا يعمل التمييز فيما فيه راحته وسروره، بل يختار ما يختاره المحبوب تعالى، ولو كان دخول النار، وعلمت

---

١ ـ البقرة : ١٦٥.

٢ ـ نوح : ١٣.

٣ ـ الإنسان : ٣٠.

أنّ هذه الأُمور لا تكون إلّا لأهل المحبة له تعالى فإنّها تسهل عليه هذه فقط، كما لا يخفى.

إذا علمت هذه الأُمور، فاعلم: أنّ صفة الرضا أين ما وجدت تكون أحكامها شاملة للراضي والمرضى عنه ولا تختص بأحدهما لما علمت من قول الصادقعليه السلام: والراضي في الحقيقة هو المرضى عنه، ورضا الله تعالى عن أحد يلازم رضاه عنه تعالى بحسب الحقيقة، وحقيقة الرضا بماله من الآثار المذكورة لا يكون إلّا في الكاملين ولا كامل في الوجود إلّا محمد وآله الطاهرون المعصومون فهم الراضون حقيقة عنه تعالى وهو الراضي عنهم، فرضا الله عنهم وعن خلافتهم يلازم رضاهم عليهم السلام عنه تعالى كما لا يخفى وتدل على هذا روايات:

منها ما في تفسير البرهان[1]، باسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد اللهعليه السلام في قوله: ﴿يا أيّتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربّك راضية مرضية﴾ يعني الحسين بن عليعليه السلام.

وفي حديث آخر بعده[2]، عن أبي عبد اللهعليه السلام، إلى أن قال: إنّما يعني الحسين بن عليعليه السلام فهو ذو النفس المطمئنة الراضية المرضية، وأصحابه من آل محمد (صلوات الله عليهم) الراضون عنه يوم القيامة وهو راضٍ عنهم، الحديث.

أقول : وأصحابه من آل محمدصلى الله عليه وآله لعلّه يشير به إلى المستشهدين من بني هاشم، والله العالم.

وفيه عن أبي عبد اللهعليه السلام في قوله: ﴿يا أيّتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربّك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي﴾ قال: نزلت في علي بن أبي طالبعليه السلام.

وورد عنهمعليهم السلام أنّ تأويل قوله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ مؤول بعلي بن أبي طالبعليه السلام.

---

١ ـ تفسير البرهان ج ٤ ص ٤٩٠.

٢ ـ تفسير البرهان ج ٤ ص ٤٩١.

وقال الحسين عليه السلام في خطبته المعروفة: رضا الله رضانا أهل البيت.

فإذا ثبت من هذه الأحاديث والآيات أنّهم عليهم السلام ممّن رضي الله تعالىٰ عنهم بأحسن الرضا، فمعناه أنّهم عليهم السلام بتمام شؤونهم وأفعالهم وذواتهم وصفاتهم وخصوصاً شؤون ولايتهم المطلقة، التي هي ولاية الله تعالى قد رضي الله تعالى عنهم، فحينئذٍ معنى ورضيكم خلفاء في أرضه: أنّه تعالى رضيهم أي أنّ جعله تعالى ايّاهم خلفاء في أرضه زياد مقرون برضاه تعالى بأنّ رضي أن يكونوا خلفاء أو رضي بخلافتهم بما لها من المعاني المتقدمة أو رضيهم عليهم السلام للخلافة لواجديّتهم ملاكها من العلم بالأسماء بالنحو الذي تقدم بيانه، أو ظهر رضاه بقبول خلافتهم فمن أقرّ بولايتهم فالله تعالى عنه راض وإلّا فلا.

ففي تفسير نور الثقلين[1]، عن الكافي عن سدير الصرفي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام جُعلت فداك يا بن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: لا والله، إنّه إذا آتاه ملك الموت ليقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول ملك الموت: يا ولي الله لا تجزع فوالذي بعث محمداً لأنا أبرّ بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك افتح عينيك فانظر، قال: ويمثل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام رفقاؤك، قال: فيفتح عينيه فينظر فينادي روحه مناد من قبل ربّ العزّة فيقول: يا أيّتها النفس المطمئنة إلى محمد وأهل بيته ارجعي إلى ربّك راضية بالولاية مرضية بالثواب، فادخلي في عبادي يعني محمداً وأهل بيته وادخلي جنّتي، فما من شيء أحب إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادي.

فعلم منه، أنّ رضاه تعالى عن المؤمن هو برضاه بالولاية، أو ظهر رضاه تعالى بجعلهم خلفاء، فظهر رضاه تعالى يكون في خلافتهم فمن أراد رضاه طلبه من خلافتهم.

والحاصل: أنّ خلافتهم هي رضاه تعالى، أو يكون المراد من رضيكم خلفاء أنّ

---

١ ـ تفسير البرهان ج ٥ ص ٥٧٧.

خلافتهم مظهرة ـ بالكسر ـ لرضاه فمن أراده يطلبه منها فهي مظانّه، وهذا راجع إلى القسم السابق بالملازمة فإنّ كونها مظهراً ـ بالفتح ـ لرضاه يلازم كونها مظهراً ـ بالكسر ـ لها أو يراد منه أنّ خلافتهم ركن رضاه تعالى، أو سبب رضاه كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة.

ففي تفسير نور الثقلين[1]، عن روضة الكافي بإسناده عن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لرجل من الشيعة: أنتم أهل الرضا عن الله جلّ ذكره برضاه عنكم والملائكة اخوانكم في الخير، فإذاً اجتهد ثمّ ادعوا، وإذا غفلتم اجتهدوا، وأنتم خير البرية دياركم لكم جنة، وقبوركم لكم جنة، للجنة خلقتم، وفي الجنة نعيمكم وإلى الجنة تصيرون.. الخ.

ومثله أحاديث أُخرى كثيرة وقد يقال: بأنّ رضا الله تعالى كما علمت هو ثوابه، فحينئذٍ معنى رضيكم خلفاء أي أثابكم الله بالخلافة فلخلافتهم عليهم السلام ثواب منه تعالى لهم؛ لما فيهم من حقيقة العبودية والإطاعة له تعالى، أو أنّه تعالى أثابكم بالخلافة أي أمدّكم وأيّدكم للخلافة وفي مقام إقامة الدين.

والحاصل: حيث إنّه تعالى حمّلهم أعباء الرسالة والإمامة، التي هي حقيقة الخلافة، وكانت هذه حمولة الربّ صعبة الأمر، فأمدّهم الله تعالى، وأيّدهم في هذا الأمر أي أمر الخلافة، هذا إذا قلنا: إنّ المراد من رضاه تعالى ثوابه إيّاهم عليهم السلام.

وقد يقال: إنّ المراد من رضاه تعالى ثوابه لمن قبل ولايتهم، فمعنى الكلام حينئذٍ أُنّه تعالى رضيهم خلفاء أي جعل خلافتهم ثواب الطائعين من عباده، الذين قبلوها وعملوا بمقتضاها، وهو أعظم مراتب الإثابة، فنفس قبول الولاية ثواب لمن قبلها حيث إنّه يستفيد منها الأُصول والمعارف الإلهية بما يبتهج منها أحسن الابتهاج كما لا يخفى.

أو المراد من كونها ثواباً لهم هو أنّ قبول خلافتهم والانقياد لأهلها من الأئمة عليهم السلام

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥، ص٦٤٧.

موجب لجعله تعالى إيّاهم ملوكاً وأعاظم بسبب القيام بمقتضاها، كما يرى ذلك في كثير من علماء الشيعة، الذين قد بلغوا ببركة الولاية وقبولها أحسن مقام في العالم كما لا يخفى.

أو أنّها ثواب لهم في الآخرة بنعيم الجنان، كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة وأحسن ما ورد في هذا المعنى ما تقدم:

عن الكافي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: **﴿أفمن اتبع رضوان الله كمن باءَ بسخط من الله﴾** إلى قوله: **﴿هم درجات عند الله﴾** فقال عليه السلام: **الذين اتبعوا رضوان الله هم الأئمة عليهم السلام وهم والله درجات للمؤمنين، وبولايتهم ومعرفتهم إيّانا يضاعف الله لهم، ويرفع الله لهم الدرجات العلى،** الحديث، وقد مرّ مراراً.

وقد يقال: إنّ الرضا قد يكون لغة بمعنى الإقرار في الشيء، أي جعله مكانه، كما ورد في الحديث أنّهم عليهم السلام قالوا لشيعتهم في حقّ مخالفيهم: **ارضوا ما رضي الله لهم من ضلال،** أي اقرّوهم على ما أقرّهم الله عليه، فحينئذٍ معنى رضيكم خلفاء في أرضه، هو أنّه تعالى أقرّكم في مقام ولايتكم وخلافتكم، وأثبتكم فيها بحيث لا يمكن لأحد معارضتكم فيها بالعلم والكمال، وذلك لعدم من يكون في رتبتكم ومنزلتكم حتى يعارضكم فيها، وهذا من فضل الله تعالى لهم، وسيأتي مزيد بيان له في شرح قوله عليه السلام: **آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين.**

وقد يقال: إنّ الرضا قد يكون بمعنى الإذن فيقال: رضي المالك أن يبيع وكيله داره أي أذن فيه، فحينئذٍ معناه أنّه تعالى أذن في خلافتكم في أرضه، ومرجع إذنه تعالى إلى أنّه تعالى أذن لهم في أن يتصرّفوا في الأُمور شرعية كانت أم تكوينية، تصرّف المالك فيما يملكه ضرورة أنّ الخلافة المأذونة فيها هي الخلافة الإلهية، التي مرجعها إلى الولاية، التي هي ولاية الله تعالى، كما تقدمت الأحاديث في ذلك عن بصائر الدرجات مراراً.

والخلافة كما علمت هي الاستنابة عن المستخلف عنه، بحيث يكون فعل الخليفة المستخلف عنه، وهذا يقتضي أن يكون للخليفة ما للمستخلف عنه من

التصرّف في الأُمور والأشياء بنحو كان للمستخلف عنه كما لا يخفى.

كيف لا وقد علمت فيما سبق أنّه تعالى أشهدهم خلق الأشياء من السموات والأرض والخلق وغيرها، وأنّه تعالى أنهى علمه إليهم، وأنّه تعالى حمّلهم علمه وجعلهم أولياء على سائر خليقته ويدلّ هذا على الإذن المطلق؟

ما في تفسير نور الثقلين[1]، عن بصائر الدرجات عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان سليمان عنده اسم الله الأكبر الذي إذا سأل به أعطي وإذا دَعا به أجاب ولو كان اليوم لاحتاج إلينا.

وفيه عن علل الشرايع بإسناده عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، وساق الحديث.. إلى أن قال: ثمّ قال عليه السلام: قد والله أُوتينا ما أُوتي سليمان وما لم يؤت سليمان، وما لم يؤت أحد من الأنبياء، قال الله عزّ وجلّ في قصة سليمان: **هذا عطائنا فامنن أو امسك بغير حساب** وقال عزّ وجلّ في قصّة محمّد صلى الله عليه وآله **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**.

وفي تفسير البرهان[2]، روي عن سلمان الفارسي.. إلى أن قال: فقال الحسن عليه السلام عن أمير المؤمنين: إنّ سليمان بن داود كان مطاعاً بخاتمه، وأمير المؤمنين بماذا يطاع؟ فقال عليه السلام أنا عين الله في أرضه، أنا لسان الله الناطق في خلقه، أنا نور الله الذي لا يطفأ، أنا باب الله الذي يؤتى منه، وحجته على عباده.

ثمّ قال: أتحبّون أن أُريكم خاتم سليمان بن داود؟ قال: نعم، فأدخل يده إلى جيبه فأخرج خاتماً من ذهب فصّه من ياقوتة حمراء، عليه مكتوب محمد وعلي، الحديث.

فعلم من هذه الأحاديث انّ لهم التصرّف في الأُمور بما منحهم الله تعالى من مقام الخلافة الإلهية، التي هي الولاية المطلقة الكلية الإلهية.

والحاصل: أنّه تعالى رضي بخلافتهم، أي أذن لهم فيها بأن يعملوا بها ماله تعالى أن يعمل، نعم إنّ الأئمة عليهم السلام لا يعملون إلّا ما أمرهم الله تعالى كما حكاه الله تعالى عنهم بقوله: **﴿ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾** وتقدم شرحه مفصّلاً، وتفسير

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤، ص٤٥٨.

٢ ـ تفسير البرهان ج ٥، ص ٥٠.

الرضا بالإذن ليس ببعيد، بل الإذن ملازم للرضا وإن لم يفسّر به كما لا يخفى.

هذا وقد علمت أنّ الرضا في اللغة يأتي بمعنى الاختيار، فحينئذٍ معناه أنّه تعالى اختاركم من بين سائر خلقه لخلافته الإلهية، وفي جميع العوالم، أي أنّهم عليهم السلام خلفاؤه تعالى في جميع العوالم كما تقدم وجهه.

فاختار الله تعالى ذواتهم لذلك، أو اختار خلافتهم، وقد علمت أنّ في هذه الخلافة الإلهية للخليفة التصرّف فيما يشاء كيف يشاء.

في تفسير البرهان[١]، عن زيد الشحّام قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب** ﴾ قال: أعطى سليمان ملكاً، ثمّ جرت هذه الآية في رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يعطي ما يشاء من يشاء ويمنع من يشاء، (ما يشاء) وأعطاه أفضل ممّا أعطى سليمان لقوله تعالى: ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾.

فكذلك، صاحب هذه الخلافة، الخلافة الإلهية، ينقاد له كلّ شيء من المعاني والأعيان، والذوات والصفات، والسكون والحركات، والأفعال والأعمال، والأحوال والآجال والكتب والرخص وغيرها كّل ذلك، لأنّ هذه الخلافة خلافة الله وولاية الله الحقّ بقول مطلق، وذلك لأنّ غير هذه الخلافة وإن كانت حقّاً، لكنها ليست كلّية شاملة ولا خالصة من جميع الهفوات والقصورات والتقصيرات، بل ربّما كانت خلافة جور أو مشوبة به بحقّ وباطل، أو ظاهرة في بعض الأُمور، أو خلافة باطنية في بعض الأُمور.

وكيف كان ليس كالخلافة الالهية التي ينطبق عليها قوله تعالى: ﴿ **هنالك الولاية لله الحق** ﴾[٢] ولا تنطبق هذه الآية إلّا على الخلافة التي رضيها الله تعالى لهم.

في تفسير نور الثقلين[٣]، بإسناده عن علي بن حسان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

---

١ ـ تفسير البرهان ج ٤، ص ٤٩.

٢ ـ الكهف : ٤٤.

٣ ـ تفسير نور الثقلين ج ٣، ص ٢٦٢.

سألته، وعن عبد الرحمن بن كثير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ هنالك الولاية لله الحق ﴾، قال: ولاية أمير المؤمنين.

وكيف كان فاختار الله ورضي لهم عليهم السلام تلك الولاية الإلهية الكلّية، التي تقدم في أوائل الشرح شرحها والله الهادي إلى الحق.

أما الكلام في **الموضع الثالث**: وهو تخصيص الخلافة بكونها في الأرض.

فنقول: قوله عليه السلام: في أرضه، اشارة فيه إلى أنّهم عليهم السلام أحسن مصداق لقوله تعالى: ﴿ انّي جاعل في الأرض خليفة ﴾ فإنّ الخليفة انّما يراد منه إظهار مراد المستخلف عنه فيما ظهر خلافه أو يتوقع ظهور خلافه وذلك في مجمع العصاة والمتمردين، ثمّ إنّه لما كان إبليس حاكماً على طوائف الجن فطغوا وخالفوا أمر الله، فأرسل الله عليهم جنوده فقتلوهم وأسروا إبليس وصعدوا به إلى السماء كذا قيل.

وفي تفسير البرهان عن عيسى بن أبي حمزة قال: قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام.. إلى أن قال: ثمّ خلق فيها الجن وقدّر لهم عشرة آلاف عام فلمّا قربت آجالهم فسدوا فيها وسفكوا الدماء وهو قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما سفكت بنو الجان، الحديث.

فلوحظ في هذه العبارة مقابلة أهل الجور والطغيان من الشياطين وشياطين هذه وجنودهم من أهل الزيغ والعدوان، وحيث إنّ أهل المعصية والجور في كلّ زمان كانوا في الأرض، فرضي الله تعالى أهل العدل ليقيموا العدل فيها ويدفعوا أهل الظلم والطغيان ويملؤها قسطاً وعدلاً كما ملأها شياطين الإنس والجن ظلماً وجوراً، فالتخصيص بالأرض لظهور آثار الخلافة فيها حيث إنّ الطغاة يتمردون فيها، فخليفة الله يعارض فيها بالعلم والبرهان والحجة والمعجزات.

وقد يقال: إنّ التخصيص بالأرض لإرادة التوقيت بالزمان، أي زمان وجود المكلّفين؛ لإجراء أحكام التكاليف عليهم في الدنيا، فمعناه: خلفاء لأهل الأرض

حين كونهم في الأرض أي في الدنيا، ضرورة أنّ كونهم خلفاء لا يراد منه إلّا كونهم خلفاء على الناس وأهل الأرض كما لا يخفى، فلا يراد منه حصر الاستخلاف في الأرض من التخصيص، بل يراد منه بيان التوقيت لظهور أيام الخلافة حيث علمت أنّها في مقابلة خلافة أئمة الجور فحينئذٍ لا تكون خلافتهم منحصرة في الأرض، فقد علمت أنّ خلافتهم عامة لكل شيء لأهل الأرض والسماء، ومن في الغيب والشهادة أهل الدنيا والآخرة.

وتقدم عن الصادقعليه السلام: أنّ الحجة قبل الخلق، ومع الخلق، وبعد الخلق، ولا ريب في أنّ الحجة من صفات الخليفة الإلهي.

وتقدم عن المفضل بن عمر الجعفي عن الصادقعليه السلام في بيان فضل أمير المؤمنينعليه السلام، إلى أن قالعليه السلام: كان أمير المؤمنينعليه السلام كذا وكذا، إلى أن قال: والحجة البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى.

وعن الصادقعليه السلام: أنّ لله عزّ وجلّ اثني عشر ألف عالم كلّ عالم منهم أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين ما يرى عالم منهم أنّ لله عزّ وجلّ عالماً غيرهم وإنّي الحجة عليهم.

وتقدم في شرح: والحجة على أهل الدنيا والآخرة والأُولى، ما يستفاد منه كونهمعليهم السلام حجج الله على ما سوى الله من جميع العوالم.

وتقدم عن أمير المؤمنينعليه السلام في وصف النبيصلى الله عليه وآله في استخلاف الله له، قالعليه السلام: أقامه في سائر عالمه، يعني في جميع خلقه.

■ ثمّ آثار الخليفة الإلهي تظهر في أُمور:

منها: إظهار العدل، والعدل في قبال من يظهر الجور والظلم والعدوان.

ومنها: أنّه تعالى يجري على أيديهم أفاعيله وأوامره ونواهيه في ساير خلقه؛ وذلك بواسطة أنّه تعالى سخّر لهمعليهم السلام لا لغيرهم ملائكة الجن بل الإنس فيما أرادوا وسائر ما صنع لهمعليهم السلام من الموجودات.

ومنها: أنّه تعالى أظهر على لسانهم علمه ومعارفه، بحيث لم يصدر من غيرهم، كما تقدم الكلام فيه في شرح قوله عليه السلام: وخزّان علمه، وتقدم آنفاً قول الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض** ﴾[1] إلى أن قال: وكلّ ولاة الأمر بعد محمد صلى الله عليه وآله بالعلم ونحن هم فاسألونا فإن صدّقناكم فأقرّوا وما أنتم بفاعلين.

ومنها: أنّه تعالى مكّنهم في الأرض لإقامة دين الله حتى في زمان غيبتهم، إذ ليس في زماننا هذا زمان غيبتهم دين ولا هدى إلّا بهم حصل لنا، ومنهم وصل إلينا، كما لا يخفى.

ومنها: خصوص التمكين، الأعم من الظاهري والباطني في زمان رجعتهم عليهم السلام خاصة، لا التمكين المطلق غير الظاهري فإنّه ربّما لا تعرفه العامة من الناس؛ لأنهمّ إنّما يعرفون التمكين بالملك الظاهري والتسلّط الخارجي، وذلك لا يكون إلّا عند قيام القائم(عج) إن شاء الله وفي زمان رجعتهم لعلّه إليه يشير قوله تعالى: ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض** ﴾ فإن لفظ وعد يشير إلى ظهور الخلافة الإلهية في الرجعة وفي قيام القائم(عج) وإلّا لما حسن الوعد؛ لأنّ الله سبحانه لم يجعلهم خلفاء بالوعد لا بالفعل، بل علمت مراراً أنّهم عليهم السلام خلفاء على ما سوى الله في جميع العوالم قبل الخلق وبعد الخلق ومع الخلق.

وكيف كان فالوعد يشير إلى ظهور تُمكّنهم في الأرض وتسلّطهم الخارجي على أعداء الله تعالى.

وهناك تظهر آثار الخلافة بأحسن ظهور رزقنا الله تعالى رؤية قائم آل محمد(صلّى الله عليه وعلى آبائه الطاهرين) وتملكه إن شاء الله وسيجيء تمام الكلام عند شرح قوله عليه السلام: مصدّق برجعتكم والسلام.

---

١ ـ النور: ٥٥.

قوله ﷺ: وحججاً على بَرِيته.

أقول: تقدم الكلام في الحجج في قوله ﷺ: وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأُولى، إلّا أنّ الفرق بين الجملتين هو أنّ السابقة في مقام بيان كونهم عليهم السلام حجج الله على الكلّ، وهنا لمكان العطف على (خلفاء) في مقام بيان كونهم حججه مورداً لرضاه، فيجري فيه ما ذكر في رضاه تعالى بكونهم خلفاء.

وأمّا البرية، فقال في المجمع: قوله تعالى: ﴿هو الله الخالق البارئ المصوّر﴾ فالخالق هو المقدّر لما يوجده، والبارئ المميّز بعضه عن بعض بالأشكال المختلفة، والمصوّر الممثل.

قال بعض الأعلام: قد يظنّ أنّ الخالق والبارئ والمصوّر ألفاظ مترادفة، وأنّ الكلّ يرجع إلى الخلق والاختراع وليس كذلك، بل كلّ ما يخرج من العدم إلى الوجود مفتقر إلى تقدير أوّلاً، وايجاده على وفق التقدير ثانياً، وإلى التصوير بعد الايجاد ثالثاً، فالله تعالى خالق من حيث هو مقدّر، وبارئ من حيث هو مخترع، وموجد ومصوّر من حيث إنّه رتّب صور المخترعات أحسن ترتيب، انتهى.

وقد يقال: إنّ الخالق منشئ عالم الواحديّة، والبارئ منشئ عالم الأحدية، والمصوّر منشئ عالم الكثرة.

وقد يقال: إنّ الخالق هو الموجد للكون، والبارئ هو الموجد للعين، والمصوّر هو الموجد للتقدير.

ويقال: هو من البراء (بالمدّ والقصر) وهو التراب، والمعنى حينئذٍ المخلوقة من التراب فعلى كونها من (براء) يكون المراد منها كلّ ما دخل تحت الإرادة، وعلى أنّها من البراء (أي التراب) فتكون مختصة بما كوّن من العناصر، فتخرج الملائكة من البرية، وهنا كلام طويل لا فائدة في بيانه.

أقول: اِعلم أنّ جميع ما سوى الله تعالى من الأعالي والأداني، والمجرّدات والماديات، والعقول والنفوس، والحيوانات والنباتات وجميع أصناف الخلق معنون

بعنوان أنّه مخلوق، والله تعالى خالقه، وهو تعالى خالق كلّ شيء، فجميع أصناف الخلق وإن كانت متخصصة بخصوصيته من حيث النوع والفرد والتجرّد والمادة، لكنها متّصفة بصفة أنّه مخلوق، فالخليقة كالجنس يشمل جميع أنواع الموجودات، وإن شئت فقل: إنّ الخلق مساوق للإيجاد والوجود.

وأمّا المصوّر فهو ظاهر في الممثل أي معطي الصورة وخالقها وممثلها، فهو ناظر إلى هذه الخصوصية، ولعلّ هذا هو المراد من قوله: من فسّر المصوّر بالموجد للتقدير فتأمّل، فإنّ التقدير ظاهر في خلق التقدير في قبال خلق التكوين، والمصوّر هو الموجد للصورة في خلق التكوين؛ ولذا قال بعضهم: المصوّر هو موجد، ومصوّر من حيث إنّه مرتّب صور المخترعات، وأمّا البارئ فهو ناظر إلى خلق الموجودات بلحاظ كثرتها وانتشارها في العالم، ولعلّه ناظر إلى عظمة قدرته تعالى في الخلق؛ لكثرته على أنواعها في عالم الوجود فالبرية ـ الحق ـ أنّها من براء بالمعنى المذكور (أي الخلق بلحاظ كثرته).

وأما ما قاله بعض الأعلام من أنّ: كلّما يخرج من العدم إلى الوجود مفتقر إلى تقديره.. الخ، ففيه ما لا يخفى فإنّ التقدير المذكور هو التقدير في العلم وقبل خلق التكوين، فتفسير الخالق به ليس بصحيح؛ لأنّ الخالق يراد منه الخالق بالتكوين، فإنّ أُريد به المقدّر في الخارج فهو المصوّر، إذ التقدير والتصوير الخارجي مترادفان كما لا يخفى.

وأمّا تفسير البارئ بالمخترع ففيه: أنّ الاختراع هو الابتداع والإنشاء، فكونه تعالى خالقاً من حيث إنّه لم يخلق شيئاً مشابهاً لشيء كان قبله، بل كان خلقه ابتدائياً فسمّي مخترعاً، فالاختراع هو الإيجاد لا عن شيء ولا من شيء ولا مشابهاً لشيء، فتفسير البارئ به غير تام، بل هو عبارة عن الخلق بلحاظ كثرته المنبئ عن عظمة خالقه لكثرته؛ ولذا يقال في مقام التعجّب: سبحان البارئ، بلحاظ كون التعجّب من كثرة الخلق والحمد لله وحده.

قوله ﷺ: وأنصاراً لدينه.

الكلام يقع في مقامين:

الأوّل: في كونهم أنصاراً.

الثاني: في معنى الدين.

فنقول: الأنصار جمع ناصر، والنصر الإعانة، والمنع من الشيء كما في المجمع.

وقيل: الناصر هو الذابّ (أي المدافع).

وكيف كان فلا ريب في أنّهم عليهم السلام يذبّون عن دين الله، ويعينونه بما يناسبه، ويمنعونه عن أن يصل إليه تحريف الغالين، أو إبطال المعاندين، فهم عليهم السلام يبطلون بالبرهان حجة المخالفين وهم عليهم السلام ينصرون الدين بالعمل من العبادات والمجاهدات والمجاهدة في سبيل الله تعالى ولو بمثل سفك المهج وتحمّل المصائب، والأذى من الأعادي، كلّ ذلك حفظاً ونصرة للدين وثباتاً عليه وتثبيتاً له كما لا يخفى على من راجع أحوالهم عليهم السلام ومحاجّاتهم التي صارت الكتب مشحونة بها.

وقال الصادق عليه السلام: فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يحمل هذا الدين في كلّ قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف الغالين، وانتحال الجاهلين، كما ينفي الكبريت خبث الحديد.

ثمّ إنّ المراد (على الظاهر) من قوله عليه السلام: عدول، أنفسهم الشريفة فإنّهم عليهم السلام أحسن مصداق لها، ولكن يحتمل أنّه يراد منها الأعم منهم عليهم السلام ومن شيعتهم الذين يقتفون آثارهم ويعرفون أحكامهم، وأنهم الممتحنون المحتملون لعلومهم.

فيظهر من كثير من الأحاديث والأدعية والزيارات: أنّ نصرة الدين قد تكون بغير الأئمة من الشيعة الذين قد وصفوهم بما يأتي ذكره، في الزيارة للشهداء عليهم السلام: السلام عليكم يا أنصار دين الله، وفي الدعاء: واجعلني ممّن تنتصر به لدينك، ولا

تستبدل بي غيري.

وأمّا الأحاديث فهي أكثر من أن تحصى كما لا يخفى على من راجع الأخبار الواردة في تعديل الثقات من الرواة وأنّه لولاهم لاندرس الدين، وأنّه قد أمروا عليهم السلام بمتابعتهم أي متابعة الشيعة الكاملين الموصوفين بأوصاف خاصة، ونحن نذكر بعضها توضيحاً للمقصود، فمنها:

ما في البحار[1]، وقال الرضا عليه السلام: قال علي بن الحسين عليه السلام: إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت في منطقه، وتخاضع في حركاته، فرويداً لا يغرّنكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا، وركوب الحرام منها؛ لضعف نيّته ومهانته وجبن قلبه، فنصب الدين فخّاً لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره، فإن تمكّن من الحرام اقتحمه، وإذا وجدتموه يعفّ عن مال الحرام، فرويداً لا يغرّنكم، فإنّ شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو عن مال الحرام وإن كثر، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتي منها محرّماً، فإذا وجدتموه يعفّ عن ذلك فرويداً لا يغرّنكم حتى تنظروا ما عقده عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثمّ لا يرجع إلى عقل متين فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله.

فإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرنّكم حتى تنظروا مع هواه يكون على عقله؟ أو يكون مع عقله على هواه؟ وكيف محبّته للرياسات الباطلة وزهده فيها، فإنّ في الناس من خسر الدنيا والآخرة يترك الدنيا للدنيا، ويرى أنّ لذة الرياسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحلّلة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة حتى إن قيل له: اتّق الله، أخذته العزّة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد، فهو يخبط خبط عشواء، يقوده أوّل باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمدّه ربّه بعد طلبه لما يقدر عليه في طغيانه، فهو يحل ما حرّم الله ويحرّم ما أحلّ الله، لا يبالي بما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته، التي قد يتّقي من أجلها، فأولئك الذين غضب الله عليهم

---

١ ـ البحار ج ٢، ص ٨٤.

ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً مهيناً.

ولكن الرجل كلّ الرجل نعم الرجل هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة في رضا الله، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عزّ الأبد من العزّ في الباطل، ويعلم أنّ قليل ما يحتمله من ضرّائها يؤدّيه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد، وإنّ كثير ما يلحقه من سرّائها إنّ اتبع هواه يؤدّيه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول، فذلكم الرجل نعم الرجل فبه فتمسّكوا وبسنّته فاقتدوا وإلى ربّكم به فتوسّلوا، فإنه لا تردّ له دعوة ولا تخيب له طلبته.

فالمستفاد من هذا الحديث الذي نقلناه بطوله لما فيه من الفائدة: أنّ الرجل هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وهذا من صفات الشيعة الكاملين وقد أُشير أيضاً إليهم وإلى أوصافهم، فيما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرىً ظاهرة﴾[1].

ففي تفسير نور الثقلين[2]، عن أبي حمزة الثمالي قال: أتى الحسن البصري أبا جعفر عليه السلام فقال: لأسألك عن أشياء من كتاب الله، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ألست فقيه أهل البصرة؟ قال: قد يقال ذلك.. إلى أن قال عليه السلام: فنحن القرى التي بارك الله فيها، وذلك قول الله عزّ وجلّ فيمن أقرّ بفضلنا حيث أمرهم أن يأتونا فقال: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرىً ظاهرة﴾ والقرى الظاهرة الرسل والنقلة عنّا إلى شيعتنا وفقهاء شيعتنا إلى شيعتنا. الحديث.

فيعلم من هذا الحديث أنّ الشيعة خصوصاً فقهاءَهم الذين وصفهم الصادق عليه السلام في حديث عمر بن حنظلة المعروف بقوله: «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه» هم الذين نصروا دين الله تعالى بتسديد أئمّتهم، وتعليمهم إيّاهم وإمدادهم لهم بأحاديثهم،

---

١ ـ سبأ: ١٨.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤، ص ٣٣٠.

وتنويرهم لقلوبهم كما علمته من حديث أبي خالد الكابلي وتعريفهم كيف يعلمون ويعملون ويعلّمون عوامّهم، فهم بهذه الأُمور صاروا أنصار الدين، والوجه فيه أنّ الحق لم يوجد إلّا عند الأئمة عليهم السلام وفقهاء الشيعة من محدّثيهم وغيرهم من العلماء قد أخذوا منهم عليهم السلام فكما أنّ الأئمة عليهم السلام هم الأنصار لدين الله، الذين ينفون عنه كلّ ما ليس منه، ويتمّون ما نقص منه.

ففي كمال الدين وتمام النعمة[1]، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لم يدع الأرض إلّا وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان، فإذا زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، وإذا نقصوا شيئاً أكمله لهم، ولولا ذلك لالتبست على المؤمنين أُمورهم، فكذلك فقهاء الشيعة فإنّهم أيضاً هم الأنصار للدين بالتعليم والإشاعة والإرشاد كما لا يخفى، وكيف لا وقد أخذوا علمهم من الأئمة عليهم السلام لا غيرهم حيث علموا أنّ الحق عندهم لا عند غيرهم؟

ففي البحار[2]، عن المحاسن بإسناده عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أمّا أنّه ليس عند أحد من الناس حقّ ولا صواب إلّا شيء أخذوه منّا أهل البيت، ولا أحد من الناس يقضي بحق وعدل وصواب إلّا مفتاح ذلك القضاء وبابه وأوّله وسببه علي بن أبي طالب عليه السلام فإذا اشتبهت عليهم الأُمور كان الخطأ من قبلهم إذا أخطأوا، والصواب من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفيه[3]، عن البصائر، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: أبي الله أن يجري الأشياء إلّا بالأسباب، فجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكلّ شرح علماً وجعل لكل علم باباً ناطقاً عرفه من عرفه، وجهله من جهله، ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن.

وفي حديث نقله في البحار في كتاب الإمامة عن الاحتجاج عن أبي جعفر عليه السلام

---

١ ـ كمال الدين .. ج ١، ص ٢٠٣.
٢ ـ البحار ج ٢، ص ٩٤.
٣ ـ البحار ج ٢، ص ٩.

وفي آخره: فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله ما يوجد العلم إلّا هاهنا وكان عليه السلام يقول: محنة الناس علينا عظيمة إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا.

وكيف كان فالنصرة للدين بالعموم والنحو الأتمّ الأكمل يكون منهم عليهم السلام في جميع مراتب الدين من التوحيد إلى أرش الخدش، فهم في جميع ذلك القوّام به كما تقدم في (القوّامون بأمره) والشيعة وفقهاؤهم لما أخذوا منهم دينهم وكانوا مأمورين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعانة الأئمة ونصرتهم إذا دعوهم، وبتبليغ الأحكام وإرشاد الناس والجهّال فلا محالة كلّ واحد منهم بحسب ما عنده من العلم والإيمان يكون لا محالة ناصراً لدين الله تعالى.

هذا ونحن نرى اجتهاد العلماء والمؤمنين في نصرة الدين بالعلم والتعليم والكتابة، بل وفي الجهاد ضد الأعداء، وإماتة الباطل، وإحياء الحق بما لا مزيد عليه في بعضهم.

بقي شيء وهو: أنّه لا ريب في انّ النصرة للدين من الأئمة عليهم السلام تكون بالأصالة وبالجعل الإلهي الذي منحهم به، وأما بالنسبة إلى غيرهم فهو نصرة بالتبع حيث إنّهم تابعون في العلم والأحكام والمعارف لأئمتهم عليهم السلام ففي الحقيقة أنّ النصرة العلمية بل والعملية تكون منهم عليهم السلام وما صدر من شيعتهم تكون بلحاظ متابعتهم للأئمة عليهم السلام وذلك لأنّ قبول العمل وقبول النصرة للدين من أي أحد كان إنّما يصحّ إذا كان مقرّاً بفضلهم عليهم السلام ولولايتهم، وتابعاً لأمرهم في الدين، فلا محالة تكون النصرة تبعية، كذا قيل.

ولكن هنا إشكال صعب وحاصله: انّه نقل عن الشيخ يس بن صلاح البحراني أنه روى في كشكوله قال: كتب رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام يسأله أن يدعو الله له أن يجعله ممّن ينتصر به لدينه، فأجاب عليه السلام: رحمك الله، انّما ينتصر الله لدينه بشرّ خلقه.

فربّما يقال: إذا كان نصرة الدين أمراً مرغوباً فيه؛ ولذا ورد في الدعاء: واجعلني

ممّن تنتصر به لدينك، فكيف التوفيق بينه وبين هذا الجواب؟

كيف وقد علمت أنّ نصرة الدين من خواص آثار الإمامة، وقد دلّت عليه هذه الجملة من الزيارة من قولهﷺ: وأنصاراً لدينه، أي رضيكم أنصاراً لدينه، فإذا كان الله ينتصر لدينه بشرّ خلقه، فليس هذه الصفة ممّا به المزية لهمﷺ لا يشترك فيه غيرهم، بل يشترك معهم شرّ خلق الله.

وحينئذٍ قد يقال في الجواب.

أولاً: إما انّ السائل لعلّه لم يكن ممّن يعمل بأصل الشرع كما هو حقّه، فزعم أنّه إن كان ممّن ينتصر به الدين فهو اذاً من الصالحين فأجابهﷺ: بانّ مجرّد كون الإنسان ممّن ينتصر به الدين لا يوجب انخراط الإنسان في سلك الصالحين، بل لابدّ من العمل بمقتضى الشرع المبين؛ وذلك لأنّه تعالى قد ينصر دينه بشرّ خلقه، أي كونك ممّن ينتصر به الدين قد تجتمع مع كونك من شرّ خلق الله، وهذا لا يدل على أنّ النصرة للدين أمر مرغوب عنه كما لا يخفى.

وبعبارة أُخرى: أنّ نصرة الدين على قسمين:

- ما يكون مع كون الناصر من أهل السعادة.
- ما يكون مع كونه شرّ خلق الله، فنصرة الدين حسن جدّاً مرغوب فيه، إلّا أنّها لا تدل مطلقاً على أنّ الناصر من خيار خلق الله.

وبعبارة أُخرى: أنّ نصرة الدين ليست من العلامات المختصة؛ لكون الناصر من أهل السعادة بل اللازم أعم، وعليه فالدعاء الوارد من نحو: «اللهمّ اجعلني ممّن تنتصر به لدينك» من الذين هم أهل السعادة والإيمان، فتأمّل. وكيف كان فالجواب علىٰ ما زعمه السائل.

ثانياً: أنّ السائل لعلّه طلب في نفسه أعلى مراتب الدين، التي لا تكون إلّا لمحمد وآله الطاهرين، وعلم الإمامﷺ ذلك منه فأجابه بأنّ طلب ذلك المقام العالي لا يكون إلّا من أهله بالحق، ومن أراد، أو ادّعى ذلك المقام المختص بهم لا يكون إلّا

شرّ خلق الله.

والحاصل: لعلّ السائل ادّعى رتبتهم عليهم السلام فردّه الإمام عليه السلام بأنّ طلب هذا المقام لا يكون إلّا من شرّ خلق الله، وقد نرى في التأريخ أنّ من كان مدّعياً لمقام الأنبياء والأولياء والأئمة كان من شرّ الخلق كما لا يخفى على من يتتبع الآثار.

أقول: هذا الجواب خلاف الظاهر العرفي جدّاً فإنّ قوله عليه السلام: إنّما ينتصر الله لدينه بشرّ خلقه، ظاهر في أنّ طلب أحد أن يكون ممّن ينتصر به للدين أمر مرغوب فيه، ولكن اِحذر أن تكون من شرّ خلق الله الذي ينتصر به الدين، فإنّ الانتصار للدين يعمّ كون الناصر من خيار الخلق أو من شرار الخلق، وإن كان المصداق الأعلى منه المختص بالأئمة عليهم السلام لا يكون إلّا من الأخيار، والله العلّام بحقيقة الأحوال، فحينئذٍ الجواب هو الأوّل كما لا يخفى.

ونقول توضيحاً للمقام: إنّ نصرة الدين هي في نفسها أمر مرغوب فيه، ومن مقامات الأئمة عليهم السلام ومقامات أولياء الله تعالى كالصلاة الحقيقية التي هي معراج المؤمن وكسائر العبادات، ومعلوم أنّ العامل بها وبسائر العبادات قد يكون هو بنفسه ممن قد هذّب نفسه فيمكنه ايجاد العمل مع الإخلاص والإيمان، فلا محالة يكون عملّه مقبولاً منه، وهذا بخلاف ما إذا كان ممّن كان متّصفاً بصفة النفاق، فإنّه حينئذٍ إذا أدى العبادة أو نصر الدين فانّه حينئذٍ وإن كان العمل في نفسه ـ مع قطع النظر عن العامل ـ أمراً مرغوباً فيه، إلّا أنّ هذا العمل الصادر عن نفاق لا يكون كمالاً للعامل، بل يوجب عقوبة له لما أوجده بدون الإخلاص.

فهذا العمل الكذائي لا يدلّ على أنّ العبادة والنصرة ليست أمراً مرغوباً فيهما، بل يمكن أن تكون من أحسن أنحاء العمل العبادي والقربي، إلّا أنّ هذا الشخص قد أتى به فاسداً، فالمذمّة ترجع إلى العامل لا إلى نقص في حقيقة العمل والعبادة مثلاً، فالإمام عليه السلام أجاب السائل بأنّك تسأل أن يجعلك الله ممّن ينتصر به الدين هذا دعاء عام قد يلازم مع الكمال النفساني وقد يلازم النفاق.

وكيف كان فهذا الحديث كما ترى لا يدلّ على أنّ النصرة للدين في نفسها ليست أمراً مرغوباً فيها بل كالصلاة مثلاً بل هي في غاية المرغوبية فيها، فالتحذير راجع إلى انّه لابدّ لك من تهذيب نفسك، وتسأل معه أن ينتصر بك الدين لا مطلقاً، فهذا نظير أن يقال: اللهمّ اجعلني من المصلّين، فيقال له: يا هذا قد تكون الصلاة من المنافق، فلا تكون الصلاة موجباً للعروج الروحاني بل اسأل الله تعالى أن يهديك ويجعلك من المصلّين بالصلاة الحقيقيّة التي هي معراج المؤمن.

وكيف كان فالأئمة عليهم السلام هم الأنصار لدين الله بجميع أقسام النصرة، وفي جميع الأحوال سرّاً وعلناً قولاً وعملاً، بل علمت انّه لم يكن نصرة للدين من أحد إلّا وهي منهم عليهم السلام من حيث العلم والتوفيق الإلهي والتنوّر القلبي، فصحّ حينئذٍ بقول مطلق: أنّهم الأنصار للدين وانّ نصرة من سواهم من آثار نصرتهم له، فالذي منهم هو الأصل وما في غيرهم هو فرعه كما لا يخفى.

هذا تمام الكلام في المقام الأوّل، وأمّا الكلام في المقام الثاني (أعني بيان معنى الدين) فنقول: في المجمع: والدين هو وضع إلهي لأُولي الألباب يتناول الأُصول والفروع، قال تعالى: ﴿**إنَّ الدين عند الله الإسلام**﴾[1].

أقول: في تفسير نور الثقلين عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿**إنَّ الدين عند الله الإسلام**﴾ قال: يعني الدين فيه الإيمان وقال: والدين الطاعة والجزاء.

وفيه: الدين التوحيد والحكم والحساب المستقيم. ففي كلّ مورد يراد فيه أحد هذه المعاني بما يناسبه وحينئذٍ لا ريب في أنّ الدين هو الشرايع بما لها من الأحكام والأوامر والنواهي، والمعارف والأخبار بما كان أو بما يكون وبما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد نشر الدين من كلماتهم وبياناتهم خصوصاً من مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وقد انتشر الدين بهذا المعنى منه عليه السلام بحيث صار المذهب الجعفري (عليه الصلاة والسلام).

---

١ ـ آل عمران: ١٩.

هذا ولكن الظاهر من قوله عليه السلام: وأنصاراً لدينه، أنّ المراد من الدين ما يعمّ المذكور والواقع للدين فإنّهم عليهم السلام أنصاره أي يذبّون عنه، ويحفظونه من أن يزاد عليه أو أن ننقص منه.

وبعبارة أُخرى: أنّ الدين له ظاهر وهو بيان ظاهر الشرع وقد بيّنوه، وظهر لكلّ أحد، وله واقع حقيقة والمراد منه واقع التوحيد وواقع الولاية، التي علمت أنّها باطن الرسالة فهم عليهم السلام بوجودهم يحفظون الحقائق الدينية بالتأييدات الإلهية، وما كان من واقع الدين عن أحد من شيعتهم فهو محفوظ بحفظهم عليهم السلام له ولذا كانوا أركاناً للتوحيد وعناصر الأبرار، بنحو تقدم بيانه.

ويدلّ على ما ذكرنا عدّة من الروايات، في سفينة البحار[1] عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: **﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً﴾** قال: الولاية.

أقول: الولاية قد يراد منها خلافة الأئمة عليهم السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله في الظاهر فهي بهذا المعنى وإن كانت من الدين، ولكن قد مرّت أحاديث وآيات دلّت على أنّ الولاية، التي هي ولاية الله تعمّ هذا والولاية التكوينية، وتقدم عن الصادق عليه السلام في بيان أنّ الدين معرفة الرجال وتوضيحه: وقال عليه السلام فيه: فأفضل الدين معرفة الرسل وولايتهم.. إلى أن قال: ثمّ إنّي أخبرك أنّ الدين وأصل الدين هو رجل، وذلك الرجل هو اليقين والإيمان وهو إمام أُمّته أو أهل زمانه، فمن عرفه عرف الله ودينه، ومن أنكره أنكر الله ودينه، ومن جهله جهل الله ودينه، ولا يعرف الله ودينه وحدوده وشرايعه بغير ذلك الإمام فذلك معنى: انّ معرفة الرجال دين الله.. إلى أن قال: **إنّ الله تبارك وتعالى إنّما أحبّ أن يعرف بالرجال، وأن يطاع بطاعتهم، فجعلهم** سبيله ووجهه الذي يؤتى منه، لا يقبل الله من العباد غير ذلك، لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون، الحديث.

---

١ ـ سفينة البحار ج ١ ص ٤٧٦.

فعلم من هذا الحديث أنّ الدين حقيقته هو الإمام المعبّر عنه بالرجل المعرف باليقين والإيمان.

وفي البحار[١] عن كتاب فضائل علي عليه السلام انّه قال لسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري (رضوان الله عليهما): إنّه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية، فإذا عرفني بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه للإيمان، وشرح صدره للإسلام، وصار عارفاً مستبصراً، ومن قصر عن معرفة ذلك فهو شاك مرتاب، يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: معرفتي بالنورانية معرفة الله عزّ وجلّ ومعرفة الله عزّ وجلّ، معرفتي بالنورانية، وهو الدين الخالص الذي قال الله تعالى: **﴿وما امروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾**.

وعن تفسير القمّي في قوله تعالى: **﴿وأن أقيموا الدين﴾** أي إقرار بالولاية وعن مناقب ابن شهر آشوب، عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: **﴿فما يكذّبك بعد بالدين﴾** قال: الدين علي عليه السلام.

وعن الصادق عليه السلام كما في مقدمة تفسير البرهان في قوله تعالى: **﴿أقيموا الدين﴾**: أي الإمام عليه السلام.

وعن البصائر، عن الصادق عليه السلام قال: نحن أهل دين الله.

وعن الباقر عليه السلام قال في حديث له: إنّ أئمة الحق وأتباعهم هم الذين على دين الله، وإنّ أئمة الجور لمعزولون عن دين الله الحق، الخبر.

أقول: إنّ الظاهر من هذه الأحاديث أنّ الدين في الحقيقة هو الولاية وصاحب الولاية، فكونهم عليهم السلام أنصاراً لدينه، وأنّه تعالى رضيهم أنصاراً لدينه يعمّ جميع معاني الدين خصوصاً بالنسبة إلى الولاية، فإنّهم يحفظونها ويحفظون شيعتهم من أن يزيلوا عن ولايتهم عليهم السلام ونحن نسأل الله تعالى الثبات على ولايتهم عليهم السلام في الدنيا

---

١ ـ البحار ج ٢٦ ص ٢.

والآخرة.

قوله عليه السلام: وحفظة لسرّه

أقول: تقدم الكلام فيه في قوله عليه السلام: وحفظة سرّ الله، إلّا أنّ التكرار هنا بلحاظ أنّه تعالى رضيهم حفظة لسرّه، فيدلّ على أنّهم عليهم السلام قد حفظوا سرّ الله، وقاموا به كما هو حقّه بحيث رضي الله تعالى بكونهم حفظة لسرّه.

قوله عليه السلام: وخزنة لعلمه

أقول: تقدم الكلام مفصّلاً في كونهم عليهم السلام خزّان علمه في شرح الجملة السابقة من الزيارة، والتكرار أيضاً بلحاظ أنّهم عليهم السلام في كونهم خزنة لعلمه بمثابة من الحفظ، والعمل بما يقتضيه كونهم خزنة لعلمه بحيث رضي الله تعالى عنهم من حيث كونهم خزنة لعلمه، وتقدم معنى العلم الذي أعطاهم الله تعالى وبيان شرحه، إلّا انّه ربّما يقال: إنّ الجملة السابقة أعني قوله عليه السلام: «وخزّان علم الله» يعمّ جميع العلوم التي أعطاها الله تعالى لهم، وهو يعمّ العلم الحادث والتجلّيّات الالهية، التي تكون متجلّية في قلوبهم الشريفة في حال فنائهم عمّا سواه حتى عن أنفسهم الشريفة.

وقد دلّت على هذا التجلّي والعلم أخبار بل آيات كثيرة تقدم ذكرها في مطاوي الشرح وفي شرح الجملة السابقة، هذا ولكن هذه الجملة أعني قوله عليه السلام: «خزنة لعلمه» يراد منه العلم الحادث المتعلّق بالشريعة من الأحكام والمعارف والأخلاقيات التي بها تكميل النفوس.

والحاصل: أنّ المراد به العلم المتعلّق بالشرع والتبليغ للأحكام وما شابهه، وذلك كلّه لمكان تعلّق الرضا بهذه الجملة.

بيانه: أنّ الجملة السابقة وهي كونهم خزّان علم الله لا يكون إلّا بفضله ومنحه وعطائه، وهو إعطاء منه تعالى لهم ابتدائي، ولا يحسن تعلّق الرضا به، لأنّه تفضل

ابتدائي وأمره بيده تعالى إن شاء أعطاه لهم وإن شاء أخذه منهم.

نعم هو متعلّق لمشيئته تعالى بالأصالة وإن استلزم رضاه أيضاً، إلّا أنّه غير منظور في الكلام، وهذا بخلاف هذه الجملة: أي ورضيكم خزنة لعلمه، وذلك ظاهر في أنّه تعالى قد رضيهم خزنة لعلمه الذي منحهم والذي هو الشرع من الأحكام والمعارف الموجبة للتكميل.

فحيث إنّهم عليهم السلام عملوا بمقتضى الوظيفة فيها فرضي الله عنهم في هذا العلم بلحاظ قيامهم عليهم السلام فيه بما هو الواجب عليهم في إقامة الشرع والدين، والله العالم بمراد أوليائه عليهم السلام.

قوله عليه السلام: ومستودعاً لحكمته

أقول: تقدم الكلام في بيان الحكمة في قوله عليه السلام: ومعادن حكمة الله، مفصّلاً إلّا أنّ هذه الجملة أُشير فيها إلى أمرين:

الأوّل: أنّه تعالى رضيهم مستودعين لحكمته بنحو تقدم معناه في «رضيكم خلفاء في أرضه» نعم يجري فيه من المعاني ما يناسبه، فحيث إنّهم عليهم السلام قد قاموا بحق الوديعة الإلهية أي الحكمة المستودعة عندهم، وعملوا بحقّها في الخلق، بحيث أظهروها فيما أمرهم تعالى بإظهاره، وأخفوها فيما أمرهم تعالى بإخفائه، فلا محالة قد رضيهم مستودعاً لحكمته(صلوات الله عليهم أجمعين).

الثاني: أنّه تعالى استودعهم حكمته، إلّا أنّه ما الفرق بين كونهم معادن حكمة الله وبين كونهم مستودعين لحكمته؟ الاستيداع هو الاستيمان على شيء وذلك بأن تضع ملكك عند من تثق به، فالشيء المستودع عند أحد وإن كان مورداً للاستفادة منه إلّا أنّه كالعارية فإن رقبته ليس للمستودع (بالفتح) بل هو للمستودع (بالكسر) وفيما نحن فيه يراد من الشيء المستودع عندهم عليهم السلام المعبّر عنه بالحكمة والعلم والعقل الكامل والمكمّل (بالفتح) المشار إليه بقوله تعالى في الحديث القدسي:

« ولا أكملتك إلّا فيمن أحب ».

ومنه يعلم الفرق بين الجملتين، فإنّ قوله‌ﷺ: معادن حكمة الله، أُشير بـه إلى نفس تحقق الحكمة عندهم‌عليهم‌السلام وعبّر عنهم‌عليهم‌السلام بمعادنها نظراً إلى أنّها لا توجد أصلاً وفرعاً إلّا عندهم ومنهم كما هو شأن المعدن، وأمّا قوله‌ﷺ مستودعاً لحكمته، يشار به إلى أنّ هذه الحكمة أو أنّ كونهم معادن حكمته تعالى ليست ذاتياً لهم، بـل هـي وديعة عندهم‌عليهم‌السلام ولذا تعلّق بها رضاه تعالى أي أنّـه تـعالى رضـيهم مسـتودعاً لحكمته ويدلّ هذا بالالتزام على أنّهم‌عليهم‌السلام قاموا بشأن الوديعة من حفظها والعـمل بها كما ينبغي، ويدلّ بالالتزام على عبوديّتهم الحقيقية‌عليهم‌السلام حيث إنّ هـذه الجـملة تحكى عن أنّهم‌عليهم‌السلام لما كانوا مـتّصفين بحـقيقة العـبودية وأنّهـم قـاموا بحـقّها، ولم يعارضوا بلحاظ واجديتهم لتلك الحكمة والعلم والمعارف التي كانت عندهم شيئاً من أوصاف الربوبية، بل تعاملوا معها بما يوافق ربوبيته تعالى كما هو حقّها. وذلك لا يكون إلّا لكونهم في كمال العبودية فرضيهم مستودعين لحكمته.

وممّا ذكر يعلم: أنّ قراءة مستودعاً (بالكسر) بدعوى أنّهم‌عليهم‌السلام أودعوا الحكم التي أعطاهم الله تعالى عنده تعالى ورضـيهم‌عليهم‌السلام كـذلك أي رضى الله عـن أنّهـم أُودعوا الحكمة عنده تعالى ليس كما ينبغي؛ وذلك لما عرفت من أنّ الاستيداع هو الاستيمان، وذلك يستدعي مالكية المسـتودع (بـالكسر) لمـا يسـتودعه وكـون المستودع عارية عند المستودع عنده وهو فيما نحن فيه بـالعكس كـما لا يخـفى إلّا بضرب من المجاز والتأويل في مالكية المستودع لما يستودعه، بأن يراد من الملك له أعم من الملك الحقيقي أو الاعتباري وهو تكلّف بلا وجه.

مضافاً إلى أنّ هذه الجمل المتعاطفة بعضها على بـعض قـد ذكـرت بـلحاظ الامتنان، فإنّه تعالى قد منّ عليهم‌عليهم‌السلام بأن رضيهم خـلفاء ومسـتودعاً (بـالفتح) لحكمته، ولا ريب في أنّ هذا يناسب القراءة بالفتح لا بالكسر فتأمّل، فإنّه قد يقال: إنّ الامتنان بلحاظ أن رضيهم مستودعين (بالكسر) لحكمته والله العالم.

وقد يراد منها المعرفة التي تقابل الجهل والشك فإنّها حين ذاك هي العلم أو علم اليقين، وكيف كان المعرفة قد تطلق على ما يقابل الإنكار ويراد منها حينئذٍ الشهود بالنسبة إلى ما عرفه، نعم في كل مورد يراد من الشهود ما يناسبه كما حقق في محلّه.

وقد يقال: إنّ المراد منها ضياء المعرفة الثابتة في الفؤاد، أو هي نور نفس الفؤاد، وإن كان بلحاظ تحقق المعرفة فيه، أو هي النور الإلهي المعبّر عنه في الأخبار بالفراسة والتوسم كما تقدم الكلام فيه مفصّلاً، وقد يراد منها مواريث الأنبياء كما سيأتي في رواية خثيمة قوله عليه السلام: ونحن مستودع مواريث الأنبياء.

وحاصل الكلام في الأمرين هو أنّه تعالى رضيهم مستودعاً لحكمته، أي اختارهم اختيار محبة، فرضاه تعالى عنهم بذلك إنّما كان لمحبّته تعالى إيّاهم، وقد تقدم أنّهم المحبوبون له تعالى بتمام ملاك المحبوبية، التي ينبغي أن تكون في محبوبه تعالى ومعنى رضاه تعالى بذلك أنّه يثق بهم عليهم السلام في حفظ الحكمة ووضعها موضعها بأنّ يبذلوها لأهلها ولمن يحفظها ويمنعوها عن غير أهلها ومن لم يحفظها.

وقد يقال: إنّ المراد من الحكمة هو أنفسهم الشريفة، ويؤيّده ما تقدم من تفسير الحكمة في الأحاديث بمعرفة الإمام عليه السلام إلّا أنّ هذا خلاف الظاهر من الجملة، حيث إنّ الظاهر منها أنّه تعالى استودعهم حكمته فهم المستودعون (بالفتح) لحكم الله تعالى، وأنّه تعالى رضيهم أن يكونوا كذلك.

وكيف كان فإنّ أريد من الحكمة أنفسهم الشريفة، فحينئذٍ يراد من الحكمة مقام الولاية الإلهية والروح الأعظم فهي التي استودعها الله لهم، ويراد من أنفسهم ما سوى الولاية والروح التي هى أعظم من جبرئيل وميكائيل من ساير أرواحهم وهياكلهم البشرية فالمستودع (بالفتح) هو الولاية الالهية المعبّر عنها بالروح في قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾[1] وقد تقدم مراراً شرحها والمستودع فيه هو نفوسهم البشرية.

---

١ ـ الشورى: ٥٢.

فيرجع المعنى إلى أنّه تعالى استودعهم أنفسهم (أي الحكمة) أي الولاية الإلهية، والروح الموحى إليه ليؤدّوها بلحاظ آثارها، وبعض حقيقتها إلى المستحقين، فيعملوا بها، فهم يؤدّون الولاية الثابتة لهم بكليتها لبعض شيعتهم على حسب صلاحيتهم وظرفيتهم، أو أنّهم يؤدّون الولاية لأهلها ليعلموا منها المعارف الإلهية، ويعملوا بآثارها من التصرفات المولوية التكوينية كما يرى من بعض شيعتهم وأصحابهم الخواص.

وكيف كان فهم لما حفظوا الحكمة المستودعة عندهم على نحو إرادة المستودع (بالكسر) تبارك وتعالى ووضعوها مواضعها ـ لما عرفوا بالتوسم والتفرّس الثابت لهم ـ عند من يحفظها فبذلوها لهم مسدّدين ومؤيدين لهم على حسب ما كتب لهم في اللوح المحفوظ الثابت عندهم.

وبعبارة أخرى: أنّهم إذا أدّوا الحكمة إلى شيعتهم المستحقين لها، أعانوهم على العمل بها وبمقتضاها، وأعانوا على التبليغ والأداء كما لا يخفى.

وتقدم أنّهم قد أقرّوا بالنسبة إلى بعض أنّه من شيعتهم، وأنكروا بعضاً آخر أن يكونوا كذلك، كما يستفاد هذا من الأحاديث التي ذكرت في بصائر الدرجات في باب أنّهم يعرفون شيعتهم وأنّ أسماءهم لمكتوبة في صحيفة عندهم فراجعها، وأيضاً من عرفوا أنّه ممّن ينكرها فهم أيضاً أنكروهم ومنعوهم عنها (أي عن الولاية) وأهمّ ما قاموا بحفظ الحكمة والولاية الإلهية التي هي حقيقة إمامتهم كما عرفته سابقاً هو أنّهم حفظوا أنفسهم على هذه الوديعة الالهية من الحكمة والولاية، وقاموا بخدمتها والمشي على محض حقيقتها وإن كان صعباً وموجباً لسفك المهج وخوض اللجج، وتحمّل المصائب والمشاق من الأعمال.

فإنهم لما خوطبوا بخطاب: خلقتك لأجلي وخلقت الأشياء لأجلك، إلتذّوا من هذا الخطاب الإلهي الذي بيّن أنّه تعالى اختصّهم لنفسه، فجعلوا أنفسهم الشريفة في جميع الأحوال بحيث يليق بجنابه تعالى، وبحيث يليق بأن تكون لأجله

تعالى، فهم في منتهى القداسة والطهارة الذاتية والنفسية والعمليّة في جميع الأحوال، فلم تعرض عليهم في حالاتهم الظاهرية والباطنية ما يعارض تلك القداسة والطهارة من المعاصي بل وترك الأولى بالفعل أبداً، كما يومئ إليه ما في حديث المعراج قوله تعالى: «ويعظّموني حقّ عظمتي».

والحاصل: أنّه تعالى استودعهم الحكمة والولاية ودينه وهم عليهم السلام قاموا بما يستحقه تعالى في ذلك، وعملوا بمقتضاها والتعبير عنها بالاستيداع هو للاشارة إلى أنّ هذه الوديعة من عطاياه تعالى لهم عليهم السلام ومن خزائنه تعالى التي أفاضها عليهم عليهم السلام وأنّ ما أفاضه عليهم لم يخرج من قبضة يده تعالى، بل هو المالك لما ملّكهم والقادر على ما أقدرهم عليه، بل كلّ ما جعله تعالى عند أحد من خلقه فهو عارية ووديعة عندما يشاء أن يستردّه استردّه؛ لأنّه تعالى مالكه ومالك التصرف فيه ملكاً غير موقت ولا مشروط بغير إرادته تعالى، بل لا يتحقق شيء إلّا بإرادته وإيجاده، وإن صدر في الخارج بحسب الظاهر عن غيره.

كما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾[1] وأنّ ما يعمله العباد في عين انتسابه إليهم مخلوق له تعالى كما هو ظاهر الآية الشريفة، كما يومئ إلى ما ذكرنا ما عن إثبات الوصية للمسعودي عن علي عليه السلام في خطبة:

سبحانك ملأت كلّ شيء، وباينت كل شيء، فأنت لا يفقدك شيء، وأنت الفعّال لما تشاء، تباركت يا من كلّ مدرك من خلقه، وكلّ محدود من صنعه، الخطبة.

فقوله عليه السلام: وكلّ محدود من صنعه، يدلّ على أنّ كلّ فعل ومحدود في الوجود فهو من صنعه تعالى كما لا يخفى.

---

١ ـ الصافات: ٩٦.

قوله عليه السلام: وتراجمة لوحيه

أقول: تراجمة جمع ترجمان وهو المترجم المفسّر للّسان يقال: ترجم فلان كلاماً بيّنه وأوضحه، وترجم كلام غيره عبّر عنه بلغة غير لغة المتكلّم، واسم الفاعل ترجمان. وفي الحديث: الإمام يترجم عن الله تعالى، يعني بقوله: السلام عليكم، أي يقول لأهل الجماعة: أمان لكم من عذاب الله يوم القيامة، كذا في المجمع.

أقول: المستفاد من موارد استعمال الترجمة هو أنّه يراد منها إيضاح المعنى الخفي والغائب عن حواس غير المترجم سواء كان ذلك المعنى المذكور بكلام أم لا.

وقوله: لوحيه، اللام للتعدية، وقد تقدم أنّ الوحي يطلق على معان:

منها: كلّ ما ألقيته إلى غيرك كما عن القاموس، ومعلوم أنّ ما يُلق إلى الغير يعم الكلام وغيره كالاشارة والإلهام وقد فسّر الوحي بهما أيضاً، ومعلوم أنّ الترجمة للوحي تعمّ جميع أقسامه من الاشارات والإلهامات فيرجع المعنى إلى أنّهم عليهم السلام تراجمة لِوَحيه تعالى بما له من المعاني المتعلّقة بالأنبياء والرسل، وما يطلق من الملك أو من الله تعالى على الأئمة عليهم السلام من الحديث حيث تقدم أنّهم عليهم السلام محدّثون بل تقدم أنّ المؤمن ملهم. وكذا يعمّ الموارد التي أطلق الوحي فيها في الحيوانات والشياطين وغيرها كما تقدم تفصيله في شرح قوله عليه السلام: ومهبط الوحي.

والفرق بين هذه الجملة وما تقدم هو أنّ السابقة تشير إلى أنّهم عليهم السلام مهبط ومحل للوحي. وهذه تشير إلى أنّهم عليهم السلام تراجمة وحيه لا غيرهم.

والحاصل: أنّهم عليهم السلام تراجمة الوحي بجميع معانيه، فهم عليهم السلام يترجمون أقسام الوحي منه تعالى إلى أنحاء الخلق من الأنبياء وغيرهم، وهم العارفون بحقائق الأمور بتعليمه تعالى إيّاهم، فلا محالة هم التراجمة لوحيه كما هو حقّه لا غيرهم، وتقدم الكلام مفصّلاً في شرح الوحي وأقسامه في قوله عليه السلام: ومهبط الوحي، فراجعه.

ثمّ إنّه يستفاد من العطف أنّه تعالى إنّما رضي كونهم عليهم السلام تراجمة لِوَحيه

لا غيرهم، وذلك لإحاطتهم بحقائق الأمور لمعرفتهمعليهم السلام بمواقع الترجمة وأنّه كيف يبيّنون أحكامه ومعارفه وحقائقه للخلق بحسب الأشخاص والأوقات والأزمنة حسب ما تقتضيه المصالح الإلهية فحيث همعليهم السلام عارفون بجميع هذه الجهات في مقام الترجمة فرضيهم تراجمة لِوَحيه لا غيرهم.

هذا ونحن نرى أنّ غيرهم من مخالفيهم قد فسّروا القرآن وغيره ممّا يحتاج فيه إلى الترجمة والتفسير بما لا يرضى به العقلاء، لما فيه من الاختلاف والتضاد، وما يؤدّي إلى ما لا يحسن نسبته إليه تعالى، كل ذلك لجهلهم بحقائق الأُمور ومقاصد الحق، وهذا بخلاف ترجمتهمعليهم السلام فإنّها خالية عن أي إشكال وموضحة لحقيقة الأمر، وهذا أدلّ دليل على إمامتهم وعصمتهم وعلمهم، ومنصبهم الإلهي كما حقق في محلّه.

ففيه تعريض أيضاً إلى أنّه تعالى إنّما رضيهم تراجمة لِوَحيه لا غيرهم، فلابدّ من متابعتهم في فهم معاني الوحي بأقسامها لا متابعة غيرهم كما لا يخفى، والحمد لله.

قولهعليه السلام: *وأركاناً لتوحيده*

أركان هو جمع ركن، وركن الشيء جانبه، وقيل: هو الجانب الأقوى، وقولهعليه السلام: أركاناً لتوحيده، وأنّه تعالى رضيهم كذلك يحتاج بيانه إلى بسط في المقال فنقول وعليه التوكّل:

كونهم أركاناً لتوحيده معناه أنّه لا يقبل الله تعالى التوحيد من أحد إلّا إذا كان مقروناً باعتقاد ولايتهم، وقد تقدمت أخبار كثيرة دلّت على أنّ مخالفيهم مشركون وأنّ كلمة التوحيد في القيٰمة تسلب من غير شيعتهم، فولايتهم بمنزلة الركن للبيت الذي لا قوام له إلّا به.

وممّا يدلّ عليه من الأخبار ما في البحار[1]، عن أمالي الصدوق بإسناده عن

---

١ ـ البحار ج٢٧، ص١٦٧.

محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد السلام يقرئك السلام ويقول: خلقت السموات السبع -وما فيهنّ والأرضين السبع ومن عليهن، وما خلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام، ولو أنّ عبداً دعاني هناك منذ خلقت السماوات والأرضين ثمّ لقيني جاحداً لولاية علي لأكببته في سقر.

وفيه[1]، عن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من خالفكم وإن تعبد واجتهد منسوب إلى هذه الآية: ﴿ **وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية** ﴾.

وفيه[2]، عن أمالي الصدوق، عن سديف قال: حدّثني محمد بن علي الباقر عليه السلام وما رأيت محمدياً قط يعدله قال: حدّثنا جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أيّها الناس من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهودياً، قال: قلت: يا رسول الله وإن صام وصلّى وزعم أنّه مسلم؟ فقال: وإن صام وصلّى وزعم أنّه مسلم.

وفيه[3]، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: التاركون ولاية علي، المنكرون لفضله المظاهرون أعداءَه، خارجون عن الإسلام من مات منهم على ذلك.

وفيه[4]، عن ثواب الأعمال للصدوق رحمه الله عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ عدوّ علي عليه السلام لا يخرج من الدنيا حتى يجرع جرعة من الحميم، وقال: سواء على من خالف هذا الأمر صلّى أو زنا.

---

١ ـ البحار ج٢٧، ص١٦٨.
٢ ـ البحار ج٢٧، ص٢١٨.
٣ ـ البحار ج٢٧، ص٢٣٥.
٤ ـ المصدر نفسه.

وفي حديث آخر: قال الصادقعليه السلام: إنّ الناصب لنا أهل البيت لا يبالي صام أم صلّى، زنا أم سرق إنّه في النار إنّه في النار.

وفيه(١)، عن محاسن البرقي، عن الحارث بن مغيرة النضري قال: سمعت عثمان ابن المغيرة يقول: حدّثني الصادق عن عليعليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات بغير إمام جماعة مات ميتة جاهلية. قال الحارث بن مغيرة (أقول: أي لعثمان بن المغيرة): فلقيت جعفر بن محمدعليه السلام فقال: نعم، قلنا (أي قلنا للصادقعليه السلام: فمات ميتة جاهلية؟ قال: ميتة كفر وضلال ونفاق.

أقول: والأحاديث بهذه المضامين متضافرة جدّاً، خارجة عن حدّ الإحصاء، ويدلّ على هذا أيضاً عدة من الأحاديث التي روتها الخاصة والعامة.

ففي البحار(٢)، عن مناقب ابن شهر آشوب، عن عدة قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: علي خير البشر، فمن أبى فقد كفر، ومن رضي فقد شكر. ومثله كثير في ذلك الباب.

ويمكن أن يكون معنى كونهم أركاناً لتوحيده أنّهم لو لم يكونوا لم يتبيّن توحيده تعالى، فهم أركانه كما قالوا: بنا وِحّد الله بنا عُرف الله بنا عُبد الله.

ففي بصائر الدرجات(٣)، بإسناده عن عبد الرحمان بن كثير قال: سمعت أبا عبد اللهعليه السلام يقول: نحن ولاة أمر الله، وخزنة علم الله، وعيبة وحي الله، وأهل دين الله، وعلينا نزل كتاب الله، وبنا عُبد الله، ولولانا ما عُرف الله، ونحن ورثة نبي الله وعترته. ومثله غيره.

وقد يقال: إنّ معناه أنّ الله تعالى جعلهم أركاناً للأرض؛ لأجل أن يوحده الخلق كما تقدمت أحاديث دلّت على هذا من قول الصادقعليه السلام: جعلهم الله أركان الأرض

---

١ ـ البحار ج٢٣ ص٧٧.
٢ ـ البحار ج٣٨، ص٧.
٣ ـ بصائر الدرجات ص٦١.

أن تميد بأهلها وحجّته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى.

وفي بصائر الدرجات[١]، عن أبي حمزة، عن أبي جعفرعليه السلام قال: والله ما ترك الأرض منذ قبض الله آدم إلّا وفيها إمام يهتدى به إلى الله، وهو حجة الله على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة الله على عباده.

وفيه[٢]، عن أبي جعفرعليه السلام قال: لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة لَماجَت بأهلها كما يموج البحر بأهله.

وقد يقال: إنّ حقيقة التوحيد هو سرّ من أسرار آل محمد (عليه وعليهم السلام) وهو في نفسه ركن في الدين، إذ لو أسقط التوحيد لبطلت الشرايع مع ما لها من الأعمال والصفات ورجعت إلى الشرك، وحينئذٍ فالتوحيد هو الركن والجانب الأقوى للدين، ومن المعلوم أنّه لا يمكن بلوغ السالكين إلى حقيقة توحيد ربّ العالمين إلّا بمعرفتها، ومن المعلوم أنّه لا يمكن المعرفة والتوحيد الحقيقي والهداية الحقيقية إلّا بالوصول إليهم في عوالمهم، وحيث إنّهم عليهم السلام هم الواصلون إلى حقيقة التوحيد وسرّه وهم أصله ومظاهره فلا محاله هم أركان التوحيد لا يمكن الوصول إليه إلّا بمتابعتهم والاتصال بهم علماً وعملاً وصفة بنحو يوجب الوصول إلى عوالمهم، وهذا أيضاً معنى قولهم عليهم السلام: بنا عُرف الله بنا عُبد الله، وأنّهم أبواب الإيمان وأنّهم القادة الهُداة، كما تقدم بيانه.

هذا والذي ينبغي أن يقال هو: أنّ الكلام في التوحيد، ثمّ في كونهم عليهم السلام أركاناً له كثير جداً لا يسعه هذا المقام مضافاً إلى قصوري عن دركه، ولكن أذكر في المقام مجملاً من الكلام ممّا منحني الله تعالى من دركه فنقول: التوحيد هو جعل الشيء واحداً (أي الحكم) بوحدانيّته، وهو إمّا علمي: وهو الذي يظهر بالبرهان، وقد تكلّف لبيانه علم الكلام، وإمّا عيني: وهو ما ثبت بالبرهان ووجد في القلب، وقد

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٤٨٥.

٢ ـ بصائر الدرجات ص٤٨٨.

ادّعاه أهل الذوق من العرفاء الحقّة الذين سلكوا مسلك الأنبياء والأئمة عليهم السلام وهذّبوا نفوسهم عن الرذائل والنقائص بنحو ذكر في علم السلوك وإما حقّ: وهو ما يختص بذاته المقدسة. وقد تقدم أنّ قوله تعالى: ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلّا هو** ﴾[١] يشير إلى هذا التوحيد المختص به تعالى بحيث لم يشاركه فيه أحد.

ثمّ إنّ التوحيد إمّا توحيد الذات أو الصفات أو الأفعال أو العبادة، أمّا توحيد الذات فالحقي منه لا يمكن لأحد الوصول إليه، بل هو مختص به تعالى، فهو مساوق للعلم بكنه الذات المقدسة، وقد علمت مراراً أنّه لا يمكن لأحد الوصول إليه كيف وكلّ ما سواه محاط له تعالى وهو محيط به ﴿**ألا إنه بكلّ شيء محيط**﴾[٢] والمحاط لا يحيط بالمحيط، وإلّا لم يكن محاطاً كما لا يخفى، وقال المحقق السبزواري في شرح الأسماء ص٣: وفي الحديث: التوحيد الحق هو الله والقائم به رسول الله والحافظ له نحن والتابع فيه شيعتنا، قوله عليه السلام: التوحيد الحق يشير إلى التوحيد الحقي كما قلنا وكما لا يخفى.

وأمّا العلمي منه: فله مراتب خمس حسب اختلاف أحوال الموحّدين:

الأولى: مرتبة التصوّر وهي إدراك أنّ للعالم مؤثراً، وهذه المرتبة هي التي نفوس الخلائق مجبولة عليها باقتضاء فطرتها التي فطر الناس عليها، وقد تقدّم قوله عليه السلام في تفسير الفطرة التي فطر الناس عليها في قوله تعالى: ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها** ﴾[٣] انّه التوحيد وقوله صلى الله عليه وآله: وكلّ مولود يولد على الفطرة إلّا أنّ أبويه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجسانه.

الثانية: مرتبة التصديق والإذعان لوجوده تعالى الثابت بالبراهين الساطعة والأدلّة القاطعة قال سبحانه: ﴿ **أفي الله شك فاطر السماوات والأرض**﴾[٤].

---

١ ـ آل عمران : ١٨.

٢ ـ فصلت : ٥٤.

٣ ـ الروم : ٣٠.

٤ ـ إبراهيم : ١٠.

الثالثة: مرتبة التوحيد والتفريد عن الشركاء المشار إليه بقوله: ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾[١] وقوله: ﴿ **انّما إلهكم إله واحد** ﴾[٢] وقد حقق وبيّن هذا التوحيد في كتب أهل المعرفة وفي علم الكلام أيضاً.

الرابعة: مرتبة الإخلاص أي جعله خالصاً عن النقائص، قال تعالى: ﴿ **الله الصمد** ﴾[٣] أي المتعالي عن الكون والفساد، وقوله تعالى: ﴿ **لم يلد ولم يولد** ﴾[٤] دالّ عليه أيضاً لما في الولادة من الكون والفساد، أو جعل العمل خالصاً له قال تعالى: ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً** ﴾[٥].

الخامسة: مرتبة نفي الصفات عن الذات الواحد الربوبي تعالى وتقدّس، وهي غاية العرفان ومنتهى قوة الإنسان.

وأمّا التوحيد العيني: فقد علمت أنّه مختص بأهل الذوق، ولا يكاد يصل إليه إلّا أهله، ولا يكاد ينخرط في سلك العبادة إذ كلّ ما عبّر عنه فهو علم التوحيد، فلا يدرك واقعه إلّا بالتهذيب والسلوك بنحو ذكره أهله، ولعلّه ستجيء الإشارة إليه في طيّ الشرح.

وأمّا الكلام في التوحيد الصفاتي والأفعالي: فهو إمّا عامي فتجري فيه المراتب الخمس بحسبها كما لا يخفى. وإمّا ذوقي: فهو حاصل لأهله كما تقدم. وأمّا الحق منها: فهو مختص به تعالى كما لا يخفى.

فحينئذٍ نقول: أمّا التوحيد بما له من المعاني، فالعلمي منه: لا ريب في أنّ الأئمة عليهم السلام هم الأركان فيه بمعنى أنّ علم التوحيد بتمامه ومراتبه لم يبيّنه أحد مثل ما بيّنوه عليهم السلام فهم في علم التوحيد أركان له، إذ الجانب الأقوى من علمه متوقف على

---

١ ـ الأخلاص : ١.

٢ ـ فصلت : ٦.

٣ ـ الاخلاص : ٤.

٤ ـ الاخلاص : ٣.

٥ ـ الكهف : ١١٠.

بيانهم عليهم السلام كما لا يخفى على أحد، وتقدم في الشرح ما يدلّ على ذلك مراراً.

وأمّا الحقي: فحيث إنّه مختص به تعالى فلا محالة هو تعالى ركنه.

وأمّا العيني: من أقسام التوحيد: فهو المقصود منه في كونهم أركاناً له، والظاهر من الجملة هو هذا التوحيد.

فحينئذٍ نقول: إعلم أنّ الأئمة عليهم السلام هم الأركان للتوحيد العيني بما له من المعاني من الذاتي والصفاتي والأفعالي والعبادي.

أمّا الذاتي: والمراد به التوحيد الذي هو حق معنى لا اله إلّا الله الذي لا يتحقق إلّا بشهود خلوص التفرّد بالإلوهية، وهذا التفرّد بالالوهية هو التوحيد الذاتي الذي لايمكن لأحد الوصول إليه.

وبعبارة أخرى: إنّ توحيد الذات هو شهود تفرّده بالإلوهية، ولا يتحقق هذا الشهود بالتفرّد لأحد إلّا بهم، فهم لهذه الجهة ركنه وأركانه.

والوجه فيه: أنّه بعدما لم يمكن لأحد المعرفة بالكنه، فلا محالة غاية ما يمكن من المعرفة بالذات هو شهود تفرّده بالإلوهية، وهذا التفرّد والوحدة هو التوحيد الذي أجراه على خلقه كما تقدم الحديث المصرّح به، وهذا الشهود والتفرّد الإلوهي لا يمكن لأحد ظهوره بالنحو الأتم الأكمل إلّا بمحمد وآله الطاهرين فقط، وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ وأُولوا العلم ﴾[1] وقد تقدم شرحه في شرح حديث كميل.

وكيف كان فهذا التوحيد والتفرّد الإلوهي هو إظهار وصفه تعالى في عبده (أي في عباده محمد وآله الطاهرين صلّى الله عليه وآله) والمراد من وصفه هو إظهار هذا التوحيد، وهو المقام الذي عبّر عنه بقوله عليه السلام في الدعاء: «لا أرى إلّا وجهك، ولا أسمع إلّا صوتك» وقد تقدم، وهذا الوصف الربوبي (أي التفرّد) هو الذي ليس كمثله شيء، وهذا الشهود هو المعبّر عنه بمقام العندية المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ إنّ الذين

---

١ ـ آل عمران: ١٨.

عند ربّك ﴾[1] وقد تقدم شرحه مفصّلاً، وهذا هو حقيقة التقرب التي تقدم شرحه أيضاً، وهذا هو مقام الفناء عن النفس وعمّا سواه.

فالأئمة عليهم السلام دائماً في مقام حضور هذا الشهود حيث إنّهم عليهم السلام حين ذاك مجرّدون عن أنفسهم وعن جميع ما سواه، فمشاهدة هذا التفرّد الذي ليس كمثله شيء، والذي هو مرآة للتوحيد الذاتي الحقي المختص بكنهه تعالى يكون لهم عليهم السلام وهذا التفرّد متحقق وقائم بهم عليهم السلام وهم مظهره، وهم بهذا اللحاظ حجاب الربّ، وحجاب الذات كما صرّحت به الأحاديث، وهم عليهم السلام بهذا اللحاظ الآيات المراد بها في قوله تعالى: ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾[2] وهم حقيقة التوحيد والمثل الأعلى وركن التوحيد، فهو تعالى تعرف لكل من سوى الأئمة بهذه الآية، وهم عليهم السلام العضد المتقوّم به هذا التوحيد.

ولهذا كانوا أركاناً له، وحيث جعلهم الله تعالى كذلك، فقد رضيهم أركاناً لتوحيده، ثمّ إنّه إذا جرّد أحدٌ نفسه عن كلّ صفة ونسبة واعتبار حتى عن الإشارة وعن تجريده بحيث لا يجد نفسه ايضا، فهذا العارف الكذائي قد عرف نفسه وانّها الذي ليس كمثلها شيء، وأنّها آية التوحيد، وأنّها الآية النفسي التي أراها الله تعالى، ثمّ إذا سبقت له من الله الحسنى وصار مصداقاً لقوله: ﴿ سنريهم آياتنا ﴾ يجد حينئذٍ في ذلك العالم والتجرّد أنّ تلك الآية أو آيات الأنفسي هي آياتهم عليهم السلام وهي شعبة من حقيقتهم، ويجد حينئذٍ أنّهم عليهم السلام أركان لذلك التوحيد، إذ يجد حينئذٍ إنّ تلك الآية قائمة بهم عليهم السلام فهم حينئذٍ أركان للتوحيد الذاتي الممكن لأحد الوصول إليهم، فهو قائم بهم، ولا يمكن لأحد الوصول إليه إلّا بالوصول إلى معرفتهم. رزقنا الله تعالى ذلك بمحمد وآله.

وأمّا الصفاتي منه: فنقول: إنّ صفاته تعالى إمّا ذاتية فحينئذٍ لا يراد منها إلّا

---

١ ـ الأعراف: ٢٠٦.

٢ ـ فصلت: ٥٣.

الذات المقدسة، التي تستحق تلك الصفات ذاتاً، ولا يكون في صعق الذات غير الذات لا واقعاً ولا فرضاً ولا اعتباراً، إذ ليست في ذلك الصعق إلّا الأحدية الذاتية، فإن ذكرت صفات الذات المتعددة فإنّما هي بلحاظ مظاهرها الخارجية المتعددة التي سيجيء بيانها، وإلى هذا التوحيد يشير قوله عليه السلام: «وكمال التوحيد نفي الصفات عنه» أي أنّ كمال توحيده تنزيه الذات عن كثرة الصفات الحادثة المخلوقة ومفاهيمها المتعددة، وقد صرّح في الحديث بما ذكرناه.

ففي الكافي: محمد بن أبي عبد الله رفعه إلى أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي جعفر الثاني فسأله رجل فقال: أخبرني عن الربّ تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه، وأسمائه وصفاته هي هو؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ لهذا الكلام وجهين إن كنت تقول: هي هو، أي انّه ذو عدد وكثرة، فتعالى الله عن ذلك، وإن كنت تقول: هذه الصفات والأسماء لم تزل، فإن لم تزل محتمل معنيين.

فإن قلت: لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها، فنعم، وإن كنت تقول: لم تزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها، فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله ولا خلق، ثمّ خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره.

وكان الله ولا ذكر والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات، والمعاني والمعنى بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف، وإنّما يختلف ويأتلف المتجزّي فلا يقال: الله مؤتلف ولا قليل ولا كثير، ولكنه القديم في ذاته؛ لأنّ ما سوى الواحد متجزّئ والله واحد لا متجزّئ، ولا متوهم بالقلة والكثرة، وكل متجزئ أو متوهم بالقلة والكثرة فهو مخلوق دالّ على خالق له، فقولك: إنّ الله قدير خبرت أنّه لا يعجزه شيء، فنفيت بالكلمة العجز، وجعلت العجز سواه وكذلك قولك: عالم إنّما نفيت بالكلمة الجهل، وجعلت الجهل لسواه.

وإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع، ولا يزال من لم يزل عالماً،

فقال الرجل: فكيف سمّينا ربّنا سميعاً؟ فقال: لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأسماع، ولم نصفه بالسمع المعقول بالرأس، ولذلك سمّيناه بصيراً؛ لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من لون أو شخص أو غير ذلك، ولم نصفه ببصر لحظة العين، وكذلك سمّيناه لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وأخفى من ذلك. الحديث.

فهذا الحديث شرح الفرق بين الأسماء الذاتية والأسماء والصفات المخلوقة. ومن تأمّل في معنى قوله ﷺ: انّما نفيت بالكلمة الجهل، ومثله يظهر له معنى قولنا: إنّ الصفات كلّها ترجع إلى واحد، وذلك لأنّ التفسير بالنفي لا يعطي عنواناً للمفسّر بنحو يوجب التعدد كما لا يخفى.

والحاصل: أنّ الذات الأحدية وإن استحقت صفات ذاتية، إلّا أنّها لا توجب تعدداً في الذات، ففي الذات لا يكون إلّا الوجود البحت الأحدي، وإنّما تعددها بلحاظ مظاهرها الخلقية.

وأمّا الصفات الربوبية التي خلقها الله تعالى، والتي تقدم الكلام فيها مفصّلاً في شرح قوله ﷺ: «إنّ الله خلق اسماً بالحروف غير مصوّت» الحديث، التي أُشير إليها في قوله تعالى: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾[1] فلا ريب في أنّها صفات حادثة مخلوقة، وتقدم عن الرضا عليه السلام: انّ الاسم هو صفة لمسمّى.

فحاصل الكلام: أنّ له تعالى صفاتٍ وأسماءً مخلوقة تكون مظهراً لذلك الاستحقاق الذاتي لها، وتقدم في شرح الآية قوله عليه السلام: والله نحن الأسماء الحسنى، وقد تكرر منهم عليهم السلام مثل قولهم: نحن قدرة الله وعينه وأذنه، وجنبه ولسانه، وأمره وحكمه، وحقه وخزّان علمه وقلبه.

في بصائر الدرجات[2]، بإسناده عن أسود بن سعيد قال: كنت عند أبي جعفر ﷺ فأنشأ يقول ابتداءً من غير أن يسأل: نحن حجة الله، ونحن باب الله،

---

١ ـ الأعراف: ١٨٠.

ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده.

وفيه عن عبد الله بن أبي يعفور قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام يا بن أبي يعفور إنّ الله تبارك وتعالى واحد متوحّد بالوحدانية متفرّد بأمره، فخلق خلقاً ففردهم بذلك الأمر، فنحن هم يا بن أبي يعفور، فنحن حجج الله في عباده وشهداء في خلقه وأمناؤه وخزّانه على علمه، والداعون إلى سبيله والقائمون بذلك، فمن أطاعنا فقد أطاع الله.

وفيه بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي، ولسان الله الناطق، وعين الله الناظر، وأنا جنب الله، وأنا يد الله.

وفيه عن خثيمة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: نحن جنب الله، ونحن صفوته، ونحن خيرته، ونحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أمناء الله، ونحن حجة الله، ونحن أركان الايمان، ونحن دعائم الاسلام، ونحن من رحمة الله على خلقه، ونحن الذين بنا يفتح الله وبنا يختم، ونحن أئمة الهدى، ونحن مصابيح الدجى، ونحن منار الهدى، ونحن السابقون، ونحن الآخِرون، ونحن العلم المرفوع للخلق (لأهل الدنيا، ن) مَن تمسّك بنا لحق، ومن تخلّف عنّا غرق، ونحن قادة الغرّ المحجّلين، ونحن خيرة الله، ونحن الطريق وصراط الله المستقيم إلى الله، ونحن من نعمة الله على خلقه، ونحن المنهاج، ونحن معدن النبوة، ونحن موضع الرسالة، ونحن الذين إلينا مختلف الملائكة، ونحن السراج لمن استضاء بنا، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا، ونحن الهداة إلى الجنة، ونحن عزّ الإسلام (ونحن عُرى الاسلام، ن) ونحن الجسور والقناطر من مضى عليها (علينا) سبق، ومن تخلّف عنها محق، ونحن السنام الأعظم، ونحن الذين بنا نزل الرحمة وبنا تُسقون الغيث، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب، فمَن عرفنا ونصرنا وعرف حقنا وأخذ بأمرنا فهو منّا وإلينا.

فالمستفاد من هذه الأحاديث عند أهل البصيرة: انّه ليس لهذه الصفات معاني

إلّا حقائقهم، وتقدم أنّهم معاني الله، وعلمت أنّ الله اسم له تعالى بلحاظ أسمائه الجلالية والجمالية، ومعاني الله تلك الأسماء، ومعاني تلك الأسماء هم عليهم السلام لقوله عليه السلام: والله نحن الأسماء الحسنى.

هذا وقد حقق في محلّه بما لا مزيد عليه أنّ جميع الصفات ترجع إلى صفة واحدة وهو العلم، فالصفات المتعددة هي مظاهر العلم، ثمّ إنّ توحيد الصفات يرجع إلى أنّ تلك الصفات كلّها لله الواحد القهار، فهو في الحقيقة المتصف بها، وهي كلّها قائمة به تعالى، فالتوحيد الصفاتي هو مشاهدة كلّ صفة منه تعالى وأنّها قائمة به وكونهم عليهم السلام أركاناً له (أي للتوحيد الصفاتي) هو أنّ تلك الصفات؛ لما علمت أنّها ترجع إلى حقيقة واحدة، وهي ليست إلّا حقيقتهم عليهم السلام فلا محالة هم أركانها كما لا يخفى.

فهم بما هم ركن التوحيد الصفاتي قائمون به تعالى، فإدراك التوحيد الصفاتي لا محالة لا يكون إلّا بمعرفة حقيقتهم، التي هي حقيقة الأسماء والصفات الإلهية، التي بأجمعها قائمة به تعالى، وأنّه تعالى هو المتصّف بها بنحو يليق بجلاله وجماله مع حفظ أحديته وقد حقق في محلّه، ومنه يعلم أن تكثر المتعلّق أوجب تكثر الصفات، وإلّا فهي بحقيقتها واحدة وهي حقيقتهم عليهم السلام وعلمت أنّ توحيدها عبارة عن عدم مشاركة غيره تعالى فيها، فالصفات بما لها من الركن الذي هو حقائقهم قائمة به تعالى، وهو الفاعل بها في الخلق وحده لا شريك له ودعوى المشاركة شرك.

وإليه يشير قوله تعالى: **﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون * ثمّ لم تكن فتنتهم إلّا أن قالوا والله ربّنا ما كنّا مشركين * اُنظر كيف كَذَبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾**[1].

ثمّ إنّ تحقق الشرك في أحد من الصفات يتحقق إمّا بلحاظ الشرك في الله تعالى في صفاته، وإمّا بلحاظ الشرك في الولاية والإمامة لما علمت من أنّ الصفات

---

١ ـ الأنعام: ٢٢ ـ ٢٤.

الربوبية لما كانت حقائقهم، فإنكار ولايتهم، وإنكار فضلهم، وإنكار القول بقولهم هو الشرك في التوحيد الصفاتي من هذه الجهة كما لا يخفى، وإليه تشير الأحاديث الدالّة على كفر المخالفين؛ لأنّ إنكار الإمامة وفضائلهم يساوق إنكار التوحيد الصفاتي؛ لما علمت من ظهور التوحيد الصفاتي فيهم عليهم السلام.

وإليه يشير قول الصادق عليه السلام: هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا، وظنّوا أنّهم آمنوا وأشركوا من حيث لا يعلمون.

ولهذا الكلام بسط في المقال مذكور في محلّه فتأمّل تعرف.

فظهر أنّهم عليهم السلام أركان التوحيد الصفاتي أيضاً، وأنّه يحصل منهم وبمعرفتهم كذلك، وأنّه يظهر فيهم عليهم السلام.

وأمّا التوحيد الأفعالي فنقول: لابدّ أوّلاً من أحاديث تتعلّق بموضوع الكلام ثمّ شرحه فنقول:

في توحيد الصدوق[1]، بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ لله عزّ وجلّ خلقاً من رحمته خلقهم من نوره ورحمته من رحمته لرحمته، فهم عين الله الناظرة، وأذنه السامعة، ولسانه الناطق في خلقه بإذنه، وأُمناؤه على ما أنزل من عذر أو نذر أو حجة، فبهم يمحو السيئات، وبهم يدفع الضيم، وبهم ينزل الرحمة، وبهم يحيي ميتاً، وبهم يميت حيّاً، وبهم يبتلي خلقه، وبهم يقضي في خلقه قضيته، قلت: جُعلت فداك من هؤلاء؟ قال: الأوصياء.

وفيه[2]، في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام وساق الحديث إلى أن قال: قال السائل: فيعاني الأشياء بنفسه، قال أبو عبد الله عليه السلام: هو أجلّ من أن يعاني الأشياء بالمباشرة والمعالجة، وهو تعالى نافذ الإرادة والمشيئة فعّال لما يشاء الحديث.

---

١ ـ توحيد الصدوق ص١٦٧.

٢ ـ توحيد الصدوق ص١٦٧.

وفيه[١]، بإسناده عن أبي سعيد القمّاط قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: خلق الله المشيئة قبل الأشياء، ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة.

وفي تفسير نور الثقلين عن الخرائج والجرائح، عن القائم(عج) حديث طويل فيه يقول لكامل بن إبراهيم المدني: وجئت تسأل من مقالة المفوّضة، كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله عزّ وجلّ، فإذا شاء شئنا والله يقول: ﴿**وما تشاءُون إلّا أن يشاء الله**﴾.

أقول: المستفاد من هذه الروايات أنّه تعالى فعّال لما يشاء، وأنّ خلق الأشياء بالمشيئة، والمراد من خلقها هو فعله تعالى أي إيجاده تعالى لها، فالفعل بالكلّي في عالم الوجود يكون منه تعالى كما في الدعاء أيضاً: يا فاعل كلّ إرادة، ويدل عليه قوله تعالى أيضاً: ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾[٢] ولذا قيل: لا مؤثر في الوجود إلّا الله، وأيضاً: أنّه تعالى إنّما يخلق الأشياء بالمشيئة كما في حديث أبي سعيد القمّاط، وعلمت أيضاً: أنّ قلوبهم عليهم السلام أوعية لمشيئة الله، بمعنى أنّ المشيئة تنزل في قلوبهم فهي كالإرادة قال عليه السلام: إرادة الربّ في مقادير أموره تهبط إليكم.. الزيارة، فتأمّل.

وكيف كان المستفاد منها أنّ الفعل كلاً منه تعالى، ولكن الله تعالى يفعل ما يفعل بهم لما ذكر، ويدلّ عليه أيضاً ما في حديث محمد بن مسلم من قوله عليه السلام: «وبهم يدفع الضيم، وبهم ينزل الرحمة، وبهم يحيي ميتاً ويميت حيّاً» خصوصاً قوله عليه السلام: «وبهم يقضي في خلقه قضيّته» الحديث، فيظهر منها أنّهم عليهم السلام أركان للتوحيد الأفعالي حيث إنّ فعله تعالى يكون بهم في الخلق فهم ركنه، وبهم يتحقق ما يتحقق، فالتوحيد الأفعالي بمعنى أنّ الأفعال كلّها منه تعالى وإن استندت ظاهراً إلى الفاعل الخلقي إلّا أنّ الإيجاد يتحقق ركنه بهم عليهم السلام.

فظهر ممّا ذكر كونهم عليهم السلام أركاناً للتوحيد الأفعالي، وأنّه تعالى رضيهم كذلك،

---

١ ـ توحيد الصدوق ص ٣٣٩.
٢ ـ الصافات: ٩٦.

وأنّهم الأعضاد أي المعتمد والمستعان، في الدعاء: «أعضاد وأشهاد» وتقدم شرحه فإنّه تعالى جعلهم أعضاد الخلق (أي المعتمد) وهو معنى الركن، وتقدم الحديث عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: **﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض وما كنت متخذ المضلّين عضداً﴾** قال: رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اللهمّ أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام، فأنزل الله: **﴿وما كنت متخذ المضلّين عضداً﴾** (يعنيهما) فدلّت الآية بالمفهوم على أنّه تعالى قد اتخذ المهتدين عضداً للدين، وأشهدهم خلق السماوات والأرض.

والحاصل: أنّهم عضد ظهور فعله في الخلق، أي أنّهم المعتمد والمستعان بما هم حقائق أسمائه في الإيجاد، ومع ذلك قد حفظهم الله إذ هو القيوم وهم القيّمون به تعالى في كونهم أعضاداً، وأقدرهم الله على السببية، فمن عرفهم بهذه المعرفة علم ووجد أن لا مؤثر في الوجود إلّا الله، ووجد كونهم ركناً في التأثير بالله تعالى، وهم بهذه الجهه صفته تعالى، وهو الواصف نفسه لعباده بهم، فهم حينئذٍ أركان التوحيد الأفعالي بالله تعالى، وهو معنى رضيهم أركاناً لتوحيده.

ولعلّه إلى هذه المعرفة بهم عليهم السلام المستلزمة لمعرفة التوحيد الأفعالي له تعالى بل وسائر معارفه كما تقدّم يشير قول أمير المؤمنين عليه السلام: «نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا (أي بمعرفتنا)» وتقدم الكلام فيه مفصّلاً في شرح قوله عليه السلام: السلام على محال معرفة الله.

وأمّا التوحيد العبادي (أعني توحيد العبادة والمعبود بالعبادة بحيث لا يشرك في المعبود وفي عبادته غيره تعالى) إنّما يكون بهم عليهم السلام. ثمّ إنّ حقيقة التوحيد العبادي بالمعنى المصدري، وإن كانت تتحقق بالإخلاص لله تعالى، وبنفي الدواعي النفسانية كما حقق في محلّه، إلّا أنّ المقصود هنا هو بيان أنّ هذا التوحيد العبادي الذي يصدر عن إخلاص لا يتحقق مصداقاً إلّا إذا كان بنحو يكون الأئمة عليهم السلام ركناً له وتوضيحه:

أنّ حقيقة التكاليف الإلهية مشتملة على سرّ العبودية الذي بتحققه تتحقق العبودية، التي تليق بجنابه المقدّس، وذلك السرّ العبودي هو وفق إرادته وأمره تعالى، وبه يتحقق اجتناب نهيه وكراهته، فالعبودية الحقيقية، التي هي العبادة الخالية عن أي نهي وكراهة منه تعالى إنّما تتحقق مشتملة علىٰ ذلك السرّ وذلك السرّ لا يتحقق كما هو حقّه، وكما هو مراده تعالى إلّا منهم وبهمعليهم السلام وبهم تتحقق حقيقة الامتثال له تعالى وهم ركنه وأصله، فالأعمال العبادية المشتملة على هذا الركن والأصل مصداق حقيقي للامتثال للأمر الإلهي.

وهذا يقرب بوجوه:

الأوّل: أنّهمعليهم السلام ركن لهذا التوحيد العبادي؛ وذلك لأنّه سبحانه لما لم تحط به العباد، ولم تدرك كنهه، ولا تعلم العباد أيضاً ما يريد الله تعالى منهم من الاطاعة والانقياد التي تليق بجنابه المقدس، وأيضاً لم يهملهم في طريق العبادة، بل حثّهم عليها وجعلها غاية خلقهم فقال: ﴿**وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون**﴾[1] فلا محالة تقتضي الحكمة الإلهية واللطف الإلهي أن يهديهم ويرشدهم إلى طريق عبادته، التي تليق بجنابه فهداهم وأرشدهم بقوله تعالى: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه**﴾[2].

فبين تعالى لهم أنّ له الأسماء الحسنى وأمرهم أن يدعوه بها.

والحاصل: أنّه لما لم يكن أن يدعى بذاته المقدسة لعدم إمكان ذلك لهم، تعيّن أن يدعى بالأسماء الحسنى، فانحصرت العبادة التي هي فعل ما يرضى به الربّ، والعبودية التي هي رضا الرب، ورضي ما يفعل في مقام العبادة فيهم وبهم، ولتوضيح هذا نذكر أوّلاً أخبار الباب، ثمّ نعقّبه بما يوضح به المقصود، فنقول وعلى الله التوكّل:

---

١ ـ الذاريات: ٥٦.

٢ ـ الأعراف: ١٨٠.

ففي الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجل: ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾، قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد إلّا بمعرفتنا.

وفي المحكي عن البرسي رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له قال: أنا الأسماء الحسنى، التي أمر الله عزّ وجلّ أن يدعى بها، الخطبة.

وفي تفسير البرهان[1]، قوله: ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ علي بن إبراهيم قال: قال: الرحمن الرحيم.

وفي توحيد الصدوق[2] وبهذا الإسناد عن محمد بن سنان قال: سألته (أي عن الرضا عليه السلام عن الاسم ما هو؟ قال: صفة لموصوف.

وفيه[3]، بإسناده عن علي بن الحسن بن علي بن فضّال، عن أبيه قال: سألت الرضا علي بن موسى عليه السلام عن بسم الله، قال: معنى قول القائل: بسم الله أي اسم على نفسي سمة من سمات الله عزّ وجلّ وهي العبادة، قال: فقلت: ما السمة؟ فقال: العلّامة.

وفي المحكي عن خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام.. إلى أن قال: الذي كنّا بكينونيته قبل خلق الخلق.

وفي المحكي عن الصادق عليه السلام في حديث.. إلى أن قال: وهو المكوّن ونحن المكان، وهو المشيء ونحن الشيء، وهو الخلق ونحن المخلوقون، وهو الربّ ونحن المربوبون، وهو المعنى ونحن أسماؤه، وهو المحتجب ونحن حجبه. الحديث.

فنقول: الاسم، إمّا لفظي: وهو ما دلّ بالوضع على معنى عيني كزيد، أو وصفي كقائم، وإمّا معنوي: وهو ما كان صفة لموصوف، فكما أنّ الاسم اللفظي يدلّ على

---

١ ـ تفسير البرهان ج٢، ص٥٢.

٢ ـ توحيد الصدوق ص١٩٢.

٣ ـ توحيد الصدوق ص٢٢٩.

المعنى، ويكون علامة عليه، كذلك الاسم المعنوي يدل على معنى، ويكون عـلامة له، وبهذه الحيثية يشارك الاسم اللفظي في الدلالة والعلامية.

نعم إنّ اللفظ يدل على المعنى الموضوع له، والمعنوي يدلّ على المتصف بـذلك المعنى، وحيث علمت أنّه تعالى لا سبيل إلى العلم بكنه ذاته، ولا يمكن التوجه إليه توجهاً عبادياً، إلّا بنحو هو تعالى جعله طريقاً، وهو تلك الأسماء الحسنى، فلا محالة في مقام العبادة أنّ تلك الأسماء الحسنى (أي الأسماء المعنوية منها لا اللفظية) هي التي بها يعبد ذاته المقدسة، وهي حقائق لابدّ من الاتصاف بها حين العبادة، ومن المعلوم أنّ تلك الأسماء المعنوية ليست إلّا ذواتهم المقدسة.

والحاصل: أنّه قد تقدم أنّه تعالى إنّما ظهر في الخلق بالأسماء المعنوية، التي هي صفاته تعالى ومعرّفه كما علمت ذلك من قول أمير المؤمنينعليه السلام ما قرب بهذا اللفظ: إنّ الله تعالى تجلّى لعباده في كلامه من غير أن يروه، أي عرّف نفسه بتجلية الكلا م المراد به معانيه، وهي الأسماء المعنوية من غير أن يـروه بـعين الرأس، فـهو تـعالى متجلّي بالأسماء، ولا طريق يوصل سالكه إليه تعالى إلّا تلك الأسماء المعنوية، والله تعالى يرى الخلق ويربّيهم من طريق تلك الأسماء؛ ولذا ورد منه تعالى في بيان حال أُولئك المقرّبين من قوله تعالى: «لا يرون غيري ولا أرى غيرهم».

فمعنى قوله تعالى: «لا يرون غيري» أي أنّهم فانون عن أنفسهم لا يتوجهون إلّا إليه تعالى، ومعنى قوله: «لا أرى غيرهم» أي لا أرى خلقي ولا أُربّيهم إلّا من طريقهم، ولذا نرى في القرآن أنّه تعالى جعل نبيّه مخاطباً (بالفتح) في جميع الأُمور حتى إذا أراد أن يخاطب في الواقع غيرهصلى الله عليه وآله يخاطبهم من طريق خطابه لنبيهصلى الله عليه وآله فيقول: ﴿لئن أشركت ليحبطنّ عملك﴾[1] وستأتي الإشارة إليه.

وكيف كان فالله تعالى ظاهر بأسمائه الحسنى المعنوية في خلقه، كما تدل على هذا الأحاديث الواردة في بيان الأسماء الحسنى أيضاً، فحينئذٍ لابد في مقام التوجه إليه

---

١ ـ الزمر: ٦٥.

تعالى من أن يتوجه العابد من الطريق المعدّ له (أي الأسماء الحسنى) وهي ذواتهم المقدسة، ففي الدعاء: «أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء» ووردت أحاديث كثيرة في قوله تعالى: ﴿كلّ شيء هالك إلّا وجهه﴾[1] من أنّهم وجهه الذي لا يهلك، فراجع.

فظهر أنّ السرّ في هذا هو أنّه تعالى ظاهر بهمعليهم السلام بما هم اسمائه الحسنى، وتقدم شرح قولهعليه السلام: فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أنّ لا إله إلّا أنت.

وبعبارة أخرى: أنّ التسبيح والتقديس، والتحميد والتكبير والتهليل، والخضوع والخشوع، والركوع والسجود، وجميع الطاعات وأنواع العبادات، وكذلك العبودية التي تتحقق بالصفات الحسنة مثل العفة والأمانة، والرضا والتسليم، والصبر واليقين والإيمان وما شابهها كلّ ذلك أسماء معنوية، تكون تلك المعاني حقيقتها ذواتهم المقدسة؛ وذلك لما تقدم من أنّ حقيقة التسبيح والتقديس والتحميد إلى آخر ما ذكر إنّما تحققت في عالم الوجود، وفي بدء الوجود، وفي بقاء الوجود، ونهاية الوجود بهم ومنهمعليهم السلام بنحو تعلّمت الملائكة في مقام قربهم وتجرّدهم منهمعليهم السلام.

والحاصل: أنّ واقع الإيمان والرضا واليقين والصبر وساير ما ذكر إنّما هي بحقائقها قائمة بهم بل هي همعليهم السلام وكذلك الركوع والسجود بما هما نوعان من الخضوع والخشوع الخاص في مقام العبادة لا تكون متحققة إلّا بهم، وتقدم سابقاً بيان كونهم حقيقة الصلاة والصوم.. والخ فراجعه، وهذه هي تلك الأسماء الحسنى، التي خلقها الله تعالى لنفسه أي لأن يدعى بها، وخلق سائر الخلق لها. أي للعبادة بها، وهي أمثاله العليا والنعم التي لا تحصى، وهي التي اختصها لنفسه وجعلها طريقاً إلى عبادته أي طريقاً إلى أنّه كيف ينبغي أن يعبد.

---

١ ـ القصص: ٨٨.

وعلمت من قول الرضا عليه السلام: أنّ هذه الأسماء صفة لموصوف، أي أنّ هذه الصفات الحسنى صفات له تعالى (أي دالّة عليه تعالى) بأنّه تعالى موصوف بهذه الصفات، وأنّ العبد لابدّ من أن يتسم بها في مقام العبادة؛ لما علمت من أنّ الاسم الذي هو الصفة يكون علامة للموصوف، ولا يكون العبد بوجوده علامة له تعالى، إلّا إذا اتصف بتلك الصفات، فحين الاتصاف بها وهو حين عبادته له تعالى بها يكون بوجوده هكذا (علامة له تعالى) وهو معنى قوله عليه السلام: أي اسم على نفسي سمة من سمات الله وهي العبادة، أي تحقق بهذه السمة عنوان العبادة التي هي العلامة له تعالى.

ولذا قال عليه السلام بعد قوله: ما السمة؟ فقال: العلامة، أي أنّ العبد حينئذٍ يكون علامة له تعالى بحيث يظهر بعبادته معبوديته وعظمته وجلاله، وأنّه ملك سبوح قدوس إلى آخر ما ذكر، وحيث إنّ الصفة قائمة ومتحققة بالموصوف، وإن كانت غيره ذاتاً، فلا محالة إذا تحققت هذه في عبد في مقام العبادة لا يكون إلّا بنحو تكون صفة له تعالى وقائمة به تعالى، وهي لا تكون كذلك إلّا بالإخلاص والفناء عن النفس والذهول عمّا سواه تعالى.

ففي هذه الحالات يكون العبد ـ بما هو ـ واجداً لتلك الصفات علامة له تعالى لا بغيره من النفس ودواعيها، فأيّ عبد كان في مقام العبادة كذلك كانت عبادته كاملة، ومهما نقص من تلك الأمور شيء منها نقصت العبادة، فربّما نقصت إلى أنّ لا تكون لعبادة عبد حقيقة أبداً وهو عبادة المرائي كما لا يخفى.

ومن المعلوم أنّ العبادة الكاملة بحيث لا يشذّ عنها شيء من تلك الصفات الحسنى، التي يكون قوّام العبادة بها لا تصدر إلّا عنهم عليهم السلام كما هو المراءى عنهم عليهم السلام وقد أخبر الله تعالى عن أنّ عبادتهم عليهم السلام كذلك وانّها كاملة بقوله: **﴿عباد مكرمون﴾**[1] وقوله تعالى: **﴿إنّ الذين عند ربّك لا يستكبرون عن عبادته**

---

١ ـ الأنبياء: ٢٦.

ويسبّحونه وله يسجدون﴾[1] وقد تقدم شرحهما مفصّلاً.

وقد ذكر صاحب بحر المعارف عنهمعليهم السلام أنّهم قالوا: ما عبد الله إلّا نحن، وأمّا سائر الناس فعبادتهم صورة العبادة، فراجعه.

فمن كان في مقام العبادة والعبودية متصفاً بصفاتهم وحقائقهم، كانت عبادته مقبولة بهم، بل في الحقيقة إنّ تحقق تلك الصفات في عبد إنّما هي منهم، وتلك الصفات مترشّحة منهم فيه، فهمعليهم السلام حينئذٍ ينوّرون قلوب شيعتهم بمنحهم تلك الصفات لهم أي بإشراقهمعليهم السلام في قلوبهم، فالعباد في الحقيقة شعب من شعبهم الذاتية، التي هي تلك الصفات والأسماء الحسنى. رزقنا الله تعالى فهم هذه المعاني، ومنحنا تلك الصفات بفضله وكرمه. خذه واغتنم واسأل الله زيادة بصيرة في هذا.

وليعلم أن كونهمعليهم السلام أركاناً للتوحيد العبادي لا يرجع إلى أنّهم المعبودون للخلق، بل معناه أنّهمعليهم السلام حيث كانوا أسماءَه الحسنى، التى أمر الله تعالى أن يدعوه بها فهمعليهم السلام حينئذٍ طريق لعبادة الربّ، فالمعبود هو تعالى من طريق أسمائه التي هي ذواتهم المقدسة. وعلمت أنّهمعليهم السلام فانون فيه تعالى أي أنّهم فانون عن أنفسهم، فالتوجه بهم حال كونهم فانين إليه تعالى توجه إليه تعالى.

وكيف كان فحقيقتهمعليهم السلام تلك الصفات والأسماء الحسنى، التي تكون بوجودها علامة له تعالى، وهمعليهم السلام متصفون بها من أوّل وجودهمعليهم السلام وقد دلّ على هذا قولهعليه السلام: كنّا بكينونيته قبل خلق الخلق، أي كان كوننا بكينونيته وهو المفسّر في قول الصادقعليه السلام: هو المكوّن ونحن المكان، إلى قوله: وهو المعنى ونحن أسماؤه، وهو المحتجب ونحن حجبه.

ومن المعلوم أنّ الموصوف لا يعلم بأنّه يستحق صفات، إلّا إذا ظهرت منه صفات فيما سواه تدلّ على أنّ ذاته تستحق تلك الصفات، فهو تعالى أظهر تلك

---

١ ـ الأعراف: ٢٠٦.

الصفات أي خلقها لنفسه، أي ليظهر بها في الخلق، وأنّهم يعبدونه من طريقها، والموصوف بكنه ذاته محتجب بهذه الصفات، وهذه الصفات حجبه، فكما أنّ المحتجب بشيء لا طريق إلى معرفته إلّا من ذلك الحجاب، فكذلك لا طريق إلى معرفته تعالى إلّا من طريقهم عليهم السلام بما هم أسماؤه تعالى، ولذا قالوا: بنا عُرف الله، بنا عُبد الله، لولانا ما عرف الله، لولانا ما عُبد الله، فالله تعالى عُبد وعُرف بهم.

وبعبارة أخرى: قد علمت انّه تعالى إنّما خلق الخلق؛ لكي يعرف ويعبد لقوله تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون ﴾ وقول الحسين عليه السلام: «إنّ الله ما خلق الخلق إلّا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه» وللحديث القدسي المشهور: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أعرف» وقد علمت فيما تقدم أنّ المعرفة بشيء عبارة عن تميّزه عمّا سواه، ففي المقام لا يعرف الله بنحو يميّز عمّا سواه، إلّا بما وصف نفسه لخلقه بنفس ذلك الخلق، وتلك المعرفة، هكذا تحققت في أوّل الوجود بخلق محمد وآله الطاهرين حال كونهم أنواراً وهم عليهم السلام في ذلك المقام صفاته تعالى، التي بها عرّف نفسه لهم عليهم السلام فهو تعالى عرّف نفسه لهم بهم عليهم السلام أي بما هم صفاته وأسماؤه الحسنى.

ثمّ إنّ المستفاد من قوله تعالى: ﴿ إلّا ليعبدوه ﴾، وقوله: إلّا ليعرفوه، وقوله تعالى: ﴿ فأحببت أن أُعرف ﴾: أنّ أوّل المخلوق لابدّ من أن يكون هو العارف به تعالى، ضرورة أنّ الباعث إلى الايجاد لما كان هو المعرفة وجب أن تكون المعرفة سابقة على ما سواها، وهي تقتضي وجود العارف أوّلاً، ولا يجوز لهذا الاستظهار وجود خلق سابق غير عارف، بل لابدّ من تحقق المعرفة والعارف أوّلاً وهو الخلق الأوّل كذلك ولذا قال صلى الله عليه وآله: أوّل ما خلق نوري.

فالنورية عبارة عن معرفته تعالى، وباعتبار اضافته إلى نفسه صلى الله عليه وآله عبارة عن العارف به تعالى بنوره وهو نفسه الشريفة صلى الله عليه وآله وحيث إنّه صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أوّل صادر، فلا محالة هم أشرف المخلوقات؛ للتقدّم وللواجدية لملاك الشرافة، وهي

كونه ﷺ وكونهم عليهم السلام صفاته وأسماءه الحسنى بنحو الأتم والأكمل، فهم عليهم السلام في تلك الحقيقة الاسمية الحسنائية معرفة له تعالى، فهم حينئذٍ صفاته ومعارفه تعالى لا غيرهم، وهم بتلك الصفات علامات له تعالى وأدلّاء عليه تعالى نحو دلالة الاسم اللفظي على المعنى الموضوع له كما علمت ولا يمكن ابتداءً ولا بقاءً إطلاق الاسم اللفظي عليه تعالى؛ لانّه لا يجوز أن يقع على الله شيء لا لفظ ولا معنى من الخلق.

أمّا الأوّل: فظاهر لأنّ الاسم اللفظي تتوقف دلالته على معناه، على تصوّر المعنى أوّلاً، ثمّ وضع اللفظ له، وهذا بالنسبة إليه تعالى محال؛ لعدم إمكان تصوّر الخلق معناه تعالى إلّا بنحو هو بيّنه.

وأمّا الثاني: فلأجل انّ المعاني التي يراد اطلاقها عليه تعالى، لا طريق إلى الوصول إليها والمعرفة بها بنحو يليق بأن يطلق على جنابه المقدّس، إلّا إذا بيّنه الله تعالى من قبل نفسه، كما علمت من قوله تعالى: ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾[1] حيث علمت أنّها في مقام بيان كيفية أن يدعى بشيء.

وبعبارة أُخرى: أنّ الأسماء المعنوية إنّما أُطلقت عليه تعالى لكونها متضمنةً لآثار صفاته، فيستدلّ بها حينئذٍ عليه تعالى؛ ولأنّه تعالى هو الذي بيّنه لا غيره، فبهذه الجهة أُطلق الاسم المعنوي عليه تعالى. وأمّا ما يتراءى من إطلاق الأسماء اللفظية عليه تعالى، فإنّما هي بلحاظ أنّ إطلاقها عليه من جهة دلالتها أولاً على المعاني والصفات والأسماء المعنوية، ثمّ منها يستدلّ عليه تعالى.

وبعبارة أُخرى: أنّ اللفظ يدلّ على المعنى، وهو متضمن لآثار صفاته تعالى، فتدلّ عليه تعالى وتعرفه بنحو تقدم ذكره، فمنه يعلم أنّ الأسماء اللفظية دلالتها سعة وضيقاً وشرافة يتبع الأسماء المعنوية، وذلك أيضاً بوضع الشارع إذ هو العالم بكيفية تلك الدلالة، ومقايستها مع المعاني والأسماء المعنوية؛ ولذا قيل: إنّ أسماء الله توقيفية، ومن هذا يعلم أنّ الأسماء اللفظية لا تكون أجمع له تعالى بلحاظ شموله لجميع

---

١ ـ الأعراف: ١٨٠.

الصفات، إلّا بلحاظ أجمعية مدلولها من الأسماء المعنوية كلفظ الله تعالى، إذ هي التي تكون واسعة قد وسعت كلّ آثار الصفات الإلهية من الكمال المطلق والغناء المطلق، والقدس والعزّة والوحدة الذاتية بما له لذاته.

ولا تكون هذه إلّا جمعية إلّا في الأسماء الحسنى المعنوية، التي اختارها الله تعالى لنفسه فهي (أي تلك الأسماء الحسنى) بما تضمنت من الدلالة الذاتية تدلّ بنفسها على المعاني القدسية، التي يليق بجنابه تعالى، وهي بكمالها وتمامها تكون ذواتهم المقدسة (أى ذوات محمد وآله الطاهرين) ولما كانوا عليهم السلام هم الأسماء الحسنى كما مرّ من قول جابر: وأمّا المعاني فنحن معانيه، أي معاني الله بلحاظ الصفات، فلا محالة هم عليهم السلام ذوات ومعان لتلك الأسماء الحسنى اللفظية.

فالأسماء الحسنى ظاهرها ألفاظ وباطنها معان وهي أي (المعاني) أسماء معنوية له تعالى، فالأسماء اللفظية أسماء الأسماء المعنوية له تعالى، وهو تعالى لا يعرف ولا يعبد إلّا بأسمائه، فتوحّد تعالى بهم في عبادته أي من أراد أن يوحّده توحيداً عبادياً لا يكون إلّا بتلك الأسماء المعنوية وهي ذواتهم المقدسة، فهم حينئذٍ أركان توحيده العبادي وأنّه تعالى رضيهم كذلك، إذ لا يفقدهم الله تعالى منذ عبد في الخلق بهم، وهو معنى الركنية في العبادة.

وبعبارة أُخرى: أنّه تعالى جعلهم بحيث مهما عبد من أحد عبد بهم عليهم السلام لأنّهم أسماؤه، ولم يجعل طريقاً آخر غيرهم لعبادته فهم أركانه حينئذٍ، وعلمت أنّ هذه الأسماء فانية فيه تعالى وعن نفسها، فالتوجه بها إليه تعالى توجه به تعالى كما يومئ إليه قوله في الزيارة: «ومن قصده توجه بكم» وقوله: «ومن أحبّكم فقد أحبّ الله».

فهذه الصفات التي هي حقائقهم كالمرآة للذات المقدس الربوبي، وهو تعالى ظاهر بهم، فكما أنّ الناظر فيها يرى العكس فيها بسببها في حال فناء المرآة فالمرءى فيها هو العكس دون المرآة، وإن كان النظر بواسطتها كما لا يخفى.

ومن هنا يظهر سرّ ما في الأحاديث الدالّة على شرك منكر الولاية

للأئمة عليهم السلام فمن دعا غيرهم بالولاية ونزّل غيرهم بمنزلتهم فقد أشرك بالله في عبادته.

في تفسير نور الثقلين[١]، عن أصول الكافي: عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: **﴿ولقد أُوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك..﴾** يعني أشركت في الولاية غيره **﴿بل الله فاعبد وكُن من الشاكرين﴾** يعني بل الله فاعبد بالطاعة وكن من الشاكرين أن عضدتك بأخيك وابن عمّك.

وفيه[٢]، في تفسير علي بن إبراهيم: ثمّ خاطب الله عزّ وجلّ نبيّه فقال: **﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننَّ من الخاسرين﴾** فهذه مخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله والمعنى لأُمّته وهو ما قاله الصادق عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ بعث نبيّه بإيّاك أعني واسمعي يا جاره، والدليل على ذلك قوله عزّ وجلّ: **﴿بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾** وقد علم الله أنّ نبيّه صلى الله عليه وآله يعبده ويشكره، ولكن استعبد نبيّه بالدعاء إليه تأديباً لأُمّته.

وهكذا غيره من الأحاديث الدالّة على أنّ منكر الولاية مشرك، فالخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وآله إلّا أنّه لأُمّته؛ لأنّه بمنزلة ايّاك أعني واسمعي يا جاره كما قال الصادق عليه السلام والوجه فيه أنّ حقيقة الولاية التي هي ولاية الله، والولاية هي تلك الأسماء الحسنى، التي هي حقائقهم، وهي مظاهر له تعالى، وما به معرفته تعالى، والتي أمر الناس أن يدعى بها ويُعبد بها، فالإعراض عنها والإشراك بها إعراض عن عبادته أو شرك فيها كما لا يخفى.

فظهر من جميع ما ذكر أنّه تعالى رضيهم أركاناً لتوحيده الذاتي والصفاتي والعبادي. فصلوات عليهم أجمعين إلى يوم الدين، ورزقنا الله معرفتهم بمحمد وآله الطاهرين.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤، ص٤٩٧.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤، ص٤٩٨.

قوله عليه السلام: وشهداء على خلقه

أقول: قد دلّت أحاديث كثيرة على كونهم عليهم السلام شهداء على الخلق بألسنة مختلفة.

ففي الكافي[١]، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وشاهد ومشهود**﴾ قال: النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

وفيه[٢]، عن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**فكيف إذا جئنا من كلّ أُمَة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً**﴾ قال: نزلت في أمّة محمد صلى الله عليه وآله خاصة في كلّ قرن منهم إمام منّا شاهد عليهم ومحمد صلى الله عليه وآله شاهد علينا.

وفيه عن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وكذلك جعلناكم أُمَة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس**﴾ قال: نحن الأُمّة الوسطى، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه، قلت: قول الله عزّ وجلّ: ﴿**ملّة إبراهيم**﴾ ؟ قال: إيّانا عنى خاصة، هو سماكم المسلمين من قبل في الكتب التي مضت وفي هذا القرآن، ليكون الرسول عليكم شهيداً فرسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله عزّ وجلّ، ونحن الشهداء على الناس، فمن صدق صدّقناه يوم القيامة، ومن كذب كذّبناه يوم القيامة.

وفيه عن أحمد بن عمر الحلال قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿**أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه**﴾ فقال: أمير المؤمنين عليه السلام الشاهد على رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول الله صلى الله عليه وآله على بيّنة من ربّه.

وفيه[٣]، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى طهّرنا وعصمنا، وجعلنا شهداء على خلقه، وحجّته في أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا

---

١ ـ الكافي ج ١، ص ٤٣٥.
٢ ـ الكافي ج ١ ص ١٩٠.
٣ ـ الكافي ج ١، ص ١٩١.

لا نفارقه ولا يفارقنا.

وفي بصائر الدرجات[١]، بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وكذلك جعلناكم أُمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس** ﴾ قال: نحن الشهداء على الناس بما عندهم من الحلال والحرام وما منعوا منه.

وفي تفسير نور الثقلين[٢]، عن تفسير العياشي، وعن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله: ﴿ **وكذلك جعلناكم أُمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ فإن ظننت أنّ الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحّدين أفترى أنّ من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر، يطلب الله شهادته يوم القيامة، وتقبّلها منه بحضرة جميع الأُمم الماضية؟ كلّا، لم يعن الله من هذا من خلقه. يعني الأُمّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم: ﴿**كنتم خير أُمّة أُخرجت للناس**﴾، وهم الأُمّة الوسط وهم خير أُمّة أُخرجت للناس.

ومثله غيره من الأحاديث في الكتب المعتبرة.

وتدلّ عليه الأخبار الدالّة على إخبارهم بضمائر الناس ووقايعهم وشيعتهم وهي مذكورة في بصائر الدرجات ص٢٤٢، عن أبي كهمش قال: كنت نازلاً بالمدينة في دار فيها وصيفة كانت تعجبني، فانصرفت ليلاً ممسياً فاستفتحت الباب ففتحت لي فمددت يدي فقبضت على ثديها، فلمّا كان من الغد دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: يا أبا كهمش تبْ إلى الله ممّا صنعت البارحة.

وفيه عن غير واحد عن أبي بصير قال: قدم إلينا رجل من أهل الشام، فعرضت عليه هذا الأمر فقبله، فدخلت عليه وهو في سكرات الموت، فقال: يا أبا بصير قد قبلت ما قلت لي بالجنة، فقلت أنا ضامن لك على أبي عبد الله عليه السلام بالجنة، فمات فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فابتدأني فقال: قد وفي لصاحبك بالجنة.

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٨٧.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج١ ص١١٣.

وتدلّ عليه أيضاً الأخبار الكثيرة الدالّة على عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بألسنة مختلفة وهي كثيرة.

ففي بصائر الدرجات[١]، بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنّ أبا الخطاب كان يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يعرض عليه أعمال أُمّته كل خميس فقال أبو عبد الله عليه السلام: ليس هو هكذا، ولكن رسول الله تعرض عليه أعمال هذه الأُمّة كلّ صباح أبرارها وفجّارها فاحذروا وهو قول الله عزّ وجلّ ﴿**إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾.

وفيه[٢]، بإسناده عن بريد العجلي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسألته عن قوله تعالى: ﴿**اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾ قال: إيّانا عنى.

وفي حديث قال: هم الأئمة عليهم السلام، ومثله كثير.

وفي روضة الكافي[٣]، بإسناده عن يوسف بن أبي سعيد قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم، فقال لي: إذا كان يوم القيامة وجمع الله تبارك وتعالى الخلائق كان نوح عليه السلام أوّل من يدعى به فيقال له: هل بلّغت؟ فيقول: نعم، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله قال: فيخرج نوح عليه السلام فيتخطّى الناس حتى يجيء إلى محمد صلى الله عليه وآله وهو على كثيب المسك ومعه علي عليه السلام وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿**فلمّا رأوه زلفةً سيئت وجوه الذين كفروا**﴾ فيقول نوح لمحمد صلى الله عليه وآله: يا محمد إنّ الله تبارك وتعالى سألني هل بلّغت؟ فقلت: نعم، فقال: من يشهد لك؟ فقلت: محمد صلى الله عليه وآله فيقول: يا جعفر يا حمزة اذهبا واشهدا له أنّه قد بلّغ، فقال أبو عبد الله عليه السلام: فجعفر وحمزة هما الشاهدان للأنبياء عليهم السلام بما بلّغوا، فقلت: جُعلت فداك فعلي عليه السلام أين هو؟ فقال: هو أعظم منزلة من ذلك.

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٤٢٤.

٢ ـ بصائر الدرجات ص٤٢٧.

٣ ـ روضة الكافي ص٢٦٧.

وفي الوافي عن الكافي في أحاديث ليلة القدر عن أبي جعفرعليه السلام قال: لقد خلق الله تعالى ليلة القدر.. إلى أن قال عليه السلام: وايم الله لقد قضى الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف، ولذلك جعلهم شهداء على الناس؛ ليشهد محمد علينا، ولنشهد على شيعتنا، وليشهد شيعتنا على الناس، أبى الله أن يكون في حكمه اختلاف، أو بين أهل علمه تناقض، الحديث.

أقول: حقيقة الشهادة حضور المشهود عند الشاهد؛ لأنّه من شهده إذا حضره، وتقدم أنّ لله علمين: علم مختص بنفسه وعلم علّمه الأنبياء، فجميعه عند الأئمة عليهم السلام ومرجع هذا إلى أن ما وصل من علمه تعالى إلى عالم المشيئة، فقد أحاطَ اللهُ به محمداً وآله الطاهرين، وأنّهم عليهم السلام وعاؤها، ويلزم منه أنّ حقيقة محمد وآله عليهم السلام محيطة بتمام مبادئ الخلق علماً؛ لأنّهم عليهم السلام مظاهر كلّية لاسم الله، وسائر الخلق مظاهره الجزئية.

وعن الكافي، وعن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فذكرت اختلاف الشيعة، فقال: إنّ الله لم يزل فرداً متفرّداً في وحدانيته، ثمّ خلق محمداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق الأشياء وأشهدهم خلقها، وأجرى عليها طاعتهم، وجعل فيهم منه ما شاء، وفوّض أمر الأشياء إليهم، فهم قائمون مقامه يحلّلون ما شاءوا، ويحرّمون ما شاءوا ولا يفعلون إلّا ما شاء الله.

فظاهر هذا الحديث ونحوه دالّ على أنّه تعالى أشهدهم خلق الخلق كلّها، وقد تقدم شرحه، فيلزم منه انهم عليهم السلام عالمون بحقائقها وشاهدون حقيقتها؛ ولذا جعلهم الله تعالى شهداء على الخلق لما أشهدهم خلقها.

وبعبارة أُخرى: أنّه تعالى لما كان أصل خلقه تعالى للخلق بملاك المحبة أي أحب أن يعرف كما قال في حديث قدسي: «فأحببت أن أُعرف، فخلقت الخلق لكي أُعرف» فخلق أوّلاً محمداً وآله الطاهرين محالاً لمعارفه ولمعرفته الخاصة فهم الكاملون في المعرفة، وحيث إنّه تعالى حمّلهم علمه كما علمت سابقاً، وأشهدهم خلقها، وألزم على الخلق طاعتهم بالنصّ القرآني والأحاديث الكثيرة كما لا يخفى،

فلا محالة قد جعلهم شهداء على الخلق أيضاً كما صرّح به في حديث بريد العجلي فهم عليهم السلام يوم القيامة الشهداء على نحو بيّنه الصادق عليه السلام في ذلك الحديث وساير الأحاديث المتقدمة.

ثمّ إنّ هنا كلاماً وحاصله: أنّ المستفاد من حديث أبي عمرو الزبيري عن الصادق عليه السلام المروي عن العياشي أنّ مقام الشهادة على الخلق مختص بهم عليهم السلام مع أنّ المذكور في حديث أبي جعفر الباقر عليه السلام من قوله عليه السلام: لقد قضي الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف، ولذلك جعلهم شهداء على الناس، الحديث دالّ على أنّ الشيعة أيضاً تكون شهداء على الناس فكيف التوفيق؟ وحينئذٍ يقال في الجواب: إنّ المراد بالأُمّة من قوله تعالى: ﴿كنتم خير أُمّة﴾ هو الأئمة عليهم السلام بالأصالة، وتشمل الشيعة بالتبعية، والوجه فيه الأخبار الدالّة على لحوق الشيعة بهم طينة بالذات وانّ خاتمتهم الخير عاقبة.

في البحار[1]، عن بصائر الدرجات بإسناده عن جابر الجعفي، قال كنت مع محمد بن علي عليه السلام فقال: يا جابر خُلقنا نحن ومحبّونا من طينة واحدة بيضاء نقية من أعلى عليين، فخلقنا نحن من أعلاها وخلق محبّونا من دونها، فإذا كان يوم القيامة التفّت العليا بالسفلى، وإذا كان يوم القيامة ضربنا بأيدينا إلى حجزة نبينا، وضرب أشياعنا بأيديهم إلى حجزتنا، فأين ترى يصير الله نبيّه وذرّيته وأين ترى يصير ذرّيته محبّيها فضرب جابر يده على يده، فقال: دخلناها وربّ الكعبة ثلاثاً.

وفيه[2]، بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: خلقنا الله من نور عظمته، ثمّ صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنّا نحن خلقاً وبشراً نورانيين، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من أبداننا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من

---

١ ـ البحار ج ٢٥، ص ١٣.
٢ ـ البحار ج ٢٥، ص ١٣.

تلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل ذلك الذي خلقهم منه نصيباً إلّا الأنبياء والمرسلين، فلذلك صرنا نحن وهم الناس وسائر الناس همجاً في النار وإلى النار.

أقول: تقدم شرح هذا وبعض ما له من الشرح، وكيف كان فهذا الحديث وما شابهه دلّ على أنّ الشيعة خلقت من فاضل طينة الأئمة عليهم السلام وأنّهم قد خلقت أرواحهم ممّا خلق منه أبدان الأئمة عليهم السلام فلا محالة فهم ملحقون بهم عليهم السلام من حيث القابلية للوصول إلى الدرجات العلى، التي منها قبول شهادتهم كما لا يخفى، ثمّ إنّه لا ريب في قبول شهادة الشيعة في الدنيا خصوصاً العدول منهم، فلا محالة تقبل شهادتهم في الآخرة؛ لأنّ ملاك القبول سواء، وكيف لا تقبل شهاداتهم مع أنّه تعالى بحكم الشرع قد قبل شهادتهم في الدنيا، مع أنّهم كانوا في معرض العصيان، بل ربّما صدرت منهم المعصية؛ لانّه لا يعتبر في قبول شهادة الشاهد العصمة كما لا يخفى.

وحينئذ ففي الآخرة لابدّ من أن تقبل شهاداتهم بالطريق الأولى؛ لانّه تعالى قد كفّر عنهم حينئذ سيئاتهم بمحن الدنيا وبلائها، وعند الموت، وفي القبر والبرزخ وأهوال يوم القيامة حتى أكثرهم يحشر يوم القيامة، وليس عليه ذنب يطالب به مع أنّهم حين يحشرون مع أئمتهم عليهم السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله باهى بهم الأمم الماضية، وأخبر الله تعالى عن سلامة رسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من أن يصل إليهم من شيعتهم أذى، قال تعالى: ﴿ **وأمّا إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين** ﴾[1].

وتقدم أنّ النبي صلى الله عليه وآله وكذا الأئمة عليهم السلام قد تحمّلوا ذنوب شيعتهم، وقد غفرها الله تعالى لنبيهم، هذا مع استغفار الملائكة للشيعة كما لا يخفى، وكلّ هذا ممّا دلّت عليه الأحاديث المعتبرة كما لا يخفى.

فقوله عليه السلام في حديث أبي جعفر عليه السلام: «ولتشهد شيعتنا على الناس» يراد منه هذا الشيعي الذي قد طهّره الله تعالى، وحمله على إرادة الأنبياء بكونهم من شيعتهم عليهم السلام

---

١ ـ الواقعة: ٩٠ ـ ٩١.

بعيد جداً، نعم يمكن دخول الأنبياء في شيعتهم بل هم أحق بذلك، ولكن سائر الشيعة أيضاً داخلون فيه، وتدل عليه أيضاً الأخبار الواردة في شهادة من كان مثل سلمان وأبي ذر ونحوهما يوم القيامة كما لا يخفى.

وقوله: «على الناس» هم المشهود عليهم فيما لهم وعليهم، فإنّ الشيعة يوم القيامة كالأئمة والأنبياء تشهد للشيعة بالصدق، وأنها قد عملت الصالحات، وعلى المخالفين بالكفر وإنكار الولاية.

ولعمري إنّ شهادة الشيعة على مخالفيهم الذين آذوهم في الدنيا، يكون أقرب وأشفى لغيظهم، وموجباً لقرّة عينهم، حيث يرون مخالفيهم وأعداءَهم في العذاب، وأنّه تعالى قد قبل شهاداتهم عليهم كما لا يخفى.

وتحصّل ممّا ذكر أنّه تعالى قد رضيهم عليهم السلام شهداء على خلقه لما هم عليه من الحق والصدق والحفظ، والإحاطة بكل شيء من خلقه؛ لأنّه تعالى أنهى إليهم علمه، وأشهدهم خلق جميع الخلق مضافاً إلى أنّهم عليهم السلام هم العاملون بأمره تعالى كما تقدم، وإليه صائرون، وفي قبضته تعالى كائنون، وهم في توليه تعالى رياضتهم وسياستهم سائرون، ثمّ إنّه لو لم يكن الأئمة شهداء على الخلق، فمن تظنّ أن يكون شهيداً عليهم مع أنّهم عليهم السلام من أكمل أفراد البشر والخلق كما لا يخفى، وفيهم ملاك الشهادة بنحو الأتم والأكمل.

ولعمري إنّ شهادتهم عليهم السلام على الخلق يوم القيامة من أعظم موارد إقامة الحجة على المنكرين، حيث لا يجد الخلق طعناً عليهم عليهم السلام في شيء يمكن أن يطعن به على الشاهد؛ وذلك لعلوّ مقامهم وطهارتهم وكمالاتهم، بحيث لا يشك في فضائلهم ومناقبهم وقداستهم أحد حتى وإن كان من المخالفين، فتكون لا محالة شهادتهم عليهم السلام من أعظم الحجج والشهادات في القيمة بل وفي الدنيا كما لا يخفى.

ثمّ إنّ الشيعة التي تشهد يوم القيامة على المخالفين، فإنّما هو بالنسبة إلى ما كان فيهم من العلم والحفظ، والعمل والكمال لا مطلق الشهادة على مطلق الخلق كما لا

يخفى.

بقي شيء وهو أنّه ليس المراد بشهادتهم على سائر الخلق بالنسبة إلى خصوص أعمالهم الظاهرة، بل على كل شيء من حقائقهم والمراتب الإيمانية، والتوحيد والولاية والمحبة وغير ذلك من معاني الأحوال والأمور، ويدل عليه عدّة من الأحاديث.

منها: الأحاديث الواردة في الطينة وهي كثيرة.

منها: ما في بصائر الدراجات[1]، باسناده عن سديف المكي قال: سمعت محمد ابن علي عليه السلام يقول: حدّثني جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ ربّي مثل لي أُمّتي في الطين، وعلّمني أسماء الأنبياء (الأشياء ن) كما علّم آدم الأسماء كلّها فمرّ بي أصحاب الرايات فاستغفرت لعلي وشيعته.

ومنها: الأحاديث الواردة في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام عرف ما رأى في الميثاق وغيره وهي كثيرة.

منها: ما في البصائر أيضاً[2]، بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام: انّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو مع أصحابه فسلّم عليه، ثمّ قال: أنا والله أحبّك وأتولّاك، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما أنت كما قلت، ويلك إنّ الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، ثمّ عرض علينا المحبّ لنا، فوالله ما رأيت روحك فيمن عرض علينا، فأين كنت؟ فسكت الرجل ولم يراجعه.

وفيه[3]، بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا من صلب آدم، فنعرف بذلك حبّ المحبّ وإن أظهر خلاف ذلك بلسانه، ونعرف بغض المبغض وإن أظهر حبّنا أهل البيت.

---

١ ـ بصائر الدراجات ص٨٦.

٢ ـ بصائر الدراجات ص٨٧.

٣ ـ بصائر الدراجات ص٩٠.

وفيه[١]، بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: انّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وبحقيقة النفاق.

ومنها: الأحاديث الواردة في أنّهم عليهم السلام الأعراف.

ففي تفسير نور الثقلين[٢]، في كشف المحجة لابن طاووس رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل فيه: فالأوصياء قوّام عليكم بين الجنه والنار، لا يدخل الجنة إلّا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وأنكروه؛ لانّهم عرفاء العباد، عرفهم الله إيّاهم عند أخذ المواثيق عليهم بالطاعة لهم، فوصفهم في كتابه فقال عزّ وجلّ: ﴿ **وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم** ﴾ وهم الشهداء على الناس، والنبيون شهداؤهم بأخذهم لهم مواثيق العباد بالطاعة.

وفيه[٣]، عن تفسير العياشي وعن الثمالي قال: سئل أبو جعفر عليه السلام: ﴿**وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم**﴾ فقال أبو جعفر عليه السلام: نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبب معرفتنا، ونحن الأعراف الذين لا يدخل الجنة إلّا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه وذلك بأنّ الله لو شاء أن يعرّف نفسه لعرّفهم، ولكن جعلنا سببه وسبيله وبابه الذي يؤتى.

فالمستفاد من هذه الأحاديث بعناوينها المختلفة أنّهم عليهم السلام عارفون بحقائق العباد من كونهم أهل المحبة أو البغض وأهل الولاية، أو أنّهم منكرون لها، وأهل الإيمان الحقيقي والنفاق وغير ذلك، وأصرح ما يدلّ علىٰ ذلك قوله عليه السلام: لأنّهم عرفاء العباد، عرفهم الله عند أخذ المواثيق عليهم بالطاعة» وأيضاً قوله عليه السلام: «ولكن جعلنا سببه وسبيله وبابه الذي يؤتى منه» صريح في أنّهم عليهم السلام أصل المعرفة لله بحيث من كانت معرفتهم فيه موجودة فهو من أهل النجاة وإلّا فلا.

---

١ ـ بصائر الدراجات ص٢٨٨.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج٢ ص٣٢ ح١٢٩.

٣ ـ تفسير نور الثقلين ج٢، ص٣٤، ح١٣٤.

بل قوله عليه السلام في حديث أبي بصير من قول الصادق عليه السلام: «نحن الشهداء على الناس بما عندهم من الحلال والحرام وما ضيّعوا منكم أيضاً، يدلّ على شهادتهم بحقيقتهم على أحوالهم لا على مجرّد الأعمال إذ الأعمال الصالحة وكذا الطالحة قد فنت حقيقتها الفعلية، وبقيت الآثار منها في العامل، فهم عليهم السلام حينئذ شهداء عليهم في أفعالهم بالنسبة إلى الروحيات المنتقشة في نفوسهم أيضاً، فلا تختص الشهادة على مجرّد الأفعال فقط كما لا يخفى والحمد لله أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

قوله عليه السلام: *وأعلاماً لعباده*

في المجمع: والعَلَم (بالتحريك): عَلَم الثوب من أطراز وغيره، وهو العَلامة وجمعه أعلام مثل سبب وأسباب، وجمع العلامة علامات. وعلّمت له علامة (بالتشديد) وضعت له أمارة يعرفها. والعلم الراية.. إلى أن قال: فالأعلام جمع علم وهو الجبل الذي يعلم به الطريق، والمنار (بفتح الميم): المرتفع الذي يوقد في أعلاه النار لهداية الضلال ونحوه. وأعلام الأزمنة هم الأئمة عليهم السلام لأنهم يهتدى بهم . ومنه حديث يوم الغدير «وهو الذي نصب فيه أمير المؤمنين عليه السلام علماً للناس» وفيه: قوله تعالى: **﴿في البحر كالأعلام﴾** أي كالجبال الطوال.. والأعلام جمع علم وهو الجبل الذي يعلم به الطريق.

أقول: لابدّ من ذكر أخبار الباب، ثمّ نعقبه بالكلام اللازم فنقول: في مقدمة تفسير البرهان[1]، عن الباقر عليه السلام قال: قال الله لنبيّه: قد جعلت أهل بيتك بعدك علماً منك، وولاة أمري بعدك، وأهل استنباط علمي. الخبر.

وفيه[2]، وعن الباقر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ نصّب علياً عليه السلام علماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً.

---

١ ـ تفسير البرهان ص٣٣٩.
٢ ـ تفسير البرهان ص٢٤٣.

ورواه في الكافي عن الصادق عليه السلام قال: الإمام علم بين الله وخلقه، فمن عرفه كان مؤمناً.

وفي البحار باب أنّهم عليهم السلام النجوم والعلامات، فيه أحاديث كثيرة، منها ما عن أمالي الشيخ عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **وعلامات وبالنجم هم يهتدون** ﴾ قال: النجم رسول الله صلى الله عليه وآله والعلامات الأئمة عليهم السلام من بعده (عليه وعليهم السلام).

أقول: قد تقدم معنى الأعلام في شرح قوله عليه السلام: وأعلام التقى، فراجعه.

وحاصل معانية: أنّ العلم (بالتحريك) إذا أُريد منه معنى الجبل، فمعناه حينئذٍ أنّه كما أنّ الرواسي سبب لاستقامة الأرض لثقلها وضخامتها، فكذلك الأئمة عليهم السلام كانوا سبباً لمنع العباد عن الفناء وتثبيتهم في وجودهم أو شؤونهم، وذلك لأنهم - أولا - سبب لتثبيت وجودهم كما ورد: لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها، وتقدم الكلام فيه مفصّلاً، وثانياً بلحاظ أحوالهم من التقوى وقد تقدم الكلام في أنّهم أعلام التقوى للمتقين، وثالثاً بلحاظ المعارف الإلهية..

فلا ريب أنّهم عليهم السلام بفاضل عقولهم ينوّرون عقول العباد، فالعباد بعقلهم الذي هو من فاضل عقولهم عليهم السلام يعقلون المعارف الإلهية، والأمر والنهي الإلهي، ويعرفون الحق من الباطل، وتقدم من قوله عليه السلام: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي يمير العلم للمؤمنين (أي يطعمهم) وقول الصادق عليه السلام لأبي خالد الكابلي: والله يا أبا خالد إنّ الأئمة هم الذين ينوّرون قلوب المؤمنين.

والحاصل: أنّ العباد بفضل هديهم اهتدى المهتدون منهم، وبفضل أعمالهم عليهم السلام عمل العاملون منهم، فكانوا عليهم السلام في جميع ما ذكر جبالاً رواسي، ألقى الله تعالى أشباحهم وأطوار ظواهرهم في أراضي قلوب الخلائق أن تميد بهم الحوادث، فلا يستقر لهم علم ولا عمل ولا فكر ولا ذكر، فبظهور عظمتهم وحقيقتهم في تلك الأمور في قلوب العباد ثبتوا فيها وصاروا كما قال تعالى: ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا**

بالقول الثابت ﴾[1].

وبعبارة أُخرى: إنّ إشراقات أنوارهم مثلها مثل ظهور الشاخص تستضيء منها قلوب العباد، وتنتقش فيها صور تلك الإشراقات من المعارف وغيرها، كما تنتقش الصور في المرآة، التي ليست صورتها في الحقيقة شيئاً، بل هو ظهور الشاخص فيها، فجميع ما في قلوبهم من المعارف والأحوال، فإنّما هي من إشراقاتهمعليهم السلام لها فكلّما ازدادت تلك الإشراقات ازداد مقامهم ورفعت درجاتهم، كما دلّ عليه قول الصادقعليه السلام فيما رواه العمار الساباطي قال: سألت أبا عبد اللهعليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: **﴿ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله ﴾**[2] فقال: الذين اتبعوا رضوان الله هم الأئمة، وهم والله يا عمار درجات للمؤمنين، وبولايتهم ومعرفتهم إيّانا يضاعف الله لهم أعمالهم ويرفع الله لهم الدرجات العلى.

ومن المعلوم أنّ أنوار حقائقهم لا تتناهى كمّاً وكيفاً بالنسبة إلى الخلق، فمن كان من أهل ولايتهم المخلصين، فلا محالة يتدرج في معالي معارفهم بما لا نهاية له كما لا يخفى.

ثمّ إنّ العلم ـ محركة ـ بمعنى الجبل أيضاً يكون ممّا يعلم به الطريق كما تقدم، فكذلك الأئمة في جميع ما ذكرهم الأعلام أي الطريق لها) فبهم يستدلّون عليها ويصلون إليها، فبالأخذ عنهم والاقتداء بهم وصل إلى المعاني والمعارف من وصل، نعم انّما يمكن ذلك لمن علّموه ما شاؤوا، فلا ينتفع أحد من علومهم ومعارفهم، وإن سمع منهم أو رأى ذلك عنهمعليهم السلام إلّا إذا علّموه ظاهراً في أيام الظهور، أو باطناً كما في زماننا هذا زمان الغيبة. اُنظر الأحاديث التي تقدمت في قوله تعالى: **﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾**[3] كلّها صريحة فيما ذكرناه كما لا يخفى.

---

١ ـ إبراهيم: ٢٧.

٢ ـ آل عمران: ١٦٢.

٣ ـ آل عمران: ١٦.

هذا وان علومهم ومعارفهم في نفسها صعبة المنال علماً، وأصعب منها دركاً أي أصعب من تصديقها هو التحقق بها وجداناً، ولا طريق لها إلّا بهم ومنهم، وإليه تشير الأحاديث المتقدمة من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ حديثنا صعب مستصعب خشن مخشوش، فانبذوا إلى الناس نبذاً، فمن عرف فزيدوه، ومن أنكر فأمسكوا لا يحتمله إلّا ثلاث: ملك مقرّب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، وقول الصادق عليه السلام لأبي الصامت: إنّ أمرنا لا يحتمله أحد، قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن أو من شئنا، وتقدم متن الحديث.

والحاصل: أنّ هذه الجبال جبال أُمورهم ومعارفهم، لا يسلك الطريق فيها لعظمها وعلوّها، وبعدها عن الأذهان إلّا بالعلامات الموضوعة فيها للسالك إليها وهم عليهم السلام تلك العلامات كما لا يخفى.

ومن هذا يعلم أنّهم أعلام للعباد بمعنى أنّهم كالجبال الطويلة كأنّها في الهواء لعلوّها، فالناس في الطرق المنخفضة دائماً يستشرقون من تلك الأعلام والعلامات، التي جعلها الله لهم وهي ذواتهم المقدسة من حيث العلم والمعارف، والتوحيد والعبادة، التي جعلت في أعلى محل وأرفع منزلة بحيث لا يلحقهم لاحق ولا يفوقهم فائق.

وبعبارة أُخرى: أنّ الله تعالى شأنه قد علا قدرهم ورفع شأنهم، وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين وحمّلهم علمه، وجعلهم مظاهره في خلقه، وجعل ولايتهم ولايته، وفضّلهم على العالمين وسائر الخلق أجمعين، فلا محالة قد رضيهم أعلاماً، فعباده يهتدون بهم في ظلمات البر والبحر، وفي ظلمات الجهل والنفس والطبايع الجسمانية، بل وفي الظلمات النفسانية التي تعرض لأغلب النفوس من أهوائهم الفاسدة وآرائهم الكائدة إلى النور والرشد والسعادة، والكمالات والمعارف الإلهية من التوحيد والولاية وشؤونها، فجميع العباد في طرق المعتقدات والأحوال والأعمال في كل شيء يهتدون بهم، بل لا حقّ لهم في الوجود إلّا منهم؛ لأنّهم عليهم السلام

مظاهر الحق ومع الحق كما صرّح به في الأخبار.

بقي هنا أمران:

الأوّل: أنّ الأئمةﷺ كما هم أعلام العباد في الأمور الدينية والمعارف الإلهية، كذلك هم أعلامهم في الأُمور الدنيوية من العلم بطرق الأرض وما فيها وكيفية استخراج معادنها برّاً وبحراً ومن المعرفة بالجبال من حيث كونها محلّاً للمعادن أو محلّاً للعيون وكيفية اجرائها على الأرض، وكذلك هم العلامون والأعلام للاهتداء إلى الأمور المتعلّقة بالنجوم والأفلاك والحاصل إلى علم الهيئة والنجوم، فهمﷺ في جميع ذلك أعلام للعباد يستدل بهمﷺ عليها كما لا يخفى، ودلّت عليه الأحاديث الواردة في الأسئلة التي وردت في هذه الأُمور وأجابواﷺ عنها.

ويشير إليه بل يدلّ عليه ما روي عن أمير المؤمنينﷺ من قوله: «فوالله إنّي لأعلم بطرق السماء من طرق الأرض» وأيضاً تدلّ عليه الأخبار التي بيّنت أقسام الملائكة وأحوالها وأفعالها وغير ذلك، كلّ ذلك يدلّ على إحاطَتهمﷺ بتلك الأُمور السماوية كما لا يخفى.

الثاني: أنّهمﷺ أعلام للاهتداء إلى الحق بالنسبة إلى الخلق حتى بالنسبة إلى الملائكة والأنبياء وتدلّ على هذا عدّة من الأخبار.

منها: ما تقدم من حديث مفضل عن الصادقﷺ من قوله: انّ الله تعالى بعث رسول اللهﷺ وهو روح إلى الأنبياء وهم أرواح فدعاهم إلى التوحيد، وتقدم الحديث بلفظه وتقدم أيضاً أحاديث كثيرة دلّت على انّهمﷺ هم المعلّمون للملائكة التسبيح والتقديس والتحميد فراجعها.

ومنها: ما روى أنّ جبرائيلﷺ كان جالساً عند النبيﷺ فأتى عليﷺ فقام له جبرئيل، فقالﷺ: أتقوم لهذا الفتى؟ فقال: إنّ له عليَّ حقّ التعليم، فقالﷺ: وكيف ذلك يا جبرئيل؟ فقال: لما خلقني الله تعالى سألني: مَن أنت وما اسمك، ومن أنا وما اسمي؟ فتحيرت في الجواب. ثمّ حضر هذا الشاب في عالم الأنوار وعلّمني

الجواب، فقال: قل: أنت ربّي الجليل واسمك الجميل، وأنا العبد الذليل واسمي جبرئيل؛ ولهذا قمت له وعظّمت له، فقال النبي ﷺ: كم عمرك يا جبرئيل؟ فقال: يا رسول الله يطلع نجم من العرش، في كلّ ثلاثين ألف سنة مرّة، وقد شاهدته طالعاً ثلاثين ألف مرّة.

وكيف كان فالأنبياء والرسل والملائكة المقرّبون وغيرهم والخلق، بل وسائر الخلق من الحيوانات والجمادات والنباتات ما عرفت ربّها ولا تسبيحها إلّا بهم عليهم السلام ومنهم، تدلّ على هذا الأحاديث المتقدمة بالخصوص وبالإطلاق كما لا يخفى.

قوله عليه السلام: *ومناراً في بلاده*

المنار (بفتح الميم) هو الشيء المرتفع الذي توقد عليه النار لهداية الضال وكونهم عليهم السلام **مناراً على قسمين:**

الأوّل: أنّهم عليهم السلام منار للخلق يهتدون بهم في موارد الضلالة إلى النور والحقّ واليقين، وهو الظاهر من الجملة.

الثاني: أنّهم عليهم السلام منار في البلاد بمعنى أنّه تعالى جعلهم في مقام عالٍ مرتفع، وجعل لحقيقتهم نوراً به يعلمون حقائق الأُمور، وما يحدث في العالم من الأفعال وسائر الأُمور، تدل على كل منهما أخبار كثيرة.

وممّا يدل على الأوّل ما في الكافي[1]، وبصائر الدرجات، عن يحيى بن عبد الله ابن الحسن صاحب الديلم قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول وعنده أُناس من أهل الكوفة: عجباً للناس أنّهم أخذوا علمهم كلّه عن رسول الله ﷺ فعملوا به واهتدوا، ويرون أنّ أهل بيته لم يأخذوا علمه، ونحن أهل بيته وورثته، في منازلنا نزل الوحي، ومن عندنا خرج العلم إليهم، أفيرون أنّهم علموا واهتدوا وجهلنا نحن

---

١ ـ الكافي ج ١ ص ٣٩٨، وبصائر الدرجات ص ١٢.

وضللنا؟! إنّ هذا المحال.

وفي الكافي[١]، عن أبي مريم قال: قال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل، والحكم بن عتيبة: شرّقا وغرّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت.

وفيه، بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب، ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حق إلّا ما يخرج منّا أهل البيت، وإذا تشعّبت بهم الأُمور الخطأ منهم والصواب من علي عليه السلام.

وفي بصائر الدرجات[٢]، بإسناده عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **ومَن أضلّ ممّن اتبع هواه بغير هدًى من الله** ﴾ قال: عنى الله بها من اتخذ دينه ورأيه من غير إمام من أئمة الهدى.

فدلّت هذه الأحاديث وما نحوها على أنّ الهداية منهم والحق منهم، وأنّ العلم الصحيح لا يكون إلّا منهم.

وفي الكافي[٣]، بإسناده عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا** ﴾ فقال: يا أبا خالد النور والله نور الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، وهم والله نور الله الذي أنزل، وهم والله نور الله في السماوات والأرض، والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينوّرون قلوب المؤمنين، ويحجب الله نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم، والله يا أبا خالد لا يحبّنا عبد ويتولّانا حتى يطهّر الله قلبه، ولا يطهّر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون سلماً لنا، فإذا كان سلماً سلّمه الله من شديد الحساب وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر.

فعلم من هذا الحديث أنّ الأئمة هم النور، وبهم يتنوّر القلب، فهم المنار في البلاد

---

١ ـ الكافي ص ٣٩٩.

٢ ـ بصائر الدرجات ص ١٣.

٣ ـ الكافي ج ١ ص ١٩٤.

للعباد ولقلوب المؤمنين.

وفيه[١]، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**﴾ قال: ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء من بعدهم.

فظاهر الحديث أنّ الداعي عن بصيرة إلى الله تعالى الذي هو حقيقة كون أحد مناراً هم الرسول والأئمة(عليه وعليهم السلام) وقد تقدم في شرح قوله عليه السلام: «السلام على أئمة الهدى» ما يوضح هذا.

وكيف كان فقد رضيهم الله تعالى أن يكونوا مناراً في البلاد، يهتدي بأنوارهم وعلومهم الناس إلى الحق وينجون عن الضلالة، فهم عليهم السلام منار للعلم الصحيح وللمعارف والصفات الحميدة، ولإراءة السلوك الصحيح، ولسوق العباد في السلوك الصحيح الموصل إلى الحق بجميع شؤونهم، وهم من أجلّ نعم الله علينا حيث اهتدينا بهم فصلوات الله عليهم أجمعين.

ومما يدل على الثاني أحاديث كثيرة، منها:

ما في بصائر الدرجات[٢]، بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ الإمام منّا ليسمع الكلام في بطن أُمّه، حتى إذا سقط على الأرض، أتاه ملك فيكتب على عضده الأيمن: ﴿**وتمت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم**﴾[٣] حتى إذا شبّ رفع الله له عموداً من نور يرى فيه الدنيا وما فيها، لا يستتر عنه منها شيء.

وفيه[٤] بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام.. إلى أن قال: فإذا شبّ رفع الله في كلّ قرية عموداً من نور مقامه في قرية ويعلم ما يعمل في القرية الأُخرى.

---

١ ـ الكافي ج ١، ص ٤٢٥.

٢ ـ بصائر الدرجات ص ٤٣٥.

٣ ـ الأنعام: ١١٥.

٤ ـ بصائر الدرجات ص ٤٣٦.

وفيه[١]، بإسناده عن إسحق الحريري قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسمعته هو يقول: إنّ لله عموداً من نور، حجبه الله عن جميع الخلائق، طرفه عند الله وطرفه الآخر في أذن الإمام، فإذا أراد الله شيئاً أوحاه إليه في أُذن الإمام.

وفيه[٢]، بإسناده عن أبي الصباح قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان يوفّقه ويسدّده وهو مع الأئمة من بعده.

وفي حديث آخر: وهو مع الأئمة يخبرهم ويسددهم.

وفي حديث آخر: وإنّه لَفينا.

وفي حديث آخر: ثمّ لم يصعد إلى السماء منذ هبط إلى الأرض.

ونحو هذه الأحاديث كثير تقدم بعضها في شرح قوله عليه السلام: «ومهبط الوحي» فنقول:

أمّا الأوّل: فمعناه أنّ الأئمة عليهم السلام ينوّرون قلوب شيعتهم من الذين يستجيبون دعوتهم عليهم السلام وكذلك ينوّرون قلوب الملائكة باستجابتهم لهم عليهم السلام.

وكيف كان فباستجابتهم وقبولهم منهم عليهم السلام كانوا مؤمنين، ومعنى كونهم مؤمنين هو أنّه تعالى يكتب في قلوبهم الإيمان من مداد ذلك النور الذي كان حقيقتهم عليهم السلام، وأيضاً معناه أنّه تعالى يؤيّدهم بروح منه، وهذا الروح هو الملك الذي من نورهم.

ففي المحكي عن الكافي والعياشي، عن الصادق عليه السلام قال: ما من مؤمن إلّا ولقلبه أذنان في جوفه، أذن ينفث فيه الوسواس الخنّاس، وأذن ينفث فيه الملك، فيؤيد الله المؤمن بالملك فذلك قوله: ﴿وأيّدهم بروح منه﴾[٣].

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٤٣٩.

٢ ـ بصائر الدرجات ص٤٥٧.

٣ ـ المجادلة : ٢٢.

فيعلم منه أنّ كتابة الإيمان الذي حقيقته النور هو الملك الذي فسّر بالروح أي روح الإيمان كما لا يخفى، وهذا الإيمان هو السكينة النازلة في قلب المؤمن.

فعن الكافي[١]، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **وأيّدهم بروح منه** ﴾ قال: هو الإيمان.

وفي حديث آخر: عن قوله: ﴿**وألزمهم كلمة التقوى**﴾ قال: هو الايمان.

فالإيمان المفسّر به السكينة تارة والتقوى أُخرى هو النور الذي يكون في قلب المؤمن منهم عليهم السلام كما علمته من حديث أبي خالد الكابلي من قوله عليه السلام: وهم والله ينوّرون قلوب المؤمنين وهذا الروح (أي روح الإيمان) تحضر وتغيب في المؤمن عند الطاعة والمعصية.

ففي الكافي[٢]، باسناده عن أبي خديجة قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقال: إنّ الله تبارك وتعالى أيّد المؤمن بروح منه تحضره في كلّ وقت يحسن فيه ويتقي، وتغيب عنه في كلّ وقت يذنب فيه ويعتدي، فهي معه يهتز سروراً عن إحسانه، وتسيخ في السرى عند إساءته، فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقيناً وتربحوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرئاً همّ بخير فعمله، أو همّ بشر فارتدع عنه ثمّ قال: نحن نؤيد الروح بالطاعة لله والعمل له.

وكيف كان فالمؤمن بلحاظ محبّته لهم عليهم السلام يستجيب دعوتهم عليهم السلام ويقبل قولهم، ويهتدى بهداهم بتمام معانيه، والإيمان الحاصل الجديد المعبّر عنه بالملك المؤيّد (بالكسر) إنّما هو من نورهم وتنويرهم للقلوب فهو مخلوق من نورهم.

وقوله عليه السلام في حديث أبي خالد الكابلي: «ويحجب الله عزّ وجلّ نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم» يريد عليه السلام أنّ من لم يستجب لله ورسوله حين دعاه إلى الولاية والمحبّة ولم يقبل قولهم، خلق الله من ردّه أي ردّ هذا المنكر لولايتهم وعدم قبوله لها

---

١ ـ الكافي ج ٢، ص ١٥.
٢ ـ الكافي ج ٢، ص ٢٦٨.

حجاباً من ظلمة تظلم قلوب المنكرين به، وذلك الحجاب مخلوق من غضبه تعالى عليه، فيثمر ذلك الغضب حين ردّه الحق عداوة محمد وآل محمد، فلا محالة يصير مأواه إلى جهنم وبئس المصير.

وكيف كان فيحجب الله تعالى بذلك الحجاب نور الأئمة عليهم السلام عن قلب هذا المنكر، ولعلّه إليه يشير قوله تعالى: ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾[1] ونعني بالنور المحجوب ولايتهم ومحبتهم عليهم السلام فلا يتولونهم ولا يحبونهم كما هو المشاهد منهم، ثمّ إنّ الأئمة عليهم السلام كما ينوّرون قلوب شيعتهم بقبولهم لولايتهم، كذلك ينوّرون عالم الأجسام بل جميع الموجودات كما علمت سابقاً، هذا من الأحاديث الدالّة على أنّ الموجودات كلّها خلقت من أنوارهم.

والحاصل: أنّ ذوات الموجودات قد افيضت عليها من فاضل أنوارهم، فانبعثت عنها القوابل الحسنى، التي صارت مستعدة لترتب الآثار الحسنة عليها، نعم هذا فيما قبل ولايتهم منها.

والحاصل: أنّه قد تقدم أنّ ولايتهم قد عرضت على جميع الموجودات بعدما كان وجودها منهم عليهم السلام لما تقدم: فما قبل منها ولايتهم ترتبت عليه الآثار الحسنة، وما أنكرت انتفت عنها الآثار الحسنة، وترتّبت عليها آثار السوء أو الآثار الناقصة كما تقدم من حديث البطيخ ونحوه، وقد تقدم شرحه مفصّلاً، فكلّ أثر حسن في موجود يكون من أنوارهم النازلة منهم إليه؛ لقبول الولاية، وكلّ أثر ناقص أو سيّئ في موجود يكون من الظلمة الحاكية عن غضبه تعالى له الموجبة لمحجوبية أنوارهم عنه كما لا يخفى.

وأمّا الثاني: أعني أن يكون المراد من المنار كونهم في مقام عالٍ، بمعنى كون حقيقتهم نوراً يعلمون به حقائق الأُمور وأعمال العباد، كما دلّت عليه الأحاديث

---

١ ـ النساء: ١٥٥.

السابقة فحاصل معناها: أنّه قد دلّت أحاديث كثيرة على أنّ العقل الكل إنّما هو حقيقة محمد وآله الطاهرين.

ففي الكافي في كتاب العقل والجهل، في حديث سماعة بن مهران، وساق الحديث.. إلى أن قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: انّ الله عزّ وجلّ خلق العقل، وهو أوّل خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره، الحديث.

وفي طرائف الحكم نقلاً عمّا نقله في البحار، عن علل الشرايع في أسئلة الشامي لأمير المؤمنين عليه السلام عن أوّل ما خلق الله تبارك وتعالى فقال عليه السلام النور.

وفيه، عنه، عن الاختصاص، عن الصادق عليه السلام: خلق الله العقل من أربعة أشياء من العلم والقدرة والنور والمشيئة بالأمر، فجعله قائماً بالعلم دائماً في الملكوت.

وفي الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما كلّم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قط، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم.

إذا علمت هذا فاعلم: أنّ العقل الكل المعبّر عنه بالنور أيضاً هو حقيقة محمد وآله الطاهرين، وهو المعبّر عنه بعمود النور في الحديث السابق، فمعنى كلّيته هو جامعيّته للعلم والقدرة والنور والمشيئة بالأمر كما قال الصادق عليه السلام، ولازم هذه الأُمور أنّه لا يعزب عنه شيء لكونه علماً ونوراً، ولا يعجزه شيء لكونه قدرة ومشيئة بالأمر لذا قال عليه السلام: قائماً بالعلم، أي تكون قدرته ومشيئته عن علم، فهو بلحاظ كلّيته وإحاطته بالأشياء دائم في الملكوت، أي في عالم الملك المحيط بالأشياء كلّها.

وكيف كان فالعقل بما هو كذلك يلاحظ فيه **أُمور ثلاثة**:

الأوّل: أنّه يدرك به حقائق الأشياء بنحو الانكشاف، بحيث يكون العقل مضيء الدرك بالمعنى المصدري، فهذا الدرك فعل ذلك النور العمودي، الذي هو حقيقة العقل، وله بهذا اللحاظ التربية والتدبير للأشياء.

والثاني: أنّه نفس تلك الحقائق فيراد منه حينئذ النفس الكلّية والروح الكلّ الذي هو أعظم من جبرئيل وميكائيل فهو بنوريته جميع الأشياء بنحو الجميع، وتكون الأشياء مظاهره بنحو التفصيل في الموجودات.

والثالث: أنّه نفس العلم أي أنّ جميع الأشياء منكشفة لديه، ثمّ إنّهم عليهم السلام لما كانوا مناراً أي نوراً وعقلاً كلّياً بالمعنى المتقدم، فلا محالة يهتدي بهم المهتدون في عالم الوجود من الملائكة والأنبياء، وساير البشر والموجودات.

والحاصل: أنّ المعنى الأوّل المتقدم أثر لهم عليهم السلام بلحاظ أنّهم العقل الكلّ والنور الإلهي كما لا يخفى، فهم عليهم السلام بلحاظ كونهم مناراً بهذا المعنى ينيرون لأهل البلاد، وهي الدنيا والأرض والأجساد والوجود بلحاظ سريانه في الموجودات، فهم عليهم السلام بهذا اللحاظ الوساطة الوحيدة بين الخالق جلّ جلاله والخلق بتمام مصاديقه.

وممّا ذكرنا يعلم أنّ المراد من البلاد لا يختص بالقرى والأرض ولو بلحاظ أهلها، بل يعمّ الأشياء والنفوس وحقائق الأشياء وصفاتها فإنّهم عليهم السلام قد رضيهم الله تعالى مناراً فيها على ما سمعت من المعنيين، رزقنا الله تعالى معرفتهم بمحمد وآله الطاهرين.

قوله عليه السلام: وأدلّاء على صراطه

أدلّاء جمع دليل، وقد تقدم في شرح قوله عليه السلام: والأدلّاء على مرضاة الله معنى كونهم عليهم السلام أدلّاء وفي شرح صراطه معنى كونهم عليهم السلام صراط الله فراجعه، إلّا أنّ الفرق بين هذه الجمل أنّ كونهم عليهم السلام أدلّاء على مرضاته يشار به إلى أنّ تحصيل حقيقة رضاه لا يكون إلّا بدلالتهم، فينحصر تحصيلها منهم عليهم السلام، وكونهم صراطه يشار به إلى أنّهم عليهم السلام نفس الصراط إليه تعالى لمن يسلك طريق الحق، وتقدم بيانه مشروحاً.

وأمّا كونهم عليهم السلام أدلّاء على صراطه يراد به أنّهم عليهم السلام يدلّون الخلق على هذا

الصراط بما له من المعاني المتعددة من الصراط العلمي والمعنوي والدنيوي والأخروي، فلا يكون غيرهم أدلّاء عليه.

وكيف كان فهم عليهم السلام أدلّاء على صراطه بتمام معاني الدلالة من الأدلّة العلمية والعملية والحالية والصفاتية، بل إنّ وجودهم عليهم السلام بجميع شؤونها أدلّاء على صراطه، والمراد من الصراط هنا هو المؤدّي إلى محبّته تعالى وإلى جنّته.

ففي معاني الأخبار[1]، قال: قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال: يقول: إرشدنا إلى الصراط المستقيم للزوم الطريق المؤدّي إلى محبتك والمبلغ إلى دينك (جنتك ن) والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب، أو نأخذ بآرائنا فنهلك، الحديث.

وتقدمت أحاديث كثيرة في شرح قوله: وصراطه، في بيان المراد من الصراط وأنّه أمير المؤمنين عليه السلام ولعلّ الطريق المؤدّي إلى محبّته هو في الظاهر ما عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير الآية كما في تفسير الصافي: يعني أدم لنا توفيقك الذي أطعناك به فيما مضى من أيامنا حتى نطيعك في مستقبل أعمارنا، الحديث، فحاصله هو طاعة الربّ في القيام بأوامره، واجتناب نواهيه، والتخلّق بآدابه على ما نهج لهم من دينه، وبيّن لعباده من معرفته من الأحكام الشرعية المبيّنة بلسان الشرع، وفي الباطن انّ الطريق هو النبي والإمام عليهما السلام كما علمت من تصريح كثير من الأخبار عليه.

ثمّ إنّ كونهم عليهم السلام أدلّاء على الصراط هو أنّهم عليهم السلام الطريق والصراط وهو على قسمين:

الأوّل: أنّهم الصراط والطريق بمعنى أنّهم طريق الله إلى خلقه، أي كلّما تعلّقت به الحكمة الأزلية والمشيئة الإلهية أن يصل منه تعالى إلى الخلق، فهو إنّما يصل منه تعالى إلى الخلق بواسطتهم، فهم طريق الله إلى الخلق.

---

١ ـ معاني الأخبار ص٢٩.

الثاني: أنّ طريق الخلق إلى الله تعالى هم عليهم السلام.

أمّا الأوّل: فيدلّ عليه عدّة من الأحاديث، منها:

ما في البحار عن إكمال الدين، قال الرضا عليه السلام: «نحن حجج الله في أرضه (في خلقه) وخلفاؤه في عباده وأُمناؤه على سرّه، ونحن كلمة التقوى والعروة الوثق، ونحن شهداء الله وأعلامه في بريّته بنا يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا، وبنا ينزل الغيث وينشر الرحمة، لا تخلو الأرض من قائم منّا ظاهراً وخافٍ، ولو خلت يوماً بغير حجة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله.

وفي تفسير نور الثقلين وعن أبي حمزة الثمالي قال: أتى الحسن البصري أبا جعفر عليه السلام وساق الحديث.. إلى أن قال: فقال: (أي أبو جعفر عليه السلام للحسن) أرأيت حيث يقول: ﴿**وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرًى ظاهرة وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين**﴾ يا حسن بلغني انّك أفتيت الناس فقلت: هي مكة، فقال أبو جعفر عليه السلام: فهل يقطع على من حجّ مكة وهل يخاف أهل مكة، وهل تذهب أموالهم فمتى يكونوا آمنين؟ بل فينا ضرب الله الأمثال في القرآن.

فنحن القرى التي بارك الله فيها، وذلك قول الله عزّ وجلّ فيمن أقرّ بفضلنا حيث أمرهم أن يأتونا فقال: ﴿**وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرًى ظاهرة**﴾ والقرى الظاهرة الرسل والنقلة عنّا إلى شيعتنا أو فقهاء شيعتنا، وقوله ﴿**وقدّرنا فيها السير**﴾ مثل للعلم ﴿**سيروا فيها ليالي وأياماً**﴾ مثل لما يسير من العلم في الليالي والأيام عنّا إليهم في الحلال والحرام والفرائض والأحكام ﴿**آمنين**﴾ فيها إذا أخذوا عن معدنها الذي أُمروا أن يأخذوا منه، آمنين من الشك والضلال، والنقلة من الحرام إلى الحلال؛ لأنّهم أخذوا العلم ممّن وجب لهم بأخذهم إيّاه عنهم المغفرة؛ لأنّهم أهل ميراث العلم من آدم إلى حيث انتهوا ذرية مصفّاة بعضها من بعض فلم ينته الاصطفاء إليكم بل إلينا انتهى ونحن، تلك الذرية المصفّاة لا أنت وأشباهك يا حسن، الحديث.

وتقدم مراراً قول أمير المؤمنين عليه السلام: نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا.

فيعلم من هذه الأحاديث وما شابهها أنّهم عليهم السلام باب الله في المدد والفيض منه تعالى إلى جميع خلقه في جميع شؤونهم من أصل وجودهم ولوازمه، ولم يجعل الله باباً منه تعالى لإفاضة الوجود إلى الخلق ولبيان معارفه وأحكامه، وما تحتاج إليه الخلائق والموجودات غيرهم، وسيأتي مزيد توضيح لهذا في شرح قوله عليه السلام: «مَن أراد الله بدأ بكم، ومَن وحّده قبل عنكم ومن قصده توجّه بكم».

والحاصل: أنّهم طرق الله إلى الخلق لا غيرهم، ثمّ إنّ المستفاد منها أنّهم طرق الله تعالى **تشريعاً وتكويناً**.

أمّا التشريعي: فظاهر من الآيات والأحاديث من نحو قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربّك﴾[1] وقوله: ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة﴾[2] وقوله تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾[3] وقوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾[4].

فالمستفاد منها أنّه تعالى جعلهم طرقه إلى الخلق بهم ومنهم يصل الشرع منه تعالى إلى الخلق.

وأمّا الأحاديث فلا تكاد تحصى وتقدم آنفاً بعضها.

والحاصل: أنّهم عليهم السلام الأبواب التي تصدر عنهم أوامر الله ونواهيه، وعزائمه ورخصه وإرادته ومعارفه وما أشبه ذلك؛ لأنّ جميع ذلك لا يكون إلّا عن مشيئته تعالى، وقد تقدم مراراً أنّهم عليهم السلام محل تلك المشيئة، ولعلّه إليه يشير الحديث القدسي:

---

١ ـ النحل: ١٢٥.
٢ ـ يوسف: ١٠٨.
٣ ـ الحشر: ٧.
٤ ـ النساء: ٥٩.

«لا تسعني أرضي ولا سمائي بل يسعني قلب عبدي المؤمن» ببيان أنّ النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام هم أكمل أفراد العباد المؤمنين، وانّ معنى قوله: «لا يسعني»، أي لا يسع ما سوى القلب المؤمن من الأرض والسماء إرادتي ومشيئتي، ومتعلّقاتها من أوامره ونواهيه وجميع ما يريده من عباده.

بل يسع هذه كلّها قلب محمد وآله الطاهرين، فقلوبهم(صلوات الله عليهم) تسع تلك الأُمور كلّها مع تكاليفها، التي يكون متعلّقها الموجودات الدنيوية والأُخروية وإنّما وسعت قلوبهم تلك الأُمور؛ لأنّها (أي قلوبهم الطاهرة) صدرت عنه تعالى، وخلقت من نور عظمته، ومن فاضل نوره، أو أنّ قلوبهم عليهم السلام عكوس نوره تعالى، وأنّها (أي القلوب) خلقت وصوّرت بنحو الجمع الشامل على صور هيئات عباده وخلقه، فهم النموذج الخلقي، والخلق كلّه تفاصيلهم وفروعهم.

ومن المعلوم أنّ الفرع يأخذ حكمه وعلمه وفيضه عن أصله، ثمّ إنّه لما لم يكن لقلوب غيرهم محلّ مشيئته تعالى، فلا محالة انحصرت قلوبهم في كونها أبواباً لمشيئة الله تعالى، كما لا يخفى.

فظهر أنّهم عليهم السلام صراطه وطرقه في خلقه إلى خلقه في التشريعيات.

وأمّا التكويني: أي كونهم الطريق التكويني له تعالى: فلما مرّ من أنّ قلوبهم أوعية لمشيئة الله، ومن المعلوم أنّ جميع الموجودات إنّما توجد بالمشيئة كما في الحديث: إنّ الله تعالى خلق الأشياء بالمشيئة، وخلق المشيئة بنفسها، أي أنّها مخلوقة ابتداء، وتقدم أيضاً قوله عليه السلام طي الزيارة: «إرادة الربّ في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم»، وتقدم شرحها.

فالمستفاد أنّهم عليهم السلام الطريق إليه تكويناً، أي أنّ التكوينيات خلقت من طريقهم كما لا يخفى، فهم كالعلل الفاعلية للأشياء، والله العالم بحقائق الأُمور.

الثاني: أي أنّ طريق الخلق إلى الله تعالى هم عليهم السلام فبيانه: أنّ هذا يكون على قسمين:

القسم الأوّل: أنّهم عليهم السلام الطرق إلى الله تعالى بالإرشاد والهداية، وبيان الأحكام والمعارف الشرعية، وهذا أوضح من أن يخفى على أحد، وقد دلّت عليه الآيات والأحاديث الكثيرة، وقد تقدم بعضها آنفاً.

القسم الثاني: أنّهم عليهم السلام الطرق إلى الله تعالى للخلق، أي لا يصل أحد من الخلق إليه تعالى إلّا بهم، فهم الطريق التكويني للخلق إليه تعالى لا العلمي فقط، وحاصله:

أنّه تعالى كما جعلهم طرق الخلق علماً ومعارفاً إليه تعالى، كذلك جعلهم طرقاً للخلق إليه تعالى حالاً وتكويناً، وسيجيء في شرح قوله عليه السلام: «من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجّه بكم أي من أراد أن يسير إلى الله بدء بالسير فيكم وبكم» وسيأتي تفصيله: وهذا يقرب بوجوه: **الأوّل**: أنّ الاعتقاد بولايتهم عليهم السلام وإطاعتهم ومحبّتهم هو الطريق لكلّ أحد في وصوله إلى محبته تعالى، وجنّته وقربه والفوز بما لديه، وإنّما تصدر أعمال الخلائق إلى الله تعالى إذا كانت جارية على سنّتهم وطريقهم، وكانت مأخوذة عنهم عليهم السلام بالتسليم لهم والردّ إليهم فيما اختلفوا، كلّ ذلك بقبول ولايتهم والتبري من أعدائهم وأنّ يوالوا من والوا ويعادوا من عادوا، ويعادوا أعداءَهم يدلّ على هذا عدة من الأخبار تقدم بعضها، ونحن نذكر بعضها تبرّكاً.

ففي الكافي[1]، باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾ ولايتنا أهل البيت، وأهوى بيده إلى صدره، فمن لم يتولّنا لم يرفع الله له عملاً.

وفي البحار[2]، عن أمالي المفيد بإسناده عن العلا، عن محمد عن أحدهما عليهما السلام قال: قلت له: إنّا نرى الرجل من المخالفين عليكم له عبادة واجتهاد وخشوع، فهل ينفعه ذلك شيئاً؟ فقال: يا محمد إنّما مثلنا أهل البيت مثل أهل بيت كانوا في بني إسرائيل، وكان لا يجتهد أحد منهم أربعين ليلة إلّا دعا فأجيب، وانّ رجلاً منهم

---

١ ـ الكافي ج ١ ص ٤٣٠.
٢ ـ البحار ج ٢٧، ص ١٩١.

اجتهد أربعين ليلة ثمّ دعا فلم يستجب له، فأتى عيسى بن مريم عليه السلام يشكو إليه ما هو فيه ويسأله الدعاء له فتطهّر عيسى وصلّى ثمّ دعا فأُوحي إليه:

يا عيسى إنّ عبدي أتاني من غير الباب الذي أُوتي منه، إنّه دعاني وفي قلبه شك منك، فلو دعاني حتى ينقطع عنقه، وتنتشر أنامله ما استجبت له، فالتفت عيسى عليه السلام فقال: تدعو ربّك وفي قلبك شك من نبيّه؟ فقال: يا روح الله وكلمته قد كان والله ما قلت، فاسأل الله أن يذهب به عنّي، فدعا له عيسى عليه السلام فتقبّل الله منه وصار في حدّ أهل بيته، لذلك نحن أهل البيت لا يقبل الله عمل عبد وهو يشك فينا.

أقول: ومثله كثير جدّاً، بل ربّما ادّعي أنّه أكثر من ألف حديث بهذا المعنى، ويعلم من هذه الأحاديث أنّهم هم الطرق للخلق إليه تعالى، بمعنى أنّ الاعتقاد بولايتهم طريق الخلق إليه تعالى في الوصول إلى الدرجات وقبول الأعمال كما لا يخفى.

الثاني: أنّهم عليهم السلام طرق الخلق إلى الله تعالى حالاً، وحاصله: أنّ قد تقدم مراراً أنّهم عليهم السلام حقائق الأسماء الحسنى الإلهية، ولا ريب في أنّ الأسماء الحسنى لها دخالة تامة في وجود الأشياء، وفي بلوغها إلى كمالها، كما يستفاد ذلك من قوله عليه السلام في الدعاء: «وبأسمائك التي ملأت أركان كلّ شيء» وقال عليه السلام في حديث خلق الأسماء الذي تقدم شرحه: «لفاقة الخلق إليها» أي لاحتياج الخلق إليها في شؤونها احتياجاً تكوينياً، وأيضاً من المعلوم أنّ الحقائق القرآنية من معارفها التوحيدية والأخلاقية إنّما تكون في صدورهم عليهم السلام بمعنى أنّهم عليهم السلام هم حقائقها لقوله تعالى: ﴿ **بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أُوتوا العلم** ﴾[1] وتقدم أنّها في صدورهم أي أنّ صدورهم تلك الحقائق.

وحينئذٍ نقول: لا ريب في أنّ الوصول إلى التوحيد والمعارف الإلهية، والتوجه إليه تعالى وعبادته إنّما هو بروح العبد المؤمن، وأنّ روحه لا يكاد يصل إلى تلك

---

١ ـ العنكبوت: ٤٩.

الأمور إلّا باشتماله على تلك الأسماء، وتلك الصفات الحميدة، ولا ريب في أنّ تلك الأسماء وتلك الصفات الحميدة تكون بنحو الأتم الأكمل عندهم عليهم السلام بل هم تلك كما لا يخفى، فيحنئذ كلّ روح من المؤمنين اشتمل على تلك الأسماء والصفات يمكنه الوصول إلى تلك الأُمور الإلهية وحيث إنّ تلك الأسماء والصفات عندهم فلا محالة من اتصل بهم اتصالاً معنوياً بأن منحوا عليهم السلام له من تلك الأسماء والصفات يمكّنه الوصول إلى الدرجات العلى وإلّا فلا.

فظهر أنّهم عليهم السلام هم الطريق الحقيقي الواقعي الاسمي والصفاتي والحالي إلى الله تعالى للخلق، ولعلّ إليه يشير ما في الصلوات المروية لأيام شعبان المعظم من قوله عليه السلام: «واجعله لي طريقاً إليك مهيعاً» أي اجعل النبي صلى الله عليه وآله نفسه طريقاً مبسوطاً إليك، فجعل نفس النبي صلى الله عليه وآله طريقاً إليه تعالى للداعي، ومن المعلوم أنّه صلى الله عليه وآله إنّما يكون طريقاً إليه تعالى، إذا اتصل العبد به اتصالاً معنوياً، بأن اتصف بصفاته صلى الله عليه وآله وبأسمائه الحقيقية القائمة بنفسه الشريفة كما لا يخفى.

ولعلّ إلى هذا يشير ما مرّ مراراً ما في الكافي عن عمار الساباطي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير * هم درجات عند الله** ﴾ فقال: الذين اتبعوا رضوان الله هم الأئمة عليهم السلام وهم والله يا عمار درجات للمؤمنين، وبولايتهم ومعرفتهم إيّانا يضاعف الله لهم أعمالهم، ويرفع الله لهم الدرجات العلى.

فقوله عليه السلام: وهم والله يا عمار درجات للمؤمنين، ظاهر فيما قلنا، فإنّ كونهم عليهم السلام درجات لهم إنّما هو بظهورهم بحقائقهم النورانية، التي هي حقائق الأسماء الإلهية، وحقائق الصفات الحميدة في قلوب المؤمنين، واتصاف قلوب المؤمنين بتلك الأنوار. ولعلّ قوله عليه السلام في حديث أبي خالد الكابلي من قوله: «وهم والله ينوّرون قلوب المؤمنين»، يشير إلى ما ذكرنا أيضاً.

والحاصل: أنّ العقائد الحقّة والأسماء الحسنى الإلهية والصفات الحميدة،

والحالات العبودية بوجوداتها الواقعية، إنّما هي قائمة بهم عليهم السلام فمن اتصف بها بأن تبعهم عليهم السلام وجعلهم طريقه في هذه الأُمور إلى الله تعالى فلا محالة يصل إليه تعالى.

ومن المعلوم أنّ هذا لا يكون إلّا بأن تترشح تلك الأمور منهم عليهم السلام إليه، وهذا يحتاج إلى كمال الانقياد إليهم وكمال الخشوع لديهم، قال عليه السلام كما تقدم: «أجمل الأمر ما استأهل أحد النظر من الله إليه إلّا بالعبودية لنا» أي بالخشوع والخضوع لنا، ويحتاج إلى محبّتهم، وإلى أن تحنّ القلوب إليهم، بل إلى موضع أقدامهم كما علمت قوله عليه السلام في إذن الدخول: «واجعل أرواحنا تحنّ إلى موضع أقدامهم».

وهذا كلّه يرجع إلى كمال المتابعة لهم في الظاهر والباطن، أمّا في الظاهر فاتّباع أوامرهم واجتناب نواهيهم، وأمّا في الباطن فبالاتصاف بصفاتهم، وبجعل الإرادة والأهواء تبعاً لهم كما حكي هذا عن بعضهم بالنسبة إليهم عليهم السلام وإذا تحققت هذه الأُمور بالنسبة إلى أحد فلا محالة يسيّرونه إليه تعالى بحقيقتهم كما لا يخفى.

ثمّ إنّ المتراءى من معجزاتهم عليهم السلام أنّهم قد تصرّفوا في كثير من الناس، فصاروا من الكملين والمحبّين لهم عليهم السلام ولهذا قصص وحكايات لعلّنا نذكر بعضها إن شاء الله، وأيضاً نرى أنّ من تبعهم حق المتابعة، وصل إلى ما لم يصل غيره، وإن بلغ من العلم ما بلغ، ولقد سمعت من بعض المحدّثين أنّ سلمان عليه السلام كان لا يهوى إلّا ما هواه علي عليه السلام فبلغت متابعته له عليه السلام إلى هذا بحيث صار هواه تكويناً تبعاً لهواه عليه السلام ونحن نسأل الله تعالى هذا التوفيق والمتابعة لهم بمحمد وآله الطاهرين.

فظهر ممّا ذكر أنّهم عليهم السلام الطرق إليه تعالى، بمعنى أنّهم طريق الله إلى الخلق، وطريق الخلق إليه تعالى، فهم بقول مطلق الطرق إلى الله تعالى للخلق إليه، وللحقّ إلى الخلق، كما علمت.

الثالث: الذي يقرب به كونهم عليهم السلام طريق الخلق إلى الله تعالى: أنّهم عليهم السلام كلمات الله تعالى في عالم الوجود، وتوضيحه بعد ذكر أحاديث الباب، فنقول:

في البحار[١]، عن مناقب آل أبي طالب وتحف العقول والاحتجاج، سأل يحيى ابن أكثم أبا الحسن العالمعليه السلام عن قوله: سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله، ما هي؟ فقال: هي عين الكبريت، وعين اليمن، وعين البرهوت، وعين الطبرية، وحمة ماسيدان وحمة افريقية، وعين باحوران، ونحن الكلمات، التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى.

وفيه عن تفسير القمي: لا تبديل لكلمات الله، أي لا تغيّر للإمامة.

وفيه عن تفسير القمي، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفرعليه السلام: فإن يشاء الله يختم على قلبك، قال: لو افتريت ﴿ويمحُ الله الباطل﴾[٢] يعني يبطله ﴿ويحقُّ الحقَّ بكلماته﴾[٣] يعني بالأئمة والقائم من آل محمدعليهم السلام.

وفيه عن أمالي ابن الشيخ، عن أبي جعفر، عن آبائهعليهم السلام قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: إنّ الله عهد إليَّ عهداً، فقلت: ربّ بيّنه لي، قال: اسمع قلت: سمعت، قال: يا محمد إنّ عليّاً راية الهدى بعدك، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، فمن أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني، فبشّره بذلك.

وفيه عن تفسير العياشي، عن جابر قال: سألت أبا جعفرعليه السلام عن تفسير هذه الآية في قول الله: ﴿ ويريد الله أن يحقّ الحقّ بكلماته ويقطعَ دابر الكافرين ﴾ وساق الحديث إلى أن قال: وأمّا قوله: بكلماته، قال: كلماته في الباطن علي هو كلمة الله في الباطن، الحديث.

وفيه عن مناقب آل أبي طالب، عن الصادقعليه السلام في قوله تعالى: ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنّهم لهم المنصورون ﴾ قال: نحن هم.

وفي المحكي عن منتخب البصائر، عن عليعليه السلام أنّه قال: أنا كلمة الله التي يجمع بها

---

١ ـ البحار ج ٢٤، ص ١٧٤.

٢ ـ الشورى : ٢٤.

٣ ـ الشورى : ٢٤.

المتفرّق، ويفرّق بها المجتمع.

أقول: قد تقدم الشرح في موارد كثيرة أنّهم عليهم السلام قد أُطلقت عليهم الكلمة مطلقة، أو مضافة إليه تعالى، أو موصوفة بالتامات كما في الزيارات: السلام على الكلمة التامة.

وأمّا وجه اطلاقها عليهم عليهم السلام ففي مقدمة تفسير البرهان قال شيخنا العلّامة رحمه الله في بيان أنّهم عليهم السلام كلمة التقوى وما بمعناها اطلاقها عليهم عليهم السلام امّا باعتبار أنّهم عليهم السلام كلمات الله يعبّرون عن مراد الله، كما أنّ الكلمات تعبرّ عمّا في الضمير.. الخ.

أقول: في المجمع: التكليم التجريح، أي أنّ الكلام بالمعنى المصدري هو المؤثر في المخاطب، كما أنّ التجريح يؤثر في المجروح، وتأثير الكلام عبارة عن دلالتها على أمر يقع في ذهن المخاطب بحيث يؤثر فيه بالانتقاش فيه والعلم به بواسطة هذا الكلام، فكل أمر كان له هذا الأثر يصحّ اطلاق الكلام عليه.

ومن المعلوم أنّ الموجودات بأجمعها تؤثر في الناظر إليها بنظر الاعتبار أمراً وهو قدرته تعالى وعلمه وحكمته وعظمته، فبهذا الاعتبار صحّ إطلاق الكلمات عليها، ومن المعلوم انّها مختلفة في هذا التأثير، فكلّ موجود كان تأثيرة فيما ذكر من العلم والحكم وغيرهما أتمّ كان من الكلمات التامة.

ومن المعلوم أنّ محمداً وآله الطاهرين بشراشر وجودهم وبظاهرهم وباطنهم يكون لهم هذا التأثير، فلهم التأثير في العلم بالبيان، وفي العظمة بإظهارها بالمعجزات، وبالبيان أيضاً، وهكذا بالنسبة إلى القدرة، وفي الحكمة بالبيان والإظهار بها لأهلها كما لا يخفى، فهم حينئذ أحسن مصداق للكلمات التامات الإلهية، مضافاً إلى أنّهم مظاهر له تعالى، وحقائق للأسماء الحسنى كما مرّ مراراً، فلا محالة هم بحقيقة ما هم عليه من مقام الإمام والولاية الكلّية الإلهية الكلمات التامات؛ ولذا فسّر في بعض التفاسير الكلمة بإمامتهم، كما لا يخفى على المراجع.

فحينئذٍ ظهر أنّهم عليهم السلام طرق الخلق إليه تعالى، إذ لا يصل عبد إليه تعالى بأيّ

معنىً كان للوصل إلّا بكلماته تعالى، أي إلّا بما يؤثر فيه (أي في العبد) علمه وحكمته، وعظمته ومعرفته تعالى وهي (أي تلك الكلمات) بما هي كذلك ليست إلّا ذواتهم المقدسة (صلوات الله عليهم أجمعين) والحمد لله ربّ العالمين.

قوله عليه السلام: عصمكم الله من الزلل

أقول: قد تقدم في شرح قوله عليه السلام: المعصومون، معنى العصمة، ومعنى كونهم عليهم السلام معصومين بما له من الكلام، فراجعه.

وتقدم أنّ العصمة عبارة عن قوة عقلهم عليهم السلام واستمدادهم من الأنوار الإلهية من حيث لا يغلبون بالأهواء، وليس معنى العصمة أنّ الله تعالى أجبرهم على ترك المعاصي، بل هي عبارة عن لطف منه تعالى منحه لهم، فبه يتركون المعاصي اختياراً مع قدرتهم عليها، وذلك اللطف هو قوة العقل والأنوار الإلهية المشار إليها، والمنصوص عليها في الاخبار المتقدم من قوله عليه السلام في بيانه: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن.

وكيف كان فالعصمة لغة هو المنع، وفي الاصطلاح كما قيل: هو اللطف المانع للمكلّف من ترك الواجبات وفعل المحرّمات، يفعله الله به (أي بالمعصوم) غير مانع من القدرة على المعصية.

قيل: وهذا يتمّ على القول بعدم دخول الإرادة في مفهوم القدرة، وإلّا فلو كانت الإرادة داخلة في مفهومها وقلنا: انّ العصمة هي لطف تمنع المكلّف عن ترك الواجبات.. الخ، بمعنى أنّها تمنعه عن إرادة المعصية، فلازمه أنّ العصمة توجب سلب القدرة عن المكلّف على المعاصي وهو كما ترى؛ لاستلزامه رفع التكليف، وأن لا يستحق ثواباً ولا عقاباً؛ لأنّ المعصوم حينئذٍ مجبول على الطاعة بالإجبار، وهذا خلاف ضرورة الدين.

وحينئذٍ فالحق أنّ الإرادة غير داخلة في مفهوم القدرة، بل الإرادة تتعلّق

بالفعل وجوداً وعدماً في ظرف كون المكلّف قادراً، هذا وقد قيل: إنّ العصمة تستلزم أُموراً أربعة:

الأوّل: صدق القول.

الثاني: حسن الفعل.

الثالث: حفظ الحقوق.

الرابع: حفظ نظم المعاش والمعاد عمّا يؤدّي إلى الباطل الموجب لفساد المعاش والمعاد.

وقيل: عصمتهم عليهم السلام هي طهارتهم الأصلية وأنفسهم القدسية؛ لكونهم مخلوقين من نور الله، ومؤيّدين بروح القدس، وكونهم في شدة الصفاء في القلوب والعزم على الطاعة.

أقول: يرجع هذا إلى ما ذكرنا من قوة العقل، وشدة الذكاء المانع من الاقتحام في المعصية ذاتاً، ولا يرغب مَن هذا صفته في المعصية اختياراً كما لا يخفى.

وقيل: العصمة اسم للمرتبة التي لا يرى العبد المتصف بها في نفسه إلّا الله؛ بحيث يرى موته وحياته وانقطاعه منه تعالى، فهو فانٍ عن نفسه باقٍ بربّه، ويكون تعالى سمعه وبصره ويده ولسانه وإرادته وهكذا، فمن كان كذلك كيف يقدم على المعصية، ولو كان في منتهى القدرة على المعصية، بل هو حينئذٍ متنزّه عنها، بحيث يقذّر المعصية ذاتاً، ويتنفّر منها كما لا يخفى.

وتمام الكلام قد تقدم في شرح قوله عليه السلام: المعصومون، فراجعه.

وأمّا الزلل: في المجمع: الزلل وهو الخطأ والذنب.. إلى أن قال: والمزلة موضع الخطر، والمزلة (بكسر الزاء وفتحها) بمعنى المزلقة أي موضع تزلق فيه الأقدام.. إلى أن قال: وزلّت النعل زلقت وزلّ عن مكانه الخ.

أقول: قد تقدم كونهم عليهم السلام معصومين ولكن لما كان الظاهر منه كونهم عليهم السلام معصومين من المعاصي، وهي ما يصدر من الإنسان عن علم بكونه معصية، وهذا

لا ينافي صدور ما هو خلاف الواقع، إذا صدر عن جهل، فلا يكون معصية، وإن كان فيه نقص خصوصاً ممّن كان له منصب الإمامة، فذكر عليه السلام هنا أنّه تعالى عصمهم من الزلل بما لها من المعاني التي نذكرها إن شاء الله، لا أنّهم معصومون من خصوص المعاصي كما لا يخفى.

وكيف كان فنقول: انّه تعالى قد عصمهم من الزلل بما لها من المعاني وهي أُمور، وقد علمت أنّ الزلل بمعنى الذنب والخطإ.

أمّا الذنب: فبالنسبة إلى المعاصي، وقد علمت أنّهم عليهم السلام معصومون عن المعاصي، وتقدم الكلام فيه مفصّلاً.

وأمّا الخطأ: فهو قد يكون في القول المعبرّ عنه بالكذب، وهو على أقسام:

منها: الإخبار عن نفسه بما ليس بحق في الواقع، وهو إمّا عن جهل بالواقع بأن أثبت لنفسه ما لم يكن له وكان جاهلاً بالواقع، وإمّا عن علم وهو أقبحها كمن علم أنّه ليس واجداً لشرائط منصب وادّعى واجديته لها.

ثمّ الأوّل على قسمين:

- ما يخبر عن نفسه بما ليس له، ويعلم بالفطرة أنّه ليس له، ولكن مع ذلك جهله بالتغير الحاصل في خلقه من عروض الكفر والصفات الرذيلة، وهذا كما أخبر الله تعالى عن المنافقين حيث ﴿قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾، فهذه الشهادة شهادتهم بالفطرة، بمعنى أنّ فطرتهم لو خليت مع قطع النظر عمّا عرض لها من الكفر والنفاق والصفات المذمومة تشهد بأنّه صلى الله عليه وآله رسول الله، لكون رسالته صلى الله عليه وآله مطابقة لما فطرت عليه العقول، إلّا أنّ العقول قد تكون سليمة أي غير مشوبة بالشك الحاصل من الكفر والنفاق والحجاب والصفات الرذيلة فتشهد بها موقنة.

وقد تكون غير سليمة، فبمقتضى حقيقتها الأولية تشهد بها، وبمقتضى الحالة العارضة لها تجحدها، ولعلّه إليه يشير قوله تعالى: ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها

أنفسهم﴾[1] أي أنكروا بها ظاهراً لما منعتهم الصفات الرذيلة العارضة لهم، واستيقنتها أنفسهم بلحاظ فطرتهم الأولية.

والحاصل: قولهم: ﴿**نشهد إنك لرسول الله**﴾، يكون شهادة بالفطرة ﴿**والله يعلم إنك لرسوله**﴾ هذا هو الواقع، ﴿**والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون**﴾ فقد كذّبهم الله تعالى في شهادتهم بما هو المطابق للواقع، وإنّما كذّبهم الله من جهة تغيرهم الفطرة بالأعراض الدنيوية والكفر والصفات الرذيلة، ولهذا الكلام شرح يطول بيانه يذكر في التفسير.

● ما تقدم من أنّه يعلم أنّ ما أخبر به عن نفسه ليس له، فهو كاذب بالفطرة وبالعقيدة، هذا وحينئذٍ معنى أنّه تعالى عصمهم من الزلل بهذه المعاني أنّه تعالى عصمهم أن يخبروا عن أنفسهم بما ليس لهم من الله تعالى بهذه الأقسام الثلاثة، ويدل بالملازمة علىٰ أنّ فطرتهم السليمة التي خلقت على التوحيد لم يغيروها بما لا ينبغي صدوره منهم عليهم السلام بل هم سالمون مطهّرون ظاهراً وباطناً، فما أخبروا عن أنفسهم الشريفة، فإنّما هو مطابق للواقع حيث إنّهم عليهم السلام لا ينطقون عن الهوى بل إنّ هو إلا وحيٍ يوحى وهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

وقد يكون الخطأ في الاعتقادات وهو على أقسام، وذلك بأن يعتقد ما يخالف الواقع ونفس الأمر، فلا محالة يكون المعتقد (بالفتح) باطلاً لعدمه في الوجود، وهذا الاعتقاد بالخلاف قد يكون بعد الاعتقاد بالحق والواقع، أو بعد العلم به عن المدارك الشرعية الصحيحة، إلّا أنّه تكبّر وحسد بشيء من اعراض الدنيا، أعتقد خلافه الباطل، وقد يكون قبل الاعتقاد بالحق؛ لكونه بعد لم يوفق لقبول الحق، أو أنّه قصّر في قبوله، أو أنّه اتبع هواه بما صدّه عن قبول الحق، أو أنّه كان غير مبالٍ في التفحّص عن الحق وقبوله، فوقع في الاعتقاد الباطل.

---

١ ـ النمل: ١٤.

ففي جميع هذه الصور يكون اعتقاده المخالف للواقع افتراء على الله تعالى بالكذب، ثمّ إنّ في جميع هذه الصور قد يكون افتراؤه بالاعتقاد المخالف للواقع، أو يكون بالقول بأن يقول: الأمر كذا في هذه الصور فإنّه أيضاً افتراء قولي يحكي عن الاعتقاد، أو يكون بالاستناد بأن أسند إلى الله ما لم يكن مستنداً إليه في الواقع بنحو يحكي عن العقيدة.

ففي جميع هذه الصور يكون قد افترى على الله تعالى، وقد يكون الخطأ في النسبة والإسناد، وذلك في كلّ موضع يثبت سبباً في الوجود بذاته، كما لو قال: أنا أفعل، ولم يقل: بالله أو إن شاء الله، ففي الفرض قد أسند الفعل إلى نفسه، مع أنّ كل شيء ما سوى الله انّما هو موجود بالله سواء كان موجوداً بدون النسبة أو مع النسبة؛ وذلك لقوله عليه السلام: «يأمن كلّ شيء موجود به» وقولهم عليهم السلام في المتواتر عنهم عليهم السلام: «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين» ففي هذه المواضع أيضاً افتراء وخطأ.

فقوله عليه السلام: «عصمكم الله من الزلل» بهذه المعاني في الاعتقادات معناه أنّه تعالى قد عصمهم عليهم السلام عن أن يعتقدوا خلاف ما في الواقع ونفس الأمر وما هو كان في الصعق الربوبي ممّا هو من الاعتقادات الحقّة في الأصول والضروريات الدينية والفروع، وكذا بالنسبة إلى الموجودات، والنسب الخارجية في الموجودات من الأفعال والحوادث الواقعة، فإنّهم عليهم السلام يعتقدون بها وجوداً ونسبة بنحو ما هو الواقع الثابت منه تعالى، كيف لا وهم عليهم السلام محقّقوا الحقائق ومظاهر التجلّيات الربوبية فالحق في جميع مصاديقه الأُصولي والضروري والفروعي مأخوذ منهم، وهم فيها مظاهر لما تلقّوها منه تعالى، كما علمته ممّا سبق من الأحاديث الواردة في مقام ولايتهم وعلمهم وقربهم إليه تعالى.

وقد يكون الخطأ في الأفعال، وهذا أيضاً على أقسام، وذلك إمّا بأن يفعل شيئاً بما هو من الشرع، مع أنّه ليس ما أمره الله تعالى على لسان الشرع، فحينئذٍ مع العلم بالمخالفة فلا ريب في أنّه تشريع محرّم ففعله خطأ وذنب، وقد يكون خطأ فعله

لأجل تقليده ممّن لا يصح تقليده، أو عمل على رأيه مستقلاً، ولم يكن مجتهداً ولا محتاطاً، أو عمل بالظن غير المعتبر شرعاً، نعم لو كان معتبراً فلا يبعد عدم صدق الخطإ حينئذٍ لحجيّة ظنّه، وقد يكون فعله ممّا يعمّ به البلوى من أحداث أُمور لمنافع الناس، ولكن كان جاهلاً بتكليفه شرعاً فيها ففي مثله لا يبعد تحقق الخطإ، وإنّه غير معذور فيما فعله.

نعم في مفروض الأعمال إذا كانت مسائله من المسائل النادرة وقوعاً، وممّا يدق دليله وتحصيل دليله من الشرع، سواء كان من المعتقدات أو من الأعمال، كما في الأمور المستحدثة، التي يصعب استخراجه من الأصول الفقهية، فلا يبعد فيها قبول العذر، وعدم صدق الخطإ فتأمّل، وقد يكون الخطأ في الأحوال، وذلك بأن يكسب صفة وحالاً يعتقد أنّها مرضية للشرع، مع أنّها ليست منه، وقد يكون الخطأ في الحال بأن يعتقد أنّه متصف بالصدق أو الأمانة أو العبودية، مع أنّها ليست كما قرر في الشرع وبيّن فيه.

والحاصل: أنّه يظن أنّ تلك الصفات التي اتصف بها صفات شرعية، مع أنّها ليست كذلك، وخطأه يكون في ظنّه وتشخيصه واعتقاده أنّها مشروعة، وقد يكون الخطأ في الأحوال، بمعنى أنّه أمر مثلاً بالاستقامة في العبادة، ولم يستقم، وظنّ أنّه استقام أو أمر بالخشية القلبية في مقام الرهبة والدعاء ولم يخشَ، أو أنّه التفتَ إلى أمر أثّر فيه حالاً مع أنّه أمر بترك الالتفات إليه كما في الالتفات إلى زخارف الدنيا ومناظرها ومناصبها بحيث تؤثر فيه حبّها، ومن الخطإ فضول الكلام فيما ليس محرّماً، وإلّا فهو الخطأ في القول، مع أنّه ذنب كما عرفت، ومنه فضول الطعام والأفكار والأنظار والحركات، التي لا طائل لها، بل جميع فضول الأشياء يكون من الخطإ، نعم للأولياء، وقد يكون الزلل في التقصير في التبليغ والأداء، وفي التقصير في الاحتذاء والمشي على كلّ ما جرى عليه نظام الإيجاد والوجود وانتظام الموجود.

ومحصّل القول: إنّ كلّ ما ليس مراداً له سبحانه بالذات أو بالعرض.

وبعبارة أخرى: ما ليس مراداً له تعالى بالتحريم أو بالمرجوحية، أو كان ممّا لا ينبغي صدوره ممّن كان من المقرّبين يكون صدوره من الخطإ سواء كان عن قصد وعلم أو بلا علم وبلا قصد، فيما كان التقصير في مقدماته على ما فصّل في محلّه وفصّلناه في الجملة، فجميعه من الزلل بقول مطلق.

إذا علمت هذا فاعلم: أنّه تعالى قد عصم محمداً وآل محمد عليهم السلام من تلك الزلل الظاهرية والباطنية والحالية والعلمية والعملية والقولية، وما في الضمائر من الاعتقادات الباطلة، والتأثير من الاحتمالات والموهومات المؤثرة في القلب، والحاجبة عن مشاهدة الحق، وكذلك عصمهم الله تعالى من صفة الإنكار الحاصل من الشكوك، ومن نفس الشكوك والجهل والغفلة والسهو والتكلّف في الأمور، والدعاوى الباطلة أي بغير حق، والنسيان والفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وعلمت أيضاً أنّه تعالى عصمهم من المعاصي كبيرها وصغيرها، بل ومن التساهل فيما يراد منهم، أو التماهل فيما يراد تعجيله، بل علمت أنّ أعمالهم فيما يراد منهم تكون طبق إرادة الله ووفق مشيئته كلّ على طبق محبّته، والوجه في ذلك كلّه أنّه تعالى جعل أرواحهم من نور عظمته، وهو تعالى يفيض عليهم من الإمدادات النورية؛ وذلك لحسن قابليتهم عليهم السلام لذلك ولسعتها وقوتها بنحو انكشف بتلك الإمدادات تلك الظلمات من قلوبهم.

كيف لا وقد علمت فيما تقدم أنّ قلوبهم عليهم السلام محال فعله تعالى، ولا فعل لهم عليهم السلام إلّا بفعله تعالى، لأنّهم عليهم السلام مظاهر توحيد الذات والصفات والأفعال كما تقدم شرحه. وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى﴾[1] وعلمت فيما سبق أنّهم عليهم السلام كالحديدة المحماة فإنّها كما لا تحرق إلّا بما ظهر فيها من آثار النار وفعلها، بل المحرق حقيقة هو النار الظاهرة فيها وبفعلها الظاهرة في الحديدة، فليست الحديدة إلّا مظهراً للنار ولآثارها، وإن اسند فعل الإحراق إلى الحديدة

---

١ ـ الأنفال: ١٧.

ظاهراً إلّا أنّ الاحراق في الواقع مستند إلى حرارة النار بل إلى النار كما لا يخفى.

فكذلك إنّ أفعال الأئمة عليهم السلام وصفاتهم وحقيقتهم ليست إلّا آثار ذاته تعالى وصفاتهوأفعاله، قد ظهرت كلّها فيهم عليهم السلام وكلّ ذلك لفنائهم عليهم السلام عن أنفسهم الشريفة وبقائهم بربّهم في جميع شؤونهم.

والحاصل: أنّ حقيقة ما هم عليه من النور الإلهي القائم به تعالى بحيث، يكون ظهوره تعالى بهم وفيهم، هو حقيقة عصمتهم من الزلل بتمام المعاني المتقدمة من الأُصول والفروع بلا استثناء.

ولعمري إنّ هذه العصمة الكبرى ممّا تختص بهم عليهم السلام بحيث لم يتصف بها حتى الأنبياء السابقون، فالأنبياء وإن كانوا معصومين من المعاصي إلّا أنّ قلوبهم لم تكن بمثابة قلوب محمد وآله الطاهرين من الأئمة والصديقة الكبرى (سلام الله عليهم أجمعين وروحي لهم الفداء) فلا محالة لا تكون الأمور الواقعة مكشوفة لهم كما هي هي، قال تعالى: ﴿ **تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض** ﴾[1].

ولا ريب في أنّ التفضيل إنّما هو بلحاظ ملاك التفضيل، وهو راجع إلى ظهور حقائق المعارف لديهم، وقد ظهرت كلّها في قلوب محمد وآله الطاهرين دون قلوب سائر الأنبياء كما لا يخفى.

ولهذا الكلام مجال واسع، وحيث إنّي لستُ من أهل التحقيق فيها تركته مخافة الزلّة، والله العالم والحمد لله ربّ العالمين.

قوله عليه السلام: وآمنكم من الفتن

في المجمع: قال تعالى: ﴿ **لهم الأمن** ﴾ أي الأمان، إلى أن قال: والأمان عدم الخوف، وهذا الأمان لازم لعصمتهم عليهم السلام في الحقيقة أنّه تعالى لمّا خلقهم من نوره،

---

١ ـ البقرة: ٢٥٣.

فقد جعلهم في هذا الاسم الإلهي أي مقام الأمن وفي حديث رفاعة: يا رفاعة أتدري لم سمّي المؤمن مؤمناً؟ قال: لا أدري، قال: لأنّه يؤمن على الله فيجيز أمانه، والمؤمن من أسمائه تعالى سمّي الله تعالى به؛ لأنّه يؤمن من عذابه من أطاعه.

فقوله عليه السلام: «آمنكم» أي أنتم ممّن أجاز الله تعالى أمانه، أي قبله وجعله في مقام الأمن في قوله تعالى: ﴿أُولئك لهم الأمن﴾[1] وهو في مطلق الأمور الدنيوية والأخروية إلّا أنّ في هذه الجملة خصيصة بالأمن من الفتن.

وكيف كان فقد آمنكم الله تعالى من الفتن وهو جمع فتنة، وهي تطلق على أمور يصح أن يراد من قوله عليه السلام من الفتن بعضها دون بعض، ونحن نذكرها ونشير إلى ما يصحّ ممّا لا يصح أن يراد منها فنقول:

في المجمع: والفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصله من فتنتُ الفضة إذا أدخلتها في النار لتتميّز.. إلى أن قال: الفتنة تكون من الله ومن الخلق، وتكون في الدين والدنيا كالارتداد والمعاصي والبلية والمصيبة والقتل والعذاب ويقال: فتنة عمياء صماء، أي لا يُرى منها مخرج، والمراد بها صاحبها يقع فيها على غير بصيرة، فيعمون فيها ويصمّون عن تأمّل الحق واستماع النصح.

وفي المحكي عن القاموس: الفتن الإحراق بالنار، ومنه على النار يفتنون، والفتنة (بالكسر) الحيرة كالمفتون، وإعجابك بالشيء يقال: فتنه يفتنه فتناً وفتوناً وأفتنه.

وفيه: والفتنة الضلال والإثم والكفر والفضيحة، والعذاب والجنون والمحنة، واختلاف الناس في الآراء، وفتنه يفتنه أوقعه في الفتنة كفتنه وأفتنه فهو مفتن ومفتون ووقع فيه لازم ومتعدّ كافتتن فيهما (**أقول**: أي ان فتنه) وأفتنه يقع في الصفتين اللازم والمتعدّي أي يستعملان لازماً ومتعدياً.

---

١ ـ الأنعام: ٨٢.

فنقول: من المعاني لها الضلال والهداية معاً كقوله تعالى: **﴿إن هي إلّا فتنتك تُضل بها من تشاء وتهدي من تشاء﴾**[١] كذا قيل.

وفيه: أنّ المراد (والله العالم) من الفتنة في الآية هو ما جعله الله تعالى في السامري امتحاناً لهم، فضّل به قوم باتباعهم السامري وهدي به آخرون بأن لم يتبعوه، ولكن يمكن أن يقال: انّ المراد من قوله: **﴿إنّ هي إلّا فتنتك﴾**[٢] أي أنّ مجموع ما عملته في السامري المعبّر عنه بالفتنة هو عبارة عن الضلال والهداية الصادرتين منك في بني إسرائيل، فتأمّل.

وكيف كان فلا ريب في أنّ الفتنة بهذا المعنى بلحاظ شمولها للضلال قد آمنهم الله تعالى منها.

ومنها: الاختيار والتخليص كقوله تعالى: **﴿وفتنّاك فتوناً﴾**[٣] قال في المجمع: أي خلّصناك من الغش والشر اخلاصاً، والفتنة بهذا المعنى يصدق عليهم مثبتاً لا منفياً كما لا يخفى، لأنّه تعالى قد خلّصهم من الغش والشر اخلاصاً كما دلّت عليه آية التطهير، فلا محالة لا يراد من الفتن من قوله عليه السلام: وآمنكم من الفتن، بهذا المعنى كما لا يخفى.

ومنها: الاختبار، قال تعالى: **﴿ألم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون﴾**[٤] أي لا يختبرون، وهذا أيضاً لا يراد بلحاظ المعنى؛ لأنهم عليهم السلام قد اختبرهم الله بما يناسبهم وهو أنّ امتحانهم عليهم السلام لإظهار مقامهم لغيرهم، لا للامتحان بلحاظ ظهور أحوالهم لأنفسهم الشريفة كما لا يخفى.

وكيف كان فما كان من الفتن مذموماً فهو منفي عنهم عليهم السلام وقد عصمهم الله تعالى

١ـ الأعراف: ١٥٥.

٢ـ الأعراف: ١٥٥.

٣ـ طه: ٤٠.

٤ـ العنكبوت: ١ ـ ٢.

منها، وما كان ممدوحاً ولايقاً بشأنهم فهو ثابت لهم، فالفتنة بمعنى الكفر والشرك والجنون والإيقاع في المآثم وأمثالها فهو منفي عنهم عليهم السلام لما تقدم.

قوله عليه السلام: «وطهّركم من الدنس، وأذهب عنكم الرجس أهل البيت وطهّركم تطهيراً».

أقول: الكلام يقع في أمور:

الأوّل: في معنى طهّر ومعنى تطهيراً، فنقول:

قال في المجمع: وطهرت المرأة من الحيض من باب قتل، وفي لغة: من باب قرب أي نقيتُ والتطهّر التنزّه والكفّ عن الاثم، وقال فيه: وفي الحديث ذكر الطهارة وهي مصدر قولك: طهّر الشيء (فتحاً وضماً) بمعنى النزاهة، ومنه ثياب طاهرة، وقوم يتطهّرون أي يتنزّهون.

وفيه: قوله: ﴿وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً﴾ أي طاهراً نظيفاً يطهّر من توضأ منه واغتسل من جنابة.

أقول: فعلى هذا فالطهارة هي النقاوة والتنزّه والتخليص والنظافة، وهذه أُمور تحصل بسبب أمر عمّا يضادها، أي أنّ النقاوة والتنزّه وغيرهما ممّا ذكر تحصل بسبب كالماء أو التوبة أو الطاعة مثلاً عمّا يضادها من الأرجاس والأنجاس والخبائث والمعاصي، وغيرها من المعايب والنقائص الظاهرية والباطنية.

وبعبارة أخرى: أنّ من الأمور ما يستخبث ويعبّر عنه بالنجاسات والأقذار، وهي إمّا تعرض في الأعيان الخارجية كالنجاسات والأوساخ العارضة لها، وإمّا تعرض في الأقوال والأفعال كالمعاصي المتحققة بها، وإمّا تعرض في القلوب، وهي على أقسام سنتعرّض لها إن شاء الله.

فاستعمال الطهارة في جميع هذه الأُمور يكون بنحو الحقيقة، وقد يُكنّى ببعضها عن بعض كما في قوله تعالى: ﴿ وثيابك فطهّر ﴾[1]، قال في المجمع: أي عملك فأصلح

١ ـ المدثر: ٤.

أو قصّر، أو لا تلبسها على فخر وكبر. وقيل: معناه اغسل ثيابك بالماء. وقيل: كنّى بالثياب عن القلب. وقيل: معناه لا تكن غادراً فإنّ الغادر دنس الثياب.

قوله: ﴿فيه رجال يحبّون أن يتطهّروا والله يحبّ المطهّرين﴾[1].

قيل: المراد الطهارة من الذنوب، والأكثر أنّها الطهارة من النجاسات.

قيل: نزلت في أهل قبا روي ذلك عن الباقر والصادق عليهما السلام وروى أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لهم: ما تفعلون في طهّركم، فإنّ الله قد أحسن عليكم الثناء؟ فقالوا: نغسل أثر الغائط بالماء.. الخ.

أقول: وأنت إذا علمت حقيقة الطهارة وموارد استعمالها بنحو الضابط الكلّي، تعلم المراد من موارد الاستعمال من حيث الطهارة الحاصلة في القلب أو الأعمال أو الأعيان، ثمّ إنّ قوله عليه السلام فيما يأتي: «وطهّركم تطهيراً»، يشير إلى أنّه تعالى قد طهّرهم بالطهاره الكاملة وحاصله: أنّ المراد من الطهارة الحاصلة لهم عليهم السلام هو الطهارة بتمام معانيها من الحاصلة في القلوب والأفعال والأعيان، أي الأبدان والثياب مثلاً، إلّا أنّ الأخير لم يكن مقصوداً من الكلام كما لا يخفى.

وكيف كان فالمفعول المطلق (أعني قوله: تطهيراً) يستفاد منه حصول الطهارة الكاملة لهم عليهم السلام وحاصله: أنّ الطهارة في الظاهر قد تكون رافعة للنجاسة الظاهرية دون الحدثية، كما لو غسل الجنب يده من النجاسة الظاهرية، وقد تكون ـ الطهارة تزيل صورة الخبث دون حقيقتها كما لو غسل يده المتنجسة بالبول بالماء القليل من دون التطهير الشرعي بان غسله مرة، أو تزيل حكم النجاسة دون لونها كما لو غسل الثوب المتنجس بالدم بحيث طهّر شرعاً وبقي لونه المعفو عنه، أو غسله بحيث أزال لون النجاسة وجرمها ولكن بقيت رائحتها (أي رائحة الدم) مثلاً.

وقد تكون الطهارة مبيحة غير رافعة للحدث كالتيمم في ضيق الوقت، وقد تكون رافعة للحدث غير كاملة كما لو توضأ ولم يقرأ الدعوات المأثورة للوضوء،

---

١ ـ التوبة: ١٠٨.

فقد ورد أنّه لا يطهّر منه إلّا الأعضاء المغسولة، وقد تكون كاملة كما لو قرأها ولم تكن مزيلة لبعض الأوساخ غير المانعة، كما لو توضأ مع الأدعية، وعليه الأوساخ، التي لا تكون مانعة للصلاة هذا كلّه في الطهارة الظاهرية، وكذلك تكون الطهاره الباطنية بلحاظ الكفر والشك والإنكار والوسوسة والوقف القلبي، والنسيان والغفلة والسهو والتقصير والقصور، أو عدم الرضا والجهل والتردد والالتفات، فإنّ القلوب قد تكون طاهرة من جميعها، وقد تكون طاهرة من بعضها، فقوله تعالى ﴿ ويُطهّركم تطهيراً ﴾[1] يراد منه أنّه تعالى قد طهّر قلوبهم عليهم السلام عن جميعها، كما يأتي بيانه.

فظهر أنّ الطهاره الظاهرية كما أنّها تكون ذات مراتب، فكذلك الباطنية تكون ذات مراتب، فالله تعالى قد طهّرهم عليهم السلام عن جميعها. ثمّ إنّ معنى الدنس الذي طهّرهم الله عنه كما في المجمع:

أصل الدنس الوسخ، يقال: دنس الثوب يدنس دنساً: توسّخ. وتدنّس مثله، ودنّسه غيره تدنيساً.

وأما أقسامه فمنها: دنس النسب من الزنا أو النكاح بغير طيب النفس، أو بالمهر الحرام، أو المشتبه، ومن الدنس الملحق بالزنا ما ورد: أنّ ولد الزنا لا يطهّر إلى سبعة آباء، أي إلى الأولاد المتأخرين من ولد الزنا هذا، وكيف كان فقد طهّرهم من الدنس بهذا المعنى، وورد فيهم عليهم السلام: لم تدنّسكم الجاهلية الجهلاء.

وفي الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان، وخلق الأنوار، وخلق نور الأنوار الذي نوّرت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره، الذي نوّرت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعليّاً، فلم يزالا نورين أزليين، إذ لا شيء كوّن قبلهما فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب

---

١ ـ الأحزاب: ٣٣.

الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب.

وفي الوافي عن من لا يحضره الفقيه، عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّ آدم ولد له شيث، وأنّ اسمه هبة الله، وهو أوّل وصي أوصى إليه من الآدميين في الأرض، ثمّ ولد له بعد شيث يافث، فلمّا أدرك أراد الله أن يبلغ بالنسل ما ترون، وأن يكون ما جرى به القلم من تحريم ما حرّم الله من الأخوات على الاخوة، أنزل الله بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها نزلة، فأمر الله عزّ وجلّ آدم أن يزوّجها من شيث فزوّجها منه، ثمّ أنزل بعد العصر من الغد الحوراء من الجنة واسمها منزلة فأمر الله عزّ وجلّ آدم أن يزوّجها من يافث فزوّجها منه فولدت لشيث غلاماً، وولد يافث جارية.

فأمر الله سبحانه آدم حين أدركا أنّ يزوّج ابنة يافث من ابن شيث، ففعل، وولدت الصفوة من النبيين والمرسلين من نسلهما، ومعاذ الله أن يكون ذلك على ما قالوا من أمر الاخوة والأخوات.

وورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**وتقلّبك في الساجدين**﴾[1] يعني في أصلاب النبيين وأرحام نسائهم.

وفي تفسير نور الثقلين وفي مجمع البيان قيل: معناه وتقلّبك في أصلاب الموحّدين من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً، عن ابن عباس في رواية عطا وعكرمة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: في أصلاب النبيين نبي بعد نبي حتى أخرجه من صلب أبيه عن نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام.

وفي سفينة البحار[2]، في مادة كفن وفي إرشاد المفيد أنّه سأل السندي بن شاهك موسى بن جعفر عليه السلام: أن يأذن له أن يكفّنه فأبى عليه السلام وقال: «إنّا أهل بيت مهور نسائنا وحج صرورتنا وأكفان موتانا من طهرة أموالنا، وعندي كفني» فظهر من هذه

---

١ ـ الشعراء: ٢١٩.

٢ ـ سفينة البحار ج٢ ص٤٨٦.

الأحاديث أنّهم عليهم السلام ولدوا من الآباء والأُمّهات الطاهرات، ولم يلحقهم دنس في الولادة بتمام معناه، لا في أصل النسب، ولا من جهة الشبهة في المهر أو غير ذلك كما لا يخفى.

ومنها: الدنس الذي يلحق العقل والنفس والجسم في أُمور المعارف والمعتقدات والأحوال والأعمال والأقوال، أمّا الدنس في العقل فعمدته الشك في التوحيد والمعارف.

ففيه، عن تفسير العياشي، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل في بيان آية التطهير وفي آخره، ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: الرجس هو الشك والله لا نشكّ في ديننا أبداً. والرجس كما سيجيء بيانه قريباً هو الدنس والوسخ المعنوي كما لا يخفى، فقلوبهم عليهم السلام مطهّرة عن الشك.

وفي النهج في خطبة له عليه السلام: ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أنّي لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط. الخطبة.

وكيف كان فالريب والشك ونحوهما منفي عن قلوبهم، بل هي مقر لليقين والاستقامة والثبات، والطمأنينة والسكينة والوقار. ومن هنا يعلم طهارتهم عليهم السلام عن النكس في القلب حيث إنّه من آثار الشرك.

ففي الكافي في باب القلب عن أبي جعفر عليه السلام قال: القلوب أربعة: قلب فيه نفاق وإيمان، وقلب منكوس، وقلب مطبوع، وقلب أزهر أجرد. فقلت: ما الأزهر؟ قال: فيه كهيئة السراج، قال: فامّا المطبوع فقلب المنافق، وأمّا الأزهر فقلب المؤمن، إن أعطاه شكر، وإن ابتلاه صبر، وأمّا المنكوس فقلب المشرك ثمّ قرأ هذه الآية ﴿**أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمّن يمشي سوياً على صراط مستقيم**﴾ وأمّا القلب الذي فيه إيمان ونفاق فهم قوم كانوا بالطائف إن أدرك أحدهم أجله على نفاقه هلك، وإن أدرك على ايمانه نجا.

هذا بالنسبة إلى أرواحهم وعقولهم عليهم السلام وأمّا الدنس في النفس فلا ريب في أنّ

نفوسهم عليهم السلام أحسن مصداق لقوله تعالى: ﴿ **يا أيّتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربّك** ﴾[١]، فالصفات الرذيلة منفية عن نفوسهم، بل هي مطهّرة عن الجهل والغفلة والنسيان، كما دلّت عليه الروايات، التي دلّت على أنّ لهم الروح القدس، الذي لا ينام ولا يسهو ولا يغفل وقد تقدمت، فنفوسهم الشريفة تحت ظلّ عقولهم الكاملة مقر العلم والحفظ والتذكّر والخيالات الحسنة.

وأمّا الدنس في الجسم الذي هو محل الأعمال وقيامها به على اختلافها فلا ريب في أنّ أعمالهم كلّها حسنة، وإن كانت من مثل مباشرة النساء، فإنّها كما يرضاه الربّ، بل علمت فيما تقدم أنّ عمدة أعمالهم في العبادات فهم عليهم السلام غير تاركين للأعمال الصالحة من المستحبات فضلاً عن الواجبات، إلّا في بعض الموارد لبيان الجواز الذي هو من التبليغ والإرشاد فهم عليهم السلام عاملون بما أمرهم الله تعالى بدون استقلال ولا طلب الراحة كما لا يخفى على من تتبع أحوالهم عليهم السلام.

ثمّ إنّه لما كانت قلوبهم قد نفى عنها الشك والريب، فلا محالة ليس لهم التردد في الأمور مطلقاً فهم عليهم السلام في حال اليقين والبصيرة، فلا يترددون أبداً بين الحق والباطل كما يكون لغيرهم؛ ولذا نرى غيرهم ممّن هو متردّد ربّما مال إلى الباطل ولو جهلاً بالأمور كما لا يخفى.

وكيف كان فجميع آثار الشك منفي عنهم لنفي منشئه وهو الشك، ومن هنا يعلم أنّهم عليهم السلام ليس لهم توقف في الأمور والمعارف لتوقف القلب.

بيانه: أنّه يستفاد من الأحاديث أنّ توقف القلب في الأُمور ربّما يعبّر عنه بالسهو، وذلك أنّه ربّما تمرّ على القلب ساعات يكون القلب فيها واقفاً وهو سهوه، ولعلّ هذا الحال هو ملال القلب، ففي النهج: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة.

---

١ ـ الفجر: ٢٧ ـ ٢٨.

ويشير إلى هذا الوقف القلبي ما في الكافي عن الشحام قال: زاملت أبا عبد الله عليه السلام قال: فقال لي: اِقرأ، فافتتحت سورة من القرآن فقرأتها فرقّ وبكى، ثمّ قال: يا أبا أُسامة ارعوا قلوبكم بذكر الله تعالى واحذروا النكت، فإنّه يأتي على القلب تارات أو ساعات الشك من صباح ليس فيها إيمان ولا كفر شبه الخرقة البالية أو العظم النخر. يا أبا أسامة أليس ربّما تفقدت قلبك فلا تذكر به خيراً ولا شرّاً، ولا تدري أين هو، قال: قلت له: بلى إنّه ليصيبني وأراه يصيب الناس، قال: أجل ليس يعرى منه أحد.

قال: فإذا كان ذلك فاذكروا الله تعالى واحذروا النكت، فإنّه إذا أراد بعبد خيراً نكت إيماناً، وإذا أراد به غير ذلك نكت غير ذلك، قال: قلت: وما غير ذلك جُعلت فداك ما هو؟ قال: إذا أراد كفراً نكت كفراً.

قوله عليه السلام: واحذروا النكت، ربّما يقرأ بالثاء المثلثة بمعنى نقض العهد، أي عهد الايمان، وقد يقرأ (كما في بعض النسخ) بالمثناة، فالمراد احذروا نكت الكفر كما صرّح في الحديث ولعلّه أظهر.

ومثله غيره من الأخبار.

وكيف كان فالكلام في بيان سبب هذا الوقف القلبي، ثمّ في بيان ما يزيله، فنقول: أمّا السبب قد يكون لأجل حبّ الدنيا وكثرة ذكرها، بحيث ترى محبّ الدنيا يذكر الله تعالى بما ورد من الأدعية لغرض دنيوي أو بداعٍ مادي، فهذا الذكر وإن كان حسناً إلّا أنّه لا يوجب صفاء القلب لخبث الداعي والغرض، فحينئذٍ يكون القلب باقياً على محجوبيته، فربّما ظهرت آثاره من الوقف، بل ومن الشك والتردد في الدين، ـ نعوذ بالله تعالى منه ـ وهذا بخلاف الذكر الإلهي، قال عليه السلام في النهج: أمّا بعد فإنّه سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب، تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة..

وقد يكون السبب له كثرة الاشتغال بما لا يعنيه، وأمثال ذلك من كلّ ما ليس لله

تعالى، وقد يكون السبب ممارسة أهل الباطل والمعصية الذين قد ران على قلوبهم آثار الكفر والمعاصي، فيتلطّخ قلبه من ظلمهم وباطلهم وإنكار للحق، ولا أقلّ من الوقف في الأمور والحقائق، وقد يكون السبب ـ والعياذ بالله ـ ائتلافه في عالم الذر مع أرواح المخالفين بحيث أثّر فيه حال الوقف في الأمور أو الحق.

فظهر ممّا ذكر أنّ وقف القلوب مختلف حسب اختلاف أسبابها في القلب، فربّما وقف بين الكفر والإيمان، وربّما وقف دون ذلك في الضروريات الدينية، أو بعض الأحكام، أو بعض الأمور ممّا لا يوجب كفراً.

وكيف كان فالمراد من الوقف أنّه ربّما ينكت في قلبه، أي يحصل بعد الوقف ميله الذاتي إلى الايمان، فينكت فيه ما اقتضاه وجوده بميله من الإيمان بمراتبه أو ببعضها، حسب ما تقتضيه ذاته وميله بتذكير الله تعالى له من المعارف والبراهين، التي توجب ذلك كمّاً من المراتب وكيفاً من اليقين والاستقامة، وربّما يحصل بعد الوقف ميله الذاتي إلى الكفر فينكت فيه (أي في قلبه) الكفر؛ لميله ذلك وعدم ترجيحه الإيمان على الكفر، لعدم تذكير الله تعالى له بما يوجب الايمان حسب ما يراه تعالى من المصلحة، وما يراه تعالى جزاءً له لسوء فعله.

والحاصل: أنّ الوقف هو تساوي الحالين المذكورين، والنكت هو ترجيحه أحد الأمرين بعده من الكفر والإيمان، والوقف هو تساوي الطرفين دون ظهور الترجيح لأحدهما، وبهذا يفترق عن الشك إذ هو عبارة عن استقلال الميل لكلّ من الطرفين مع قطع النظر عن الآخر بحيث كلّ منهما يعمل عمله، فيحصل الشك والترديد، وهذا بخلاف الوقف المعبّر عنه بالسهو القلبي أيضاً فهو حالة السكون القلبي الذي يشبه الغفلة.

وبعبارة أُخرى: أنّ الشاك متوجّه إلى تردده، ومنشإ شكّه، فهو في ريب ونقل وانتقال تارة إلى هذا الميل والموجب، وأخرى إلى الأخرى، وهذا بخلاف الوقف حالة السكون والسهو وما يشبه الغفلة كما لا يخفى.

فظهر ممّا ذكر أنّ للقلب أحوالاً:

الأوّل: حال الثبات والمحض على الإيمان كما هو حال أولياء الله الوارد في حقّهم: أنّهم كالجبل الراسخ، ونحوه الأوصاف المذكورة لهم في محلّه، أو المحض على الكفر كما هو حال الكفار والمنافقين الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿**وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون**﴾[١] وبقوله: ﴿**سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون**﴾[٢] وبقوله: ﴿**لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم**﴾[٣] وقد فسّرت حالاتهم في تفسير تلك الآيات كما لا يخفى.

الثاني: حال الشك وهو الاستقلال النفسي في أعمال ميله بدون الاستقرار على أحد الطرفين.

الثالث: حال الوقف وهو حال ميله الذاتي إلى الخير وإلى الشرّ بدون صفة الفعل، أي بدون ترجيح لأحدهما، بل يكون الميل إليهما متساوياً غير مؤثر للترجيح والعمل القلبي من قبول أحدهما، وهذا هو الحال الذي لا يُذكر به خير ولا شرّ ترجيحاً وعملاً، بل لا يدري أين هو كما في الحديث، والتعبير عن هذا الحال بالوقف بحسب الظاهر، وإلّا ففي الحقيقة هو ميل ذاتي خالٍ عن الانبعاث الفعلي أي باعث فعلي، بحيث يبعث الجوارح أو الجنان والجوانح على الفعل، بل هو ميل ذاتي إلى الوقف عنهما كما لا يخفى.

أقول: وربّما يطلق وقف القلب على ما يعرض للأولياء الكملين، وهو عبارة عن سجود القلب بين يدي الله تعالى، وتحت العرش عرش العظمة والكبرياء والجبروت الظاهرة في قلوبهم، والمراد من سجوده هو خضوعه لديه وفناؤه عن النفس وفناؤه في الربّ بالمعنى المتقدم، وهو رؤيته كل جمال وكمال فيه تعالى فقط.

---

١ ـ التوبة: ٨٧.

٢ ـ البقرة: ٦.

٣ ـ الشعراء: ٢٠١.

ولعمري إنّ هذا الحال هو أقوى وأحسن حال القلوب، وحقيقته أنّه (أي قلب هذا الولي) حينئذٍ لا يشعر بنفسه ولا بغيره تعالى؛ لاستغراقه في رؤية جماله وجلاله ـ رزقنا الله تعالى ذلك بمحمّد وآله الطاهرين ـ وهذا الحال أسرع حال للسير إليه تعالى كما لا يخفى وقد حقّق في محلّه.

وأمّا الكلام في بيان ما يزيل هذا الوقف المذموم، فهو أن يكون الإنسان مراعياً لقلبه بالتوجّه إليه تعالى وبذكره؛ ولعلّه إليه يشير قوله ﷺ في الحديث المتقدّم «ارعوا قلوبكم بذكر الله»، وتقدّم قول أمير المؤمنين ﷺ: «أمّا بعد فإنّه سبحانه جعل الذكر صفاء للقلوب» الحديث. وأحسن ذكر للّه تعالى هو القرآن، قال تعالى: ﴿ **ونُنزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾[1]، وقد ذكر علماء الأخلاق في بيان ما يوجب تنوّر القلب ما يفيد في المقام، فينبغي الرجوع إليه ومن الدنس الطبع على القلب، وذلك إذا عمل المعاصي عن علم فيوجب ذلك سواداً في القلب.

ففي الوافي[2] عن الكافي، عن أبي جعفر ﷺ قال: ما من عبد إلّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في القلب نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطّي البياض، فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله تعالى: ﴿ **كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾[3].

وفي حديث بعد ما ذكر ما يقارب هذا قال ﷺ: فلا يفلح بعدها أبداً.

أقول: ولعلّ قوله تعالى: ﴿ **بل طبع الله عليها بكفرهم** ﴾[4] يشير إلى هذا الرين الحاصل للعبد المذنب الموجب للكفر والله العالم.

---

١ ـ الإسراء: ٨٢.

٢ ـ الوافي: ج ١، ص ١٦٧، باب غوائل الذنوب.

٣ ـ المطففين: ١٤.

٤ ـ النساء: ١٥٥.

وكيف كان فالله تعالى قد طهّر قلوبهم المطهّرة عن هذا الدنس، كما لا يخفى، ومن الدنس، نكس القلب وهو من آثار الشرك.

ففي الكافي في حديث عن أبي جعفر عليه السلام.. إلى أن قال عليه السلام: وأمّا القلب المنكوس فقلب المشرك، وجه كون قلبه منكوساً أنّ القلب إذا استضاء بنور العقل صار متعالياً وسما في العلو، وأمّا إذا دخل فيه الجهل بما هو ظلمة كما علمته سابقاً، فلا محالة توجب ظلمته نكساً له؛ لأنّه حينئذٍ ناظر إلى نفسه وإلى الجهة السفلى؛ لأنّ عدم العلو هو السفل للقلب، ولعلّه إليه يشير قوله تعالى: ﴿**ناكسوا رؤوسهم عند ربّهم**﴾[1] فإنّه لمّا أنكر الحقّ فلم يرفع رأسه إليه تعالى فلا محالة يكون ناكساً إلى نفسه أو إلى السفل والله العالم.

هذا وقد طهّرهم الله تعالى عن هذا أيضاً؛ لما تقدّم مراراً من أنّ أرواحهم وقلوبهم عليهم السلام مظهر للتوحيد كما علمته فيما تقدّم.

ومن الدنس القلوب التي فيها نفاق وإيمان، بيانه: أنّ الدنس القلبي المعبّر عنه بالنفاق له مراتب، فربّما بلغ مرتبة الكفر الذي لا يجامع أي مرتبة من الإيمان، ولو كانت ضعيفة، وربّما يكون بمرتبة يجامع مع بعض مراتب الإيمان، ولكن بحيث له أثر في القلب من الظلمة والمشي على المعاصي، فحينئذٍ يكون صاحبه في خطر عظيم.

قال الصادق عليه السلام في بيان أقسام القلب: وأمّا القلب الذي فيه إيمان ونفاق فهم قوم كانوا بالطائف، إن أدرك أجله أحدهم على نفاقه هلك، وإن أدركه على إيمانه نجا.

أقول: لأنّ الأجل يأتي بما يكون القلب عليه من حال الكفر أو الإيمان كما حقّق في علم الأخلاق.

وكيف كان فهذا القلب الذي فيه نفاق هو قلب المنافق بماله من المراتب، فإنّ النفاق أيضاً ذو مراتب، ولعلّ هؤلاء هم المعارون في الإيمان.

---

١ ـ السجدة: ١٢.

في البحار[1]، عن الكافي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ العبد يصبح مؤمناً ويمسي كافراً ويصبح كافراً، ويمسي مؤمناً، وقوم يعارون الإيمان ثمّ يسلبونه ويسمّون المعارين، ثمّ قال: فلان منهم.

وفيه، عن رجال الكشي، عن عيسى شلقان قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام وهو يومئذٍ غلام قبل أوان بلوغه: جعلت فداك، ما هذا الذي يسمع من أبيك أنّه أمرنا بولاية أبي الخطّاب ثمّ أمرنا بالبراءة منه؟ قال: قال أبو الحسن عليه السلام من تلقاء نفسه: إنّ الله خلق الأنبياء على النبوّة فلا يكونون إلّا أنبياء، وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلّا مؤمنين، واستودع قوماً إيماناً فإن شاء أتمّه وإن شاء سلبهم إيّاه، وإنّ أبا الخطاب كان ممّن أعاره الله الايمان فلمّا كذب على أبي سلبه الله الإيمان، قال: عرضت هذا الكلام على أبي عبدالله عليه السلام قال: فقال: لو سألتنا عن ذلك ما كان ليكون عندنا غير ما قال.

أقول: فيعلم من هذا الحديث أنّ المراد من فلان في الحديث السابق عن الكافي هو أبو الخطّاب.

وكيف كان فالنفاق البالغ مرتبة الكفر، فقد ظهر ممّا تقدّم أنّه تعالى قد طهّرهم منه، وأمّا الذي يجامع مع الإيمان ومع بعض مراتبه فهذا أيضاً دنس للقلب؛ لأنّه بهذا اللحاظ في خطر السقوط.

والحاصل: أنّ القلب الذي فيه إيمان وكفر يكون بمقدار فيه الكفر ملوّثاً وهو دنس له، والله تعالى قد طهّر قلوبهم عليهم السلام عن هذا النحو من الدنس أيضاً، فلا يكون في قلوبهم إلّا الإيمان المحض.

ومن الدنس وسوسة القلب وحديث النفس، بما ربّما يوجب الخروج عن الحقّ والدين، وسببه أنّ القلب على حسب الغالب يكون فيه بحسب الذات ما يوجب المشي على طبق الحقّ والواقع، حيث إنّه تعالى خلقه على فطرة التوحيد كما

---

١ ـ البحار ج ٦٩ ص ٢٢٥.

تقدّمت الأحاديث المصرّحة به سابقاً، وإليه يشير قوله ﷺ في حديث أبي عبدالله عليه السلام كما في الكافي[١] من قوله عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق الناس كلّهم على الفطرة، التي فطرهم عليها، لا يعرفون إيماناً بشريعة ولا كفراً بجحود، ثمّ بعث الله الرسل تدعوا العباد إلى الإيمان به، فمنهم من هدى الله، ومنهم من لم يهده الله» ويكون فيه أيضاً بحسب ماهيّته حيث إنّه لولا التفضّل الإلهي يكون مظلماً، فينفخ فيه الشيطان من الأمر بالشرور بالوسوسة، فربّما تستحكم فيه الأوهام الباطلة، التي ليست لها حقيقة، ولا قرار لها في القلب، ولم تتعلّق بأمر الله تعالى من طاعته وذكره ومعرفته ومعرفة صفاته، ولعلّه إلى هذين الحالين يشير ما في الكافي[٢]، عن حمّاد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما من قلب إلّا وله أُذنان على إحداهما ملك مرشد، وعلى الأخرى شيطان مفتن، هذا يأمره وهذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصي، والملك يزجره عنها، وهو قول الله عزّ وجل: **﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد﴾**[٣].

وكيف كان فالمستفاد من هذه الأحاديث أنّه ربّما تختلج في القلب هذه الوساوس، فربّما توجب الوسوسة أنّ يذهب القلب إلى حدوث القديم تعالى، أو إلى قدم الحادث، أو إلى فسق الأنبياء ـ والعياذ بالله ـ أو إنكار الضروريات، أو إلى أنواع السفسطة، وربّما تستحكم تلك الأوهام في القلوب حتى تحصل لصاحبها في حال الصلاة والعبادات، وهذه الأوهام ربّما تعرض للمؤمن فيتألّم منها، ويتوهّم أنّها تضرّ باعتقاده ويكون علاجها: الالتفات إلى ذكر الله والإعراض عنها.

ففي الكافي[٤]، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء رجل إلى

---

١ ـ الكافي ج٢، ص٤١٧.
٢ ـ الكافي ج٢، ص٢٢٦.
٣ ـ سورة ق: ١٧ ـ ١٨.
٤ ـ الكافي ج٢، ص٤٢٥.

النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله هلكت، فقال صلى الله عليه وآله: «أتاك الخبيث» فقال لك: «من خلقك»؟ فقلت: الله، فقال لك: الله من خلقه؟ فقال: إي والذي بعثك بالحقّ لكان كذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ذاك والله محض الإيمان.

قال ابن أبي عمير: فحدّثت بذلك عبدالرحمن بن الحجاج، فقال: حدّثني أبي، عن أبي عبدالله عليه السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما عنى بقوله هذا «والله محض الإيمان» خوفه أن يكون قد هلك، حيث عرض له ذلك في قلبه.

وفيه[1]، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: إنّه يقع في قلبي أمر عظيم فقال: قل: لا إله إلّا الله، قال جميل: فكلّما وقع في قلبي شيء، قلت: لا إله إلّا الله، فيذهب عنّي.

وفي حديث عليّ بن مهزيار عن الجواد عليه السلام.. إلى أن قال: فقال عليه السلام: والذي نفسي بيده، إنّ ذلك تصريح الإيمان، فإذا وجدتموه فقولوا: آمنّا بالله ورسوله، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

وكيف كان فالمستفاد من هذه الأحاديث أنّ تلك الوساوس ممّا تعرض للمؤمن، وعلاجها ما ذكر، وعلى أي حال هو دنس للقلب خصوصاً إذا كان باقياً في القلب، عصمنا الله منها كما عصم أولياءه، هذا وقد طهّرهم الله تعالى عنه أيضاً.

ومن الدنس عروض الغفلات في العبادات الفعلية والقولية من المناجاة، فإنّها أيضاً دنس للقلب حين العبادة، وقد طهّرهم الله تعالى عنها، كما تدلّ عليه الأحاديث الواردة في حالاتهم في العبادات الحاكية عن كمال توجههم عليهم السلام إليه تعالى، كما لا يخفى على المتتبّع لآثارهم عليهم السلام.

وحاصل الكلام: أنّه تعالى لمّا خلقهم أنواراً من نور عظمته، ومنحهم الروح القدس، الذي لا يسهو ولا يغفل، والذي به علموا الأشياء كما مرّ مراراً، فلا محالة هم عليهم السلام دائماً في حال التوجّه والإخلاص والإقبال إليه تعالى، فلا تعرض لهم تلك النقائص الدنسية لا على عقولهم ولا على أرواحهم ونفوسهم وطبائعهم، بل ولا

---

١ ـ الكافي ج ٢، ص ٤٢٤.

على موادهم وصورهم الخلقية كما حقّق في محله، كيف وهم أحسن مصداق لقوله تعالى: ﴿ **عباد مكرمون ۞ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾[١] ولقوله: ﴿ **ومَن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون** ﴾[٢] وقد تقدّم شرحهما فراجعهما، فإنّه مفيد للختام.

هذا وقد عبّر عن النبيّ ﷺ بالسراج المنير في قوله تعالى: ﴿ **وسراجاً منيراً** ﴾[٣] ﴿ **وسراجاً وهّاجاً** ﴾[٤] أي ليس فيه شيء من الظلمة، هذا وقد مدحه الله تعالى بقوله: ﴿ **إنّك لعلى خلق عظيم** ﴾[٥] والحمد لله ربّ العالمين.

وأمّا قوله ﷺ: «وأذهب عنكم الرجس أهل البيت وطهّركم تطهيراً» فنقول في المجمع: قوله تعالى: ﴿ **كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** ﴾[٦] أي اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة، قوله تعالى: ﴿ **فزادتهم رجساً إلى رجسهم** ﴾[٧] أي نتناً إلى نتنهم، والنتن عبارة عن الكفر أي كفراً إلى كفرهم... إلى أن قال: والرجس والرجز واحد وهو العذاب.. إلى أن قال: قيل: الرجس (بالكسر) القذر، وقيل: العقاب والغضب.

إلى أن قال: قوله: ﴿ **إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس** ﴾[٨] أي الأعمال القبيحة والمآثم. والرجس لطخ الشيطان ووسوسته، وقوله تعالى: ﴿ **ليذهب عنكم الرجس** ﴾ أي رجس الشيطان قال بعضهم: الرجس هو اسم لكلّ ما يستقذر من عمل.. إلى أن قال: والشكّ في الدين، أي أنّ الرجس فسّر بالشكّ كما سيأتي حديثه.

---

١ ـ الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧.
٢ ـ الأنبياء: ١٩.
٣ ـ الأحزاب: ٤٦.
٤ ـ النبأ: ١٣.
٥ ـ القلم: ٤.
٦ ـ الأنعام: ١٢٥.
٧ ـ التوبة: ١٢٥.
٨ ـ الأحزاب: ٣٣.

أقول: الظاهر أنّ الرجس هو ما يستقذر من الأمور الظاهرية أو الباطنيّة.

أمّا الظاهرية: فظاهر فيطلق على كلّ نجس، وكلّ ما يعده العرف قذراً، بل في المحكيّ عن الشيخ في التهذيب: إنّ الرجس هو النجس بلا خلاف، ولذا حمل قوله تعالى: ﴿إنّماالخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾[1] على أنّ المراد من الرجس فيها النجس، وقد علمت أنّه بمعنى القذر وهو عام كما لا يخفى.

وأمّا الباطنية: فله مصاديق كثيرة من الصفات الرذيلة، وأهمّها الكفر، إلّا أنّه فسّر الرجس في آية التطهير بالشكّ.

ففي غاية المرام عن محمّد بن يعقوب بإسناده عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام وساق الحديث.. إلى أن قال في بيان آية التطهير وقال عليه السلام: «الرجس هو الشكّ، والله لا نشكّ في ربّنا أبداً».

وكيف كان فهذه الجملة اقتباس من الآية الشريفة: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ فقد طهّرهم الله تعالى من جميع مصاديق الرجس من النجاسات الظاهرة والباطنة في كلّ مرتبة من مراتب وجوداتهم، وفي أي حال من أحوال تكاليفهم، ومن الكبائر والصغائر والمكروهات الظاهرية والباطنية حتى من مثل ترك الأُولى.

والحاصل: أنه تعالى طهّرهم من الذنوب والقبائح الموجبة لتلوّث القلب والروح والنفس، والحواس والجوارح، والجسد والأعراض، فهم عليهم السلام مطهّرون من جميع ذلك من التلوّث، فهم عليهم السلام مطهّرون من كلّ ما يحتمل، ويعرض من حدث، أو خبث باطني أو وسخ أو نقص، أو ما لا ينبغي، أو غير كمال ما ينبغي ظاهراً أو باطناً صغيراً أو كبيراً، عن قصد أو نسيان أو غفلة أو سهو، أو تقصير أو قصور، أو عدم الرضا منه تعالى، أو لجهل أو لتردّد أو لأجل الالتفات إلى غير الحقّ، أو الشكّ أو الإنكار أو غير ذلك ممّا فيه شائبة الرداءة فقد طهّرهم الله تعالى من جميع ذلك.

---

١ ـ المائدة: ٩٠.

وأمّا ما يخرج عنهم عليهم السلام من المدفوعات فهي أيضاً ليست كما يخرج من ساير الناس، وفي الحديث[١]: «ولا يرى له (أي للإمام عليه السلام) بول ولا غائط؛ لأنّ الله عزّ وجلّ قد وكّل الأرض بابتلاع ما يخرج منه».

وأمّا الحدث الحاصل لهم فهو أيضاً ليس كالحدث من غيرهم، ولذا دلّ الدليل على جواز دخول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والوصي عليه السلام مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جنباً كما لا يخفى، وهذا من خصائصهم المختصّة بهم عليهم السلام كما لا يخفى، وأمّا ما يتراءى ظاهراً من صدور المكروهات، أو ترك الأولى فقد تقدّم الكلام فيه مفصّلاً في بيان أنّهم المعصومون، وأنّ صدور ذلك منهم لمصلحة، يكون لتلك المصلحة جائز الفعل لبيان التعليم وبيان الجواز للناس، وتقدّم الجواب عمّا يتوهّم من صدور المعصية منهم من طلبهم المغفرة منه تعالى، فراجع.

وكيف كان فالجملة مقتبسة من الآية الشريفة، وقد دلّت أحاديث كثيرة من الفريقين على أنّها مختصّة بأهل البيت عليهم السلام كما لا يخفى، ونحن نذكر حديثاً منها للتبرّك.

ففي البحار[٢] عن أمالي الشيخ بإسناده عن دعبل، عن الرضا عن آبائه، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام عن أُمّ سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي وفي يومي، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندي، فدعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجاء جبرئيل، فمدّ عليهم كساءً فدكياً، ثمّ قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، اللّهمّ اذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، قال جبرئيل: وأنا منكم يا محمّد؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: وأنت منّا يا جبرئيل، قالت أُمّ سلمة: فقلت: يا رسول الله وأنا من أهل بيتك، وجئت لأدخل معهم، فقال: كوني مكانك يا أُمّ سلمة إنّك إلى خير أنت من أزواج نبي الله، فقال جبرئيل: اِقرأ يا محمّد: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم

---

١ ـ البحار: ج٢٥، ص١١٦.

٢ ـ البحار ج٣٥ ص٢٠٨.

تطهيراً﴾ في النبيّ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وفي حديث آخر عن الباقر عليه السلام فيه وفي آخره: ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: «الرجس هو الشكّ، والله لا نشكّ في ديننا أبداً».

قوله عليه السلام: فعظّمتم جلاله.

في مجمع البحرين: وعظمته تعظيماً وقّرته توقيراً وفخّمته، والتعظيم التبجيل، والعظمة والكبرياء.

وفيه: والعظيم الذي قد جاوز قدرته، وجلّ عن حدود العقول حتى لا يتصوّر الإحاطة بكنهه وحقيقته.

وفيه: الجلال: العظمة وجلال الله عظمته.

وفيه: والجليل من أسمائه تعالى وهو راجع إلى كمال الصفات، كما أنّ الكبير راجع إلى كمال الذات، والعظيم راجع إلى كمال الذات والصفات.

أقول: معنى فعظّمتم أنّهم عليهم السلام أدركوا بمعرفتهم عظمته (أي كبرياءَه) لما علمت من أنّ العظمة هو الكبرياء.

وبعبارة أخرى: أنّ العظمة في العظيم هي صفة في كنه العظيم، أثرها الكبرياء في الظاهر، فمن شاهد تلك الصفة ونورها يستحقر نفسه وكل شيء سوى الله تعالى، وإلى هذه المشاهدة يشير قول أمير المؤمنين عليه السلام: «إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك» وهذا الوصول المشاهد فيه معدن العظمة هو كمال التوحيد الذي أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: وكمال توحيده نفي الصفات عنه.

والوجه فيه أنّ مشاهدة معدن العظمة هو بخرق الصفات، ونفيها عنه تعالى، وبالدخول في عالم الوجود المطلق، وعالم نفي الأسماء، وعالم قاب قوسين أو أدنى،

وهذا العالم هو عالم الوله والتحيّر المشار إليه بقوله ﷺ: «ربّ زدني فيك تحيّراً» كما هو المروي عنه ﷺ، ومن لم يشاهد تلك الصفة المعبّر عنها بمعدن العظمة، لم يمكنه التعظيم له حقّ العظمة، وإليه يشير ما في حديث المعراج في وصف هؤلاء قوله تعالى: ويعظّموني حقّ عظمتي.. ثمّ إنّ هذا المشاهد المعظّم له تعالى يرى نفسه خاشعاً له تعالى وحقيراً.

وإليه يشير ما في اللوامع النورانية[1]، وفي تفسير الإمام أبي محمّد العسكري عليه السلام قال: قيل للباقر عليه السلام: إنّ بعض من ينتحل موالاتكم يزعم أنّ البعوضة علي عليه السلام وأن ما فوقها وهو الذباب محمّد رسول الله ﷺ، فقال الباقر عليه السلام: سمع هؤلاء شيئاً لم يضعوه على وجهه إنما كان رسول الله ﷺ قاعداً ذات يوم هو وعلي عليهما السلام إذ سمع القائل يقول: ما شاء الله وشاء محمّد، وسمع آخر يقول: ما شاء الله وشاء عليّ، فقال رسول الله ﷺ: لا تقرنوا محمّداً وعلياً بالله عزّ وجلّ، ولكن قولوا: ما شاء الله ثمّ شاء محمّد ثمّ شاء عليّ.

إنّ مشية الله هي القاهرة التي لا تساوى ولا تكافى ولا تدانى، وما محمّد رسول الله في الله وفي قدرته إلّا كبعوضة في جملة هذه المسالك، مع أنّ فضل الله على محمّد وعلي هو الفضل الذي لا يفي به فضله على جميع خلقه من أوّل الدهر إلى آخره، هذا ما قال رسول الله ﷺ في ذكر الذباب والبعوضة في هذا المكان، فلا يدخل في قوله: ﴿إنّ الله لا يَستحِي أن يضرب مثلاً ما بعوضة..﴾[2].

وإلى هذا الخشوع والخضوع بالنسبة إلى عظمته تعالى يشير قوله ﷺ: «وما محمّد رسول الله في الله وفي قدرته إلّا كبعوضة... الخ».

فالأئمّة عليهم السلام لمّا اصطفاهم الله تعالى وارتضاهم لغيبه إلى آخر ما تقدّم، فلا محالة من هذه الجهات البالغة بهم إلى ما بلغوا، قد عظموا الله تعالى حقّ تعظيمه لجلاله، وكان تعظيمهم له تعالى كما يليق بجنابه، وعلى وفق محبّته تعالى كما يشاء الله تعالى

---

١ ـ اللوامع النورانية ص ١٤.

٢ ـ البقرة: ٢٦.

ويريد، فليس بعد ثنائه تعالى لنفسه بنفسه ثناء أخصّ ولا أعمّ ولا أكمل ولا أشمل من ثنائهم عليه تعالى؛ لأنّهم عليهم السلام قد عظّموا وأثنوا بحقيقة ما هم عليه من المحل، الذي أخصّهم الله تعالى به جلاله الذي شاهدوه من معدن العظمة، بحيث لم يشاركهم فيه غيرهم، بل قد علمت سابقاً أنّهم عليهم السلام علموا الملائكة بل وساير الخلق التسبيح والتقديس والتعظيم والتهليل، كما لا يخفى وكما يشير إليه قولهم عليهم السلام: «بنا عبدالله، بنا عرف الله، لولانا ما عبدالله لولانا ما عرف الله»، وقولهم عليهم السلام: «سبّحنا وسبّحت الملائكة» الحديث.

ثمّ إنّ الجلال هو العظمة كما علمت، فحينئذٍ معنى عظّمتم جلاله، أي عظّمتم عظمته، التي أدركتموه بحقيقتها، فلم تقصروا فيها بالثناء اللائق لها، وهذا بخلاف غيرهم فإنّهم لمكان عدم معرفتهم بجلاله تعالى، وعدم وصولهم إلى معدن العظمة، لا يمكنهم التعظيم له تعالى كما هو حقّه.

ثمّ إنّ هناك أحاديث وردت في بيان عظمة المخلوقات الإلهيّة، التي يظهر منها عظمته تعالى كما لا يخفى على المتتبّع لها، وللعلماء بيانات في تقريبها مذكورة في محلّها.

قوله عليه السلام: «وأكبرتم شأنه»

أقول: في المجمع: أكبرته أي استعظمته، فمعنى أكبرتم أي أعظمتم شأنه، أي جعلتم شأنه في نفسكم عظيماً.

وفيه: والشأن الأمر والحال وهو من شأنت شأنه، ومعناه قصدت قصده، والشأن واحد الشؤون، وهي مواصل قبائل الرأس وملتقاها، ومنها تجيء الدموع وقيل: يأتي بمعنى المقام.

وفي تفسير نور الثقلين[1]، في تفسير عليّ بن إبراهيم: وقوله: ﴿**يسأله من في السماوات والأرض كلّ يوم هو في شأن**﴾ قال: يحيي ويميت، ويرزق ويزيد

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ١٩٣.

وينقص.

وفيه عن أصول الكافي خطبة مروية عن أمير المؤمنين عليه السلام وفيها: «الحمد لله الذي لا يموت، ولا تنقص عجائبه؛ لأنّه كلّ يوم في شأن من إحداث بديع لم يكن».

وفي المجمع وعن أبي الدرداء، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في قوله: كلّ يوم هو في شأن قال: من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرّج كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين.

وفيه[1]، في تفسير عليّ بن إبراهيم: ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن﴾ مخاطبة لرسول صلى الله عليه وآله: ﴿ولا تعملون من عمل إلّا كنّا عليكم شهوداً﴾ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا قرأ هذه الآية بكى بكاءً شديداً. ونقل هذا عن مجمع البيان وعن الصادق عليه السلام.

وكيف كان فعظّمتم شأنه أي أمره أو حاله أو مقامه تعالى، إنّما يكون ممّن عرفها منه تعالى، ومن المعلوم أنّهم عليهم السلام هم العارفون بها أمّا ما أمره تعالى الذي أشير إليه في قوله عليه السلام: «من إحداث بديع لم يكن»، وفي قوله: «ان يغفر ذنباً ويفرّج كرباً» الحديث.

فمن المعلوم أنّهم عليهم السلام هم العارفون بها، وبسائر أفعاله وأحكامه ومقاديره، وبما فيها من الحكم والأسرار، ما لا تدركه الأبصار، ولا تقدره غوامض الأفكار، ووجدوا صنعاً متقناً عن علم محكم وأمر مبرم يشهد للربّ بالوحدانية والقدرة والتفرّد بالصنع الأكمل الأتمّ؛ ولذا كان صلى الله عليه وآله إذا قرأ تلك الآية بكى بكاءً شديداً، وذلك من عظم ما يرى من شأن الله تعالى الذي يحدثه، وأمّا حاله تعالى بلحاظ ذاته تعالى فمعلوم أنّه غير معلوم لأحد.

نعم إنّما يعرف ذلك ممّا دلّ عليه من آثاره وأفعاله، والآيات التي دلّت على قدرته القاهرة، التي لا نهاية لها، وعلى علم لا نهاية له، وعلى كرم وجود وفضل سرمد، وفيض ومدد وغناء وبقاء أبدي ومعلوم أنّه لا يعرف هذا إلّا هم عليهم السلام

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٣٠٨.

فهم عليهم السلام وجدوا منها ما تهيم فيه الأفكار، وتتحسر دونه الأبصار، فهم عليهم السلام علموا ذلك كله وعرفوها، وبلغوا منها إلى ما بلغوا قال صلى الله عليه وآله: ربّ زدني فيك تحيّراً، وذلك لمّا ظهر له من حاله تعالى ما لا يكاد يهتدي إليه سبيلاً إلّا به ومنه تعالى، فليس لهذا التحيّر نهاية، وذلك لعدم نهاية عظمته تعالى.

فهم عليهم السلام يشاهدون تلك الشؤون والعظمة منه تعالى، فيكبرون هذا الشأن الذي هو حال العظمة والسلطنة دائماً، ويعظّمونه تعظيماً لا يكون من غيرهم كما علمت سابقاً، وإلى عظمة هذا الحال منه تعالى يشير ما عن الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رجل عنده: الله أكبر، فقال: الله أكبر من أي شيء؟ فقال: من كلّ شيء، فقال أبو عبدالله عليه السلام: حدّدته، فقال الرجل: كيف أقول؟ قال: قل: الله أكبر من أن يوصف، فيعلم منه أنّه تعالى أكبر من أن يوصف بشيء، فما يوصف بشيء إلّا وهو أكبر منه، وذلك لعظم شأنه وعزّ جلاله.

والحاصل: أنّهم عليهم السلام أكبروا شأنه أي حاله تعالى، لمّا أدركوا عظمته جلّ جلاله وأدركوا مقامه، أعني به ما انكشف لديهم عليهم السلام من وحدانيّته وصفاته فنقول: قد تقدّم أنّه تعالى عرّف نفسه لهم عليهم السلام بما أظهر فيهم من صفاته فهم عليهم السلام مجلى ومظهر لأسمائه تعالى، التي هي صفة له تعالى، والتي بها عرف نفسه، ففي الحقيقة أنّه تعالى عرف نفسه لهم عليهم السلام بهم عليهم السلام وقد تقدّم بيانه في شرح قوله عليه السلام: السلام على محالّ معرفة الله، وتقدّم قول السجاد عليه السلام: «ونحن مظاهره فيكم».

والحاصل: أنّ ما تجلّى الله تعالى لهم بهم هو مقامه تعالى لديهم في كلّ آن، فهم مجلى لتلك التجليّات، التي هي المقامات الربوبية الظاهرة لهم في جميع مظاهرها التكوينية والتشريعية من الكتب الإلهيّة، وحيث إنّهم عليهم السلام المظاهر الأتمّ لتلك التجلّيات، فهم حينئذٍ عارفون بكلّ ما تجلّى به ربّهم في عالم الإمكان من صفاته وأفعاله، فلا محالة لهم المعرفة الأتمّ الأكمل، فحينئذٍ بهذه المشاهدة العظمى، التي ليست لغيرهم قد أكبروا شأنه (أي مقامه) أي تجلّياته تبارك وتعالى، وهم عليهم السلام

خافوا مقامه بحق ما يليق بجانبه المقدّس، والله تعالى العالم بشؤونه.

قوله ﷺ: ومجدتم كرمه

في المجمع: المجد الشرف الواسع، والمجد الكرم والعزّ، في الحديث «المجد حمل المغارم وإيتاء المكارم».

وفيه: والمجد والتمجيد تشريف وتعظيم.

وفيه: ومجدته إذا مدحته مدحاً جيّداً، ومجدني عبدي أي شرّفني وعظّمني.

وفيه: والكريم صفة لكلّ ما يرضى ويحمد.

وفيه: والكرم إيثار الغير بالخير.

وفيه: والكرم نقيض اللؤم، وقدكرماً الرجل فهو كريم وكرم الشيء كرم نفس وعزّ فهو كريم.

قوله: نفس، أي هو أمر نفيس يتنافس فيه ويرغب وكان جيّداً جدّاً.

فحينئذٍ معنى قوله ﷺ: أي عظّمتم كرمه، وجعلتم كرمه شريفاً، ومدحتم كرمه مدحاً جيّداً.

وأمّا كرمه فيراد منه جميع صفاته الممدوحة التي يرضى ويحمد، ومن المعلوم أنّها كذلك بل ليس مثلها في غيره تعالى.

وبعبارة أُخرى: إنّ ذاته الكريمة المشتملة على الصفات الجيدة لمّا كانت معلومة لديهم عليهم السلام بأحسن ما تعرف، فهم عليهم السلام عصموها ومدحوها وشرّفوها بأحسن التشريف بنحو يليق بها، حيث إنّهم عليهم السلام مظاهرها والعارفون بها كما هي هي، فلا محالة لا يصدر من أحد حقّ التمجيد لها إلّا منهم عليهم السلام كما لا يخفى.

قوله عليه السلام: *وأدمنتم ذكره*

في المجمع: وأدمن فلان على كذا إدماناً إذا واظبه ولازمه.

وفيه: والذكر نقيض النسيان، وقيل: حقيقة الذكر عبارة عن صعود الذاكر إلى مرتبة المذكور، وذلك بخرق الحجب الظلمانية والنورانية الكائنة بين الخلق والله تعالى.

وبعبارة أخرى: حقيقة الذكر هو حضور المذكور في ذات الذاكر، بحيث ينفي عن نفسه، فلا يرى إلّا المذكور وهو المراد (والله العالم) من قول أمير المؤمنين عليه السلام في الدعاء: وانقلني من ذكري إلى ذكرك، أي أفن نفسي بحيث لا يكون لي أثر ولا ذكر إلّا ذكرك، وحينئذٍ معنى ادمان ذكره هو تثبّت هذا الذكر الحضوري وعدم زواله أبداً، ولا يكون ذكر لأحد إلّا بذكره تعالى، ففي الدعاء: «اللّهمّ أنت الذاكر قبل الذاكرين» ومعلوم أنّ ما ذكرنا مرتبة من أذكاره، بمعنى أنّا ذاكروه بحوله وقوّته، ولولاه لم يتأتّ لنا ذكره، ويشير إلى أنّ حقيقة الذكر هو حضور المذكور لدى الذاكر ما في الحديث القدسي: «أنا مع عبدي إذا ذكرني» وقوله تعالى: «أنا جليس من ذكرني».

وكيف كان فللذكر مراتب وهم عليهم السلام قد أدمنوا جميعها ونحن نذكرها، ثمّ نذكر السبب لادمانهم عليهم السلام له فنقول: منها: الذكر اللفظي فقد ورد في فضله أحاديث كثيرة.

ففي مرآة العقول[1]، عن الكافي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما اجتمع في مجلس قوم لم يذكروا الله عزّ وجلّ، ولم يذكرونا إلّا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة، ثمّ قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ ذكرنا من ذكر الله، وذكر عدوّنا من ذكر الشيطان».

---

١ ـ مرآة العقول ج ١٢ ص ١٢٠.

وفيه[١]، عن أبي عبدالله ﷺ قال: «لا بأس بذكر الموت وأنت تبول فإن ذكر الله عزّ وجلّ حسن على كلّ حال، فلا تسأم من ذكر الله».

وفيه[٢]، عن أبي عبدالله ﷺ قال: قال الله عزّ وجلّ: «يابن آدم اذكرني في ملإ أذكرك في ملإ آخر من ملئك».

وفي البحار[٣]، عن عدّة الداعي، عن أبي عبدالله ﷺ.. إلى أن قال ﷺ: وكان أبي كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه، وإنّه ليذكر الله، وآكل معه الطعام، وإنّه ليذكر الله، ولو كان يحدث القوم ما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لاصقاً بحنكه يقول: لا إله إلّا الله.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّاً تدلّ على الحثّ على ذكره، وأنّهم عليهم السلام كانوا مداومين عليه.

ومنها: الذكر النفسي أو القلبي.

ففي مرآة العقول[٤]، عن زرارة عن أحدهما عليهما السلام قال: «لا يكتب الملك إلّا ما سمع» وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ واذكر ربّك في نفسك تضرّعاً وخيفة ﴾[٥] فلا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس الرجل غير الله عزّ وجلّ لعظمته.

وفي البحار[٦]، عن معاني الأخبار، عن الحسين البزاز قال: قال لي أبو عبدالله ﷺ: ألا أحدّثك بأشدّ ما فرض الله عزّ وجلّ على خلقه؟ قلت: بلى، قال: انصاف الناس من نفسك، ومواساتك لأخيك، وذكر الله في كلّ موطن أما أني لا أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر، وإن كان هذا من ذلك، ولكن

---

١ ـ مرآة العقول ج ١٢ ص ١٢٣.
٢ ـ مرآة العقول ج ١٢ ص ١٢٧.
٣ ـ البحار ج ٩٣ ص ١٦١.
٤ ـ مرآة العقول ج ١٢ ص ١٤١.
٥ ـ الأعراف: ٢٠٥.
٦ ـ البحار ج ٩٣ ص ١٥٤.

ذكر الله في كلّ موطن إذا هجمت على طاعة أو معصية.

فقوله عليه السلام: «ولكن ذكر الله في كلّ موطن»، يشير إلى الذكر النفسي أي يكون قلبه ونفسه ذاكراً له تعالى، فلا محالة يكون أثره ترك المعصية.

ومنها: الذكر الحالي وهو أن لا يكون في قلبه غير الله، فيغلب ذكره تعالى على ذكر ما سواه، فيمحيه عنه فلا يكون حاله إلّا مستغرقاً بذكره تعالى.

وأجل شيء للعبد أن لا يكون في قلبه مع الله غيره.

ثمّ إنّه إذا كان حال العبد هكذا، فلا محالة يكون في جميع أُموره مستقيماً وذاكراً له تعالى.

ففي البحار[1]، عن الخصال: الذكر مقسوم على سبعة أعضاء: اللسان والروح، والنفس والعقل، والمعرفة والسرّ والقلب، وكلّ واحد منها يحتاج إلى الاستقامة. فاستقامة اللسان صدق الإقرار، واستقامة الروح صدق الاستغفار، واستقامة القلب (الظاهر واستقامة النفس) صدق الاعتذار، واستقامة العقل صدق الاعتبار، واستقامة المعرفة صدق الافتخار، واستقامة السرّ السرور بعالم الأسرار، واستقامة القلب صدق اليقين ومعرفة الجبّار (كما في المصدر).

فذكر اللسان الحمد والثناء، وذكر النفس الجهد والفناء، وذكر الروح الخوف والرجاء، وذكر القلب الصدق والصفاء، وذكر العقل التعظيم والحياء، وذكر المعرفة التسليم والرضا، وذكر السرّ على رؤية اللقاء، حدّثنا بذلك أبو محمّد عبدالله بن حامد رفعه إلى بعض الصالحين عليه السلام.

فالمستفاد من هذه الأحاديث أنّ ذكره تعالى إذا غلب على قلبه وباطنه، فلا محالة تكون آثاره في باطنه وصفاته وأفعاله، وهو ما فصّله في الحديث المنقول عن الخصال وحاصله: أنّ الذكر الحقيقي الثابت في حقيقة العبد، هو الذي تكون آثاره منتشرةً فيما ذكره، وهو لا يكون إلّا بعد استقامة تلك الأمور ممّا ذكر؛ لكي يكون

---

١ ـ البحار ج٩٣ ص١٥٣.

الذكر الحاصل فيه كما ينبغي، وكما يناسب جلاله تعالى بالنسبة إلى ذلك العضو والأمر، كما لا يخفى.

وممّا ذكر يعلم إجمالاً حال الذكر الحضوري فتفصيله: أنّ للذكر صورة وهو الذكر اللفظي، ومعنى وهو مفهومه التفصيلي القائم بالنفس، وحقيقة وهو غاية التوجّه بالروح، واللب إلى المتوجّه إليه الحقّ تعالى، بحيث يظهر فيه بما هو وجود صرف، وإنّ كلّ الموجودات منه وبه وإليه، وأنّه أصل كلّ ظهور، ونور كلّ نور، ومعنى كل لبوب وقشور وثابت بلا تغيّر ودثور، بحيث لا يتمكّن عند نوره الأبهر ظلمة ولا نور، وأنّه نور وارد عليه من ذاته المقدّسة تجلّى فيه به فيعرفه حينئذٍ هكذا.

فهو (أي هذا النور) عكس من وجهه الكريم تجلّت به مرآة قلبه، وهذا الروح والقلب بما هو كذلك يهتزّ اهتزازاً لا يوصف، ويبتهج ابتهاجاً لا يكيّف، ولا سيّما أنّه يستشعر حينئذٍ أنّ لهذا الموجود الحقّي معيّة قيومية معه، فيحلو حينئذٍ ذكره تعالى بهذا المعنى حلاوة لذيذة، وتكون حلاوتها بقدر الجمال والجلال، وهذا النور البهي منه تعالى هو السبب في سروره وابتهاجه، وبهذا اللحاظ قال عليه السلام في الدعاء: يا سرور العارفين، حيث خصّ السرور بالعارف، وهو مَن أشهده الله تعالى ذاته وصفاته وأفعاله بنحو يكون في مقام عين اليقين أو حقّ اليقين.

فسرور العارف ليس بجنّة النعيم، كما أنّه كذلك للعابدين، بل هو وجهه الكريم، فهم لا فرح لهم إلّا بهذا قال تعالى: «يا داود بي فافرح» وكيف كان ليس للعارف همّ إلّا همّ وصاله، ولو فرح بشيء فهو بما هو مرآة لجماله البهي، فهذا الشهود له مراتب على اختلاف مراتب القرب، وحينئذٍ انّهم عليهم السلام كما علمت في أعلى مراتب القرب، بل هم عليهم السلام في مقام قاب قوسين أو أدنى، وفي مقام عند الله كما علمت من الآيات والأحاديث، فلا محالة يكون فرحهم عليهم السلام وسرورهم لمكان تلك المشاهدة البهيّة بنحو الأتمّ وأشدّ وأحسن.

وبهذه الجهة يكون ذكرهم له تعالى أدوم وأدمن، إذ طبع هذه المشاهدة يقتضي جذبهم عليهم السلام إليه تعالى دائماً، ويجب صرف توجّههم ذاتاً إلى غيره تعالى كما لا يخفى على أهل البصيرة، ولأجل هذه المشاهدة الدائمية قالوا في حقّهم: «وأدمنتم ذكره» وقوله عليه السلام: «ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله ومعه وبعده، إذ علمت أنّ العارف خصوصاً هم عليهم السلام من أشهده الله تعالى ذاته وصفاته وأفعاله، وليس العالم إلّا ظهور ذاته تعالى في أفعاله وصفاته تبارك وتعالى وتقدّس، وهو أي العالَم، شهود لهم عليهم السلام بما هو مظاهره تعالى، فلا يرون شيئاً إلّا ويرونه تبارك وتعالى كما علمت.

وبهذا اللحاظ أيضاً ورد في الدعاء: «يا من له ذكر لا ينسى» فإنّه يمكن أن يراد بالذكر ذاكريّته تعالى بناءً على كون المصدر أُريد به الفاعل، وحينئذٍ كونه لا ينسى هو أمرٌ ظاهر؛ لأنّه تعالى ذاكر ولا ينسى، قال تعالى: ﴿وَما كان ربّك نسيّاً﴾[1]، ويمكن أن يراد بالذكر مذكوريّته تعالى بأن يذكره أولياؤه دائماً فهو حينئذٍ بهذا اللحاظ المذكور آنفاً، فإنّ أولياءَه العارفين به تعالى حيث إنّه تعالى أشهدهم على نفسه وصفاته وأفعاله، كما تقدّم فلا محالة لا ينسونه.

بل يمكن أن يقال في خصوص هذه الجملة: إنّ عدم نسيان ذكره تعالى يكون لكلّ أحد، ضرورة أنّ كلّ إنسان بل كلّ حيوان ذاته غير خالية عن الجهة النورية، التي هي جهة إضافته إلى ربّه، فلا محالة لا يخلو كلّ أحد عن مذكورية هذا النور، فلا محالة لا يخلو حينئذٍ عن مذكوريّته تعالى، لأنّ هذا النور قد علمت أنّه مضاف إليه تعالى، وحينئذٍ يرجع مضمون الجملة إلى ما دلّت عليه الآيات والأحاديث من أنّ الإقرار بوحدانيّته تعالى وبوجوده أمر فطري لكلّ أحد، كما حقّق في محلّه.

أقول: وحينئذٍ يمكن أن يراد من قوله عليه السلام: «وأدمنتم ذكره»، هذا الذكر الفطري الذاتي، الذي هو التوحيد، والذي فطر الناس عليه، قال الله تعالى: ﴿فطرة الله التي

---

١ ـ مريم: ٦٤.

فطر الناس عليها ﴾[1] **فتأمّل تعرف إن شاء الله.**

وكيف كان فإدمان الذكر الحقيقي هو مشاهدة التوحيد الحقيقي المترتّب على معرفة النفس، وهذا حاصل لهم عليهم السلام بنحو الأتمّ الأكمل وبلوازمه، فلا محالة هم عليهم السلام مدمنون له على اختلاف مراتبه، وعلى اختلاف معاني الإدمان من الإدامة، التي هي عدم ترك شيء تارة، والملازمة له أخرى، والمسابقة والمبادرة إلى ما يراد منه من الأعمال الصالحة ثالثة، والمواظبة على أفعاله رابعة، وكيف كان فهم السابقون إلى الخيرات، بل هم القادة السابقون الى أعلى الدرجات، وقد تقرّر حينئذٍ أنّهم عليهم السلام لا يغفلون عن ذكر الله أبداً؛ لمكان حضورهم لديه تعالى، ولمكان ظهوره تعالى بهم ولهم.

وذلك لما علمت أنّ لهم عليهم السلام مقام العندية لله تعالى بحيث لا يصل إليهم أحد، ولا يدانيهم خلق، فهم المديمون والملازمون والمواظبون لذكر الله تعالى، بل المستفاد ممّا تقدّم من أنّ لهم مقام العندية لديه تعالى، أنّ مقامهم فوق مقام الذكر والذاكرين، فإنّ قوله عليه السلام في حديث مفضل السابق: «فنحن الذين عنده» يدلّ على أنّهم مصداق حقيقي لقوله تعالى: **﴿ ومَن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ۞ يُسبّحون الليل والنهار لا يفترون ﴾**[2]، فهم حينئذٍ حقيقة الحضور وحقيقة الذكر.

فهم بهذا اللحاظ أصل كلّ خير في عالم الوجود وفرعه المنتشر في الخلق كما سيأتي بيانه، وهذا الحضور والذكر الحقيقي الذي هو حقيقتهم على الحقيقة هو مقام وأمر فوق تمام الأُمور، ومنشأ لعبادتهم حق العبادة، ومنشأ لجميع شؤونهم، بل لجميع شؤون أولياء الله تعالى من النبيّين والصدّيقين وغيرهم، وإليه يشير قوله عليه السلام كما في الكافي: «وما يضمر النبيّ أفضل من اجتهاد المجتهدين، فإنّ ما يضمره هو ذلك الحضور والظهور الربوبي، الذي منشأ كلّ خير، وفيض كلّ مستفيض، ولا يكون

---

١ ـ الروم: ٣٠.

٢ ـ الأنبياء: ١٩ ـ ٢٠.

هذا لغيرهم».

هذا وقد ظهر أنّهم عليهم السلام هم الذكر الحقيقي بل وفوق الذكر، وإلى هذا يشير ما في البحار[1]، عن تفسير القمّي: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لمّا سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون﴾ قال: لمّا أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بفضل أمير المؤمنين عليه السلام قالوا: هو مجنون، فقال الله سبحانه: وما هو (يعني أمير المؤمنين عليه السلام) بمجنون إن هو إلّا ذكر للعالمين.

أقول: فأطلق الله تعالى الذكر على أمير المؤمنين عليه السلام أي أنّ ذكر فضائله الخاصّة ممّا هو مظهر له تعالى ذكر للعالمين الذين يريدون معرفته تعالى.

وفيه عن عيون الأخبار، عن الهروي قال: سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾ فقال عليه السلام: إنّ غطاء العين لا يمنع من الذكر، والذكر لا يرى بالعين، ولكن الله عزّ وجلّ شبّه الكافرين بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالعميان؛ لأنّهم كانوا يستثقلون قول النبيّ صلى الله عليه وآله فيه، ولا يستطيعون له سمعاً.

أقول: فأطلق قوله تعالى ذكري على أمير المؤمنين عليه السلام بالبيان المتقدّم.

وفيه عن كنز جامع الفوائد، عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ومن يُعرض عن ذكر ربّه يسلكه عذاباً صعداً﴾ قال: من أعرض عن عليّ يسلكه العذاب الصعد وهو أشدّ العذاب، فأطلق ذكر ربّه عليه عليه السلام.

وفيه عن مناقب آل أبي طالب، أبو صالح عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكاً﴾ أي من ترك ولاية عليّ أعماه الله وأصمّه عن الهدى.

وفيه عنه عن كتاب ابن رميح قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين * إن هو إلّا ذكر للعالمين﴾ قال: أمير المؤمنين عليه السلام.

---

١ ـ البحار ج ٣٥ ص ٣٩٤.

وفيه عن طريق العامّة عن أنس بن مالك (عن ابن عبّاس، نسخة اللوامع قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألّا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ أتدري من هم يابن أُمّ سليم؟ قلت: مَن هم يا رسول الله؟ قال: نحن أهل البيت وشيعتنا.

فهم عليهم السلام والشيعة مطمئنون بذكر الله وفسّر ذكر الله، بأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام.

في اللوامع النورانية[1]، عليّ بن إبراهيم قال: قال: الذين آمنوا الشيعة، وذكر الله أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام.

وفيه، العيّاشي بإسناده عن خالد بن نجيح، عن جعفر بن محمّد عليه السلام في قوله: ﴿**ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب**﴾ قال: بمحمّد ﷺ تطمئن القلوب، وهو ذكر الله وحجابه.

أقول: عطف قوله عليه السلام: وحجابه علىٰ ذكر الله يشعر بأنه ﷺ حقيقة الذكر الأول الذي هو الحجاب الأقرب الأعظم كما لا يخفىٰ علىٰ من له البصيرة، وأنت إذا تأملت فيما ذكرناه بعين البصيرة تقدر علىٰ استظهار ما قلناه من هذه الأحاديث ونحوها، والله الموفق للهداية والصواب.

قوله عليه السلام: ووكّدتم ميثاقه، وأحكمتم عقد طاعته.

في المجمع: ووكّدت الشيء (بالتشديد) وأكّدته إيكاداً وتوكيداً وتأكداً: شدّدته، وتوكّد الأمر وتأكّد بمعنى. وفيه: الميثاق اليمين المؤكّدة؛ لأنّها يستوثق بها من الأمر.. إلى أن قال: والميثاق هو العهد المأخوذ على الزوج حال العقد من ﴿**إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**﴾.

إلى أن قال: والميثاق العهد مفعال من الوثاق وهو في الأصل حبل أو قيد يشدّ به

---

١ ـ اللوامع النورانية ص١٦٦.

الأسير والدابة، صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها، والجمع المواثيق والمياثيق.

أقول: الكلام في شرح هذه الجملة يقع في أمور:

الأوّل: في معنى توكيدهم عليهم السلام ميثاقه.

الثاني: في معنى ميثاقهم عليهم السلام المأخوذ عليهم، وأنّه في أيّ وقت كان، والميثاق المأخوذ عن شيعتهم وفي وقته وعالمه.

الثالث: في كيفيّة أخذ الميثاق وأنّه كيف كان، فهل كان بنحو التكليف أم لا؟ وفي معنى توكيد غيرهم عليهم السلام من الشيعة الميثاق، فنقول والله الموفّق للصواب:

أمّا الأمر الأوّل: فتوكيدهم الميثاق قد يلاحظ بالنسبة إلى أنفسهم الشريفة، بأن صمّموا في عالم نفوسهم المقدّسة على تأكيد الميثاق وتشديده، أي تأكيد العمل والمشي على طبق ما عاهدوا الله عليه، بحيث لم تحدث نفوسهم الشريفة على احتمال مخالفة الميثاق والعياذ بالله فيما بينهم وبين ربّهم، هذا سواء فسّر الميثاق بالميثاق الذي أخذه تعالى على أرواحهم في عالم الذرّ بقوله: ﴿**ألست بربّكم**﴾[1] أو بالميثاق الذي أخذ عليهم في تبليغ وإعلاء كلمة التوحيد بقوله تعالى: ﴿ **وإذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك** ﴾ أي تبليغ الرسالة والدعاء إلى التوحيد.

وأحسن ما يدلّ على تسديدهم هذا الميثاق هو عملهم عليهم السلام فإنّهم عليهم السلام قد تصدّوا لإحياء الدين بكلّ ما كانوا يقدرون عليه، فتحمّلوا المشاق والأذى والمصائب في ذلك، كلّ ذلك تأكيداً لما عاهدوا عليه وواثقوه عليه، وهذا واضح لمن نظر في أحوالهم عليهم السلام.

وقد يلاحظ بالنسبة إلى غيرهم من الأُمّة أو من الشيعة فإنّهم عليهم السلام أيضاً قد أكّدوا الميثاق المأخوذ على الأُمّة مطلقاً، وعلى الشيعة في عالم الأرواح، بأن يبيّنوا لهم ذلك الميثاق أوّلاً وأمروهم بالعمل عليه، بل ربّما واظبوا على بعض شيعتهم على ذلك، بأن عاونوهم وأيّدوهم عملاً على العمل به كما لا يخفى.

---

١ ـ الاعراف : ١٧٢.

هذا وفي بعض النسخ: «وذكرتم ميثاقه» هذا بالنسبة إلى غيرهم من الأُمّة أو الشيعة، فقد دلّت الأحاديث على أنّ الناس قد نسوا الموقف، أي موقف أخذ الميثاق عليهم في عالم الذرّ والأرواح في هذا العالم الجسماني والأئمّة عليهم السلام ذكّروهم بذلك الميثاق، وهذا أحد معاني قولهم عليهم السلام في تلك الأحاديث، وسيذكرونه.

وكيف كان فالتذكير بالنسبة إلى غيرهم لا بالنسبة إلى نفوسهم الشريفة فإنّهم عليهم السلام لم ينسوا الميثاق المأخوذ عليهم أبداً في جميع أطوار وجودهم، كما دلّت عليه الأحاديث الكثيرة، ولعلّك تقدر على استظهار ذلك ممّا تقدّم من الأحاديث الواردة في بيان ولايتهم التكوينية هذا كلّه بالنسبة إلى توكيدهم عليهم السلام أو تذكيرهم الميثاق.

الأمر الثاني والثالث: في معنى الميثاق المأخوذ عليهم وعلى شيعتهم وفي وقته، وأنّه كان بأيّ نحو، ثمّ إنّه نذكر أوّلاً أحاديث الباب، ثمّ نعقبه بما يحتاج إلى البيان، فنقول وعلى الله التوكّل:

في تفسير نور الثقلين[1]، عن داود الرقّي، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: لمّا أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: مَن ربّكم؟ فأوّل من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة عليهم السلام فقالوا: أنت ربّنا فحملهم العلم والدين.

ثمّ قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأُمنائي في خلقي وهم المسؤولون.

ثمّ قال لبني آدم: اقرّوا لله بالربوبيّة ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة، فقالوا: ربّنا أقررنا، فقال الله للملائكة: اشهدوا، فقال الملائكة: شهدنا، قال عليّ عليه السلام: أن لا تقولوا غداً: ﴿**إنّا كنّا عن هذا غافلين * أو تقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذريّة من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون**﴾[2] يا داود ولايتنا مؤكّدة عليهم في الميثاق.

وفيه بإسناده عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كيف أجابوا وهم ذرّ؟ قال: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه (يعني في الميثاق).

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٩٢.

٢ ـ الأعراف: ١٧٢-١٧٣.

وفيه[١]، بإسناده عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجل: ﴿ وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى ﴾؟ قال: ثبتت المعرفة ونسوا الوقت وسيذكرونه يوماً، ولولا ذلك لم يدر أحد مَن خالقه ولا مَن رازقه.

وفيه، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله، قول الله عزّ وجل في كتابه: ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ قال: فطرهم على التوحيد عند الميثاق، وعلى معرفته أنّه ربّهم، قلت: وخاطبوه، قال: فطأطأ رأسه، ثمّ قال: لولا ذلك لم يعلموا مَن ربّهم ولا مَن رازقهم.

وفيه[٢]، عن الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال له رجل: كيف سمّيت الجمعة جمعة؟ قال: إنّ الله عزّ وجل جمع فيها خلقه لولاية محمّد صلى الله عليه وآله ووصيّه في الميثاق فسماه يوم الجمعة لجمعه فيه خلقه.

وفيه، عن تهذيب الأحكام في الدعاء بعد صلاة الغدير المسند إلى الصادق عليه السلام: ومننت علينا بشهادة الإخلاص لك بموالاة أوليائك الهداة المهديّين من بعد النذير المنذر والسراج المنير، وأكملت الدين بموالاتهم والبراءة من عدوّهم، وأتممت علينا النعمة، التي جدّدت لنا عهدك، وذكرتنا ميثاقك المأخوذ منّا في مبدإ خلقك، وجعلتنا من أهل الإجابة، وذكرتنا العهد والميثاق ولم تنسنا ذكرك فإنّك قلت: ﴿ وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى ﴾.

شهدنا بمنّك ولطفك بأنّك أنت الله لا إله إلّا أنت ربّنا، ومحمّد عبدك ورسولك نبيّنا، وعليّ أمير المؤمنين والحجّة العظمى وآيتك الكبرى والنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون، الدعاء.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج٢ ص٩٦.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج٢ ص٩٧.

وفيه[١]، عن تفسير العيّاشي، عن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: متى سمّي أمير المؤمنين عليه السلام أمير المؤمنين؟ قال: قال: والله أنزلت هذه الآية على محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم ﴾ وأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله رسول الله وأنّ عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام فسماه الله والله أمير المؤمنين.

وفيه[٢]، عن الكافي بإسناده عن بكير بن أعين قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام لأيّ علّة وضع الحجر في الركن الذي هو فيه ولم يوضع في غيره؟ ولأيّ علّة يقبل؟ ولأيّ علّة أخرج من الجنة؟ ولأيّ علّة وضع ميثاق العباد فيه والعهد فيه، ولم يوضع في غيره، وكيف السبب في ذلك؟ تخبرني جعلني الله فداك، فإنّ تفكّري فيه لعجب قال: قال: سألت وأعضلت في المسألة واستقصيت، فافهم الجواب، وفرّغ قلبك واصغ سمعك أُخبرك إن شاء الله.

إنّ الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود وهي جوهرة أخرجت من الجنة إلى آدم عليه السلام فوضعت في ذلك الركن لعلّة الميثاق، وذلك أنّه لمّا أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم، حين أخذ الله عليهم الميثاق في ذلك المكان، وفي ذلك المكان تراءى لهم، وفي ذلك المكان يهبط الطير على القائم (عج) فأوّل من يبايعه ذلك الطير، وهو والله جبرئيل عليه السلام وإلى ذلك المقام يسند القائم ظهره وهو الحجّة، والدليل على القائم وهو الشاهد لمن وافى (وافاه ن) في ذلك المكان والشاهد على من أدّى إليه الميثاق، والعهد الذي أخذ الله عزّ وجل على العباد.

فأمّا القُبلة[٣] والاستلام فلعلّة العهد تجديداً لذلك العهد والميثاق وتجديداً للبيعة، ليؤدّوا إليه العهد الذي أخذ الله عليهم في الميثاق، فيأتوه في كلّ سنة ويؤدّوا إليه ذلك العهد والأمانة الذين أخذا[٤] عليهم ألا ترى أنّك تقول: أمانتي أدّيتها

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٩٨.
٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٩٩.
٣ ـ بضمّ القاف أي وضع الفم عليه المعبّر عنه بالفارسية بوسيدن.
٤ ـ بألف التثنية في الذين وأخذ.

وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة ووالله ما يؤدّي ذلك أحد غير شيعتنا، ولا حفظ ذلك العهد والميثاق أحد غير شعيتنا، وأنّهم ليأتوه فيعرفهم ويصدّقهم، ويأتيه غيرهم فينكرهم ويكذّبهم، وذلك أنّه لم يحفظ ذلك غيركم، فلكم والله يشهد وعليهم الله يشهد بالخفر[1] والجحود والكفر، وهو الحجّة البالغة من الله عليهم يوم القيامة، يجيء وله لسان ناطق وعينيان في صورته الأولى، تعرفه الخلق ولا تنكره، يشهد لمن وافاه وجدّد الميثاق والعهد عنده بحفظ العهد والميثاق وأداء الأمانة، ويشهد على كلّ من أنكر وجحد ونسي الميثاق بالكفر والإنكار.

فأمّا علّة ما أخرجه الله من الجنّة، فهل تدري ما كان الحجر؟ قال: لا، قال: كان ملكاً من عظماء الملائكة عند الله، فلمّا أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أوّل من آمن به وأقرّ ذلك الملك، فاتّخذه الله أميناً على جميع خلقه، فألقمه الميثاق، وأودعه عنده، واستعبد الخلق أن يجدّدوا عنده في كلّ سنة الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذ الله عزّ وجل عليهم، ثمّ جعله الله مع آدم في الجنّة يذكره الميثاق، ويجدّد عنده الإقرار في كلّ سنة، فلمّا عصى آدم وأخرج من الجنة أنساه الله العهد والميثاق الذي أخذ الله عليه وعلى ولده لمحمّد صلى الله عليه وآله ولوصيّه عليه السلام وجعله تائهاً حيران.

فلمّا تاب الله على آدم حول ذلك الملك في صورة بيضاء، فرماه من الجنّة إلى آدم وهو بأرض الهند، فلمّا نظر إليه أنس إليه، وهو لا يعرفه بأكثر من أنّه جوهرة، وأنطقه الله عزّ وجلّ فقال له: يا آدم أتعرفني؟ قال: لا، قال: أجل، استحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربّك، ثمّ تحول إلى صورته التي كان مع آدم عليه السلام في الجنة، فقال لآدم: أين العهد والميثاق؟ فوثب إليه آدم عليه السلام وذكر الميثاق وبكى وخضع وقبله وجدّد الإقرار بالعهد والميثاق، ثمّ حوّله الله عزّ وجلّ إلى جوهرة الحجر درّة بيضاء صافية تضيء، فحمله آدم على عاتقه إجلالاً له وتعظيماً، فكان إذا أعيا حمله عنه

---

١ ـ الخفر: نقض العهد.

جبرئيل عليه السلام حتى وافى به مكّة، فما زال يأنس به بمكّة ويجدّد الإقـرار له كـلّ يـوم وليلة.

ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ لمّا بنى الكعبة وضع الحـجر في ذلك المكـان؛ لأنّـه تـبارك وتعالى حين أخذ الميثاق من ولد آدم أخذه في ذلك المكان، وفي ذلك المكـان القـم الملك الميثاق، ولذلك وضع في ذلك الركن، وتنحّى آدم من مكان البيت إلى الصـفا وحوالى المروة، ووضع الحجر في ذلك الركن، فلمّا نظر آدم من الصفا، وقـد وضـع الحجر في الركن كبّر الله وهلّله ومجّده فلذلك جرت السنة بالتكبير واستقبال الركن الذي فيه الحجر من الصفا، فإنّ الله أودعه الميثاق والعهد دون غيره من المـلائكة، لأنّ الله عزّ وجل لمّا أخـذ المـيثاق له بـالربوبيّة ولمحـمّد صلى الله عليه وآله بـالنبوّة ولعـليّ عليه السلام بالوصيّة، اصطكّت فرائص الملائكة فأوّل من أسرع إلى الإقـرار ذلك المـلك، ولم يكن فيهم أشدّ حبّاً لمحمّد وآله صلى الله عليه وآله منه، فلذلك اخـتاره الله مـن بـينهم، وألقـمه الميثاق، وهو يجيء يوم القيامة، وله لسان ناطق وعين ناظرة يشهد لكلّ من وافاه إلى ذلك المكان وحفظ الميثاق.

وفي الكافي[1] عن أبي جعفر عليه السلام وسـاق الحـديث.. إلى أن قـال: ثمّ أمـر نـاراً فأُجّجت، فقال لأصـحاب الشمال: ادخـلوها فـهابوها، وقـال لأصـحاب اليمـين ادخوها فدخلوها، فكانت عليهم برداً وسلاماً، فـقال أصـحاب الشمال: يـا ربّ أقلنا فقال: قد أقلتكم إذهبوا فادخلوها فـهابوها، فـثمّ ثـبتت الطـاعة والولايـة والمعصية.

هذا والمستفاد من هذه الأحاديث أنّ المراد من الميثاق هـو المـأخوذ في الذرّ، الذي أُشير إليه فيما تقدّم، إلّا أنّه يقع الكلام في بيان المراد منه بالنسبة إلى الأئمّة عليهم السلام وبالنسبة إلى غيرهم.

---

١ ـ الكافي ج ٢ ص ٨.

أمّا الأوّل: فقد يقال: هو تبليغ الرسالة والدعاء إلى التوحيد.

وبعبارة أخرى: هو جميع التكاليف التي تناسب مقام قربهم له تعالى، وهو ما أُشير إليه في حديث داود الرقي من قوله عليه السلام: فحملهم العلم والدين، وهما كناية عن المعارف الإلهيّة والاشتمال بها وجداناً فهم عليهم السلام وكّدوها بالثبات عليها عقيدة وصفة وعملاً في جميع أحوالهم ووجوداتهم، وتحمّلوا فيها الأذى بما لا مزيد عليه كما أُشير إليه سابقاً.

وبعبارة أخرى: الميثاق هو ما يشدّ به الشيء كما تقدّم، وهو يرجع إلى المشي على طبق ما أخذ العمل به منهم عليهم السلام إلى الالتزام بذلك، وقد عاهدوا الله عليه وعملوا والتزموا به.

وإليه يشير ما في دعاء الندبة: «فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء» الدعاء وما في تفسير نور الثقلين[1]، عن الكافي، عن صالح بن سهل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله: بأيّ شيء سبقت ولد آدم؟ قال: إنّني أوّل من أقرّ بربي، إنّ الله أخذ ميثاق النبيّين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا: بلى فكنت أنا أوّل من أجاب.

وأمّا نفس المعارف والدين فهو يرجع إلى حقيقة مقامهم النفساني الذي قد منحهم الله تعالى، والذي هو مقام ولايتهم التكوينية، التي تقدّم ذكرها سابقاً.

وأمّا الثاني: فهو الإقرار المأخوذ منهم في الذرّ المذكور في حديث داود الرقّي أيضاً من قوله تعالى، ثمّ قال لبني آدم: أقرّوا لله بالربوبية وهؤلاء النفر بالولاية والطاعة، فقالوا: ربّنا أقررنا، فقال الله للملائكة: اشهدوا، فقال الملائكة: شهدنا، فالميثاق المأخوذ من غيرهم من ساير الناس هو الإقرار بالتوحيد لله تعالى، والنبوّة له صلى الله عليه وآله والولاية لهم عليهم السلام والمشي عليها والالتزام بها هو توكيدها، وإلى هذا

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٩٤.

التوكيد يشير ما تقدّم من الدعاء بعد صلاة يوم الغدير.

وبعبارة أخرى: الالتزام المأخوذ منهم في الذرّ، هو الالتزام المأخوذ منهم يوم الغدير. فالعهد المأخوذ يوم الغدير، هو المأخوذ منهم في الذرّ بالنسبة إلى الولاية، بل وساير الأمور من التوحيد وما يتبعه والرسالة والدين وما استتبعها كما لا يخفى، وتوكيدها هو المشي عليها والوفاء بها كما لا يخفى، بل المستفاد من الأخبار أنّ الله تعالى قد أخذ على جميع ما خلق من الملائكة وغيرهم من سائر الموجودات الميثاق على الولاية، كما صرّحت به الأخبار الواردة على أنّ ولايتهم عرضت على جميع الموجودات.

وكيف كان فمن تتبّع أحاديثهم عليهم السلام وجد أنّ الله تعالى قد أخذ على جميع الخلق من الجنّ والإنس والملائكة، والحيوانات والنباتات والجمادات، طاعتهم، وعرض عليهم ولايتهم، كما دلّت على أنّ الماء الأجاج لم يقبل ولايتهم، والأرض السبخة كذلك والأشياء المرّة إنّما كانت مرّة؛ لأنّها لم تقبل ولايتهم كما تقدّم من حديث شراء بلال البطيخة المرّة وقد تقدّم.

وعن طريق العامّة عن أنس بن مالك قال: دفع عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى بلال درهماً ليشتري به بطّيخاً، قال: فاشتريت به، فأخذ بطيخة فقطعها فوجدها مرّة فقال: يا بلال ردّ هذا إلى صاحبه وآتني بالدرهم، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: إنّ الله قد أخذ حبّك على البشر والشجر والثمر والبذر، فما أجاب إلى حبّك عذب وطاب، وما لم يحبّك خبث ومرّ، وإنّي أظنّ أنّ هذا ممّا لا يحبّني.

وبالجملة فالميثاق المأخوذ على غيرهم من سائر الخلق ولايتهم ومحبّتهم، فيجب على كلّ من سواهم طاعتهم، وقد تقدّم أنّ هذا هو الملك الكبير الذي منحهم الله تعالى، وكلّ ما سواهم مطيعون لهم خصوصاً الملائكة، كيف وهم علموا التوحيد والتسبيح والتقديس والتهليل منهم عليهم السلام كما تقدّم، وتقدّم قوله صلى الله عليه وآله في هذا المعنى: وكان ذلك من تعليمي وتعليم عليّ عليه السلام وكان ذلك في علم الله السابق أنّ الملائكة

تتعلّم منّا التسبيح والتهليل، وكلّ شيء يسبّح الله ويكبّره ويهلّله بتعليمي وتعليم عليّ عليه السلام ـ الحديث.

هذا وقد ظهر أيضاً أنّ زمان هذا الميثاق زمان أخذه هو عالم الذرّ والأرواح، وأنّه تعالى قد جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه كما في حديث أبي بصير المتقدّم آنفاً، وأنّه كان تكليفاً منه تعالى عليهم كما لا يخفى لتحقّق شرطه. وأمّا توكيدهم الميثاق بالنسبة إلى شيعتهم، وأنّهم عليهم السلام قاموا بولايتهم التكوينية والتشريعية، التي منحهم الله تعالى بأن بيّنوا حقيقتها لشيعتهم، وبيّنوا حدودها وشرائطها وآثارها، وكيفيّة القيام بها للوصول إلى آثارها والاستفادة منها، وبيّنوا أنّ الشيعة كيف يلتزمون بها وبعبادة الله وبطاعتهم عليهم السلام وبيان الفرق بين طاعتهم وطاعة الله تعالى.

وأيضاً أعانوهم باللطف منهم عليهم السلام لهم من تأييدهم في القيام بها، مضافاً إلى أنّهم عليهم السلام دعوا الله تعالى في حقّهم وسألوه التوفيق لهم في ذلك، بل استغفروا الله تعالى؛ ليعفوا عن هفواتهم وتقصيراتهم، وكيف كان فهم عليهم السلام أوردوا شيعتهم حياض ولايتهم بكلّ ما أمكنهم عليهم السلام من التبليغ والتأييد والدعاء والإعانة لهم، كما أنّهم عليهم السلام ذادوا أعداءَهم عن ولايتهم بعدإنكارهم لها، ودفعوا شرورهم وأشرارهم عن شيعتهم بكلّ ما يمكنهم ممّا تقدّم ذكره.

والحاصل: أنّهم عليهم السلام لمّا كانت الشيعة خلقوا من فاضل طينتهم، فقد حسبوهم من أنفسهم عليهم السلام ورتّبوا على التنزيل بل التحقيق آثاره التي منها أنّهم كما أكّدوا ميثاقهم، فكذلك أكّدوا ميثاق شيعتهم؛ لتنزيلهم منزلة أنفسهم عليهم السلام فياله من لطف وكرامة منهم عليهم السلام لشيعتهم! فجزى الله محمّداً وآله الأطيبين عن الشيعة خيرَ الجزاء، وأحسنَ الجزاء، وأكملَ الجزاء جزاء لا يدانيه جزاء ولا يعدله جزاء في الدنيا والآخرة، ورزقنا الله تعالى محبّتهم والشوق إليهم، وإلى موطن أقدامهم في الدنيا والآخرة بمحمّد وآله الطاهرين.

وأمّا قوله ﷺ: وأحكمتم عقد طاعته.

فأقول: في المجمع: قوله تعالى: ﴿أحكمت آياته ثمّ فصّلت﴾[١] أي أُحكمت بالأمر والنهي، ثمّ فصّلت بالوعد والوعيد، أو أحكمت عباراتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه.

وفيه: قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾[٢] هي جمع عقد بمعنى المعقود وهو (أي العقد) أوكد العهود والفرق بين العقد والعهد أنّ العقد فيه معنى الاستيثاق والشدّ ولا يكون إلّا من متعاقدين، والعهد قد يتفرّد به الواحد. فكلّ عهد عقد، ولا يكون كلّ عقد عهداً. وأصله عقد الشيء بغيره، وهو وصله به كما يعقد الحبل.

أقول: فمعنى الجملة حينئذٍ أنّكم أحكمتم عقد الطاعة بما للعقد من المعنى الذي نذكره، أي أثبتم للكلّ وأوضحتم بنحو لا يحتمل فيه الخلاف، ولا يعرض لأحد لوضوحه الاشتباه. فانّكم ملتزمون بعقد طاعته، وهذا الإحكام ثابت لأنفسهم الشريفة فيما بينهم وبين خالقهم، وقد عقد قلبهم ﷺ عليه، ودلّ عليه قيامهم بالعمل بالوظائف الشاقّة بتمام الجدّ، كما دلّت عليه أحوالهم المأثورة من العبادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على حوادث الأمور الصعبة ولو بمثل القتل فكيف بما دونه.

وبعبارة أخرى: أنّهم ﷺ صاروا بإحكام عقد الطاعة له تعالى كالميّت بين يديّ الغسّال، فهم في قبضته تعالى، وفوّضوا أنفسهم وأولادهم وأموالهم وجميع ما آتاهم الله تعالى إليه، فهو تعالى المتصرّف فيها كيف يشاء، وهم ﷺ لا يريدون إلّا ما أراد الله ولا يشاؤون إلّا ما يشاء الله كما تقدّم، وتقدّم قول النبيّ ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى ميّت وهو يمشي، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب ﷺ» فهذه الجملة كأنها تفسير للجملة السابقة أعني قوله ﷺ: «ووكّدتم ميثاقه» فإنّ توكيدها يظهر بإحكام

---

١ ـ هود: ١.

٢ ـ المائدة: ١.

الطاعة له تعالى بالنحو المذكور كما لا يخفى.

ولغيرهم من الناس، وذلك بالمواعظ الشافية، والنصائح الكافية، وبإظهار الدين المبين، وإعلان شريعة سيّد المرسلين، والترغيب في ثوابه، والتخويف والتهديد من عقابه، فإنّ هذه الأمور منهم عليهم السلام كما تدلّ على أنّهم أحكموا عقد الطاعة له تعالى فيما بينهم وبين ربّهم، كذلك تدلّ على أنّهم أدّوا ما كان واجباً عليهم من التبليغ بنحو ما ذكر، فإنّه (أي التبليغ) أيضاً من طاعاتهم كما لا يخفى.

وأمّا بيان المراد من عقد الطاعة فهو عامّ يشمل الواجبات، التي تجب عليهم عليهم السلام منه تعالى من الأعمال العبادية والتبليغات الشرعية، كما ذكرنا هذا، ولكن قد يقال: إنّ المراد من عقد الطاعة هو ما أُشير إليه في تفسير قوله تعالى: ﴿ أوفوا بالعقود ﴾[1] أي العهود.

ففي تفسير نور الثقلين[2]، عن تفسر عليّ بن إبراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قوله: ﴿ أوفوا بالعقود ﴾، قال: أي بالعهود.

وفيه: عن أبي جعفر الثاني عليه السلام في قوله: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عقد عليهم لعليّ عليه السلام بالخلافة في عشرة مواطن ثمّ أنزل الله: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ التي عقدت عليكم لأمير المؤمنين عليه السلام.

ولا ريب في شمول عقد الطاعة لهذا العقد والعهد الذي أخذه لله تعالى عليهم لأمير المؤمنين عليه السلام وحينئذٍ معناه أنّكم أحكمتم عقد الطاعة أي العهد الذي أخذه الله تعالى لأمير المؤمنين عليه السلام وذلك بالمشي عليه عقيدة وعملاً، وتبليغه للخلق وحثّهم عليه وعلى العمل به كما لا يخفى.

ولعمري إنّهم عليهم السلام أحكموا عقد الطاعة وأضبطوه وأتقنوه لشيعتهم، حيث بيّنوا لهم العروة الوثقى الحقيقية التي هي ولاية أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام وذلك بتبليغهم

---

١ ـ المائدة: ١.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج١ ص ٤٨٤.

وقودهم إليها بأنوارهم المعنوية والإضاآت الروحانية بحيث أخرجوهم من ظلمات الجهل بالولاية، التي كانت قد غشّت قلوب كثير من المخالفين بالنسبة إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بحيث كانت الولاية عليهم أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف، ولكن بلطفهم بالنسبة إلى شيعتهم صارت الولاية لهم أوضح من الشمس، وأوسع ممّا بين السماء والأرض فأضاءت لهم سبلَ الرشاد إلى رضوان الله تعالى والجنان وجوار الأئمّة عليهم السلام في منازلهم الأخروية، فيا لها من نعمة أنعمها عليها بهم عليهم السلام! والحمد لله على الولاية كما يحبّ ويرضى.

قوله عليه السلام: *ونصحتم له في السرّ والعلانية.*

في المجمع: قوله تعالى: ﴿توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾[1] هي فعولاً من النصح، وهو خلاف الغش ـ إلى أن قال: وأصل النصيحة في اللغة الخلوص، يقال: نصحته ونصحت له.. إلى أن قال: والنصيحة لفظ حامل لمعان شتّى، فالنصيحة لله الاعتقاد في وحدانيّته، وإخلاص النيّة في عبادته ونصرة الحقّ فيه، والنصيحة لكتاب الله هو التصديق به، والعمل بما فيه، والذبّ عنه دون تأويل الجاهلين وتحريف الغالين وانتحال المبطلين، والنصيحة لرسول الله صلى الله عليه وآله التصديق بنبوّته ورسالته والانقياد لما أمر به ونهى عنه.

أقول: قال بعض الأعاظم: النصح الخلوص، وإظهار الشيء على ما هو عليه، فحقيقة النصح لله تعالى التثبّت في حقيقة العبودية، ونفي جميع ما آتاه الله من نفسه وإثباتها له، وصرف جميعها فيما خلقه الله تعالى لأجله.

والمراد بالسرّ يعني فيما بين الله وبين أنفسهم عليهم السلام في معاملتهم مع الله وفي العلانية، يعني معاملتهم مع الناس باعترافهم بالعبودية له تعالى، وتعليمهم سبيل عبوديّته وشرائع دينه، والحثّ على نفي الأنداد، وتخليص الأسرار له تعالى،

---

١ ـ التحريم: ٨.

وتحريض العباد على طاعته وطاعة رسوله وتعظيم شعائره، ونهيهم عن القول فيهم عليهم السلام بما لا يليق لعزّ جلاله، وتحمّلهم أذى ممّن ظلمهم في الدعوة إليه تعالى، وصبرهم فيما جرى عليهم من قضائه، وأمثال ذلك ممّا به قوام حقيقة العبودية.

أقول: هذا بالنسبة إليهم وأمّا النصيحة منّا، أمّا بالنسبة إليه تعالى فهو بالتحقيق بتوحيده ورؤية عدله، والقيام بأمره، واجتناب نواهيه، وإخلاص النيّة في عبادته وخدمته، ونصرة الحقّ فيه بمحبّة أحبائه له تعالى، وبغض أعدائه له تعالى، وفعل ما يرضي، والرضا بما يفعل، وجعل نفسه بما لها من الشؤون الظاهرية والباطنية على موافقة إرادته، وطلب رضاه ومحبّته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وطاعة أوليائه الأئمّة الطاهرين عليهم السلام فيما يرجع إليهم، أو إلى الله تعالى بنحو ما بيّنوه لهم.

وأمّا بالنسبة إلى رسوله والأئمّة (عليه وعليهم السلام) فهو بالإيمان برسالته وبولايتهم وإمامتهم، وبما جاء صلى الله عليه وآله به عن ربّه من أحوال المبدإ والمعاد، والدنيا والآخرة، والانقياد لما أمر به ونهى عنه، وقبول نصحه والاهتداء بإرشاده، والمتابعة له في أقواله وأفعاله وعقائده بحسب ما يفهمه وبحسب طاقته، وبالنصح للأئمّة عليهم السلام بالإخلاص في محبّتهم، والاحتمال لعلمهم، ومتابعتهم أيضاً في الأقوال والأفعال والعقائد، وعدم الشكّ فيهم والاستقامة على ولايتهم والتسليم لهم، والردّ إليهم والانقياد والخضوع والقبول فيما يرد عنهم في شأنهم وفضائلهم، وبذل الجهد والمجهود في القيام بواجب حقّه.

وقبول أوامرهم ونواهيهم، ومتابعتهم في كلّ الأحوال والأقوال والأعمال، وموالاتهم، وموالاة وليّهم وإن كان أبعد بعيد، ومعاداة عدوّهم وإن كان أقرب قريب، والاحتجاب بذمّتهم، والتمسّك بحبلهم، والاعتراف بحقّهم، والاعتصام بذمامهم، والتوقّي بولايتهم، والاتكال على حبّهم، والانتظار لرجعتهم، والاستعداد لنصرتهم، والدعاء بتعجيل فرجهم، والمصابرة لأيامهم وهوى الأفئدة إليهم، ومعرفة أنّ الحق لهم ومعهم وفيهم وعندهم وبهم وعنهم وإليهم ومدّ البصر

والبصائر إليهم في جميع الأمور والأحوال؛ لأنّهم عليهم السلام وجه الملك المتعال، وبه يلحق النصح لكتابه، وهو كما تقدم بالتصديق به والإيمان بمحكمه ومتشابهه، وردّ متشابهاته إلى محكمه، وقبول معانيه على ما أريد وما أنزل وعلى النحو الذي تجلّى لقلب النبي صلى الله عليه وآله.

هذا وقد علمت معنى كون النصيحة سرّاً وعلانية، وحاصله: أنّ من تحقق قلباً بمعرفة الله تعالى سرت حقيقتها وآثارها في الباطن والسرّ والظاهر والعلن، وفي جميع أركانه ومشاعره وجميع حالاته، فصاحب هذه المعرفة يكون ناصحاً له تعالى بالمعاني المتقدمة سرّاً وعلناً كما لا يخفى والله العالم.

قوله عليه السلام: *ودعوتم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة*

اِعلم أنّ ما يتصوّره الإنسان وهو المسمّى بالعلم سواء كان تصوّرياً أو تصديقاً إن كان بعد الرؤية بالعين بمعنى أنّه ينتزع علمه عن الرؤية فهو علم عيان أي يسمّى بالعلم العياني، وإن كان بعد معاينة أسبابه وما يتفرّع عليها وما يتوقف عليه بنحو يستلزم رؤية هذه الأسباب والأُمور ذلك العلم فهو علم إحاطة.

ثمّ إنّ العلم المستفاد من هذين الأمرين يسمّى بالحكمة، وذلك لأنّ منشأه المشاهدة المستفادة من كتاب الله التدويني والتكويني من الآفاقي والأنفسي، وتكون تلك المشاهدة منها بعين الفؤاد وبصر القلب، وحقيقة عين الفؤاد ونور البصر هو نور من الله تعالى المعبّر عنه في الأحاديث بالتوسم والفراسة كما لا يخفى.

في بصائر الدرجات[1]، حدّثنا محمد بن عيسى، عن سليمان الجعفري قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام قال: يا سليمان اتّق فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله، فسكت حتى أصبت خلوة فقلت: جُعلت فداك، سمعتك تقول: اتّق فراسة المؤمن

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٧٩.

فإنّه ينظر بنور الله، قال: نعم يا سليمان إنّ الله خلق المؤمن (المؤمنين) من نوره وصبغهم في رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية، والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأُمّه،أبوه النور وأمّه الرحمة، وإنّما ينظر بذلك النور الذي خلق منه.

وهذا العلم الحكمتي لا يقابله الإنكار لأنّ صاحبه معاين بقلبه للواقع، فلا يفقده ليكون جاهلاً كما في العلم فانّه كما سيأتي ربّما يمحى عن قلب صاحبه فيكون جاهلاً.

وبعبارة أخرى: أنّ الحكمة (أي العلم المستفاد من المشاهدة) لا يعرض على صاحبه الإنكار؛ لمكان المشاهدة التي هي تجلّي المشهود، ففي حال التجلّي لا انكار قلباً، وأمّا غيرها أي غير الحكمة ففي حال تحققه يعرض لصاحبه خاطرة خلافه، إلّا أنّه يدفعه بالدليل عملاً لا قلباً، فافهم تعرف إن شاء الله.

وأيضاً صاحب الحكمة لا يتوقف ولا يعرضه التوقف؛ ليكون شاكّاً كما في علم اليقين، فإنّه ربّما يعرضه الشك ولو لأجل عروض الغفلة، أو إهماله للعمل بمقتضى علم اليقين، فتحصل له الشك كما لا يخفى، وهذا بخلاف الحكمة والعلم العياني؛ وذلك لأنّ صاحبه يكون مشاهداً للواقع بنحو ما ذكر، فما دامت فيه المشاهدة يكون له علم العيان والحكمة، والله سبحانه يتعامل مع هذا الشخص بما ظهر في فؤاده وهو يتعامل مع ربّه بما فيه، وهذا العلم العياني يشترط في تحققه الإنصاف مع الربّ، وأن يكون صادقاً مع الله والرسول والأوصياء ليصير مورداً لألطافهم الخاصة.

ففي المحكي عن الباقر عليه السلام: ما من عبد أحبّنا وزاد في حبّنا، وأخلص في معرفتنا، وسأل مسألة إلّا نفثنا في روعه جواباً لتلك المسألة.

والحاصل: أنّ المحب لهم عليهم السلام يمنح له علمهم كما تقدم في شرح قوله تعالى **﴿وألّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً﴾**[1] قول الصادق عليه السلام: أي لو استقاموا

---

١ ـ الجن: ١٦.

على حبّ آل محمد لأفدناهم علم آل محمد، وهذا بخلاف من قرع غير بابهم، وأراد دخول البيت من ظهره، فإنّه وإن كان ربّما عرف الدليل وكيفية الاستدلال العلمي والعملي لدرك الواقع بمثل استعمال الرياضات والأذكار المعروفة، إلّا أنّه لا يصل ولا يعلم حقّ المعارف والحقائق، نعم يكشف له بعض ما أُشكل عليه في مذهبه الباطل بصورة الحق، فيحسب أنّه على الحق مع الجهل بأنّه قد ضلّ سعيه، وهو يحسب أنّه يحسن صنعاً.

فهؤلاء مصداق لقوله تعالى: ﴿ **ألم ترَ أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون * وأنّهم يقولون ما لا يفعلون** ﴾[١] فإنّه ربّما قد خرج حينئذٍ من ظلمة الجهل، إلّا أنّه دخل في ظلمة النفاق، فلا يعمل بما يعلم ولقوله تعالى: ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً** ﴾ كما قال تعالى: ﴿ **يعرفون نعمة الله ثمّ ينكرونها** ﴾[٢] وهؤلاء قد وبّخهم الله تعالى بقوله: ﴿ **أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون** ﴾[٣].

وكيف كان فهؤلاء وقعوا في الشيطنة التي هي شبيه الحكمة، وأحسن مصاديق لهؤلاء علماء بعض الفرق والمتصوّفة بأجمعهم كما لا يخفى، ثمّ أين هؤلاء المدّعون للحكمة. وكيف يقاس بهن الذين رزقهم الله تعالى ذوق المعرفة بعين الفؤاد ونور البصيرة، وظهور مقتضى الفطرة التي فطر الله العباد عليها والتي هي التوحيد، الذين قد شاهدوا الحقائق والمعارف بقراءة ما كتبه الله تعالى في ألواح الآفاق والأنفس من الآيات الدالّات على معرفة الأشياء كما هي.

توضيحه: أنّ الأشياء كلّها مرايا للمعاني، وأعيان الموجودات كلّها مظاهر للآيات الإلهية.

وبعبارة أُخرى: أنّ الموجودات مرايا يرى منها البصير علمه تعالى، وحكمته

---

١ ـ الشعراء: ٢٥ ـ ٢٦.

٢ ـ النحل: ٨٣.

٣ ـ المؤمنون: ٦٩.

وقدرته، وجماله وجلاله، ورحمته وألطافه بنحو ليس فيها شبه ولا أوهام ولا شكوك، كلّ ذلك كما علمت بنور الله والفراسة التي منحها الله تعالى.

إذا علمت هذا فقوله عليه السلام: «ودعوتم إلى سبيله بالحكمة» أي منحتم شيعتكم الحكمة، أي المشاهدة القلبية لحقائق الأُمور والمعارف بحيث عرفوا بذلك سبيل الوصول إلى معرفته تعالى، وإلى مرضاته وألطافه الخاصة، وإنّما قلنا لشيعتهم، لأنّ هذا لطف لكل من أتاهم عارفاً بحقّهم وهم الشيعة كما لا يخفى. وإن كان ما يتصوّره الإنسان من السمع، ومن الخطاب الملق إليه، فيستفيد من اللفظ المعاني على حسب بصيرته بأوضاع اللغات، ومعرفته باصطلاح التخاطب في مقام المكالمة، فهذا العلم يسمّى بعلم إخبار.

وهذا قد يعرضه الخطأ كثيراً فإنّه ربّما يفهم منه غير ما وضع له اللفظ، أو غير مراد المخاطب المتكلّم لغفلته عن بعض القرائن، التي توجب صرف اللفظ إلى غير ما يكون اللفظ فيه ظاهراً مع فقدها، وهذا العلم هو علم أكثر المحجوبين، الذين هم لم يستضيئوا بنور الحكمة، ولم يتفرّسوا بنور الايمان، فهم في عين علمهم جاهلون، وفي خيالاتهم المسمّيات عندهم بالعلم مترددون، فربّما يظنّون خلاف الواقع واقعاً، وينكرون الواقع جهلاً بالأمور كما لا يخفى.

وامّا قوله عليه السلام: والموعظة الحسنة، فقد علمت مما تقدم أنّها فسّرت بالبيان، الذي تلين به النفس، ويرقّ له القلب لما فيه من صلاح حال السامع من الغير والعبر وجميل الثناء ومحمود الأثر إلى آخر ما تقدم، وعلمت أنّها (أي الموعظة الحسنة) هي المأذون فيها، وغير الحسنة وهي المنهي عنها، وقد يقال في تفسيرها بما حاصله: أن تقف مع خصمك في مقام الاستدلال على حدود الشرع والعقل، فتدعوه حين الدعوة إلى ما فيه السلامة والنجاة، والاحتياط والراحة من محتملات طرفي النزاع، كلّ ذلك ليسهل لك معالجة الخصم، فلو دعوته إلى خصوص طرف كان ينكره لم يقبل، ولعمي عليه الطريق طريق الحق، وهذا بخلاف ما إذا جاملته، وجعلته

في سعة من اختار، فيرجع باختياره لا باجبارك إلى عقله فلعلّه حينئذٍ يقبل الحقّ المعلوم لدى العقل.

والحاصل: أن تدعوه إلى الحق مع إضاءة عقله لدركه بأن توسّع عليه طريق النظر العقلي، لا أن تظلمه عليه فيبقى على عماه، وهذا النحو من الدعوة إلى الحق يثمر علم اليقين؛ لأنّ المدعو يرجع إلى اختيار ما فيه نجاته من المحتملين في مورد النزاع من قبول الحق، ولا أقل من أن يصير شاكّاً أو متوقفاً لا منكراً، فلا يقوم على الداعي بالمخاصمة والنزاع.

والحاصل: أنّ الموعظة الحسنة هو جعل الطرف في سعة، بحيث يرجع بنفسه إلى ما يحكم به عقله في مورد النزاع، مع عدم المشاجرة الموجبة لهيجان صفات النفس، الموجبة لخفاء الحق، فحينئذٍ إمّا يقبل الحق أو يقف عنده ولا يعارض أهله.

أقول: هذا كلام حسن في تفسير الموعظة الحسنة إلّا أنه يدل على أنّ المراد من الموعظة الحسنة هو الاستدلال كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿ادع﴾ أي بالدليل عن هذه الأقسام الثلاثة، وهذا (والله العالم) خلاف الظاهر المتبادر منها عرفاً، فإنّ الموعظة خصوصاً الحسنة لم يلحظ فيها إقامة الدليل بل المطلوب فيها هو البيان بنحو يرقّ القلب وتلين به النفس إلى آخر ما تقدم، وإلّا فلو كانت الموعظة الحسنة ما ذكر لما كان فرق بينها وبين المجادلة بالتي هي أحسن، فإنّها أيضاً هي الاستدلال بنحو يرجع الخصم إلى عقله فيقبله لا بنحو آخر يوجب بقاء عماه كما في المجادلة بغير التي هي أحسن، فتأمّل.

وأمّا المجادلة بالتي هي أحسن فإنّه وإن لم يذكره هنا، إلّا أنه قد تقدم معناه في شرح قوله عليه السلام: «السلام على الدعاة إلى الله» وتقدم أنّها فسّرت بالحجة التي تستعمل لفتل الخصم عمّا يصرّ عليه، وينازع فيه من غير أن يريد به ظهور الحق بالمؤاخذة عليه من طريق ما يتسلّمه هو والناس، أو بتسلّمه هو وحده في قوله أو حجته، وهنا حديث مفصّل ذكر فيها المجادلة بالتي هي أحسن وغيرها، فلا بأس

بذكرها للتبصّر فنقول:

في الثقلين[١]: قال أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام: ذكر عند الصادق عليه السلام الجدال في الدين، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام قد نهوا عنه، فقال الصادق عليه السلام: لم ينه عنه مطلقاً، ولكنه نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن، أما تسمعون الله يقول: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلّا بالتي هي أحسن﴾**؟ قيل: يا بن رسول الله ما الجدال بالتي هي أحسن وبالتي ليست بأحسن؟ قال: أمّا الجدال الذي بغير التي هي أحسن أن تجادل مبطلاً، فيورد عليك مبطلاً، فلا تردّه بحجة قد نصبها الله، ولكن تجحد قوله أو تجحد حقاً يريد ذلك المبطل أن يعين به باطله، فتجحد ذلك الحق مخافة أن يكون له عليك فيه حجة؛ لأنّك لا تدري كيف المخلص منه.

فذلك حرام على شيعتنا، أن يصيروا فتنة على ضعفاء اخوانهم وعلى المبطلين. أمّا المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا تعاطى مجادلة وضعف ما في يده، حجة له على باطله، وأمّا الضعفاء منكم فتعمى قلوبهم لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل، وأمّا الجدال بالتي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالى به نبيّه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحياءه له، فقال الله حاكياً عنه: **﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يُحِي العظام وهي رميم﴾**، فقال الله في الردّ عليه: **﴿قل (يا محمد) يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾**.

فأراد الله من نبيّه أن يجادل المبطل الذي قال: كيف يجوز أن يبعث هذه العظام وهي رميم؟ قال: فقل يحييها الذي أنشأها أوّل مرة، أفيعجز من ابتدأه لا من شيء أن يعيده بعد أن يبلى؟ بل ابتداؤه أصعب عندكم من إعادته.

ثمّ قال: **﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾**، أي إذا كمن النار الحارة في الشجر الأخضر الرطب ثمّ يستخرجها فعرّفكم أنّه على إعادة من بلى أقدر.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤، ص ١٦٢.

ثمّ قال: **﴿أوَ ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلّاق العليم﴾** أي إذا كان خلق السماوات والأرض أعظم وأبعد في أوهامكم، وقدركم أن تقدروا عليه من اعادة البالي فكيف جوّزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم والأصعب لديكم، ولم تجوّزوا منه ما هو أسهل عندكم من اعادة البالي؟

قال الصادق عليه السلام: فهذا الجدال بالتي هي أحسن؛ لأنّ فيها قطع عذر الكافرين وإزالة شبههم. وأمّا الجدال بغير التي هي أحسن فإن تجحد حقاً لا يمكنك أن تفرق بينه وبين باطل من تجادله، وإنّما تدفعه عن باطله بأن تجحد الحق، فهذا هو المحرّم؛ لأنّك مثله جحد هو حقاً، وجحدت أنت حقاً آخر.

قال أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام: فقام إليه رجل آخر فقال: يا بن رسول الله أيجادل رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال الصادق عليه السلام: مهما ظننت برسول الله من شيء فلا تظنن به مخالفة الله تعالى أليس الله قال: **﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾** و **﴿قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة﴾** لمن ضرب لله مثلاً فتظن أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خالف ما أمره الله به فلم يجادل ما أمره به، ولم يخبر عن أمر الله بما أمره أن يخبره به؟

هذا والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

قوله عليه السلام: وبذلتم أنفسكم في مرضاته، وصبرتم على ما أصابكم في جنبه

أقول: وبذلتم بالمداومة على العبادات، وبإظهار الطاعات، وإبداء الشريعة الحقّة، وتعليم الفرقة المحقّة، وإعلاء كلمة الله، وتشييد دين الله سرّاً وجهراً، وإن أصابكم ما أصابهم من القتل والأسر وسقي جبابرة زمانهم السموم لهم حتى قالوا عليهم السلام: «ما منّا إلّا وهو شهيد»، أي إمّا بالسم أو بالقتل أو بهما، وفي التعبير بالبذل إشارة إلى أنّهم عليهم السلام فدوا أنفسهم مع ما كانوا عليه من شدة الطاعات، وتحمّل المشاق والأذى في سبيل مرضاته بذلاً، أي بدون بدل وبدون إرادة جزاء منه تعالى.

والحاصل: أنّ هذه الجملة تشير إلى أنّهم عليهم السلام إنّما كانوا يتحمّلون ما يتحمّلون لله تعالى؛ لكونه تعالى أهلاً لذلك، كما يشير إليه قوله عليه السلام: «وأمّا نحن فنعبده حبّاً له» وقوله: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» فإنّ هذه التحمّلات لله تعالى تكون عبادة كما لا يخفى.

وكيف كان فهم عليهم السلام بذلوا أنفسهم في مرضاة الله تعالى حتى أضرّوا بأنفسهم في المأكل والمشرب والمطعم والملبس كما هو مذكور في الأخبار، فراجع ما ورد في أحوال علي بن الحسين عليه السلام وكذا سائر الأئمة عليهم السلام من مجاهداتهم مع أنفسهم، ومن عباداتهم وبكائهم وخشوعهم، وزهدهم وورعهم وكرمهم وصدقاتهم، والقيام بالجهاد في سبيل الله والجهاد مع النفس، وضد الكفار حيث ما اقتضى التكليف الإلهي.

والحاصل: أنّهم بلغوا في هذه المجاهدات بحيث نوّه بهم بين الخلق، وضربت بهم وبعبادتهم ومجاهدتهم الأمثال بين المؤالف والمخالف.

والحاصل: أنّه لو حاول أحد أن يحصي ما ترتب على بذلهم أنفسهم في طاعة الله تعالى من المشاق والآلام والجوع، ومعاداة الأعداء الكثيرة في الله تعالى، وما يترتب على هذه لما كان يحيط به، وقوله عليه السلام: «وصبرتم على ما أصابكم في جنبه» مترتب على قوله عليه السلام «وبذلتم» وذلك أنّهم لما بذلوا أنفسهم في مرضاته، صبروا على ما أصابهم من ذلك البذل من مشقة العبادات والتعب الشديد، وسهر الليالي والتوجّه التام إليه تعالى بما له من الحالات، التي تعجز عقولنا عن دركها، ومن الجوع من الصيام حتى ربّما بقوا ثلاثة أيام صائمين لم يفطروا إلّا بالماء، وربّما كانوا يربطون حجر المجاعة على بطونهم، ومن مشقة كلفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما تحمّلوا من مخالفيهم في هذا المقام من معاداة الباغين الكافرين والمنافقين معهم، حتى جرى عليهم من القتل والشهادة والسجن وسائر أنواع الظلم، وهذا كسابقه أمر ظاهر.

ولكن يقع الكلام هنا في **أمرين**:

الأوّل: في معنى الصبر وأنواعه.

الثاني: في معنى الجنب.

أمّا الأوّل فنقول:

في مرآة العقول[١]، قال المحقق الطوسي ﷺ: الصبر حبس النفس عن الجزع عند المكروه، وهو يمنع الباطن عن الاضطراب، واللسان عن الشكاية، والأعضاء عن الحركات غير المعتادة، انتهى.

قال المجلسي ﷺ (وقد مرّ): إنّ الصبر على البلاء، وعلى فعل الطاعة، وعلى ترك المعصية، وعلى سوء أخلاق الخلق (بالفتح).

قال الراغب: الصبر الإمساك في ضيق، يقال: صبرت الدابة حبستها بلا علف، وصبرت فلاناً خلفته خلفة لا خروج له منها. والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع أو عمّا يقتضيان حبسها عنه.

فالصبر لفظ عام، وربّما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سمّي صبراً لا غير ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمّي شجاعة ويضادّه الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمّي رحب الصدر ويضادّه الضجر، وإن كان في امساك الكلام سمّي كتماناً ويضادّه الإذاعة، وقد سمّى الله تعالى كلّ ذلك صبراً ونبّه عليه بقوله: ﴿**والصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس**﴾[٢] ﴿**والصابرين على ما أصابهم**﴾[٣] ﴿**والصابرين والصابرات**﴾[٤] وسمّي الصوم صبراً لكونه كالنوع له، وقوله: ﴿**اصبروا وصابروا**﴾[٥] أي احبسوا أنفسكم على العبادة

---

١ ـ مرآة العقول ج٨، ص ١٢٠.

٢ ـ البقرة : ١٧٧.

٣ ـ الحج : ٣٥.

٤ ـ الأحزاب : ٣٥.

٥ ـ آل عمران : ٢٠٠.

وجاهدوا أهواءكم، وقوله عزّ وجلّ: ﴿واصطبر لعبادته﴾[1] أي تحمّل الصبر بجهدك، وقوله: ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾[2] أي بما تحمّلوه من الصبر في الوصول إلى مرضاة الله.

أقول: وفي المجمع: وفي الحديث: الصبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر على ما تحب.

فالصبر الأوّل: مقاومة النفس للمكاره الواردة عليها، وثباتها وعدم انفعالها، وقد يسمّى سعة الصدر، وهو داخل تحت الشجاعة.

والصبر الثاني: مقاومة النفس لقوّتها الشهوية، وهو فضيلة داخلة تحت العفة.. إلى أن قال: والصبر تارة يستعمل بعن كما في المعاصي، وتارة بعلى كما في الطاعات.

وفيه عن الكافي بين أقسامه وما له من الثواب، وفي البحار[3]، عن الكافي، يرفع الحديث إلى علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصبر ثلاثة: صبر على المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية. فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها، كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة، كما بين السماء إلى الأرض. ومَن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة، كما بين تخوم الأرض إلى العرش. ومَن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة، إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش.

ثمّ إنّه لا يخفى على أحد فضيلة الصبر، وكفى في فضله أنّه وردت في القرآن كما قيل ثمانون آية في الصبر، ونحن نذكر بعض الأحاديث الواردة فيه تذكرة لمن أراد الصبر.

ففي الكافي باب الصبر رقم ١، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الصبر رأس الإيمان

---

١ ـ مريم: ٦٥.

٢ ـ الفرقان: ٧٥.

٣ ـ وفي البحار ج ٧١، ص ٧٧.

وفيه رقم ٦، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الحرّ حرّ على جميع أحواله، إن نابته نائبة صبر لها، وإن تداكّت عليه المصائب لم تكسره، وإن أُسر وقُهر واستُبدل باليُسر عسراً كما كان يوسف الصدّيق الأمين (صلوات الله عليه) لم يضرر حريّته أن استعبد وقُهر وأُسر، ولم يضرره ظلمة الجب ووحشته وما ناله إلىٰ أن منّ الله عليه، فجعل الجبار العالي له عبداً بعد أن كان (له) مالكاً، فأرسله ورحم به أمّه، وكذلك الصبر يعقب خيراً، فاصبروا ووطّنوا أنفسكم على الصبر تؤجروا.

وفيه رقم ٧، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذّتها وشهوتها دخل النار.

وفيه رقم ١٧، عن أبي حمزة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من ابتُلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه، كان له مثل أجر ألف شهيد.

وفيه رقم ٢٠، عن بعض أصحابه قال: لولا أنّ الصبر خلق قبل البلاء، لتفطّر المؤمن كما تتفطر البيضة على الصفا.

وفيه رقم ٢٣، عن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يرحمك الله ما الصبر الجميل؟ قال: ذلك صبر ليس فيه شكوىٰ إلى الناس.

وفيه، بعده عن أبي عبد الله أو أبي جعفر عليهما السلام قال: من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز.

وفيه رقم ٢٥، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّا صبّر وشيعتنا أصبر منّا، قلت: جُعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم؟ قال: لأنّا نصبر على ما نعلم، وشيعتنا يصبرون على ما يعلمون.

أقول: أمّا صبر المؤمن على البلاء، فهو داخل تحت الصبر على المصيبة، كما لا يخفى.

وأمّا الثاني (أي معنى الجنب): فهو في اللغة على معانٍ، إلّا أنّ المراد منه هنا

جهة الشيء، أي صبرتم على ما أصابكم في جـ [illegible] الربّ، وفي سبيله ولوجهه ولأوامره ورضاه، وقربه وجواره، وطاعته وحقّه، كما قيل هذه الوجوه في قوله تعالى: ﴿ **على ما فرّطت في جنب الله** ﴾ ولها معانٍ أخر يطلق بلحاظها عليهم عليهم السلام كما تقدم من أنّهم جنب الله، أي وجه الله، وشرحه والمراد منه مذكور في محلّه.

قوله عليه السلام: *وأقمتم الصلاة*

قيل: إقامة الصلاة عبارة عن تعديل أركانها، وحفظها من أن يقع فيها زيغ في أفعالها، من أقام العود إذا قوّمه.

وقيل: من قامت السوق إذا انفقت، فمعنى أقمتها جعلتها نافقة، فإنّها إذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه، وإذا ضيّعت كانت كالمكاسد المرغوب عنه.

وقيل: إقامتها عبارة عن التشمير لأدائها من غير فتور ولا توانٍ من قولهم قام بالأمر إذا جدّ فيه وتجلّد، وضدّه قعد فيه وتقاعد، وعلى كلّ حال فالمراد أنّكم أقمتموها حقّ إقامتها من الخضوع والخشوع، والإخلاص وحضور القلب، وجميع ما هو شرط للقبول والكمال.

أقول: وقد يقال: إنّ الصلاة لمّا كانت حقيقتها معراج المؤمن، فلا محالة يكون أحسن مصداق لها هو محمد وآله الطاهرون، وحيث إنّ لهم الولاية الكلّية الإلهية، أي لهم القرب الحقيقي بالنسبة إليه تعالى، كما تقدم من شرح قوله تعالى ﴿ **ومَن عنده لا يستكبرون عن عبادته** ﴾[1] فحينئذٍ تكون إقامة الصلاة عبارة عن إقامة الولاية المطلقة الكلّية النورية الإلهية؛ لأنّ حقيقة الصلاة ذكره تعالى حقيقة، لقوله تعالى: ﴿ **أقم الصلاة لذكري** ﴾[2].

وحقيقة الذكر هو صعود الذاكر إلى مرتبة المذكور، بحيث يمحو عن نفسه تمام

---

١ ـ الأنبياء: ١٩.

٢ ـ طه: ١٤.

الحدود، ويتخلّى عن جميع القيود، ويرفع تمام الحجب، ويقف في مرتبة الفناء والموت في قبضة ربّ العالمين، بحيث لا يكون إلّا قائماً به تعالى، ويكون هو تعالى قيّومه، وهذا القيام به تعالى في الحقيقة هو ظهور اسم الله تعالى في مظاهره، وهي في الإنسان محمد وآله الطاهرون لقوله عليه السلام كما تقدم: ونحن مظاهره فيكم.

فحقيقة الصلاة بما لها من المصداق الحقيقي هم محمد وآله الطاهرون، فهم عليهم السلام هم الذين أقاموها بحقيقتها هكذا لا غيرهم، ونحن إذا أردنا إقامة الصلاة فلابدّ لنا من متابعتهم في هذا السير النوري، والفناء المعنوي بالمتابعة لهم في مظاهر الصلاة فعلاً وهو الصورة الصلاتية، ومعنىً وهو الارتباط والاتصال بهم عليهم السلام في تلك الحالات المعنوية، وبهذا اللحاظ فسّر قوله تعالى: ﴿يتسائلون عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلّين﴾[1]، باتّباع الأئمة عليهم السلام.

ففي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: فيها عنى لم نكُ من أتباع الأئمة الذين قال الله فيهم: ﴿والسابقون السابقون * أُولئك المقرّبون﴾[2] أما ترى الناس يسمّون الذي يلي السابق في الحلبة مصلّياً؟ فذلك الذي عنى حيث ﴿قالوا لم نكُ من المصلّين﴾ أي لم نكُ من أتباع السابقين.

وقد يقال: معنى إقامتها هو بيان حدودها وشرائطها الظاهرية والمعنوية، فكلّ من أقامها عن بيانهم فكأنهم عليهم السلام حينئذٍ قد أقاموها، ولو كان صدورها عن غيرهم من المكلّفين، فهذا أحد معاني قولهم عليهم السلام: بنا عُرف الله وبنا عُبد الله.

وقد يقال: إنّ معنى إقامتها هو أنّهم عليهم السلام لما تصدّوا لبيان أحكام الله، واجتهدوا في إبطال شبه المعاندين، واجتهدوا في إقامة الدين ببذل نفوسهم الشريفة بحيث قتلوا شهداء، وتحمّلوا الأذى من المخالفين كلّ ذلك؛ ليسهّل الأمر على الشيعة والمسلمين، ليتمكّنوا من إقامة أحكامه تعالى، التي منها الصلاة بل هي أهمّها، ولذا خصّت

---

١ ـ المدثر: ٤٠.

٢ ـ الواقعة: ١٠.

بالذكر. فيرجع معنى أقمتم الصلاة إلى أنّ إقامة الصلاة، ولو كانت من غيركم، إلّا أنّه لما كان السبب في إمكان إقامتها من المكلّفين هو جدّهم وجهدهم عليهم السلام فكأنّهم حينئذٍ أقاموها فتدبّر تعرف هذا.

وهنا كلام وحاصله: أنّ الظاهر من قوله عليه السلام: «وأقمتم الصلاة» هو إقامة الصلاة بما لها من الصورة الظاهرية من الحدود والشرائط، وبما لها من الصورة المعنوية، التي عبّر عنها بمعراج المؤمن، وقربان كلّ تقي، وخير موضوع، إلّا أنّه ربّما يقال: إنّ المراد منها هو ولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام وذلك لما تقدم ممّا رواه الشيخ الطوسي رحمه الله في كنز الفوائد على ما ذكر في البحار عن داود بن كثير، قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أنتم الصلاة في كتاب الله عزّ وجل، وأنتم الزكاة فقال: ونحن الصيام، ونحن الحج، ونحن الشهر الحرام، ونحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله، ونحن وجه الله، قال الله تعالى: ﴿ **فأينما تولّوا فثمّ وجه الله** ﴾ ونحن الآيات، ونحن البيّنات. وعدوّنا في كتاب الله عزّ وجلّ الفحشاء والمنكر والبغي، والخمر والميسر ولحم الخنزير.

يا داود إنّ الله خلقنا فأكرم خلقنا وفضّلنا، وجعلنا أُمناءه وحفظته وخزّنه على ما في السماوات وما في الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداء فسمانا في كتابه، وكنّى عن أسمائنا بأحسن الأسماء، وأحبّها إليه، وسمّى أضدادنا أعداءنا في كتابه، وكنّى عن أسمائهم، وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتّقين.

أقول: المراد من أحسن الأسماء هو ما قاله عليه السلام من أنّهم الصلاة والزكاة والصوم.. الخ فإنّها أحسن الأسماء قد ذكرها الله كناية عنهم كما سنذكره، وكذا المراد من قوله: في أبغض الأسماء إليه، هو الفحشاء والمنكر والبغي والخمر والميسر.. الخ، كما لا يخفى.

وما رواه في البحار[1]، عن أبي ذر وسلمان (رضوان الله عليهما) إلى أن قال عليه السلام: معرفتي بالنورانية معرفة الله عزّ وجل، ومعرفة الله عزّ وجل معرفتي بالنورانية،

---

١ ـ البحار ج٢٦، ص١.

وهو الدين الخالص، الذي قال الله تعالى: ﴿ **وما أُمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ يقول: ما أمروا إلّا بنبوّة محمد ﷺ وهو دين الحنيفة المحمدية السمحة، وقوله: ويقيموا الصلاة، فمن أقام ولايتي فقد أقام الصلاة، وإقامة ولايتي صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان..

إلى أن قال ﷺ: المؤمن الممتحن هو الذي لا يرد من أمرنا إليه شيء إلّا شرح صدره لقبوله، ولم يشكّ ولم يرتب، إلى أن قال: قال سلمان: قلت: يا أخا رسول الله ومَن أقام الصلاة أقام ولايتك؟ قال: نعم يا سلمان، تصديق ذلك قوله تعالى في الكتاب العزيز: ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنّها لكبيرة إلّا على الخاشعين** ﴾ فالصبر رسول الله ﷺ والصلاة إقامة ولايتي، فمنها قال الله تعالى: ﴿ **وإنّها لكبيرة** ﴾ ولم يقل: وإنّهما لكبيرة؛ لأنّ الولاية كبير حملها إلّا على الخاشعين، والخاشعون هم الشيعة المستبصرون، الحديث.

فحينئذٍ نقول: إنّ الظاهر من قوله ﷺ: «وأقمتم الصلاة» هو إقامتها بحدودها كما تقدم، إلّا أنّ تأويلها لأهل البصيرة هو إقامة الولاية، فإنّهم أقاموها وأمروا شيعتهم بإقامتها، فبإقامتها إقامة الصلاة، وقد تقدم شرح هذا سابقاً، إلّا انّا نذكر هنا مجملاً منه، فنقول:

المراد من الصلاة، التي من أقام الولاية فقد أقامها هي الصلاة التي تكون معراج المؤمن، وهو حصول القرب الحقيقي الذي هو روح الولاية، فإنّها كما عرفت لغة أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، وهذا القرب المعنوي الحقيقي لا يحصل إلّا بالفناء المطلق، الذي معناه إسقاط جميع الحدود الخلقية وظهور التجلّيات الربوبية، وتمكن الأسماء الحسنى، بل والأسماء العظمى في العبد، بحيث لا يكون فيه إلّا أثر الرب، وهذا المعنى بحقيقته ثابت في محمد وعلي وفاطمة والأئمة (عليهم أفضل السلام والتحية).

فمعنى «فمن أقام ولايتي» هو إقامتها بجميع معانيها من الإقرار بها أوّلاً، ودرك معناها المعنوي ثانياً، والاتصاف بحقائقها ثالثاً، وهذه تحصل من الاقرار بها في المرحلة الأولى؛ ولذا وردت أحاديث كثيرة خارجة عن حدّ الاحصاء في الأبواب المتفرّقة دلّت على أنّ شرط قبول الأعمال، بل وسائر أصول الدين هو قبول الولاية، بل هو أهمّها كما تقدم.

والحاصل: أنّ الحقيقة الإنسانية إذا اتصفت بتلك المراحل الثلاث من الإقرار بها، ودرك معانيها، والاتصاف بها قلباً وروحاً، فصاحب هذه الحقيقة يمكنه إقامة الصلاة كما هي، بل هذه الحالات بما لها من الاتصالات بالمبدإ الأعلى حسب القرب والولاية، وظهور صفات الحق فيه هو حقيقة الصلاة كيف وقد ورد: أنّ الذاكر لله فهو في الصلاة، فما ظنّك بمن اتصل قلبه بالحق تعالى بالنحو المذكور، فهو دائماً في ذكره الحقيقي المتقدم تفسِيره، فحينئذٍ هو في الصلاة دائماً؟ وهذا الشخص يشتاق إلى إقامة الصلاة الخارجية القائمة ببدنه، فإنّ هذا الذي أقام الولاية يمكنه إقامة الصلاة، وهذا معنى قوله ﷺ: فمن أقام ولايتي فقد أقام الصلاة.

وقوله ﷺ: نحن الصلاة.. الخ، حيث إنّ حقيقتهم ﷺ هي حقيقة الصلاة والولاية بالمعنى المتقدم.

ولعمري إنّ هذا يستلزم استلزاماً مؤكداً للمداومة على الصلاة خارجاً، وأين هذا ممّا زعمه الجهلاء والسفهاء من أنّ من علم الصلاة المعنوية والولاية لا يحتاج إلى الصلاة والعبادة الخارجية؟ فإنّ هذا جهل وزور وتسويل من الشيطان الرجيم نعوذ بالله منه.

وكيف كان فالولاية بمعناها الواقعي التي وسعت كلّ شيء، ولا يشذ عنها شيء، قائمة بمحمد وآله الطاهرين، وهي هكذا روح الصلاة، ولا تكاد إقامة الصلاة على الحقيقة الحقّة ظاهراً وباطناً على أكمل الوجوه إلّا بمحمد وآله الطاهرين، فإنّ الصلاة الحقيقية هي صورة الولاية والصلاة الولوي هي علّة الوجود، ولا يقيمها، إلّا من جعلهم الله مظهراً لها، وحملتها هم محمد وآله الطاهرون، فحقيقة الولاية أصل

الإمام عليه السلام وهو حقيقة الصلاة؛ ولذا قالوا: نحن الصلاة.. الخ، وحقيقة الصلاة الظاهرية فرع الإمام، فمن أقام الولاية فقد أقام الصلاة.

والحاصل: أنّ الصلاة الظاهرة ولاية ظاهرية، فلو لم تقبل الولاية لا صلاة لصاحبها، والولاية الواقعية صلاة باطنية، فمن اتصف بها فهو في الصلاة ومقيم لها، وهذه كلّها مع أسرارها ظاهراً وباطناً لا تتحقق إلّا بالإمام عليه السلام وهو حامل لها ولأسرارها، والمتحمّل لأعبائها الظاهرية والباطنية، رزقنا الله معرفة ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

قوله عليه السلام: وآتيتم الزكاة

في المجمع: وقد تكرر ذكر الزكاة في الكتاب والسنّة، وهي إمّا مصدر زكى إذا نمى؛ لأنّها تستجلب البركة في المال وتنميه وتفيد النفس فضيلة الكرم، وإمّا مصدر زكا إذا طهر لأنّها تطهّر المال من الخبث والنفس البخيلة من البخل. وفي الشرع: صدقة مقدرة بأصل الشرع ابتداء. ثبت في المال أو في الذمة للطهارة لهما، فزكاة المال طُهر للمال وزكاة الفطرة طُهر للأبدان. **فنقول:** ظاهر العبارة أنّهم عليهم السلام أُعطوا الزكاة بقسميها المقررة في الشرع.

ووجه الاختصاص بالذكر بهذه الفريضة المالية هو أنّ الزكاة لها أهمية كبيرة في الشرع؛ ولذا قلّ ما أمر الله تعالى العباد بالإيمان بالله والرسول وبالصلاة إلّا وقد أمر بإيتاء الزكاة أيضاً كما لا يخفى على مسلم، وكفى في أهميتها أنّه يقال لتاركها كتارك الحج عند موته: مُت إن شئت يهودياً أو نصرانياً. فمعنى الجملة أنّكم أدّيتم هذه الفريضة المهمة شرعاً كما هو حقّها، ويمكن أن يراد منها زكاة النفس المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ **قد أفلح من زكّاها** ﴾[1] ومعنى إيتائها حينئذٍ تطهيرها عن الرذائل.

وكيف كان فالمراد تزكية نفوسهم عليهم السلام من أرجاس الجاهلية، واتّباع الهوى

---

١ ـ الشمس: ٩.

الذي هو الطهارة المشار إليها بآية التطهير، ولكن فيه أنّ آية التطهير تعني أنّ الله تعالى طهّرهم لا أنّهم عليهم السلام طهّروا أنفسهم، إلّا أن يقال: تطهيرهم لها باعتبار التطهير بقاءً حيث كان يمكنهم رفع اليد عنها، فما رفعوا اليد عمّا منحهم الله تعالى، بل أبقوا الطهارة الإلهية، وهذا معنى التزكية بالنسبة إليهم عليهم السلام.

هذا وقد يقال: إنّ المراد من قولهم: وآتيتم الزكاة، معنى دقيق لعلّه سرّ وباطن لإيتاء الزكاة الظاهري وحاصله: أنّ الزكاة هو إعطاء مال أو شيء آخر بعد تحقّق النصاب، أي واجديّة شيء من مال أو غيره من العلم، وسائر الكمالات المعنوية، فحينئذٍ فالاعتبار يقضي بأنّه كما تجب الزكاة في المال وفي الرؤوس كما في الفطرة، كذلك تجب زكاة الملكات (بالفتح) المعنوية من العلم والقدرة، والجمال والجلال الإلهي، فمن منحه الله تعالى تلك، فيجب عليه الزكاة لطفاً للمستحقّين، قال الشاعر مخاطباً لهم بالفارسية:

نصاب حسن در حدّ كمال است زكوتم ده كه مسكين وفقيرم

وكيف كان فهم عليهم السلام لمّا كانوا مستفيضين منه تعالى بكلّ الفيوضات الإلهيّة بحيث قالوا في حقّهم كما سيجيء: آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين، فلا محالة لما بلغت الألطاف الإلهيّة بالنسبة إليهم حدّ النصاب بل وفوق ذلك؛ ولذا أدّوا الزكاة، فتصدّوا لإعطاء العلم والقدرة، والجمال والجلال، ولقاء الله للمستحقّين من الشيعة الذين يعتقدون أنّهم قد بلغوا في الكمال حدّ النصاب، فسألوا منهم الزكاة زكاة هذه الألطاف الخاصّة وهم عليهم السلام منحوهم لكلّ على حسب سؤاله وظرفيّته.

بل المتأمّل البصير يرى أنّ جميع الموجودات مستفيضون منهم عليهم السلام ومن زكاة كمالاتهم، فهم عليهم السلام في المحلّ الرفيع الذي عندهم خزائن الله تعالى، وإنّما ينزل منهم من تلك الكمالات والحقائق إلى كلّ موجود بقدر معلوم.

انتهى الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع مبدوءًا

بـ «وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر»

فهرس الموضوعات